المجلس الأعلى للغة العربية

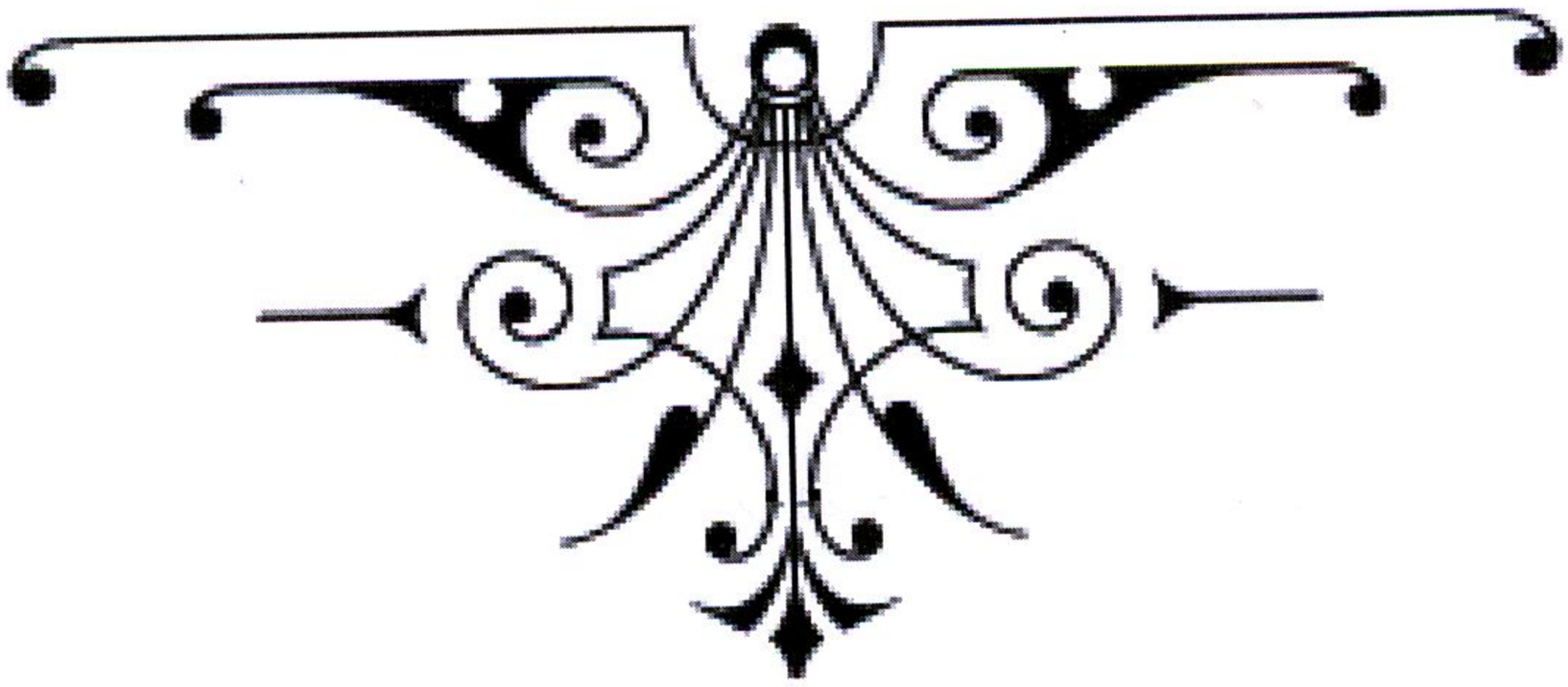
التعدد اللساني واللغة الجامعة

الجزء الثاني

2014

التعدد اللساني واللغة الجامعة

(الجزء الثاني)



المجلس الأعلى للغة العربية

المجلس الأعلى للغة العربية

شارع فرنكلين روزفلت الجزائر

ص.ب. 575 ديدوش مراد – الجزائر

الهاتف: 25/24 07 23 21 (00213)

الناسوخ:07 07 23 21 (00213)

الترقيم الدولي الموحّد للمجلاّت (ر.د.م.م) :1112. 3575

الإيداع القانوني:3495 - 2102

ردمك: 8 - 68 -821- 9947 - 978

مواصلة لفعاليات الندوة الدولية للتعدد اللساني والفقهي الجامعة التي تميزت بغزارة المادة العلمية، مما أضطر المجلس إلى توزيع المداخلات العلمية التي ألقيت إلى تقسيم الكتاب إلى جزئيه، ويتضمن الجزء الثاني مداخلات تصبّ كلها في مسعى ترقية استعمال اللغة العربية، وتحديث مضامينها مما يؤهلها لمواكبة التطورات الحاصلة في مجالات العلوم والأداب وتكنولوجيا المعلوميات.

واقع حال التعدد اللَغوي في المدرسة الجزائرية
(نحو بديل أفضل: اللغة الجامعة)

أ.د / يوسف مقران المدرسة العليا
للأساتِذة بوزريعة ـ الجزائر

مقدمـة

إنّ الهمّ الذي يحدونا ونحن نعالج .في هذه المداخلة وفي هذه الآونة .واقعَ حال التعدّد اللغوي في المدرسة الجزائرية، هو طرح الموضوع على مستواه القانوني التشريعي الدستوري وفي علاقته مع المجتمع المدني، وذلك نزولاً عند تجلِّياته في طموحات هذه المدرسة الجزائرية عبر تحليل حاجاتها ومواقف المعلِّمين والمتعلِّمين والأولياء. نقول طموحات لأنّ النتائج المحصَّل عليها فيما يخصّ تكريس ثقافة التعدّد اللغوي ولو نظريّاً هي بعيدة كلَّ البعد عن المحمود المتوقَّع في حين يُزعم الكثيرُ من خلال مشاريع السياسات اللغوية المتعاقبة التي للأسف لا تتماشى دائماً مع توقّعات المجتمع الذي أصبح يعي موقعَه المتوسطي المغاربي الاستراتيجي. وفي هذا السياق يجدر التفكير في اللغة الجامعة كبديل. مع العلم أنّه سبق أن وجد هناك مَن بحث عن لغة مشتركة أو بالأحرى لغة جامعة (Unitaire) كبديل وحلٍّ لتدهور حال المشهد اللغوي، بل ثمة مِن المفكِّرين والأدباء مَن أزعجهم ذلك التدهور إلى حدّ السخط كما يُؤثَرعن دانتي (Dante) الذي صرّح في موضوع العامية الإيطالية .وهو يتنبّأ بسوء

عاقبة اللغة الإيطالية الفصحى: «هذه العامية الإيطالية المبتذلة التي تصدح بغموض فاحش ستكتسح جزءاً كبيراً من أمجاد اللغة الإيطالية الفصحى»1.

وإذ نلاحِظ أنّ أسئلة التعدّد اللغوي في الجزائر كثيرة جدّاً دعونا نبحث هذه الإشكالية على المستوى المدرسي. من هنا فما نكترث به في سياق هذه الإشكالية هو توصيف لحال استعمال فضاء من الفضاءات التي سنذكرها لاحقاً في المدرسة الجزائرية. بيد أنه مهما يكن تباينُ الآراء فالمدرسة الجزائرية عرفت العديد من التجارب على امتداد عدة سنوات ولا عجب أن ترفع اليومَ شعار التعدّد اللّغوي.

1. الاعتبارات الأوليّة:

1.1 نقطة نظام مصطلحيّة:

1.1.1 لماذا التعدد اللغوي لا التعدّدية اللّغوية؟

نفتتح هذه الورقة البحثيّة بالتّمييز بين مصطلحين على الرغم من علاقة التكامل الكائنة بينهما إذ لا يمكن استبدال أحدهما بالآخر، وهما: 1.التعدديّة اللغويّة و2.التعدّد اللغوي. والأمر يُفسَّر كالآتي: تقع (التعدّديّة اللّغوية) على مستوى الفرد ويهمّ فيها ملامح الشخص الذي يُعتبر ملتقى عدّة لغات وموطن احتكاكها، ويُعالج كونه متعدِّد اللغات نظراً لما يستقطب من اهتمام حول الانعكاسات الممكنة على نفسيته وكذا الاستراتيجيات التي يعتمدها المتعلِّم في نقل المعرفة من وضع لغوي ما إلى آخر. فبالتالي تُدرَس التعددية على المستوى اللساني والنفسي والذهني.

1- نقلاً عن:
Franco Pierno, Du rêve d›une homogénéité linguistique au plurilinguisme institutionnel: l›Italie en dialectes et langue(s), in Pluralisme et multiculturalisme (Dir. Nadine Ly), Ed. Presses Universitaires de Bordeaux (Coll. Montaigne-Humanités), Bordeaux, 2009, (p.21-33), p.22.

هذا، بينما يعني مصطلح (التعدّد اللغوي) ما يقع على المستوى القطري بحيث يشمل مجموعة لغوية ما ويُتناول كموضوع من قبل اللسانيات الاجتماعية. وقد استوحينا هذا التحليل من التمييز الذي تقدّم به كلٌّ مِن (Michel Blanc) و(Josiane Hamers) والذي طُبِّق على مفهوميْ الازدواجية اللغوية (Bilinguilité) والازدواج اللغوي (Bilinguisme)1 أي ما يعادل (Pluralité linguistique) و(Plurilinguisme).

بل ثمّة مَن اقترح مصطلح (Colinguisme)؛ ويتعلّق الأمرُ بتفاعل اللغات مع بعضها البعض في بعدها الكتابي ولاسيما اللغات التي سمحت بتدوين الكتب السماوية والصحف المقدَّسة، انطلاقاً من العبرية والعربية واللاتينية.. وهكذا2.

نتبيّن مما سبق أنّ زاويتنا هي اجتماعية تخصّ أكثر التعدّد اللغوي في أبعاده الاجتماعية ولكن مع مراعاة البعد الفردي كما نتقدم بتوضيحه في العنصر الآتي.

2.1.1 صعوبات الأخذ بالتعدّدية اللّغوية:

ثمة أيضاً مَن انتقد بشدّة الزعم القائل بتعدديّة لغويّة كاملة أو حتى ازدواجية لغوية كاملة. فهذه لويز دابن (Louise Dabène) تميِّز بين شقّيْ ثنائية تقابليّة هي [(Bilinguisme composé) و(Bilinguisme coordoné)]3. وتقتصر على هذا الأخير كما تنتصر بعضَ الشيء لمفهوم العقد بالتداول على اللغات وفق الحاجة ومن غير الزعم بكمالية تعلّم

1- يُنظَر: Josiane F. Hamers et Michel Blanc, Bilinguilité et bilinguisme, 2d éd. mardaga, Bruxelles, 1983, p.350-351.

2- يُنظَر: Renée balibar, Le Colinguisme, Ed. PUF (Coll. Que sais-je ?), Paris, 1993, p.04

3- يُنظَر: Louise Dabène, Repères sociolinguistiques par l›enseignement des langues, Ed. Hachette, Paris, 1994, p.84

تلكم اللغات بكاملها. وذلك مِن أجل ضمان التفاهم المتبادَل بين الأفراد غير التابِعين لنفس المجموعة اللغوية. وبعد أكثر من ثلاثين عاماً من مشاهدة الوضع اللغوي الذي تختصّ به فئة الشباب الناشئين في وسط المهاجرين (الجزائريين والاسبانيين والبرتغاليين)، لاحظت أيضاً عدم تجانس المنتوجات الكلامية التي يُفرزها عادةً الوسط اللغوي التعدّدي1. ثمّ إنّ المتعلِّم الذي يُوضَع في سياق التعدّد اللّغوي لا يتعامل مع مجموع اللّغات التي ينشد تعلّمها أو التي لديه حظٌّ سابق يتعلّق ببعضها، بحيث يصنِّفها في خانات واضِحة وبيّنة وإنّما تقضي المقاربة التعدّدية (اللّغويّة) خلق معابر وجسور بين تلكم اللغات أو بين بعضها وذلك بوساطة إجراء نوع من عقد تعليميٍّ اجتماعيٍّ تعامليٍّ أي يتعامل في إطاره مع تلكم اللغات وفق آليات تفهّميّة وتعبيريّة تتوقّف على مزدوجي اللغات ومتعدِّديها2. من هنا فتعليمية التعدد اللغوي غالباً ما تقضي بتعليم كيفيّة التّفاهم بين الأفراد متعدِّدي اللغات بمقتضى ذلك العقد كأنّهم في صدد لغاتٍ متجاورة سبق لها أن التقت في الماضي3. كما يعمل المتعلِّمون وفق مبدأ التكيّف ببعث استراتيجيات تنهض بمهمّة ملء الفراغات ودرء النقص ولاسيما على المستوى المعجمي4. وذلك عن طريق مبدأ التعاون والتفاوض المشترك بين المتحدِّثين، فكل يساعد الآخر ويحاول فهمه ويمده بعناصر هي من قبيل المعيار الذي يتقنه ولو اختلفت الملفوظات.

1- يُنظَر: Louise Dabène, Caractères spécifiques du bilinguisme et représentations des pratiques langagières des jeunes issus dr l›immigration en france, in Devenir bilingue - parler bilingue (Actes du 2e colloque sur le bilinguisme, Université de Neuchâtel, 20-22 septembre 1984, ed. Georges Lüdi), Ed. Niemeyer, Tübengen, 1987, (p.77-97), p.77.

2- يُنظَر: Pierre Escudé et Pierre Janin, Le point sur l'intercompréhension, clé du plurilinguisme, Ed. CLE (Coll. Didactique des langues étrangères), Paris, 2010, p.33.

3- يُنظَر: Jacqueline Billiez, De la didactique des langues à la didactique du plurilinguisme, Ed. CDL-LIDILEM, Grenoble, 1998

4- يُنظَر: Peter Auer, Le transfert comme stratégie conversationnelle dans le discours en «L2», in Devenir bilingue - parler bilingue (Actes du 2e colloque sur le bilinguisme, Université de Neuchâtel, 20-22 septembre 1984, ed. Georges Lüdi), Ed. Niemeyer, Tübengen, 1987, (p.57-74), p.72.

كما يقابل هنري بوير بين نموذجين من التعدد أو الازدواجية، بين الفصيح وبين العامي ويختار حال سويسرا للأول وحال اسبانيا للثاني1.

2.1 معايير الحكم بالتعدد اللغوي:

1.2.1 معيار المدرسة والتعليم:

التساؤل الذي ينبغي أن يُطرَح هنا هو: هل بمجرَّد ما يتمّ إدراجُ أكثر من لغة في المنظومة التربوية والتعليمية لأيّ بلدٍ يُقضى بالحكم على ذلك البلد بأنّه متعدِّد اللغات. إنّ الأمر ليس كذلك دائماً، ذلك أنّ واقع فرنسا مثلاَ .وبشهادة أعظم الباحثين ومعظمهم .يدلّ على أنها ليست بلدًا متعدِّد اللّغات على الرغم من أنّ عدد اللغات التي أدخلت في المدرسة الفرنسية منذ التحضيري إلى الجامعة، يعدّ بالعدد الكافي للحكم على وضعها بالتعدد اللغوي. هذا، ولاسيما إذا علمنا أنّ المدرسة قد شكَّلت في فرنسا منذ تأسيس الجمهورية الثالثة مكان النَّمْذَجة اللغويّة والثقافة المشتركة اللّتين لا يتنازل عنهما أيٌّ من المسجَّلين فيها2.

لاريبَ في أنّ العلاقة بين التعدّد اللّغوي والمدرسة وطيدة، ولا أحدَ يقدر على إلغائها تحت أيّ ذريعة كانت، والادّعاء بعكس ذلك هو نوعٌ من إنكار بأنّ المدرسة تستقبل مشاريع التكفّل بتعليم لغات وطنية ورسمية وأجنبية، وبدون التفكير في آفاق وتأثيرات ذلك على المتعلِّمين والمجتمع و..الخ.

1- يُنظَر: Henri Boyer, Eléments de sociolinguistique: langue, communication et société, Ed. Dunod, Paris, 1991, p.95

2- يُنظَر: Klaus Gerth, La société française face au bilinguisme: la réglementation de l›Education national en tant que reflet des interrogations d›une culture singulière et plurielle, in Bilinguisme: enrichissement et conflits (Actes du colloque organisé à la Faculté des Lettres et Sciences Humaines de l'Université de Toulon et du Var les 26, 27 et 28 mars 1999: réunis par Isabelle Felici), Ed. Honoré Champion, Paris, 2000, (p.45-60), p..

إنّ تعلّم اللّغة الثانية يحدث في الغالب في سنٍّ تكون فيه قدراتُ المتعلِّم العقليّة والإدراكيّة والنفسيّة متطوّرة بل ناضجة أكثر مما كانت عليه بينما كان في صدد اكتسابه لغة الأمّ، ذلك أنّ في هذه المرحلة يسود النزوع نحو المطاوعة بدون رقابة العقل (والفكر على الخصوص) ولكن بدون غفلة أيضاً بينما يزداد وعيُ المتعلم نمواً مع تطوّره العقلي1. من هنا تأتي ضرورة ترقّب ردود فعل مختلفة لدى المتعلمين كلٌّ حسب درجة وعيه باختلاف ما يُقدَّم له من أنظمة لغويّة وما يوضع إزاءَه من استعمالات كلاميّة قد يستسيغها أو يمجّها وينفر منها. وعلى المعلِّم حينئذ أن يراعي هذه المسألة (الوعي بسياقات التعلّم المختلفة) وحساسية المتعلِّم تجاه ما يُعرض له (مِن اختيارات) وكذا مواقفه ممّا يطالَب به أن يتعلّمه من اللّغات. فلا شكَّ أنّ ما سبق أن اكتسبه المتعلِّم وشكَّل لديه معرفة لغوية (ولو أنها غير واعية) وأخرى قُدراتيّة متأصِّلة في ذاته، كلّ ذلك يؤثّر على مساره الإجرائي التعلّمي وينعكس على وتيرة تعلّمه للغة الثانية سواء بالتقدّم أم بالتردّد والتأخّر.

2.2.1 التاريخ المشترك:

إنّ تحديد موقع أيّ بلد باعتباره متعدِّداً لغويّاً وبالتالي ثقافيّاً يرجع في جزءٍ كبيرٍ منه إلى الاعتبارات التاريخية، إذ كثيراً ما يعتبر التعدد اللغوي نتاجاً لتاريخ شعوبٍ ولتفاعل مجموع القوى المجتمعية الناتجة عن التاريخ المشترَك. ولكن يبقى الإقرار بالوضع اللّغوي التعدّدي هو . كما سنرى أدناه . مِن اختصاص القرار السياسي والبرلمان الذي يفسح المجال لعدّة لغاتٍ وثقافاتٍ أن تتعايش بصفة رسمية وفريدة من نوعها.

1- يُنظَر: Marie-Madeleine Bertricci, Politique linguistique - éducative: proposition pour une didactique du plurilinguisme, in L›enseignement des langues vivantes étrangères à l›école: impacts sur le développement de la langue maternelle (Dir Colette Corblin et Jérimi Sauvage), Ed. L›harmattan (Coll. Enfance et Langages), Paris, 2010, (p.145-156), p

بالإضافة إلى ذلك، فإن مفهوم التعدد اللغوي عبر المناخ المدرسي مرتبط بقضية الثقافة1. إنّ الملكة الثقافية (Compétence culturelle) التي تسعى المدرسة إلى تحصليها إلى جانب الملكة اللغوية، هي ملكة متعدية أي ملكة ما بين الثقافـات (Compétence interculturelle)2. والحال أنّ الصدام المهدِّد بالوقوع هو بين ثقافتين، في حين أنّ المتعلِّم في المرحلة المبكِّرة قد لا يعي جيّداً مكوِّنات ثقافته الأصليّة (المحفِّزة أو المثبِّطة)، وإذا كان الأمر هكذا فقد يحظى برغبة التعلّم خارج الاعتبارات القومية3.

3.2.1 معيار الترسيم والقرار السياسي:

لقد قلنا أعلاه إنّ الإقرار بالوضع اللّغوي التعدّدي هو مِن اختصاص البرلمان الذي بمقتضى سلطته التشريعيّة يفسح المجال لعدّة لغاتٍ وثقافاتٍ أن تتعايش بصفة رسمية وفريدة من نوعها. من ثمّ فما على المدرسة إلاّ أن تستجيب لمتطلبات الترسيم وتخضع لذلك القرار السياسي. بل إن الإقرار بالتعدد اللغوي يعدّ قضيّة وطنيّة في الأساس ووحدة وطنيّة في الجوهر4. بيد أنّ المدرسة باعتبارها مؤسَّسة رسميّة تُسهم كثيراً في التذكير بالطابع الرسمي لهذه اللغة أو تلك.

1- يُنظَر: Henri Besse Cultiver une identité plurielle, In Le Français dans le monde, n°254, janvier 1993, p.42-48

2- يُنظَر: Jean Bernabé, Langues, cultures, sociétés créoles: évolutions morphologiques et symptomatologiques, in Pluralisme et multiculturalisme (Dir. Nadine Ly), Ed. Presses Universitaires de Bordeaux (Coll. Montaigne-Humanités), Bordeaux, 2009, (p.35-49), p.44.

3- يُنظَر: Florent Michaux, Le monde et ma langue, in Bilinguisme et psychologie (Dir. Mareike Wolf-Fédida), Ed. MJW (Coll. Culture et Langage), Paris, 2010, (p.155-168), p.160-161.

4- يُنظَر: Abderrezak Dourari, Pluralisme linguistique et unité national: perspectives pour l›officialisation des variétés berbères en Algérie, in Plurilinguisme et identité au Maghreb (Actes du colloque tenu à Mont-Saint-Aignan les 2 et 3 mai 1996, dans le cadre de la convention entre les universités de Rouen et de Tizi-Ouzou, éd. Foued Laroussi), Ed. Publications de l'Université de Rouen, 1997, (p.45-53), p..

4.2.1 معيار الشيوع والاستعمال:

كثيراً ما يستند قرارُ التّرسيم إلى معيار الشيوع والاستعمال الذي يُكلَّل باستفتاء شعبي. فالسماح للعربيّة بأن ترقى إلى لغة وطنيّة ورسميّة في الجزائر جاء بعد الاطمئنان إلى تلكم الأرضية المشتركة الكائنة بين كل اللهجات العربية الشائعة في القطر الوطني وبين اللغة العربية الفصحى التي ارتقت إلى التوظيف في الإدارة بعد حرمان دام قروناً (العهد العثماني والاستعماري)، وبين كل لهجة وأخرى، وذلك على الرغم من وجود مساحة تنفرد فيها كل لهجة عن اللغة العربية الفصحى وعن بقية اللهجات: ما أصبح يُكرِّس مرّةً أخرى فكرة التعدّد اللغوي في الجزائر. ولكن ليس على الطريقة التي أخذ يقترحها بعضُ الباحثين على غرار خولة طالب الإبراهيمي التي تجعل التعايش بين "لغات" الجزائريين في إحداث الهجين بين العربية والفرنسية من جهة وبين العربية واللّهجات العربية والأمازيغية من جهة ثانية، إذ تنصرف إلى تقديم أمثلة على ذلك وتنسخها بالحرف اللاّتيني، وترى في ذلك نوعاً من التوليد اللّغوي يستحقّ أن ينال الإعجاب وبالتالي التشجيع . ما دامت أسمته الابتكار كأنّما يكفي أن تسمّيه كذلك لكي يلقى الدعم الكافي والقبول الوافي، واعتمدت في ذلك على عيِّنة بسيطة جدّاً كبَّرت من خلالها «شأن الخليط اللّغوي المبتكِر بطريقة خارقة»1 . على حدّ قولها. ولا تكترث أصلاً بأن تنصهر تلك الاستعمالات الهجينة في اللّغة العربيّة بما أنّها لغة الشارع التي تقضي بضرورة التفاهم وتستجيب لضرورات التواصل. هذا، بينما انطلق هنري بوير من حقيقة تنفي وجود تعايش كامل بين لغات إذ يوجد دائماً تنافس

1- يُنظَر: Khaoula Taleb-Ibrahimi, Le comportement langagier des locuteurs algériens, in De la didactique des langues à la didactique du plurilinguisme (Textes réunis par Jacques Billiez en hommage à Louise dabène), Ed. CDL-LIDILEM, Grenoble, 1998, (p.231-240), p.234.

تفرضه الخيارات الاجتماعية اللغوية والتعليمية للبلد الذي قد يجد نفسه مدفوعاً نحو مأزق البتّ في الاختيار1.

بيد أنّ العلماء مختلفون في هذا الموضوع، فحتى أشدّهم التزاماً بالموقف المحافِظ نجده يتراجع أمام واقع الاستعمال ويعالج الأمر بنوعٍ مِن تلطّفٍ، طبعاً ليس مخافة أن يُغضب طرفاً أو نزولاً عند رغبة آخر، بل إقراراً بالواقع المرّ. فهذا أوريليا سوفاجو الفرنسي (1897 . 1988) Arilien Sauvageot يقول في شأن ما أخذ يشيع في شوارع المدن الفرنسيّة ويتسلّل إلى اللّغة الفرنسيّة (المعاصرة):

« إنّ هذا الجيل من الشباب لا يتحرّج في التعبير عن أغراضه، ويتصرّف وفق مبدأ الحيلة السانحة. فالمتخاطبون مِن هؤلاء في أيامنا معرَّضون للاستجابة لمقتضيات الحياة اليوميّة، إذ بمجرّد ما تُحوجهم هذه الأخيرة إلى كلمة أو صيغة تعبير ما، فيقبلون للتوّ على تسخيرها بدون أدنى تردّد أو خجل ولا يبالون إذا حصل أنّهم اقترضوا من لغة أجنبيّة أو حرّفوا كلمات أصيلة، لا يكترثون كثيراً بصمودهم أمام القواعد النحوية الكنسية والإنجيلية: المهمّ عندهم هو التعبير والتواصل، وسوى ذلك فلا يهمّ في تصوّرهم»2.

ولكن تبقى المعاناة عند الفرنسيين تُستشعر على مستوى الصراع القائم بين الشفاهي والكتابي، حيث يوجد كثيرٌ من الصيغ الكلامية التي أخذت تتدفّق نحو الكتابة الصحفية بل تتلقّفها حتى أقلامُ مشاهير الكتاب: ما فرض عنوان الكتاب (Français écrit، + parlé) الذي يستنكر

1- يُنظَر: Henri Boyer, Eléments de sociolinguistique: langue, communication et société, Ed. Dunod, Paris, 1991, p.95

2- يُنظَر: Arilien Sauvageot, Français écrit, français parlé, Ed. Larousse, Paris, 1962, p.08

صاحبُه الظاهرة المستشرية. كما يندِّد بابتعاد المدرسة الفرنسيّة عن واقع استعمال لغة موليير التي لم تعد تلك اللغة التي كتب بها موليير أبلغ روائع العالم المسرحيّة.

هكذا إذن فمعيار الشيوع والاستعمال قد يُخطئ بل يُضلِّل. فما يُزعم على إثره من تعدّد لغويٍّ لا يزيد على أن يكون هجيناً مشيناً مخلاً بجميع اللغات التي يأخذ بها، وقد يساير مبدأ التواصل إلى حدٍّ ما وعند الحاجة، ولكنه لا يمكن أن يمثِّل

أما إذا عدنا إلى القدرة الخلاّقة التي يكبر عليها الأطفال الصغار حينما ينكبّون على سماع أكثر من لغة، فذلك أمر يختلف عما يحدث على مستوى الكبار الذين ينزعون إلى التقيّد بالقواعد اللّغويّة الصارمة صراحةً وضمنيّاً. فإنّ سياقات التعدد اللغوي تشكِّل مناخاً موائماً للتوليد اللغوي وإبداع الملفوظات الاصطلاحية . ولاسيما عند فئة الأطفال إذن . حيث تشكل الصياغات التي لا تنتمي إلى إحدى اللغات المتداخلة والتي يُعد استعمالها نوعا من حل وسطي قد يكون آنياً أو يدوم مع الزمن. وهي ملفوظات لاحظها محللو المحادثات أنها ذوات قيم تواصلية1. وهو ما يسمى اللغة الوسيطة التي وإن صار المتعلِّم يضعها تحت تصرّفه فهو يستعين بوساطتها لإقامة حواجز بينه وبين اللغات الثانية وبين هذه وبين لغة الأم وذلك بتخصيص الأولى لأغراض التواصل وجعل الأخيرة للتعبير عن مكامن النفس وهذا حسب نظرية المثاقفة لـ (Schumann)2. وهي

1- يُنظر: Kerbrat-Orecchioni, la notion de « place « interactionnelle ou Les taxèmes, qu›est-ce que c›est que ça?, in Echanges sur la conversation (J. Corsier et al.), Ed. CNRS, 1988, (185-198), p.186.

2- يُنظَر: Klaus Vogel, L'interlangue: langue de l'apprenant, Trad. de l'allemand par Jean-Michel Brohée et Jean-paul Confais, Ed. Presses universitaires de Mirail (Coll. Interlangues linguistique et didactique), Toulouse, 1995, p.39-40.

التي يُعزِّزها ما يُدعى (Le savoir interlingual)1. وكذلك يبرع الأطفال في تسخير التعليل اللغوي التي تقدِّم دفعاً قويّاً للإبداعية والابتكار اللغوي2.

2. المشهد اللغوي في الجزائر:

إنّ المشهد اللّغوي في الجزائر . باعتباره نتاجاً لوضعٍ تاريخيٍّ متميِّز ووليد جغرافيّة خاصّة . يتميّز بمظهرين متناقِضين في الظّاهر ومنسجمين في الواقع، وهما التعايش والصراع. لهذا فليس من السهل وصفُه بدون معرفة التاريخ والسياسة والثقافة. سنأتي إلى تفسير تلك المفارقة وهذا التعقيد أدناه. بينما يهمّ هنا التأكيد على أنّ ذلك المشهد اللّغوي " الجزائري " ينتظِم حول ثلاثة فضاءات كبرى هي:

1.-اللغة العربية الفصحى (المشتركة) بمختلف لهجاتها الراسخة في المجتمع الجزائري والمكرَّسة للتواصل، وتعد اللغة العربية اللغة الرسمية منذ استقلال الجزائر في 1962،

2.-اللّهجات الأمازيغة التي تأخّر الإقرار بمقامها الوطني إلى غاية 2002 وبالتالي بوضعها التعليمي3، على الرغم من تواجدها العريق واستعمالها الراهن والحيّ ومخزونها الثقافي الثري، وكذا الأنصار الملتفِّين حولها والمنادين بها كمطلب شرعي في آخر المطاف4.

1- يُنظَر: Klaus Vogel, L'interlangue: langue de l'apprenant, Trad. de l'allemand par Jean-Michel Brohée et Jean-paul Confais, Ed. Presses universitaires de Mirail (Coll. Interlangues linguistique et didactique), Toulouse, 1995, p.251-252

2- يُنظَر: Jean Peytard, Motivation préfixale et paradigme dérivationnels (sur la préfixation en « pré «, dans le français contemporain, in Néologie et lexicologie (Hommage à Louis Guilbert), Ed. Librairie Larousse (Langue et langage), Paris, 1979, (p.199-205), p.199.

3- في هذا الصدد ثمّة مواقف متنوعة فثمة من تأسف وهناك ردود فعل عنيفة، يُنظَر: Mohamed Benrabah, Langue et pouvoir en Algérie : Histoire d'un traumatisme linguistique, Editions Séguier (Coll. Les Colonnes d'Hercule), Paris, 1999, p.09.

4- يُنظَر: dalila Morsly, Tamazight langue national, in Plurilinguisme et identité au Maghreb (Actes du colloque tenu à Mont-Saint-Aignan les 2 et 3 mai 1996, dans le cadre de la convention entre les universités de Rouen et de Tizi-Ouzou, éd. Foued Laroussi), Ed. Publications de l'Université de Rouen, 1997, (p.33-43), p.36-43.

3.-اللغة الفرنسية كلغة ثانية تحظى بمرتبة أولى ضمن اللغات الأجنبية المعوَّل على تعليمها في الجزائر، وذلك نظراً لمكانتها التاريخية أيضاً. ولكنها لا تشكِّل حالة من الازدواج اللغوي إلى جانب اللغة العربيّة الفصحى، وإذا ما قيست مع وضعيْ تونس والمغرب اللّذين يُعتدّ بالفرنسية فيهما على أساس أنها لغة إدارية على نفس المرتبة مع العربيّة ما فرض عليهما الانضمام إلى منظّمة الفرنكفونية1.

وإذا كان الواقع يشهد على أنّ كلّ فضاء مِن هذه الفضاءات يُمعِن في الانغلاق على نفسه فإنّ حقيقة تعدّد الفضاءات قد رسّخت اعتقاداً بوجود حالة من التعدّد اللّغوي في الجزائر. ولكن هذا الوضع الخادع خلّف أيضاً فئة من الناس أصبحت تشكِّك في التعدّدية اللّغوية وصارت ترفض أن تُشكِّل الجزائر موطِناً للاحتكاكات اللّغوية وما بالك بالتعايش اللغوي والتفاعل الحري بأن يتعدّى إلى ما يُدعى في أدبيات اللسانيات الاجتماعية بالتعدد اللغويّ على طريقة سويسرا وكندا وبلجيكا ..الخ، وذلك نظراً لغياب سياسات الترقية اللغوية في الجزائر التي كان من المفروض أن تتأسّس على استلهام التراث الأمازيغي والعربي (وحتى الاستعماري . لمَ لا!) ولقلّة وجود جسور التواصل ما بين الفضاءات الثلاثة المذكورة. ثمّ إنّ فكرة التعدّد اللّغوي يبدو لنا أنّها لم تصل جيِّداً إلى الأذهان. فهل تواجد لهجات اجتماعيا مع أحادية لغوية في الإدارة والتعليم يعدّ نوعاً من التعدد اللغوي؟ أليس من سوء التنظيم أن تصدر قرارت تعميم العربية في الإدارة ولو إلى جانب الفرنسية ثم لا نجد في واقع الاستعمال إلاّ هذه الأخيرة؟

1- يُنظَر: Gilbert Grandguillaume, Le multilinguisme dans le cadre national au Maghreb, in Plurilinguisme et identité au Maghreb (Actes du colloque tenu à Mont-Saint-Aignan les 2 et 3 mai 1996, dans le cadre de la convention entre les universités de Rouen et de Tizi-Ouzou, éd. Foued Laroussi), Ed. Publications de l'Université de Rouen, 1997, (p.13-19), p.18.

3. اللغة الجامعة:

1.3 محور تعليم اللّغة العربيّة وتعليميّتها:

نستهلّ هذا المبحث بمناقشة ملفّ تعليم اللّغة العربيّة نظراً لخطورته، ولكن لابدَّ من الإقرار في نفس الوقت بحقيقة مفادها أنّ المدرسة في الأقطار العربيّة . ولاسيما في الجزائر . كمؤسّسة تربويّة وتعليميّة وتكوينيّة وتثقيفيّة تؤدِّي أخطر الأدوار في الارتقاء باللّغة العربية والبلوغ بها أفضل المراتب عالميّاً من حيث الاستعمال والانتشار والتوظيف في مجالات العلم والتّقانة والإعلام والانترنيت والبحث عموماً. بل بالإضافة إلى الدَّور الأساسي الذي أنيط بها والذي تؤدِّيه بكلِّ امتياز وجدارة ونجاعة، ألا وهو ترسيخ الملكة اللغويّة بصفة خاصّة، وذلك منذ المدرسة العتيقة1؛ فهي تضطلع بتزويد المتعلّمين بملكة ليس أقلّ شأناً من الأولى . بيد أنّها أعقد منها . وهي الملَكة التواصليّة2، وذلك لحلّ مشكلة

1- يُنظَر: أحمد بناني، دور المؤسّسة التّعليميّة الجزائريّة العتيقة في تعزيز الملَكة اللّغوية، ضمن أعمال ملتقى: الممارسات اللّغوية التّعليمية والتعلُّمية (مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، جامعة مولود معمري، تيزي . وزو يومي 7 . 9 ديسمبر 2010)، منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، 2010، (ص.55 . 65)، ص.59.

2- الملَكة التّواصليّة (Compétence communicative) والتي تسمّى أيضاً (Compétence sociolinguistique) أي (الملكة العُرفيّة) هي، أوّلاً وقبل كلّ شيء، مَعرِفة إجرائيّة: تحوي الأعرافَ الثقافيّة والاجتماعيّة، تلك التي تتحكّم في عمَليّة استعمال اللّغة (الكلام) في مَجموعة لغويّة ما؛ وتستشفّ عن الآليات النفسيّة الوجدانيّة (الانفعاليّة) التي تحكم تبادلَ الأحاديث في تلك المَجموعة. كما يُشَّدد عند ذكر مصطلحُ الملكة التّواصليّة على كفاءة التّواصل بِنجاعة في لغة ما (الأمّ أو الثانية أو الأجنبيّة): تبدو هذه الملَكَة بِمثل هذا التّحديد واسِعةَ النِّطاق، فهي تنطوي وفق التّقديم السابِق على خمسة أنواعٍ في أقلّ تقدير:

6.-الملَكَة اللّغويّة: مَهارة استيعاب قواعد وضعٍ (Code) لغويّ ما وتطبيقها في سياقٍ تواصليٍّ ما.

7.-الملَكَة الاجتماعيّة اللّغويّة: مَهارة استيعاب مُختلَف أنواع الخطابات وجعلها قيدَ الممارسة في موقِفٍ تواصليٍّ ما.

8.-الملَكَة الاجتماعيّة الثّقافيّة: مَهارة استيعاب موضوعاتٍ ثقافيّة مُرتبِطة بموقِفٍ تواصليٍّ ما.

9.-الملَكَة المَرجعيّة: مَهارة استيعاب مَجالات خبرة ما وأشياء العالَم، وتملّك علاقاتها ضمن سياقٍ تواصليٍّ ما.

10.-الملَكَة الاستراتيجيّة: مَهارة استعمال استراتيجيّات تلفّظيّة وغير تلفّظيّة مِن أجل ردم أسباب التّواصل بين المتحدِّثين، وإحكام أمر التواصل بمقتضى نوايا أولئك المتحدِّثين المتوقَّعة بل بمَوجِب حتى أفعالهم المحتمَلَة. ذلك أنّه ثمّةَ مَن وقف عند المَعرفة بوصفها تنقسِم إلى ما هو تَقريري وما هو إجرائي. تُدرَج الملَكَة التَّواصليّة ضمنَ القسم الأخير نظراً لطابعها التعدّدي والتداخلي، ؛ يُنظَر: جابر

التواصل بصفة أعمّ، وفي سياقات التبادل اليومي الذي يقيمه الناسُ فيما بينهم، إنْ على المستوى المنطوق أم بواسطة المكتوب، أو بالأحرى وسط التفاعلات العفويّة. علماً أنّ في الواقِع اللّغوي الجزائري الحافِل بالنقائص والممارسات السلبيّة فيما يخصّ ملفّ التواصل، كلّ شيء يشير إلى ضرورة شحذ الهمم على تمليك المتعلِّمين مثلَ هذه المَلَكة التواصليّة، ناهيك عن توطين ألسنة هؤلاء المتعلِّمين على الفصيح الصحيح الذي من الأجدر أن يسلم من اللّحن، ومنحهم بذلك أداة بحث مستقبليّة يُحسنون نسج الخطابات العلميّة بها وتحرير التقارير والنصوص العلمية وخوض غمار الكتابة الأدبية وتسيير الإدارة ..الخ.

وتستند المدرسة في ذلك كلِّه على برامج ومناهج تعليم هي من وضع وزارة التربية الوطنية بمعيّة أساتذة جامعيين ومستشارين بارزين، تولي النحو وعلمه (القواعد النحويّة) أهمية كبرى، وهي ذات المناهج التي نجدها في أيامنا هذه1 تستدعي المفاهيم اللسانية التي على الرغم من أنّها تظلّ في حيّز الاختبار والتجريب2، فهي تشكِّل سنداً واعِداً يعضد

عبد الحميد جابر، إستراتيجيّة التّدريس والتّعلّم، سلسلة المراجع في التّربية وعلم النّفس، دار الفكر العربيّ، القاهرة، 1999، ص.77. 117.

ثمّ إنّ التّحكّم في قوانين الخطاب وفي أجناسه لهو من المكوّنات الأساسيّة لملكتنا التّواصليّة، أي قدرتنا على خلق الملفوظات وتأويلها بصورة تنسجم والحالات العديدة المحيطة بوجودنا. لا تخضع هذه القدرة لتعلّم بيّنٍ، إنّما نتلقّاها عن طريق تمثّلها، في الوقت نفسه الّذي نُلقَّن فيه أنواعًا من السّلوكات في الوسط الاجتماعيّ. طبعًا لا يكفي التّحكّم في المَلَكة التّواصليّة للمشاركة في نشاطٍ كلاميٍّ ما. لا بدّ من تعبئة « سلطاتٍ » أخرى. كما يقول دومنيك مانغينو (Dominique Maingueneau). من أجل خلق الملفوظات وتأويلها. بالتّأكيد لا مجالَ لإزاحة الملكة اللّغويّة، أي التّحكّم في اللّغة المعنيّة. ينبغي من جهةٍ أخرى التّزوّد بمعارف معتبرة حول العالَم، أي الملكة الموسوعيّة. يُنظَر: Dominique Maingueneau, Analyser les textes de communication, Ed. Dunod, Paris, 1998, p.27.

1- وذلك في ظلّ التعديلات التي أخذت المنظومة التربويّة تعرفها من موسم إلى آخر.

2- ويكشف عن ذلك عناية الدولة بتكوين . وإعادة تكوين ومداومته . يشمل كلّ الموظَّفين لأغراض التعليم في سلك التعليم إلى غاية الحصول على أقل شيء وهو شهادة اللّسانس في المادة التعليمية المراد تدريسُها وفي جميع الأطوار المدرسيّة، ما يعني توفّر المعلِّم على تكوين في المواد اللّسانية جميعها، علاوة على المواد اللغوية الأخرى القائمة على ما سبق ذكرُه من التخصّصات التراثية.

النحو والصرف والبلاغة وباقي علوم اللغة التي أتحفنا بها التراث العربي الإسلامي ولا تزال مِعطاءة.

غير أنّ كثرة كثيرة مِن المفاهيم إنّما هي مستمدّة. وفقَ مسعىً تكييفيٍّ . مِن الأعمال التأصيليّة الرامية إلى إحياء التراث وإعادة النّظر فيه، كما عهدناه عند بعض الدارسين سواء عند الغربيّين أم لدى الباحثين العرب1، إذ يُشيدون بفضل النحو مثلاً وكذا فقه اللّغة وعلم متن اللّغة والبلاغة ..الخ، ويحثّون البحث اللّسانيّ إلى أن يذكر أصله وألاّ ينكر فَصلَه، وألاّ يتنكّر لمكتسبات هذه الأخيرة، ومن المفترَض أن يُشرِف على مثل هذه الأبحاث علماء راسِخون في علمهم بإمكانهم اختبار حلقات البحث المتواصلة في اللّغة. فتعليميّة اللّغات تجد في هذا النوع من الدراسات تأمّلات في اللّغة ذاتها لخير تعليمه.

وهناك طائفة من علماء العربيّة ولاسيما الذين تخصّصوا في الدرس اللِّساني الحديث اهتمّوا كثيراً بإخضاع اللّغة العربيّة لمناهج هذا الأخير في دراستها ووصف عملها وكذا النظر في كيفيات تعليمها وتقديمها في ثوبٍ قشيبٍ، إذ نجد خلال الثّمانينيّات كلاًّ من ميشال زكريا2 ومازن الوعر3 يُقبلان على ترجمة النّظريّة التّوليديّة التّحويليّة وإدخالها

1- يُنظَر: نهاد الموسى، نظريّة النحو العربيّ في ضوء مناهج النظر اللّغويّ الحديث، المؤسّسة العربيّة للدّراسات والنشر، بيروت، 1980؛وأيضًا: الصورة والصيرورة:بصائر في أحوال الظاهرة النحويّة ونظريّة النحو العربيّ،دار الشروق،عمان،الأردن،2003.

2- ينظَر: ميشال زكريا، الألسنيّة التّوليديّة والتّحويليّة وقواعد اللّغة العربيّة: (الجملة البسيطة)، ط.1، المؤسّسة الجامعيّة للدّراسات والنّشر والتّوزيع، بيروت، 1983. كذلك: مباحث في النّظريّة الألسنيّة وتعليم اللّغة، ط.2، المؤسّسة الجامعيّة للدّراسات والنّشر والتّوزيع، بيروت، 1985.

3- ينظَر: مازن الواعر، الأمراض اللّغويّة: سبر للتّجربة الأمريكيّة، المعرفة، ع.204، وزارة الثّقافة والإرشاد القوميّ، دمشق، فبراير 1979، ص.208. كذلك: النّظريّات النّحويّة والدّلاليّة في اللِّسانيّات التّحويليّة والتّوليديّة: مُحاولة لِسبرِها وتَطبيقها على النّحو العربيّ (1)، اللّسانيّات، ع.06، مَعهد العُلوم اللِّسانِيَّة والصَّوتِيَّة، الجزائر، 1982، ص.24. كذلك: حول بعض القضايا الجدليّة لنظريّة القواعد التّوليديّة والتّحويليّة: لقاء مع نوام تشومسكي، اللّسانيّات، ع.06، مَعهد العُلوم اللِّسانِيَّة والصَّوتِيَّة، الجزائر، 1982، ص.68.

في الدّرس النّحويّ العربيّ. وتتسلسل بعدهما محاولاتُ تطبيقها على الجملة العربيّة، كأعمال عبد القادر الفاسي الفهريّ1. ولكن جرى هذا كلُّه بينما بدأ تأثيرُها يأخذ في الانحسار وبصورة كليّة في الدرس اللِّسانيّ الغربيّ خلال تلك الفترة نفسها (الثّمانينيّات)، وذلك على الرّغم من بقاء صداها ساري المفعول، وغلَب اللّجوء إليها وبأشكال مختلفة كأن يقام بتحديثِها في محاولاتٍ تننظيريّة جديدة2.

فهذا عبده الرّاجحي يتوسّم في التوليديّة النّظريّة والاتّجاه والمنهج فيأخذ برصدها ويعنوِن لفصلٍ بكامله: " تشومسكي وأصوله النّظريّة" وهويضع المنهج الوصفي « في مقابل ما يُعرف الآن [الثّمانيينيّات] بالنّحو التّحويلي3 Transformational grammar» فيُدخِلنا إلى فحوى المدرسة التوليديّة بهذا المقتَبَس:

« أخذت أصول المنهج الوصفي تتطوّر وتزدهر [...] وجعلت قواعده تستقرّ لدى الباحثين اللّغويّين باعتبار الوسيلة " العلميّة " الصّحيحة لدراسة الظّواهر اللّغويّة "كما هي". وقد شهد علم اللّغة. على هذا المنهج تقدّمًا ملحوظًا في أمريكا وبخاصّة على النّظام الذي طوّرته مدرسة بلوفيلد. وفي سنة 1957 بدأت "ثورة" في الدّرس الّغوي حين أصدر تشومسكي كتابه الأوّل Syntactic structures، ومنذ ذلك الحين تغيّر اتّجاه " علم اللّغة " من المنهج الوصفي المحض إلى منهج آخر جديد هو مايُعرف الآن بالنّحو التّحويلي Transformational grammar.

1- ينظَر: عبد القادر الفاسي الفهريّ، اللّسانيّات واللّغة العربيّة، ط.1، دار توبقال للنّشر، الدار البيضاء، ومنشورات عويدات، بيروت، 1985. كذلك: المعجم العربيّ: نماذج تحليليّة جديدة، ط.2، سِلسِلة المَعرِفة اللِّسانيّة: أبحاث ونَماذج، دار توبقال للنّشر، ، الدّار البيضاء، المغرب، 1992.

2- ينظَر: Dominique Maingueneau, Aborder la linguistique, Coll. MEMO, Ed. Seuil, Paris, 1996, p.42

3-هذا، مع ما كان ينبغي الحرصُ عليه مِن التمييز بين التوليدية وبين التحويلية من جهة: فهناك فروق بينهما من ناحية التّفريع، تتطرّقنا إلى بعضِها أعلاه؛ ثمّ بين كلِّ واحِدةٍ منهما وبين التوليديّة التحويليّة، وذلك على سبيل ما تطوّرت إليه التوليديّة وبتقديم التوليديّة (النظريّة) على التحويليّة (الطّابِع الإجرائي المنهجيّ التّابِع).

والحقّ أنّ تشومسكي يمثّل " ثورة " حقيقيّة لأنّه قوّض الدّعائم التي يقوم علم اللّغة الحديث، وأقام بناء آخر يختلف في أصوله لاختلاف نظرته إلى "طبيعة" اللّغة [...]»1.

ومِن المعلوم أيضاً أنّ خدمة النحو العربي للّغة العربية ليس أمراً بدعاً إذ نعرف أنّ الأخبار المروية في سبب وضع علم العربية كما لخّصها أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري في أماليه بسند متسلسل أنّه:

«قدِم أعرابيٌّ في زمان عمرَ فقال من يُقرئني ممّا انزَلَ الله على محمدٍ فأقرأَه رجلٌ سورة براءة فقال (إنَّ الله بريءٌ مِن المشركين ورسوله) بالجرِّ فقال الأعرابيُّ أَوَقَدْ برِيء الله مِن رسولِه؟ إنْ يكن الله قد برِيءَ مِن رسوله فأنا أبرأُ منه؛ فبلغ عمرَ مقالةُ الأعرابيِّ، فدعاه فقال: يا أعرابي أتبرأ من رسول الله ؟ قال: يا أميرَ المؤمنين إنِّي قدمت المشركين ولا علمَ لي بلأ فسألت مَن يقرئني فأقرأَني هذا سورة براءة فقال (إن الله بريء من المشركين ورسولِه) فقلت أَوَقَدْ برِيء الله من رسوله إن يكن الله قد برىء من رسوله فأنا أبرأ منه فقال عمر: ليس هكذا يا أعرابي قال فكيف هي يا أمير المؤمنين فقال ﴿إن الله بريء من المشركين ورسوله﴾ فقال الأعرابي وأنا والله أبرأ مما برىء الله ورسوله منه فأمر عمر بن الخطاب ألا يقرىء القرآن إلاّ عالم باللغة وأمر أبا الأسود الدؤلي فوضع النحو. أخرجه الحافظ أبو القاسم بن عساكر في تاريخ دمشق. وقال أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي النحوي في أماليه حدثنا أبو جعفر محمد بن رستم الطبري [..] عن أبي الأسود الدّؤلي رضي الله عنه قال دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فرأيته مطرقا متفكرا فقلت

1- عبده الرّاجحي، النّحو العربي والدّرس الحديث: بحث في المنهج..، ص.109.

فيمَ تفكِّريا أميرَ المؤمنين؟ قال إني سمعت ببلدكم هذا لحنا فأردت أن أصنع كتابا في أصول العربية، فقلت إن فعلت هذا أحييتنا وبقيت فينا هذه اللغة؛ ثم أتيته بعد ثلاث فألقى إلي صحيفة فيها: (بسم الله الرحمن الرحيم)، الكلامُ كلُّه اسمٌ وفعلٌ وحرف، فالاسمُ ما أنبَأ عن المسمّى، والفعلُ ما أنبَأ عن حركة المسمّى، والحرفُ ما أنبَأ عن معنىً ليس باسمٍ ولا فعل؛ ثم قال لي تتبَّعْه وزدْ فيه ما وَقعَ لك، واعلمْ يا أبا الأسود أنَّ الأسماء ثلاثة: ظاهرٌ ومضمَرٌ وشيءٌ ليس بظاهرٍ ولا مضمَر، وإنّما تتفاضل العلماء في معرفة ما ليس بظاهرولا مضمَر. قال أبو الأسود فجمعت منه أشياء وعرضتُها عليه، فكان مِن ذلك حروفُ النّصب، فذكرتُ مِنها (إن وأن وليت ولعل وكأن) ولم أذكر (لكن)، فقال لي: لمَ تركتَها؟ فقلت: لمَ أحسَبُها منها ؟ فقال: بل هي منها فزدْها فيها [..]»1.

إنّما تقصَّدنا إيرادَ هذه الرِّواية بنصّها المطوَّل هذا . مِن بدايتها حتّى نهايتها تقريباً .لعلّنا نسترشِد من قيمة حجر الزاوية الأوّل الذي أسّس لعلم النّحو العربي، والنواة الأولى التي لا تزال تدرّ بالنفع فنرى كيف استخلِص النحوُ من مقامات التخاطب وليس من التأمّل المنطقي البحت، ولكن للأسف صار إلى شيء استصعبه المتعلِّمون وهو ما سنراه في مبحثٍ حول (تيسير النحو ومصطلحه). إلاّ أنّ العبرة بالمناسبة التي أوحت إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه ليقيم حصناً منيعاً يحفظ الألسنة من الوقوع في اللَّحن حين قراءة القرآن الكريم وترتيله وتجويده وتدبّر معانيه السامية والخالدة ولكي لا يذهب الانحراف بكلّ ذلك حين تميل الألسنة عن المراد والمقصود، ولكي نعلم أنّ تقويم اللِّسان لا يفتأ يُتحرّى في كلّ عمليّة تعليميّة تستهدف اللّغة وصفاً في ذاتها وتفسيراً لعملها.

1- عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، سبب وضع علم العربية، تحقيق مروان العطية، دار الهجرة، دمشق، 1988.

للّغة العربية في وطنها وضعية تكاد تكون فريدة؛ إذ يُتواصل بها كتابياً وبلهجاتها شفوياً، ويكون اكتسابُها بالقراءة وفي المدرسة بواسطة أوصاف النحويين لقواعدها. وأوصاف العربية منها القديم المتميّز بالإخفاق في تعليم العربية، وبكثرة الخلاف لغياب الصرامة في منهج الدراسة. ومنها الحديثُ المنجز بتطبيق نماذج نحوية انْبَنَت على لغات مغايرة للعربية، فكان نصيبُه في تعقيد الوضعية اللغوية أكبر. ولا سبيل لتخليص العربية من المعالجة التقليدية لنسق قواعدها بغير بناء نظرية لسانية تقوم على مراعاة الخصائص النمطية لما وُضعت له.

ولكن لا ينبغي الاغترار بهذا المشهد الافتراضي المقِيس بالمرتجى؛ وذلك لكون الواقع الخانق الذي رصده الباحثون المعنيون بهذا الشأن، يؤشِّر أكثر إلى نوعٍ من التدنّي الذي أخذ يمسّ مستوى التواصل باللّغة العربيّة1.

1.1.3 تعليم العربيّة وتعلُّمها بوصفها لغة قوميّة:

إنّ اللغة ميراث حضاري وتاريخي بأكمله، في جوانبه الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية. لأنها دائمة الانتقال عبر كل الحلقات التاريخية لأيّة مجموعة بشرية، فإنها الشكل الأكثر كفاءة وفرادة في حمل الموروث الكلي وجعله يعيش في تضاعيف الواقع اليومي.

وهي لا تعبر عن صفة الأشياء والأفعال وأسمائها فقط، بل تحمل تأثيراتها أيضا. يتمّ نقل التراث الشعبيّ عبر اللّغة، لأنّ في اللّغة يتمّ نقش المأثور، وإذا كان من المتعذر تغيير مفردات اللغة في الأغلب، فان التغيير يمس علاقات المفردات وما يترتب على هذا التغيير من دلالات تحمل وتصف التغيير الذي طرأ على البنى الاجتماعية والحضارية في إطارها العام. وقد

1- يُنظَر: سليمة بونعيجة راشدي، تعليميّة اللّغة العربيّة والمواد الدّراسية الأخرى، دورية التواصل في اللغات والثقافة والأدب، ع.27، جامعة باجي مختار، عنابة، جوان 2011، (228 .243)، ص.235.

يفسر هذا الأمر، صراع الأجيال أو صراع المراحل، إذا صح التعبير، حول التمسك بالثوابت اللغوية عند ذي النزوع السلفي، والرغبة في خلخلتها وإكسابها دلالات جديدة، عند دعاة التجديد والتطوير.

ثمّ إنّ اللّغة عالَم لا تسعه دراسة، كلٌّ يأتي إليه لأسبابٍ ما، يُكتشف فيه الجديدُ يوميًّا؛ لهذا هناك من يقبل على تعلّمها لمجرّد ممارستها وثمة من يعتكف على تدارسها والنزول في أعماقها لاكتشاف المزيد من ذلك العالَم الفسيحة أرجاؤه.

« فاللّغة المهيمِنة [حسب ابن خلدون] هي لغة الدولة المهيمِنة، تقوى بقوتها وتضعف بضعفها، فحينما كانت روابط القوة لفائدة الدولة الإسلامية وصار استعمال اللسان العربي من شعائر الإسلام وطاعة العرب، أسندت شرعيّة احتكار السلطة لفائدة اللغة العربيّة ونُهي عن غيرها مِن اللغات الأعجميّة لما فيها من " رطانة ومكر ". أما حينما أُخضِعت الدول الإسلامية وفقدت سلطانها، " فسدت اللّغة العربيّة على الإطلاق"»1.

2.1.3 دور اللغة القومية (العربيّة) في التعليم والتّثقيف:

إنّ للّغة العربية في نفسها أهميةً ودوراً حيويّاً في النمو الثقافي باعتبارها وعاءً له، وكذلك هي وعاء الفكر ومرآة الحضارة الإنسانية التي تنعكس عليها مفاهيم التخاطب بين البشر، ووسيلة للتواصل السهل، وعليه اهتم بها الإنسان، وطور آلياتها ليمكنها من الضروريات، لتصبح قادرة على احتواء كل جديد، واللغة العربية من اللغات السامية المتجذِّرة في التاريخ

1- محسن بوعزيزي، اللّغة وروابط الهيمنة عند ابن خلدون، مجلة المستقبل العربي، ع.335، مركز دراسات الوحدة العربيّة، بيروت، يناير 2007، (ص.19 ـ 31)، ص.21. نقله عن: ابن خلدون، المقدمة، ج.1، الدار التونسية للنشر، 1984، ص.458.

الإنساني، وهي لغة القرآن الذي شرفها الله سبحانه وتعالى بنزول كلامه المقدس، و قال عنها عزَّ وجلَّ : ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ يوسف:2، كما قال في محكم كتابه: ﴿وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْراً﴾ طه:113.

«ونحن إذا تجاوزنا جميع اللّغات القوميّة مِن حيث هي لغات، ووقفنا عند اللّغة العربيّة، وجدنا أنّه ينطبق عليها ما ينطبق على لغات بني البشر ولكنها تمتاز عنها بميزتين أساسيتين لا تشاركها فيها لغة في العالم. الأولى: أنّها لغة القرآن الكريم، رسالة الإسلام الخالدة، ودستوره الأبدي. والثانية: الصلة الوثيقة بين حاضِر الأمّة وماضيها»1.

إذن لنتصفَّح قليلاً تاريخ اللغة العربية لنعلم أنّها كانت في ماضي الأمّة العربيّة لغة حضارة عظيمة، تخطّت حدود رقعة الدولة العربية الإسلامية إلى أوربا غرباً، وأقاصي الهند والصين شرقاً، وكانت تحظى بموقِع المعبر ما بين الحضارة اليونانية اللاّتينيّة القديمة وما شهدته أوربا لاحقاً تحت تسمية النهضة الأوربية. ودام ذلك الوضع حتى جاء المستعمر القديم، والاستعمار الحديث فاستهدف كلاهما أهمَّ خصائص الوجود العربي، نعني أصالة الأمة وجوهرها المتمثِّل في اللغة العربية، لأنّ المستعمر أدرك أنّ اللغة القومية تشدّ الإنسان العربي إلى قومه، وتربة وطنه وسمائه، وأنّها تُربي فيه شخصيته القومية، ومشاعر العزة والانتماء. فكان إحياء اللغات الميّتة، وتشجيع انتشار اللهجات المحلية، وتعزيز استعمالها في الحياة العامة والرسمية، واتّهام العربية بالقصور والعجز

1- عبد الكريم خليفة، تعريب التّعليم الجامعي عاملٌ أساسي مِن عومل النهضة، كتاب الأصالة، ج.3 (محاضرات الملتقى الثالث عشر للفكر الإسلامي: تمنغست، 30 أوت.08 سبتمبر 1979)، وزارة الشؤون الدينية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1995، (ص.29.53)، ص.33.

وعدم القدرة على مواكبة روح العصر الذي تسيطر عليه العولمة والغزو الثقافي، وكذلك نشر المؤسسات التعليمية ذات الأهداف المريبة، وانتشار الفضائيات العربية والأجنبية التي تبث أكثر برامجها بالعامية المحلية، بالإضافة إلى إفساد الذوق ومخاطبة الغرائز المناط ببعض الفضائيات العربية والأجنبية، كل ذلك من مظاهر هذه السياسة المناوئة1.

بما أنّ اللغة أداة تعبيرية عن الوعي الاجتماعي في بيئة اجتماعية معينة، فمن شأن إتقان اللّغة العربيّة أن يجعل الفرد قادراً على الإعراب عن وجدانه والاتصال والتواصل الفعّال مع أبناء ثقافته بصورة يتخطى فيها حدود السياق الزماني ويؤهله لاستيعاب التراث الثقافي لأمته ومجتمعه في مجالات المعرفة المختلفة، كما أن إجادة اللغة تسهم في تنمية الولاء للثقافة، وتجعل الأفراد يتقبلون معاييرها، كما تغرس فيهم الرغبة في الحفاظ على اللغة والحرص على تنميتها ، وتؤدي اللغة دوراً مهماً في تنمية البنية العقلية للفرد، فإتقان الفرد للغته الأم وسيلة فعالة في تنمية التفكير السليم لديه فاللغة هي الفكر المنطوق، وأداة لتحسين ذاته، وهي من الأسباب التي ستعيد للأمّة وحدتها وقدرتها على الاندماج صفّاً واحدا.

وكذلك بما أنّ اللّغة تجسِّد الماضي والحاضِر والمستقبل معاً، فبين توطيدها وتشكيل الهوية القوميّة علاقة وطيدة، بل إنّ دور اللّغة العربيّة في تكوين تلكم الهويّة القوميّة لا جدالَ فيه حيث نجد معظم النظريّات القومية العربية ترتكِز على كون اللغة مكوِّناً أساسيّاً . إن لم تُعتبَر هي المكوِّن الأساسي . في تشكيل الهوية القومية العربية. ولكن بعد التحقّق

1- يُنظَر: أحمد دهمان، اللغة العربية: الصلة الحية بين حاضر الأمة وتراثها الزاخر، مجلة التراث العربي، ع.102، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، نيسان 2006.

مِن هذه الحقيقة وإتمام هذه المهمة لابدَّ أن يُلتفت إلى دور هذه اللغة في التعليم كلغة موحِّدة وجامِعة، حيث يُشدَّد على الصِلة القويّة التي تربط اللّغة بالشخصيّة القوميّة وكذا بالأطر السياسية والثقافية التي تشكِّل منابع الهوية القومية. ذلك أنّ لوحدة اللغة أبلغ الأثر في تقريب الاتجاه الثقافي الذي تنطوي عليه أيُّ أمّة جديرة بهذه التسمية العظيمة1.

وفي هذا الصدد يُروى عن أوتو إدوارد ليوبولد فون بسمارك2 أنّه عندما سئِل عن أفظع الأحداث التي حدثت في القرن الثامن عشر أجاب: " إن المستعمرات الألمانية في شمال أمريكا اتخذت اللّغة الإنجليزية لغة رسمية لها "، وهو يعني أنه كان في شمال أمريكا جاليات ألمانية كبيرة، وعند حصول هذه المستعمرات على استقلالها اتخذت اللغة الألمانية بدلا من الإنجليزية كي يضمن ولاءها لألمانيا، وأثبت التاريخ صدق نظرة بسمارك، ففي الحربين العالميتين الأولي والثانية كان ولاء الولايات المتحدة الأمريكية لإنجلترا، على الرغم من كل خلاف بين أمريكا وإنجلترا. ومن مصادرهذا الولاء اللغة المشتركة التي تجمع بين الأمتين.

ومن هنا يربط بيار بورديو (Pierre Bourdieu) في سوسيولوجيا الجزائر، تعيين دائرة الناطقين بالعربية ووسمها بـ " العربيّة " في الجزائر بناءً على العامل اللّغوي أولاً وقبل كلّ شيء، ثم يأتي العامل الديني وأخيراً طريقة المعيشة ونمط الحياة التي يتميز بها العنصر العربي3. فهكذا يستقيم التمييز ما بين لغات الناشئين في ظلّ ثقافاتٍ مغايِرة وتشكيل هوياتهم القومية في مناطق أخرى.

1- يُنظَر: محمود أحمد السيد، شؤون لغوية، دار الفكر (دمشق). دار الفكر المعاصر (بيروت)، 1989، ص.09.

2- (بالألمانية: Otto von Bismarck) (1 أبريل 1815 - 30 يوليو 1898) رجل دولة وسياسي بروسي. ألماني.

3- يُنظَر: Pierre Bourdieu, Sociologie de l'Algérie, Coll. Que-sais-je ?, 3e éd. PUF, Paris, 1970, p.51.

لهذا كلِّه فاللغة العربية تحتل منذ المرحلة الابتدائية مكانة متميزة وبارزة بين المواد التّعليمية الأخرى؛ لما لها من أهمية في تحقيق الاتصال المباشر بين التلميذ وبيئته، وتاريخ أمته وتراث قومه. ويأخذ تعليم اللغة العربية جزءا كبيرا من الوقت المخصص للتعليم في المدرسة الابتدائية، حيث إن اللغة أداة لكسب المعارف والخبرات المختلفة، ومن ثم يمكن القول أن عملية التعليم في المرحلة الابتدائية تتركزفي السيطرة على اللغة القومية وخاصة في الصفوف الأولى من تلك المرحلة.

3.1.3 تعليم اللّغة العربيّة المشتركة:

« لَقد أدَّى الانتِشار المكثَّف لِتعليم اللُّغة العربيَّة المشتركة لا إلى استِعمالِها خارج المدرسة، بل إلى مُراجعة أبنية الدَّارجات (العاميات) المتحدَّث بِها، ممَّا ولَّد السجِّل الثَّالث»1. أيْ أنَّ اللُّغة العربيَّة المشتركة هي الّتي أخذت الدَّارجات تَتغيَّر وِفقَ قواعدها حتَّى على مُستوى أبنيتها التَّركيبيَّة والصَّرفيَّة.

غير أنَّه ليس كلُّ اللِّسانيُّين مُتَّفقين على صحَّة هذا الرَّأي. لِهذا وَجدنا الباحث رمضان آيت أومزيان مُتحفِّظًا إزاءه ومُعتَرضًا في بِداية الأمر قائلاً: « لكن افتِراض، في هذه السَّاعة، وُجود نظامٍ فَرعيٍّ هو في طريق التَّشكُّل، ويكون بِمثابة استِعمالٍ وسائطي، ليس إلاَّ مُبالغة، بِما أنَّ التَّغيُّرات المُسجَّلة تَظلُّ على الأَقلِّ مَحدودةً. هذا ما دفع سكيك إلى التَدقيق في هذه المُلاحظة وهو يَكتب: " لكن هذا لا يَعني أنَّ العربيَّة الأدبيَّة قد تَحوَّلت

1- A. Attia, (s.t), Revue tunisienne des sciences sociales, Actes du séminaire de linguistique des 14, 15 et 16 avril 1965, Pub. De C.E.R.E.S.,Univ. De Tunis. Cité par Ramdane Ait-Oumeziane, Le statut de la fonction « sujet » dans deux parlers arabes : Constantine et Tripoli, La linguistique, Fasc. 01, Vol. 22, PUF, Paris, 1986, p.81.

هكذا إلى تَنوُّع يُستَعمَل تِلقائيًّا وعفويًّا"1، إذ يبقى استِعمالُها مَحصورًا في النِّطاق الرَّسميّ»2.

يَرى بَعضُ اللِّسانيّين أنَّ السجلَّين (العربيَّة المُعاصِرة والعاميَّات) لا يَقوم أحدُهما مَقامَ الآخر. هذا بِالضَّبط ما يَذهب إليه الباحث رمضان آيت أومزيان إذ يَقول:

« تَكمُن أهمُّ ميزة مِن السِّمات الاجتِماعيَّة الثَّقافيَّة الّتي تَختصُّ بِها مُختَلفُ الجَماعات العربيَّة، على المُستوى اللُّغويّ، في تَعايُش نِظاميْن لُغويَّين مُتباينيْن عُمومًا ولا يَقوم أحدُهما مَقامَ الآخر: حيث يلْجأُ المُتحدِّثون، وِفقَ حالات التَّواصُل، إمَّا إلى العربيَّة المُعاصِرة »المُشتركة» . لُغة الكتُب المَدرسيَّة وَوسائل الإعلام. أو إلى اللَّهجة المَحليَّة.

هذه الحالة مِن الثُّنائيَّة اللُّغويَّة [diglossie] هي اليومَ سائدةٌ، بِكلِّ وُضوحٍ، في الجزائر مَثلاً حيث لا تُحدِث العربيَّة «المشتَركة» في العُموم على اللَّهجات المستَعمَلة في الواقِع يَوميًّا إلاَّ تَأثيرًا ضئيلاً. وهذا حتَّى لَدى المتحدِّثين النَّشء المتمدرسين والمتعلِّمين لِلُّغة العربيَّة الفُصحى»3.

4.1.3 أبعاد ترسيم اللغة العربية في الأقطار العربيّة:

في سياق التحوّلات المستعجلة التي بدأت تخلِّف آثارها في نظام اللغة العربية وبرامجها المختلفة، فإنّ هذه الأخيرة في أمسّ الحاجة إلى أن يُذكَّر الناس بأنّها لغة رسميّة لجميع الدول العربيّة باستثناء دولتين فيهما العنصر العربي لكنها لم تتبنّيان العربية لغة رسميّة. ونعني ترسيم

1- H. Skik, L'enseignement en Tunisie vingt ans après la réforme de 1958, C.F.E.C.T.I.

2- Ramdane Ait-Oumeziane, Op. cit., p.82.

3- Ibid., p.81.

اللغة العربية في الأقطار العربيّة أي التي تسود فيها اللغة العربية كلغةٍ رسمية للدولة ولغة للتعليم ولغة للتواصل اليومي بين المجتمعات، وبهذا التحديد تخرج البلاد التي انضمت سياسياً إلى جامعة الدول العربية مثل الصومال وجزر القمر.

ونعني بالثنائية اللغوية في الوطن العربي أن يتكلم الناس في البلد لغتين الأولى العربية التي تستخدم في المجالات الرسمية كالحياة والتعليم والإعلام والبرلمان وكتابة القوانين. والثانية لغة محلية (غير عربية) تستخدمها مجموعة من المواطنين للتواصل فيما بينها، بينما تستخدم اللغة السائدة للتواصل مع الآخرين.

5.1.3 العربيّة وحظّها من الاهتمام المنهجي (المناهج التعليميّة):

ومشكلة هذه المناهج أنّ معظمها مستوحاةٌ من تجاربَ أجنبيّة ما يجعل اللّغة العربيّة تقع دائماً وأبداً تحت رحمة جهود إضافية يفرضها واقعُ التّرجمة من اللّغات الغربيّة التي عرفت تقاليد وضع المناهج التعليميّة منذ عهد مبكِّر مقارنةً مع واقِع تعليم العربيّة (لأبنائها على الأقلّ). ما يجعل المناهِجيّة1 العربيّة الناشِئة في هذه الظروف المتأخِّرة في أحضان

1- بحثنا طويلاً عن المقابل الذي يمكِن تعليق الآمال عليه للإيفاء بمَفهوم (Méthodologie) المتيسِّر استِعمالُه في أهمّ اللّغات الغربيّة التي تحتكّ بها العربيّة. فحصلنا من سوق الاستعمال على عدّة اختيارات، وأخذنا نستعمل هذه أو تلك في كتاباتنا المتواضِعة حول اللِّسانيات والتعليميات والترجمة. لكن بعد تجريب كلٍّ مِن: منهجيّة، منهجيات، علم المناهج، طرائق، الخ؛ تلك التي تقترب كلّها مِن المعنى/ التسمية بطريقة أو بأخرى، وتحت وصايا علميّة مكرَّسة أو فرديّة، واقتناعاً بتعليلات ما؛ فلم نجد أفضلَ من صناعة مصدر من صيغة الجمع. التي نعلم بطلانها من ناحية قواعد الصرف المعياريّة. وذلك تبعاً لحتميات البحث التي أرغمتنا على تجاوز هذه الأخيرة في حدود لا تكلُّفَ فيها. لكن لا بدافع التميُّز كما يفعل البعض، بل من أجل تأديّة المفهوم الخاص الذي راعى فيه التعليميون كون المنهجيّة (بصيغة المفرد) تسمية تدلّ في التعليميات . من جهة . على مجموع طرائق التّدريس المتداولة في المنظومات التعليميّة المختلِفة، ومن جهةٍ أخرى . على ما يترادف مع مصطلح التعليميات لفرط عنايتها بالهموم المنهجيّة إلى غاية أواخر 1960. أما المنهجيات فمثلها مثل " علم الاجتماع " و" الفلسفة " فيدلّ من جهة . حسب معجم Jean-Pierre Cuq & alii . على مجال تفكيرٍ وبناء فكريٍّ وكذا على كلِّ الخطابات التي تكرِّس هذه الأخيرة. ومن ناحية التعليميات فالأحرى أن يتحدَّث المرء عن المناهجيّة (في صيغة الجمع وكاسم مفهومٍ) التي تدلّ على « الأبنية [الذهنيّة] المناهِجيّة التي يؤرَّخ لها مجموعةً من الناحية التاريخيّة، باعتبارها تقدِّم أجوبةً منسجِمة ودائمة وشموليّة لمجموع الأسئلة التي تتعلّق بالمَهارات

المنظومات التربويّة العربيّة تتحمّل عبءَ العناية بتلك الإشكاليّة المزدوجة وتُجنَّد بمزيدٍ من المسؤوليات وتلتزم بطريقةَ عملِ تسير على آثار وتقاليد تلكم المناهج السبّاقة التي تكون قد صنعت مشهد التحوّلات والمراجعات المتتالية: ما قد يُسفر عن تنوّع المناهج العربية واختلافها الشديد على مستوى العالم العربي ولاسيما إذا تفاوتت المداخل مكاناً وزماناً. وإنّ تغيير المنظومة والمناهج دائماً في ضوء ما يمليه الموروث الاستعماري من الإصلاحات والتعديلات بل حتى في ضوء الأنظمة الاقتصاديّة الجديدة، هو السمة الغالبة على النّمط المعتمَد في هذا العالم العربي، كأن يقال اقتصاد السوق بعدما كانت الاشتراكيّة التي كان لزاماً على الجزائر أن تحذو حذوه؛ وهذا ليس حكراً على الجزائر، فهذه فلسطين تشهد تذبذباً في أنظمة1. ذلك أنّ المنهاج بوصفه خطة يتمّ عن طريقها تزويد التلاميذ بمجموعة من الفرص التعليمية التي تعمل على تحقيق أهداف عامة عريضة مرتبطة بأهداف خاصة مفصلة في منطقة تعليمية أو مدرسة معينة، فالمنهج إذن خطة وللخطة مكونات ، ومكونات المنهج الأربعة حددها تايلور في نموذجه الشهير عبر أربعة أسئلة هي:

والصِناعات المتنوّعة والمطبَّقة في مختلَف مجالات تعليم اللّغات وتعلّمها (الاستيعاب كتابياً وشفاهياً، والتعبير كتابياً وشفاهياً، النحو، المعجم، الصوتيات، الثقافة)، والتي اتّضح أنّها استطاعت أن تجنّد، خلال عقود ممتدّة، عدداً كبيراً مِن الباحثين، المصمِّمين للوسائل التعليميّة والمدرِّسين، المهتمّين كلّهم بالجماهير المقبِلة على أعمالهم وبالسياقات المتنوّعة، بحيث أمعنت في التعقيد والهشاشة في الوقت نفسِه الذي عرفت فيه تعميماً كاسِحاً »؛ يُنظَر التعريف الأخير: Jean-Pierre Cuq & alii, *Dictionnaire de didactique.., op. cit.,* p.166-167.

1- يُنظَر: عبد اللّطيف البرغوثي، المناهج والكتب المدرسيّة في المدرس العربيّة في فلسطين تحت الاحتلال اليهودي، ضمن المرسم الثّقافي الثّالث عشر لمجمع اللّغة العربيّة الأردني (10 نيسان ـ 20 أيار 1995)، منشورات مجمع اللّغة العربيّة الأردني ، 1995، (ص.263 ـ 326)، ص..

-ما الأهداف التربوية التي ينبغي أن تسعى المدرسة إلى تحقيقها؟

-ما الخبرات التربوية الممكن توفيرها لتحقيق هذه الأهداف؟

-كيف يمكن تنظيم هذه الخبرات التربوية حتى تكون فعالة؟

-كيف يمكن معرفة ما إذا كانت الأهداف تحققت؟

هذه المكونات الأربعة هي التي أعادت هيلدا تابا (Hilda Taba) صياغتها وقدمتها في شكل تخطيطي يبين أوجه التأثير بين بعضها البعض، حيث ترى أنّ أي نظرية في المناهج يجب أن تتضمن إطارا مفهوميا، أو نظريا مرجعيا يتضمن كل الفكر اللازم للممارسة والذي في ضوئه يمكن قيادة الممارسات، وترشيدها، وتفسيرها1.

6.1.3 خطورة تعليم المواد العلميّة باللّغة الأجنبيّة:

وعليه فقد كتب العلامّة الشّيخ محمد البشير الإبراهيمي في عام 1947 سلسلة مقالاتٍ تحت عنوان (التعليم العربي والحكومة) جاء في بعضها بالحرف الواحد ما يأتي:

« اللغة العربية هي لغة الإسلام الرسمية ولهذه اللغة على الأمة الجزائرية حقان أكيدان كلّ منهما يقتضي وجوب تعلّمها، فكيف إذا اجتمعا:

1.-حقّ مِن حيث أنّها لغة دين الأمّة بحكم أنّ الأمّة مسلمة.

2.-وحقّ من حيث أنّها لغة جنسها، ففي المحافظة عليها محافظة على جنسيةٍ ودينٍ معاً ومن هنا نشأ ما نراه من حرصٍ متأصِّلٍ في هذه الأمّة على تعلّم العربيّة»2.

1- يُنظَر: رشدي طعيمة، الأسس العامة لمناهج تعليم اللغة العربية، دار الفكر العربي، القاهرة، 2000، ص.28.

2- نقلاً عن: تركي رابح، الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في ذكراه العشرين، مجلة الدوحة، ع.116، وزارة الإعلام بدولة قطر، الدوحة، أوت. سبتمبر 1985، (ص.12. 15)، ص.15.

ثمّ نلفي الشيخ بعد هذا يشرح منذ 1947 خطورةَ التّعليم باللّغة الأجنبيّة وحدها وعدم الإقبال على تعليم أبناء الجزائرباللغة العربية التي من شأنها أن تعصمهم من الزلل المحدق والانحرافات الفكريّة والقوميّة المهدِّدة للشخصيّة الوطنيّة، فيقول: «والتّعليم الأجنبي (بقصد الفرنسي) على تفاهته في الكيف، وقلّته في الكمّ وعلى اضطرارنا إليه، وإقبالنا عليه يسبقه جهل.

2.3 تعليم العربية للناطقين بغيرها:

1.2.3 صعوبات تعليم العربيّة وتعلُّمها لغةً ثانيةً (أجنبيّة):

الابتعاد عن التركيز والتجريد في تعليم القواعد : إذ من المعروف أن النحو من الموضوعات العقلية المجردة لان قواعده أصبحت هيئة قوانين كلية عامة يقيس عليها الكاتب و الخطيب و المتحدث كلامه لذلك من الضروري توضيح هذه القواعد المجردة بأمثلة حية نابعة من واقع التلميذ في إطار من قراءتهم مع ضرورة الابتعاد عن التركيز فيها كقول النحاة في المفعول لأجله انه (مصدر قبلي يذكر ببيان علة الفعل و سبب حصوله)1.

بيدَ أنّه كثيراً ما يتساءل المرء . ولاسيما الباحث النبيه . هل اللغة العربية حقّاً مِن أصعب اللغات كما يتردّد على ألسنة الدارسين الغربيين، أو كثير منهم على الأقل ؟ والحال أنّها في غاية السهولة لو نقارنها بما اشتهر من اللغات عالميّاً كالإنجليزيّة مثلا. ولكن على الرّغم مما قيل ويقال أيضاً من سهولة العربيّة فمقام الدراسة هذه يقتضي منا التحلّي بالموضوعيّة فنقف عند مظاهر الصعوبة في تعليم العربيّة وتعلُّمها.

1- يُنظَر: محمد برو، اللغة العربية وصعوبات تدريسها في مرحلة التعليم المتوسط، رسالة ماجيستر، إشراف الدكتور عباس مداني، جامعة الجزائر، 1985، ص.90 . 91.

2.2.3 الخطاطة العربيّة (الإملاء العربي):

كثيراً ما عولجت الكتابة العربية. ونقصد بها الخط العربي أو ما يُدعى الإملاء العربي . من باب تشخيصها كعائق في تعليم العربيّة وتعلّمها. والحال أنّه يكاد يُجمِع المقبِلون على تعلّم العربيّة من الطلاب الإنجليز على أنّ أبرز الجوانب سهولةً في العربيّة هو الوحدة القائمة فيها بين اللّفظ والإملاء، وتنبني هذه الوحدة على ثلاثة أسس:

1.-تقيّد الإملاء العربي شبه التّام بالألفاظ المنطوقة ليكون صورة صادقة ودقيقة عنها.

2.-وجود صورة نطقيّة واحدة لا أكثر للحرف العربي، مع الاستفادة أحياناً من قواعد اللِّسانيات العامّة في تجويد الحرف تبعاً لسياقه ضمنَ الكلمة أو الجملة.

3.-عدم ارتباط العربيّة بنظام نبري محدَّد، ومن ثمّ عدم حاجتها إلى قواعد إملائيّة لضبط مثل هذا النّظام1.

ولا نستطيع أن نُبرِز قيمة الوحدة التامة أو شبه التامة بين كلٍّ من اللّفظ والإملاء العربيّين بوضوحٍ وجلاء، بقدرما نفعل ونحن نضع العربيّة بمقابل لغة كالإنجليزيّة.

3.3 العربية واللغات الثانية في سبيل المنافسة الشريفة:

معقَّد بسبب الارتباط الوثيق بين اللغة والثقافة العربية السائدة. وتستند هذه الثقافة على ثلاث ركائزهي : القومية العربية والإسلام واللغة

1- يُنظَر: أحمد بسام ساعي، اللّغة العربيّة بين اللّغات: دراسة مقارنة بالإنجليزيّة، مجلة الفيصل، ع.98، دار الفيصل الثقافية، الرياض، مايو 1985، (ص.45. 50)، ص.47.

العربية. كما نعرف فإنّ معايير المفاضلة بين اللّغات ليست ثابتة ولكن يمكن الحديث عن معايير المفاضلة الوظيفية.

أمّا التأكيد على ضرورة منح اللّغة العربيّة المزيد من الفرص في سبيل إنمائها وتجويد طرق تعليمها للتصدّي للّغات الثانية وحثّها على المنافسة الشّريفة، فليس من العيب أن يتحدّث الباحِث عن أفضليّة العربيّة من هذا الوجه اللاّئق، كما فعل الجنيدي خليفة في كتابٍ له أسماه نحو عربيّة أفضل، حيث يقول بالحرف الواحِد بروحٍ نقديّة مستشرِفاً المستقبل منذ 1974، في مسألة الأحرف الكبيرة المعروفة في لغتها بـ " الماجسكيل "، واختصار الكلمات إلى بعض حروفها، وهو يقارن بين العربيّة واللغات الأوربية كما يسمّيها :

1.3.3 الصراع اللغوي وتأثيره على العربيّة:

وعلى الرغم من تعريب المنطقة التي تُسمّى اليوم "الوطن العربي" فإن هناك جزراً لغوية احتفظت بلغاتها التي كانت تتكلمها قبل الإسلام منها اللغة النوبية في جنوب مصروشمال السودان وأواسطه، واللغة الأثورية وهي من بقايا الآشورية (في العراق)، واللغة الكردية في العراق، والأرمنية في الشام، والبربرية في شمال أفريقيا.

أما في خارج الوطن العربي فإنّ عدد اللغات التي يتحدثها المسلمون غير معروف إلا أننا أحصينا عدد اللغات التي كتبت بالحرف العربي طوال العصور الإسلامية حتى الآن فوجدناها تناهز المائة1.

1- يُنظَر: يوسف الخليفة أبوبكر، دور الحرف العربي في اللغات خارج أفريقيا، بحث قدم في ندوة كتابة اللغات الأفريقية بالحرف العربي التي عقدتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بمعهد الخرطوم الدولي للغة العربية في 31-29 ديسمبر 2001.

2.3.3 طرح إشكالية لغة الأم:

وفي هذا الصدد يصف شوقي النجار في مقالٍ له أثرَ اللغة الأم. وهو يقصد بها اللغة القومية (أو كما يسميها اللغة الأصلية). في تعلم اللغة الهدف وهو يعني العربية، فيقول: إن لغة الأم لها خطرها وأثرها الفعال والدائم على دارس اللغة العربية. فالملاحَظ أنّ الأجنبي مهما تعلم اللغة العربية، وتحدث بها، فإنك لا شك واجد في لسانه لكنة أعجمية، أو عثرات تكشف لك لأوّل وهلة أنّه غريب على اللّغة. ولا يملك المرء مهما وصل به علمه ودراسته، ومعايشته للغة الثانية من إخفاء تأثير لغته الأصلية، لما تصبغه من صفات1.

5. محور التّعريب:

إنّ التّعريب الذي يعنينا حالياً2 هو التّعريب الشّامل أو الشّمولي أي استعمال اللغة العربية لغة قومية في العالَم العربي للتعبير عن المفاهيم وقد سبق الحديث عن العلاقة العضويّة القائمة بين القوميّة واللّغة. واستخدام هذه الأخيرة في التعليم بجميع مراحله، والبحث العلمي بمختلف فروعه وتخصصاته، واستخدامها لغة عمل في مؤسسات المجتمع العربي ومرافقه كافة، وهذا رأي الجمهور من العلماء نذكر منهم

1- يُنظَر: شوقي النجار، أثرُ اللّغة الأمّ في تعلُّم اللّغة الهدف، مجلة الفيصل، ع.86، دار الفيصل الثقافية، الرياض، مايو 1984، (ص.120.122)، ص..

2- وذلك بالمرور على مفهوم التعريب كونه لغةً مصدر فعل (عرَّب)، وعرَّب بمعنى أبان وأفصح، وعرَّب عن الرجل إذا تكلّم بحجته، وعرَّب منطقة إذا هذَّبه من اللحن، ويقال : عرَّبت له الكلام تعريبا إذا بينته له، وعرَّبه : أي علَّمه العربية، وتعريب الاسم الأعجمي أن تتفوه به العرب على منهاجها. يُنظَر: ابن منظور، معجم لسان العرب، ج.4، دار المعارف، ص 2865. ولقد تدرَّج لفظ « عرَّب « بهذه المعاني المتقاربة بعض الشيّء منذ القديم إلى معنى ترجمة النصوص الأجنبية ونقلها إلى العربية، وتعليم العلوم الأجنبية بالعربية. والتعريب اصطلاحا إيجاد مقابلات عربية للألفاظ الأجنبية لتعليم اللغة العربية واستخدامها فى ميادين المعرفة البشرية كافة. يُنظَر: محمد الديداوي، التّرجمة والتّعريب: بين اللّغة البيانيّة واللّغة الحاسوبيّة، ط.1، المَركز الثَّقافيُّ العربِيُّ، الدَّار البيْضاء. بيروت، 2002.

محي الدّين صابر1.. ومنهم من يوسّع دائرة التعريب ليرى أن للتعريب مفهومًا جوانبَ فنية وقومية واجتماعية وسياسية وحضارية، وقد يتداخل مفهوم التعريب مع مفهوم الترجمة فتعرض قضايا فنية حول طبيعة اللغة وطاقاتها الدلالية والاستيعابية وآلياتها الذاتية وحول إعداد المترجمين وتدريبهم... الخ، وفى هذا الإطار تكون قضيةُ التعريب قضيةُ علاقات فكرية وثقافية مع اللغات الأخرى أي قضية عربية أجنبية قد يعنى التعريبُ دعمَ الوجود العربي والوحدة العربية بمعنى شمولية استعمال اللغة العربية في الوطن العربي نفسه على المستوى الجغرافي والقطاعي لقطاع التعليم والبحوث والإدارة وتوحيد المصطلح العربي. كما يعنى التعريبُ تعريبَ لغة الإدارة الرسمية بما في ذلك أنواع النشاط المالي والتجاري والاقتصادي، وقد يعني تعريبَ لغة التعليم والمجتمع معًا في بعض الأقطار العربية التي كانت رازحة تحت الاحتلال الأجنبي واستقلت حديثا.

والتعريبُ من جهة أخرى قد يعنى كل ما يستوعبه المجتمع العربي ويحتويه في نسخ حياته،مما يتلقاه بأي صورة من صور التلقي الفكري والمادي والاجتماعي من أهداف وقيم ووسائل، والانطلاق منه كواقع جديد للتفاعل الجدلي إنتاجًا وعلاقات ، أخذًا وعطاء ، تأثيرًا وتأثرا ، من رؤية متكاملة للحياة وقدرة ذاتية على ممارستها. والتعريبُ فئ المستوى المباشر يعنى سيادةَ اللغة العربية على ساحة الوطن العربي بما يوحد المشاعر العربية ، ويجمعها حول تاريخها وواقعها ومصيرها، مما يجعله عاملا جوهريا في الخروج من دائرة التخلف السياسي المتمثل فى التجزئة

1- كان مديرا عامّا لمنظّمة أليسكو. أستاذ الهندسة المدنيّة بجامعة بغداد (1986)، عضو المجمع العلمي العراقيّ.

إلى حرية الوحدة العربية فئ الصورة التي تؤصل دور الأمّة العربية التاريخي والمصيري .

وتعود فكرة التعريب في الجزائرإلى بداية استقلال الجزائرفي 5 جويلية 1962 تاريخ استقلال الجزائر وذلك عندما تقدمّ مجموعة من النوّاب الجزائريين بمشروع إلى حكومة أحمد بن بلة الفتيّة طالبوا فيه الحكومة بالتخلّي عن اللغة الفرنسية كلغة مسيطرة على الإدارة والتعليم وإحلال اللغة العربيّة محلّها، غيرأنّ صدمة النوّاب كانت كبيرة للغاية كما يقول أحد هؤلاء وهو عمّار قليل1 عندما رفضت الحكومة الفتيّة مشروع التعريب . وظلّ التعريب مجمدّا على امتداد عهد بن بلّة، وحاول بومدين تعريب الإدارة والتعليم إلاّ أنّ اللغة الفرنسية قد أصبحت سيدة الموقف في عهده في الجامعة والإدارة.

1.5 تعريب التّعليم:

1.1.5 مشكلة التعريب في الجزائر مشكِلة استِعماريّة:

فمن الباحثين الجزائريين الذين بادروا إلى بحث هذه المشكلة الباحث والأستاذ الجامعي تركي رابح الذي بينما يقف على مشارف التاريخ يشخِّص مشكلة التعريب منذ 1986 مجتازاً منطِقة تسيِيس هذه المشكلة، فيرى أنّ « المشكل اللّغوي الذي [كانت] تعاني منه الجزائر [ولا تزال] منذ بداية الاستقلال في عام 1962، هوفي أساسه وجوهره مشكلٌ استعماريٌّ لم تعرفه الجزائر في حياتها مِن يوم دخول الإسلام واللّغة العربيّة إليها منذ أكثر من أربعة عشر قرناً إلاّ عند مجيء الاستعمار الفرنسي إليها في عام 1830»2.

1- ولد السيد عمارقليل عام 1924 في قرية « ولاد عربي « التابعة لبلدية الميلية ولاية جيجل حاليا، وهو صاحب كتاب " ملحمة الجزائر الجديدة "الصّادرسنة 1993 في ثلاثة أجزاء.

2- يُنظَر: تركي رابح، جهود الجزائر في تعريب التّعليم العام والتّقني والجامعي (1962 . 1984)، مجلّة الثّقافة، ع.91، وزارة الثّقافة والسياحة، الجزائر، 1986، (ص.83 . 113)، ص.84.

وسبق له أن شرّح الظّاهرة باهتمامٍ كبيرٍ معلناً عن مسؤوليّة الاحتلال الفرنسي في تدهور الوضع اللّغوي الجزائري واختلاله، فصرّح في 1983 بما يأتي:

« لقد كان التّعليم في الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي يسير كلُّه باللّغة العربيّة مِن بدايته إلى نهايته. وكان مزدهراً إلى حدٍّ كبيرٍ كما يقول المؤرّخون الفرنسيون أنفسهم. ولكن بعد الاحتلال بقليلٍ بدأ هذا التعليم يتدهور شيئاً فشيئاً، نظراً للتخريب المتعمَّد لمؤسّساته، وأوقافه، ومعاهده، ومراكزه، ومكتباته في جميع مناطق البلاد مِن طرف إدارة الاحتلال»1.

2.1.5 العربية في الجامعات:

الحديث عن العربيّة في الجامعة يستدعي تناول العربية المتخصِّصة أو ما يُدعى عربيّة التخصّص.

«ومِن الثَّوابِت المعرفيَّة المطلَقة أنَّ اللُّغة ظاهِرةٌ جماعيَّةٌ واجتِماعيَّة تتحرَّك طوْعًا كُلَّما تلقَّت مُنبِّهًا خارِجيًّا، فَما إن يستفِزّها الحافِزُ حتّى تَستجيب بِواسطة الانتِظام الدّاخليّ الّذي يُمكِّنها مِن استيعاب الحاجة المتجدِّدة والمقتضيات المتوَلِّدة وهكذا تَصطنِع اللُّغةُ نَهجًا مِن الحركة الذّاتيّة»2.

3.1.5 دور الترجمة في تطوير العربيّة:

نعرف كلّنا ما للتّرجمة من دعم التّواصل بين الشّعوب، ولكن معرفة

1- يُنظَر: تركي رابح، المعركة مِن أجل التّعريب، مجلّة المستقبل العربي، ع.57، مركز دراسات الوحدة العربيّة، بيروت، 1983، (ص.84. 103).

2- عبد السلام المسدّي، المصطلح النَّقدي، مُؤسَّسة عبد الكريم بن عبد الله، تونس، 1994، ص.12. 13.

الآخر تمرّ حتما عبر لغته. اللّغة مفتاح العقلية ومفتاح ثقافة الشعوب وملامحها المادية والمعنوية. ولهذه الأسباب ارتبط نموّ اللّسانيات في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر أساسًا بالأبحاث الأنتروبوجيا والإثنية والفيلولوجيا والآثاريّة وتاريخ الثقافات والأديان وما شابه هذه المعارف التي تؤدّي فيها اللّغة دورًا مركزيا للكشف عن البنيات الذهنية للشعوب الناطقة بها، بل ولا تزال تؤتي ثمارها وإلى غاية النّصف الأوّل من القرن العشرين1. راهنًا انتقل هذا الاهتمام باللّغة إلى المجتمعات الغربية ذاتها حيث تؤدّي اللّغة دورًا هامًّا في التأثير السياسي والاقتصادي (الدعوة إلى الاستهلاك عن طريق الإشهار السمعي البصري). كما تُعتبر اللغة قطب الرحى في العلوم الإنسانية وكل تحليل علمي للظواهر الإنسانية لا بدّ له من المرور عبر اللغة. ألا يقال بأن الإنسان كائن ناطق كما رأيناه أعلاه؟ فاللغة تؤدّي اليوم كما بالأمس دورا حاسما في تواصل المجتمعات والشعوب. وبواسطة اللغة المكتوبة والمسموعة يمكن القيام بمجموعة من الأمور التي لا تستطيع أي وسيلة رمزية أخرى القيام بها.

وقد زاد من الاهتمام باللغة ما كشفت عنه الأبحاث اللغوية في مستويات مختلفة ومتعددة من بيانات مذهلة حول سيرورة اللّغو عند الإنسان سواء في بعده الفردي أم الجماعي. هذه العوامل متفردة أو مجتمعة وبدرجات متفاوتة الأهمية خلقت اهتماما محوريا باللّغة وصفًا وبحثًا خلال العصور الماضية ودفعت إلى الاهتمام بتعليمها وتعلّمها.

1- يُنظَر: Benjamin Lee Whorf, Linguistique et anthropologie, Trad Claude Carme, Ed. Denoël, Paris, 1969.

والكلّ يعرف أنّ لكل عصر أو مرحلة زمنيّة اهتماماتها الفكرية الخاصة بها. فالحقبة اليونانية حقبة فلسفية بامتياز، والقرن الثامن عشر والتاسع عشر كانا قرني التحولات العلمية الكبرى لا سيما في الرياضيات والفيزياء بامتياز. أما القرن العشرين فهو قرن الإنسان بكل أبعاده ومن بينها البعد اللغوي الذي هو المدخل الحقيقي لباقي الأبعاد.

حسن تسخير المصطلحات في مقامات الترجمة:

«وكلّما كانت المصطلحاتُ حامِلةً لملامح مميّزة تجعلها تختلف من سياق إلى آخر، فإنّ مثل هذه المصطلحات المشكَّلة على هذا المنوال تكشف سرّها المكنون باعتبارها تنطوي على دلالات (مفاهيم) كامنة فيها»1؛ فإعادة استعمالها في سياقات متعدّدة إلاّ أن يتيح لها فرصة التبليغ عن تلك الأسرار المكنونة والدلالات الكامِنة. لهذا تجنح اللّغة العربيّة إلى ما يُدعى إعادة التعريف وإعادة الصياغة ..الخ.

فهكذا نلفي المستشرِقة الألمانيّة زيغريد هونكه تقرّ في كتابها شمس (الله) تسطع على الغرب، بفضل العلماء العرب على جميع الحضارات التي جاءت بعدهم، حيث تعلن:

«وهكذا نجد العلماء العرب يحفظون للعالم عن طريق ترجماتهم الكثيرَ مِن الكتب من الضياع والضياع النهائي. وهي مؤلَّفاتٌ كان العالم يجهلها جهلاً تاماً لولا أن جاءته عن طريق الترجمة العربيّة مثل كتب التشريح لجالينوس وكتب القوى المحركة والرياضيات للمؤلفين (هيرون) و(فيبلون) و(مينيلاوس) ثم بصريات بطليموس»2.

1- Bouhadiba Lelloucha, Traduction et langues de spécialités, AL-MUTARĞIM, n° 10, Revue de Traduction & d'Interprétariat, Laboratoire « Didactique de la traduction & Multilinguisme », Université d'Oran, Ed. Dar El Gharb, Juillet – Décembre 2004, p.86.

2- زيغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب: أثر الحضارة العربيّة في أوروبة (فضل العرب على

مع العلم أنّنا أفدنا كثيرا مِن المستشرقين، ويجب ألا ننسى أنهم علّمونا فن تحقيق التراث، بل إنهم علمونا الإحساس بقيمته مما بذلوه في نشره ولفت الأنظار إليه، ويكفي أن نعلم أن أهم المصادر العربية والإسلامية كانت موضع عناية الباحثين في النحووالبلاغة والأدب والتاريخ والجغرافيا وعلوم القرآن والحديث والفقه وغيرها.

4.1.5 العربية وتحديات العلوم العصرية:

نسأل أوّلاً هل العربيّة قادرة على احتواء المعارف التي تُنتِجها العلوم الحديثة وليس هذا فقط، بل أن يُتواصل بها في مقامات التبادل المتخصِّص (المنطوق والمكتوب)؟ فإذا كان التباين بين المعرفتين العامة والمتخصصة نابعاً من تباين في الدعامة التي تعمل كل واحدة منهما بناءً عليها، فإنّ اللّغة لا تعدو إذن أن تكون بكاملها إطاراً معرفيا للعلوم. مما يفسر كثيرا من الظواهر اللغوية التي تتصرف فيها هذه الأخيرة وتحقق لها واقعا خاصا.

وإذا كان هذا الأمرُ قد ثبت فيما يخصّ اللغات التي يعتمدها الغرب في ابتكاراته واختراعاته، فلابدَّ أنّ اللّغة العربيّة ستحتاج إلى معينٍ تصدر منه في صياغة المصطلح لمجاراة هذا الغرب في التقدّم العلمي وبالتالي يُصبح من الطبيعي أن تلجأ اللّغة العربيّة إلى اللغات التي تحتلّ الصدارة في وضع المفاهيم العلميّة كالانجليزية والألمانية والفرنسية. وقد سبق للغة العربية أن احتلّت المركز فيما مضى بل كانت لا تزال تؤدّي دور النموذج إلى غاية القرن التاسع عشر حيث يجب أن نذكر أنه عندما تنبه رجال

أوربا)، ترجمه وحقّقه وعلّق عليه فؤاد حسنين علي، مكتبة رحاب، قسنطينة 1986، ص.289.

الدولة العثمانية في القرن التاسع عشر خاصة إلى ضرورة مجاراة الغرب في التعليم، وفتحوا بعض المدارس لتعليم العلوم الحديثة فيها، اضطر العلماء في هذه الدولة إلى اقتباس المصطلحات العلمية العربية وإلى إدماجها في لغتهم، لأنّ اللغة التركية لا تسد الحاجة إلى الألفاظ العلمية1. والعربية هي النبع الذي تستقي منه التركية كلماتها العلمية، أي إن العربية بالنسبة إلى التركية كاللاتينية واليونانية بالنسبة إلى لغات أوربة الكبيرة الآن. فعلماء الترك اقتبسوا من كتبنا القديمة بعض مصطلحاتها العلمية، كما اقتبسوا مصطلحات الكتب العربية التي ألفت أيام محمد علي والخديوي اسماعيل في مصر، ولكنهم لم يوجدوا مصطلحاً عربياً جديداً ويبدو أن حركة ترجمة المصطلح العلمي أو تعريبه التي تجمدت في عصور الانحطاط بسبب توقف الاجتهاد اللغوي، وانحسار العربية وانغلاقها في قوالب محنطة، قد عادت إلى النشاط من جديد حالما بدأت اللغة العربية تتجدد في مطلع القرن التاسع عشر على يد علماء النهضة في مصر، ومنذ أن أخفقت حركة التتريك التي استهدفت القضاء على التعامل باللغة العربية داخل الدولة العثمانية ولقد شهد القرن التاسع عشر تقدماً في العلوم وتوسعاً في المخترعات لم تشهد لهما البشرية مثيلاً في القرون الماضية، فقد تمكن الإنسان الأوربي من اكتشاف قوة البخار واستعمالها، فسيربها القاطرات الحديدية والسفن، واكتشف الكهرباء، واستنبط طرقاً وأدوات وأجهزة لقياس الحرارة وسرعة الضوء، وتحليل

1- يُنظَر: محمّد علي الزركان، الجُهودُ اللُّغويَّةُ في المُصطلح العلميّ الحديث، مَنشورات اتِّحاد الكتَّاب العرب (سلسلة دراسة)، دمشق، 1998، ص.17. نقله عن: الشهابي، مصطفى / المصطلحات العلمية / 41-42 / 1965 والصيادي، محمد المنجي / التعريب ودوره في تدعيم الوجود العربي / 31/ 1982.

المواد الكيمياوية، والتصوير الفوتوغرافي، وتحليل الطيف الشمسي، وأثبت دوران الأرض بالتجربة، واكتشف كريات الدم ووظائفها، واستعمل المضادات في العمليات الجراحية، وتقدم العلماء بنظريات عديدة كان لها صدى واسع في أوساط المثقفين والمفكرين. وتعرف العرب على هذه المنجزات العلمية من خلال اتصالهم بأوربة، فوقفوا منها موقف المشدوه في بداية الأمر، ثم مالبثوا أن استوعبوها بعد تأسيس المدارس العصرية في مدنهم على يد محمد علي في مصر أولاً، ثم على أيدي الارساليات التبشيرية في بلاد الشام.

خاتمة

إنّ هذا التعدد اللّغويّ يتّصل رأساً بظروفٍ تاريخيّة شكّلت واقِعاً سائغاً منتشراً بيننا ومناقضاً حيث اقتسمت فيها اللّغة العربيّة مع اللّغة الفرنسية حقبة من الزمن. ورجعنا في هذا كلِّه إلى أحدث الدراسات، فضلاً عن صلتها بالميدان وبقضايا الساعة كدرجة استخدام العربية في الإدارة واخترنا لذلك واقع الجزائر اللغوي حيث ما تزال الفرنسية لغة العمل والتفاوض مع جميع الشركاء، على الصعيدين الداخلي والخارجي لأنّ معظم العقود الإدارية تظلّ مكتوبة باللغة الفرنسية (نظراً لمعايشتنا لهذا الواقع اللّغوي المتأزِّم الذي وإن لا يخفى على أحد فهو ذو أسبابٍ ونتائج وأبعادٍ جديرة بالتحليل). زحفت إلينا في سياق تاريخي من تراجع العربية إبان الحكم العثماني، وانبهار العرب بما أصابه الغرب مِن التقدّم في العلوم والصناعات وكثير مِن شؤون الحياة.

إنّ الذين يفزعون مِن وضع اللّغة العربيّة الحالي قد يحقّ لهم ذلك عندما نراجع مدى الانسجام الذي كان ينبغي أن يتحقّق ما بين القوانين المشرَّعة والمصادق عليها في البرلمانات وبين الواقع كثيراً ما يتحطّم الطموح على حجره الصلب والصلد.

التعدد اللغوي في الجزائر : مظاهره وانعكاساته

د.جيلالي بن يشو
– جامعة مستغانم

مقدمـــة:

يعرض علينا المشهد اللغوي الجزائري قضايا وإشكاليات عديدة ومتداخلة تتعلق في عمومها بالممارسات اللغوية ومظاهر التواصل اللغوي الاجتماعي، وهي من إفرازات وضعية التعدّد والتنوع اللغويين، فالمحيط الاجتماعي الجزائري يعرف لغات ولهجات متعددة (اللغة العربية الفصحى باعتبارها اللغة الرسمية، واللهجات العربية العامية الدارجة بمختلف أنواعها، واللغة الأمازيغية، أضف إلى كل ذلك اللغات الأجنبية كالفرنسية وغيرها من اللغات الأخرى). هذا التنوع والتعدد اللغويان تتجلى مظاهرهما في العديد من الفضاءات المكونة للمحيط الاجتماعي الجزائري كالأسرة والشارع والإدارة والتجارة، والاتصال، والإشهار وما إلى ذلك.

إنّ مشكلتنا اللغوية كما يقول أحد اللسانيين هي مشكلة كل شعب مزدوج اللغة، فإننا نفكر ونتكلم ونغني ونُتَمْتِم في صلواتنا، ونُنَاغِي أطفالنا، ونهمس في آذان من نحبهم، ونتفاهم مع من نرغب في التفاهم معهم بلغة محكية سلسة، سيالة تتميز بفقدان الإعراب، وبغنى الحروف المصوتة،

وتتميز كذلك بمرونة في التركيب، وبسهولة في التعبير، ولا تتطلب منا جهدا، ولكن في حياتنا الرسمية - في التعلّم وفي القراءة والكتابة - علينا أن نتلبس شخصية لغوية ثانية، فنتكلم لغة معربة شديدة الإحكام في التركيب والتعبير(1)، بل إننا نجد كتابا كبارا معاصرين من العرب وغير العرب لا يتحرجون في استعمال خطابات لهجية عامية أو محلية على أفواه أبطال إنتاجاهم في مختلف الأجناس الأدبية(2)، فسلطان العامية له السيطرة على الناطقين بالفصحى حتى المتخصصين منهم، ذلك أن العادات اللغوية المخزونة تخرج بطريقة لاواعية على غير إرادة من صاحبها(3).

-تحديد مصطلحات الدراسة:

1 -**اللهجة** : Dialecte **أو العامية**، وهي التي تستخدم في الشؤون العادية، والتي يجري بها الحديث اليومي، فهي «عبارة عن مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة»(4). أو هي: «نمط من الاستخدام اللغوي داخل اللغة الواحدة، يتميزعن غيره من الأنماط داخل نفس اللغة بجملة من الخصائص اللغوية الخاصة، ويشترك معها في جملة من الخصائص العامّة»(5). مما يؤكد على أن العلاقة بين اللهجة واللغة هي علاقة عموم

1- ينظر: نحوعربية ميسرة ، أنيس فريحة، بيروت 1955، ص: 16 وما بعدها.

2- اللسانيات الجغرافية في التراث اللغوي العربي، د.عبد الجليل مرتاض، دار الغرب للنشر والتوزيع، ب.ط، ب.ت، ص:96.

3- ينظر: ظواهر قرآنية في ضوء الدراسات اللغوية بين القدماء و المحدثين، د. البدراوي زهران، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1993 ص: 313.

4- في اللهجات العربية،إبراهيم أنيس، مطبعة أبناء وهبة حسان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2003ص:15.

5- العربية و علم اللغة الحديث، محمد داود، دارغريب للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة، 2001م ص 64.

وخصوص، حيث تشمل اللغة الواحدة عدة لهجات متباينة في خصائصها اللغوية، مع اشتراكها في صفات لغوية أخرى(1). ويتّخذ مصطلح العامية أسماء عدة عند بعض اللغويين المحدثين(2).

أمّا عن المعايير التي تحدد إن كانت هذه اللغة لهجة أو فصحى فيرجع بالدرجة الأولى إلى موقف أفراد الجماعة اللغوية من هذه اللغة أو تلك، وكيفية استخدامها وتوظيفها في مجالات مختلفة، فَ «إن أي نظام لغوي يتكون من أصوات تكون كلمات تؤلف جملا لأداء معنى، ومن هذا الجانب نجد أية لغة وأية لهجة داخلة في هذا الإطار. والشيء الأساسي الذي يجعل نظاما لغويا ما يصنف باعتباره لهجة أو على أنه لغة فصيحة هو موقف أبناء الجماعة اللغوية منه، ومعنى هذا أنه ليس في بنية اللهجة أو اللغة ما يحتم تصنيفها بالضرورة هذا التصنيف، ولكن مجالات الاستخدام عند أبناء الجماعة اللغوية هي التي تفرض هذا التصنيف، فالنظام اللغوي الذي يستخدم في مجالات الثقافة والعلم والأدب الرفيع هو ما يصنف اجتماعيا بأنه فصيح، والنظام اللغوي الذي يقتصر استخدامه على مجالات الحياة اليومية هو بالضرورة ما يصنف اجتماعيا بأنه لهجة أو بأنّه عامية»)3).

2 - التعدد اللغوي:

تتفق المعاجم اللسانية على أن التعدد اللغوي عبارة عن استعمال لغات عديدة داخل مؤسسة اجتماعية معينة، وفي القاموس: نصف

1- انظر المرجع نفسه، ص 66.

2- ينظر: فقه اللغة العربية و خصائصها، إميل بديع يعقوب، ص 144، 145، فقد جمع عدة مصطلحات أطلقت على هذا المستوى اللغوي.

3-محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة . المجالات والاتجاهات، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة، ط4، 2007م ، ص: 18.

متكلما ما بأنه شخص متعدد اللغات إذا كان يستعمل داخل جماعة معينة ولأغراض تواصلية مجموعة من اللغات. وهو ظاهرة طبيعية في دول العالم قاطبة.

من الصعب أن تجد دولة أو مجتمعاً يتحدث بلغة واحدة، فالتعدد اللغوي أمر واقع، ولا ضير أن يتخذ التعدد اللغوي مسلك التطعيم وانفتاح الثقافة الوطنية على الثقافات الأجنبية لتوسيع دائرة التفكير اللغوي بما يخدم اللغة الوطنية، لقد أكّد الإسلام على قيمة التعدد اللغوي حينما ربط القرآن الكريم بين اختلاف الألسنة ومعرفة إعجازالله في الخلق، فهذا الاختلاف آية من آيات الله وليس هناك من مبرر علمي ولا خلقي لتفضيل لغة على لغة. يقول ابن حزم: "ولا ندري أي لغة هي التي وقف آدم عليها أولاً، إلا أننا نقطع على أنها أتم اللغات كلها... وقد قال قوم هي السريانية، وقال قوم هي اليونانية، وقال قوم هي العربية والله أعلم، إلا أن الذي وقفنا عليه وعلمناه يقيناً أن السريانية والعبرانية والعربية هي لغة مضرو ربيعة لا لغة حمير، لغة واحدة تبدلت بتبدل مساكن أهلها... وإذ تيقنا ذلك فالسريانية أصل للعربية وللعبرانية معاً، والمستفيض أن أول من تكلم بهذه العربية إسماعيل -عليه السلام- فهي لغة ولده والعبرانية لغة إسحاق وهي لغة ولده، والسريانية بلا شك هي لغة إبراهيم صلى الله عليه وعلى نبينا وسلم"(1) وقد مورس هذا النموذج في المجتمع الإسلامي في أزهى عصور الحضارة الإسلامية، ولم تشك العربية ضيقًا ولا تشويشًا ولا عجزًا ولا عزلة بل ظلت تلك اللغات خادمة للغة العربية معلنة انقيادها عن طواعية.

1- ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام ج1، ص56-55.

فالتعددية اللغوية إن برزت بصورة طبيعية نابعة من متطلبات المجتمع المتطلع إلى المعرفة الإنسانية فهي ظاهرة صحية، وأما إن سلك التعدد اللغوي مسلكًا إيديولوجيًا سياسيًا تحت أقنعة مختلفة، ظاهرها الرحمة، وباطنها من قبلها العذاب، فذلك هو المسخ الثقافي و الحضاري، والاستعمارفي شكله الجديد(1).

3 - بين الازدواجية اللسانية والثنائية اللغوية:

الازدواجية اللسانيةLa diglossie :" ترجمة للمصطلح الانجليزي "Diglossia". يُعتَقد أن أول من تحدث عن هذه الظاهرة هو اللغوي الألماني "كارل كرمباخر" Krumbacher 1902" في كتاب له صدر عام 1902، تطرَّق فيه إلى طبيعة هذه الظاهرة وأصولها وتطورها، وأشار بشكل خاص إلى اللغتين اليونانية والعربية، وخلص إلى نتائج تفسر كثيراً من التطورات المتأخرة لبعض الدعوات في العالم العربي، إذ اقترح على اليونانيين ترك "ازدواجيتهم الشرقية" واللحاق بالعالم الغربي، بتبني العامية لغة قومية: كذلك دعا العرب إلى ترك فصيح لسانهم وتبنّي إحدى اللهجات - مفضلاً المصرية - لغة قومية(2).

لكن الرأي العام الشائع في أدب هذه الظاهرة اللغوية هو أن العالم الفرنسي وليم مارسيه (William Marcais1930) أول من نحت الاصطلاح بالفرنسية «La diglossie» وعرَّفه في مقالة تخص الازدواجية في العربية عام 1930 بقوله: "هي التنافس بين لغة أدبية مكتوبة ولغة عامية شائعة للحديث"(3).

1- ينظر: مقال الصراع اللغوي في الجزائر: تأزم هوية، د. عمر ديدوح، مجلة المعرفة العدد 176 نوفمبر2009/ ذوالقعدة 1430، وزارة التربية والتعليم المملكة العربية السعودية.

2 -Krumbacher, Karl. (1902) Das Problem der Modern Griechishen Schriftsprache. Munich.

3 - Marcais, William. (1930) «La Diglossie Arabe» L›Enseignement Public. 97.40

كما يعدّ اللغوي تشارلز فرغيسون Charles fergusonمن بين اللسانيين الذين بحثوا في هذه الظاهرة اللغوية عندما نشر بحثه عام 1959 معرّفا إيّاها قائلا: " وضع مستقر نسبيا توجد فيه بالإضافة إلى اللهجات الرئيسية للغة التي قد تشتمل على لهجة واحدة أو لهجات إقليمية متعددة لغة تختلف عنها، وهي مقنّنة بشكل متقن إذ غالبا ما تكون قواعدها أكثر تعقيدا من قواعد اللهجات، وهذه اللغة بمثابة نوع راق يستخدم وسيلة للتعبيرعن أدب محترم، سواء أكان هذا الأدب ينتمي الى جماعة في عصرسابق، أم إلى جماعة حضارية أخرى، ويتمّ تعلّم هذه اللغة الراقية عن طريق التربية الرسمية، ولكن لا يستخدمها أيّ قطاع من الجماعة في أحاديثه الاعتيادية"(1).

لقد اختلف اللسانيون حول مفهوم مصطلح " الازدواج اللغوي" فبعضهم يطلقه على وجود مستويين لغويين في بيئة لغوية واحدة، أي لغة للحديث وأخرى للعلم والأدب والثقافة والفكر، وبعضهم يطلقه على وجود لغتين مختلفتين (قومية وأجنبية) عند فرد أو جماعة ما في آن واحد.

يقابل مصطلح الازدواجية في اللغة الفرنسية "Bilinguisme "(2)، فقد تحدّث "مالمبرجMalamberg عن ظاهرة ثنائية اللغة فقال: "لقد استخدمنا في كلّ ملاحظاتنا عن الاتصالات اللسانية مفهوم ازدواجية اللغة Bilinguisme وفي الواقع إنّ كلّ تداخل بين عدد من الأنظمة يفترض وجود شيء من الازدواجية اللغوية"(3). وقد أورد منذر عيّاشي

1- علم اللغة وصناعة المعاجم، علي القاسمي، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، ط3، 2004، ص: 40

2- « le bilinguisme est la situation linguistique dans laquelle les sujets parlants sont conduits a utiliser alternativement, selon les milieux ou les situations deux langues différents, c'est le cas le plus courant .plurilinguisme Jean Dubois : Dictionnaire de linguistique, P65

3 - le langage signe de l'humain,B. Malamberg ,p 169.

تعريفا للثنائية اللغوية قائلا:" كلّ فرد يتدبر أمره بشكل ملائم عبر لغة ثانية يعتبر مزدوج اللغة، يوجد إذن تماثل بين ازدواجية اللغة والمعرفة بلغة أو بعدّة لغات أجنبية...ومع هذا التعريف تصبح ظاهرة ازدواجية اللغة منتشرة، ويصبح عدد من ازدوجت لغاتهم كبيرا"(1)، ويشترط أن يكون مزدوج اللغة مسيطرا سيطرة تامّة على اللغتين، وأن يتصرف بهما بحرّية، وأن يقبله المحيط مهما كانت اللغة، فالمقصود من ازدواجية اللغة من هذا المنظور مرهون بوجود لغتين متميزتين كالفرنسية والألمانية مثلا(2).

و يقصد بـ "ثنائية اللغة le bilinguisme" وجود لغتين مختلفتين عند فرد ما، أو جماعة ما، في آن واحد(3)، أوهي الحالة اللغوية التي يستخدم فيها المتكلمون بالتناوب وحسب البيئة والظروف اللغوية لغتين مختلفتين، فهي الوضع اللغوي لشخص ما أو لجماعة بشرية معيّنة تتقن لغتين، وذلك من دون أن تكون لدى أفرادها قدرة كلامية مميزة في لغة أكثر ممّا في اللغة الأخرى(4).

يرفض بعض الباحثين استعمال مصطلح " الازدواجية " الذي يستخدمه الكثير من اللغويين للدلالة على شكلي اللغة العربية: الفصحى والعامية، ذلك أن العامية والفصحى فصيلتان من لغة واحدة، والفرق بينهما بالتالي فرق فرعي، لا جذري، و عليه فالازدواجية الحق لا تكون إلا بين لغتين مختلفتين ، كما بين الفرنسية والعربية، أو الألمانية والتركية.

1- قضايا لسانية وحضارية، د. منذر عيّاشي، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق،ط1، 1991، ص: 51

2- المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

3 - Jean Dubois : Dictionnaire de linguistique, P65.

4- قضايا ألسنية تطبيقية، دراسات لغوية اجتماعية نفسية مع مقارنة تراثية، د. ميشال زكريا، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1993، ص: 35

أما أن يكون للعربي لغتان إحداهما عامية، والأخرى عربية فصيحة، فذلك أمر لا ينطبق مفهوم الازدواجية عليه، إنه بالأحرى ضرب من " الثنائية اللغوية (1)Diglossie"، فيرون أن أمر الفصحى والعامية نوع من الثنائية، وذلك لأنهما فصيلتان من لغة واحدة، في حين أن الازدواجية لا تكون إلا بين لغتين مختلفتين كالعربية والفرنسية .

يفهم من هذا أنّ التحديد الدقيق للمصطلحين إلى الآن غير واضح عند الكثير من الباحثين، وأنّ التداخل بين المعنيين حاصل عند أغلبهم، ونفضّل إطلاق مصطلح الازدواج اللغوي على المفهوم الأول لأنه أشيع بين الباحثين ولأن المعجم يدعم هذا، فقد ورد في معجم اللسانيات الحديثة أنّ هذا المصطلح يعني وجود أكثر من مستويين للغة، جنبا إلى جنب في مجتمع من المجتمعات بحيث يستخدم كل مستوى من مستويات اللغة في أغراض معينة ويسمى الوضع اللغوي في هذه الحالة " الازدواجية اللغوية " ويكون أحد هذه المستويات اللغوية عادة أعلى مركزا، ويسمى باللغة المعيارية أو الفصحى"Standard Language"، وتستعمل في المكاتبات الرسمية والتعليم والعبادة، أما المستوى الآخر فهو عادة يعتبر أقل رتبة، ويستعمله أفراد الأسرة في حياتهم اليومية في معاملاتهم الاجتماعية في مواقف الحوار المختلفة مثل موقف البيع والشراء وغير ذلك، ويسمى باللغة الدارجة أو العامية (2)Colloquial Language.

أما كمال بشر فيعرفها قائلا: «الازدواجية تعني وجود نمطين من اللغة يسيران جنبا إلى جنب في المجتمع المعين يتمثل النمط الأول فيما

1- Vincent Monteil, L›arabe moderne, Librairie C.Kinckseick, Paris, 1960, p.69.

2- معجم اللسانيات الحديثة انكليزي- عربي، د. سامي عياد حنا و آخرون، مكتبة لبنان،1997.د ط، ص: 39.

أشرنا إليه سابقا وأطلقنا عليه المصطلح: "اللغة النموذجية" والثاني ما جرى العرف على تسميته - على ضرب من التعميم- "اللغة المحكية"، وقد يسمى الأول أحيانا "اللغة الرسمية" "Formal" والثاني "اللغة غير الرسمية" Informal (1)».

هذه الازدواجية التي نلاحظها في حياتنا اليومية بين الفصحى والعامية هي ازدواجية طبيعية فرضها تكوين الإنسان ذاته، وهي على درجات متفاوتة في كل لغات العالم، وظاهرة تكاد تكون موجودة في أغلب اللغات الحية، باعتبار أن لكل أمة لغتين: واحدة يتحدث بها العامة في مخاطباتهم، ومعاملاتهم، وأخرى يتحلى بها الخاصة، وهي لغة التأليف والتدوين. ولا يظن أمرؤ أننا الشعب الوحيد الذي يعاني هذه المشكلة اللغوية، فإن هناك أمما حية معاصرة، وأمما من الماضي البعيد عاشت هذه الوضعية، وعانت ما نعانيه مثل: الإغريق والرومان والهنود، وغيرهم كثير(2).

إن كثرة العاميات وتعددها في البيئة اللغوية المعينة أمر طبيعي ومعروف، يشهد على ذلك التاريخ الإنساني القديم منه والحديث على سواء، فهناك في الوطن الواحد عشرات اللهجات العامية التي ينبئ عنها ويؤكد وجودها اختلاف الألسن، وتنوع طرق الأداء، ففي البلد الواحد تنتشر في جنباته لهجات محلية لها سماتها وصفاتها الخاصة(3)، فاللهجات

1- علم اللغة الاجتماعي- مدخل- د كمال بشر، دار غريب للطباعة و النشر والتوزيع، القاهرة، ط3، 1997، ص: 186.

2- اللغة الفصحى والعامية د: محمد عبد الله عطوات، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1424هـ - 2003 م، ص: 60.

3- اللغة العربية بين سوء الوهم و سوء الفهم، د. كمال بشر ، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة، ب.ط، 1999، ص: 244.

العامية تسير مع الفصحى جنبا إلى جنب، وأن وجودها أمر تحتمه الضرورة الاجتماعية، وما تقتضيه من تفاوت في مستوى الاستعمال، وحاجاته تبعا لحاجة الناطقين أنفسهم(1)، ووجودها ليس مضرا في ذاته، فهو عضوي، يُعبِّر عن جانب من جوانب الكائن الناطق(2).

تبقى مسألة اللغة العربية الفصحى، ولهجاتها العامية في صلب اهتمامات كل الناطقين بها، فإِنْ كانت مطروحة عند الدارسين كظاهرة لغوية جديرة بأَنْ تُبْحَث، رغم تباين المواقف فيها، فهي مطروحة عند كل متحدث باللغة العربية، ذلك لأنه في انتقال إلزامي ودائم بين الفصحى والعامية، هذا التلازم يكون أيضا في الحياة العامة للأفراد، حيث قد تتنوع بين الطبقات، كما قد يلزم على الفرد المثقف أن يستعمل الفصحى في وسطه العلمي بين النخبة المثقفة، وفي المحافل الرسمية، في حين أنه عندما ينزل إلى عامة الناس يضطر إلى تغيير أسلوب التواصل فيستعمل بذلك العامية(3).

الواقع اللغوي في الجزائر بين الازدواج والتعدد:

يتميز الوضع اللساني بالجزائر بتعدد لغوي قائم لا ينكره أحد، تتعايش ضمنه مستويات لغوية عديدة، حيث يعمل كلّ مستوى على ضمان موقعه ودوره ومكانته، وعلى احتكار مناطقه الجغرافية، إنه وضع ساهمت فيه عوامل عديدة مختلفة.

1- ينظر المستوى اللغوي للفصحى و اللهجات و للنثر و للشعر، د. محمد عيد، دار الثقافة العربية للطباعة، ص: 89.

2- ينظر : التعريب بين المبدأ والتطبيق : د. أحمد بن نعمان، شركة دار الأمة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط 2، 1998 ص: 142.

3- ينظر: دراسات في اللغة العربية و طرائق تعليمها د. أنطوان صياح ص: 6.

تتعايش في الجزائرمستويات لغوية هي اللغة العربية الفصيحة ولهجاتها العامية، الأمازيغيات (القبائلية، الشاوية، الميزابية، الترقية)، إلى جانب اللغة الفرنسية.

وهكذا نجد أنفسنا أمام ثلاثة مستويات متميزة من التواصل اللغوي:

1 -**المستوى الرسمي:** أي مستوى استخدام اللغة لأغراض دينية، حكومية، وتعليمية أي اللغة العربية الكلاسيكية (أي الفصحى):

la langue arabe classique وهي لغة القرآن الكريم والتراث العربي، والتي تستخدم في المعاملات الرسمية، وفي تدوين الشعر والنثر والإنتاج الفكري1 والعربية العصرية الموحدة المستخدمة في وسائل الإعلام.

2 -**المستوى التواصلي:** وهو مستوى استخدام اللغة للتواصل اليومي والتطبيق، أي اللهجات الأمازيغية (القبائلية، الميزابية، الشاوية، الترقية) واللهجات العربية العامية، وهي التي تستخدم في الشؤون العادية، والتي يجري بها الحديث اليومي..

اللغات الأمازيغية: تعد اللغات الأمازيغية اللغات الأم لسكان بني مازيغ، و بالتالي فقد سبقت هذه اللغة التواجد العربي على هذه الأرض لها امتداد لساني معروف قديما في منطقة المغرب العربي بالإضافة إلى مصر، والنيجر، ومالي.

توزع الأمازيغيات في الجزائر إلى مجموعات كبيرة أهمها:

1 - **القبائليـة:** وهي اللغة الأمازيغية الأكثر انتشارا وتعدُّ منطقة القبائل أهم منطقة ناطقة بالأمازيغية وتشمل منطقة القبائل: بجاية

1- د. إميل بديع يعقوب ، فقه اللغة العربية و خصائصها ، ط1 ، دار العلم للملايين ، بيروت، لبنان، 1985م ، ص 144

وتيزي وزو، مع وجود أقليات في المحور الممتد من سطيف إلى العاصمة ويضم سطيف، برج بوعريريج، البويرة، العاصمة.

2 -**الشاويـة:** وهي اللغة التي يتحدث بها مجموعة من السكان الأمازيغ القاطنين بجبال الأوراس ضمن ولايات: باتنة، أم بواقي، خنشلة، تبسة، والجهة الجنوبية من سطيف.

3 -**الترقيـة:** يتحدث بها الطوارق، وهم قبيلة كبيرة موزعة بين الجزائر، ليبيا، والنيجر.

4 -**الشلحيـة:** وهي لغة السكان المتمركزين في مناطق متفرقة كتيبازة، ومدن الشريط المحاذي للمغرب الأقصى كمغنية، ولهم امتدادات عالية في المغرب.

5 -**الميزابيـة:** وهي اللغة التي يتحدث بها سكان بني ميزاب، المستوطنون في غرداية والمدن الاباضية الأخرى من الجنوب الجزائري. إنّ الأمازيغيات هي اللغات الأم للناطقين بها، تبلغ نسبتهم حوالي 20% من العدد الإجمالي لسكان الجزائر، أصبحت اللغة الأمازيغية اللغة الوطنية الثانية بعد اللغة العربية في الجزائر ابتداء من سنة 2002 (1).

اللهجات العامية الجزائرية: يتواجد بالجزائر عدد كبير من العاميات الجزائرية، تستعمل كأداة للتواصل اليومي في وسط العائلة ومع الأصدقاء، وفي جميع المناسبات والوضعيات غير الرسمية، كما أنها أداة مهمة ووسيلة لحمل الثقافة الشعبية من شعر ونثر شعبي..... واللهجات العربية في الجزائر تتوزع على أربع مناطق رئيسية هي: اللهجات العامية

في الشرق الجزائري، وعاميات الجزائر الوسطى وضواحيها، وعاميات الغرب الجزائري، إضافة إلى اللهجات العامية بالجنوب.

3 - **المستوى الوظيفي** أي مستوى استخدام اللغة لأغراض اقتصادية والانفتاح على العالم الخارجي والتبادل والبحث (الفرنسية – الانجليزية) فبعد تنصيب لجنة الإصلاح التربوي خرجت اللجنة بانطباع مفاده أن سبب تأخر التعليم وعدم مسايرته للركب في الجزائر هو جعل العربية لغة العلم وعليه فلا بد من اعتماد الفرنسية في العلوم الكونية خاصة، ثم جربت الفرنسية كلغة ثانية في المراحل الأولى من التعليم الابتدائي (السنة الثانية) حيث لم يتجاوز الطفل سن الثامنة ثم عدل عن هذا القراروأخرت إلى السنة الثالثة وذلك لعدم نجاح التجربة والأمر منطقي لكون الطفل لم يتمكن من البديهيات الأولى في لغته من نطق الحروف سليمة وتركيب جمل بسيطة صحيحة فيزيد جهده في تحمل أعباء لغة أخرى لم يسمعها في بيته فتتضاءل المعاناة ويحصل الملل والنفور من اللغتين.

وهكذا نجد أنفسنا أمام مستويات أربعة، ولكل منها نصيبه في المجتمع من الاستعمال. وإنّ لغة المنشأ (الأم) عادة لغة شفاهية، وهي المتمكّنة أكثر في المجتمع، واللغتان (العربية الفصيحة والفرنسية) مكتوبتان، وليس لهما نصيب معتبر في الاستعمال. ومن هنا نجد الفرد الجزائري، المتعلم وغير المتعلم في الغالب، ذا لسان مزدوج، بسبب الاستعمال الدائم للغة على حساب لغة أخرى، وربما لعامل توفّرلغة ما على أدوات تعبيرية دقيقة، أو على مصطلحات دقيقة تساعد الفرد في تخصصه. وهذا ماخلق ما يسمى بالازدواجية اللغوية Bilinguisme، ويمكن أن

نطلق عليه ما يسمى بـ Diglossie لعامل الاحتكاك اللغوي بين لغتين أو أكثر؛ وذلك عندما يوظف فرد ما أو جماعة معينّة لسانين مختلفين في آن واحد؛ حيث يمزج بينهما بفعل الاقتراض والتحوّل اللذين يستغلهما في قالب لغة من لغة ما دون شعور منه، بل إنّ تأثيرلسان لغة ما يظهرجلياً، وعلى حساب لغة أخرى. ويسمي البعض هذه الظاهرة بالثنائية اللغوية: وهو استعمال الفرد أو الجماعة للغتين بأية درجة من درجات الإتقان، ولأية مهارة من مهارات اللغة ولأي هدف من الأهداف.

إنّ واقع استعمال اللغة العربية الفصحى في المجتمع الجزائري يبيّن ممارستها في سياقات خاصّة تتّصل بمجالات منها: التربية والتعليم الجامعي والإدارة ووسائل الإعلام المكتوبة والمنطوقة، وتحظى بكونها اللغة الوطنية في هذا المجتمع المتنوع لغويا، ومن ناحية أخرى لا تحظى باستعمال كلّ الفئات رغم ما لها من تأييد ودعم، ولعلّ أسوأ ما يلحق بها هوغيابها على مستوى التداول اليومي وضيق حدود استعمالها الشفوي، وتكاد تكون ظاهرة التواصل بالعربية الفصيحة قليلة جدّا، ذلك أنّنا ماسمعنا مواطنا جزائريا رسميا خارج الرسميات، ولا مواطنا شعبيا خارج المدارس والجامعات تنحلّ عقدة لسانه بجملة عربية واحدة مستقيمة إلاّ نادرا ولفتة مما حافظت عليه البنية السليمة للغة العربية الطبيعية، حتّى أضحى اليوم العجب بادية على ألسنة قلّة ممّا يتحفظون في اللّحن في المحافل والمنتديات والقمم من متحدّث عربي يراقب لسانه من اللّحن(1).

إن واقع العربية غدت مشكلة كبيرة ذلك أن هذه اللغة يراد لها أن تكون لغة العرب أينما كانوا، ثم أن تكون في مستويات ودرجات مختلفة

---

1 - في رحاب اللغة العربية، عبد الجليل مرتاض، ديوان مطبوعات الجامعية، الجزائر،2004، ص: 47.

... إنّ من العوائق التي تحول بيننا وبين إدراك شيء من هذا الهدف هو أن هذه العربية كما يقول إبراهيم السمرّائي "ما زلنا نجهلها، يجهلها ابن الشارع كما يجهلها المتعلم المثقف وقد أكون مصيباً لو قلت يجهلها ذوو الاختصاصات المختلفة. وقد أكون غير مفرط لو قلت أن مدرس اللغة العربية وأساتذتها في محنة منها. ذلك أن طائفة كبيرة منهم لا تملك القدرة الوافية الكافية على الإعراب بفصيحة مليحة. ... إن العربية الفصيحة في عصرنا الحديث مشكلة صعبة ذلك بأننا شاعرون أبداً أن في لغتنا حاجة إلى أن تيسُّر رسماً وبناءً ونحواً لكي تصبح لغة يباشرها المعربون فيتصرفون بها كلاماً وفكراً وكتابة... إننا معاشر العرب نجهل لغتنا ونجد في مباشرتها صعاباً كثيرة فلا يستطيع كثير من جمهرة المختصين أن يملك من هذه العربية القدر الذي يعينه على إيصال العلم والمعرفة إلى غيره بيسير"(1)

انعكاسات التعدد اللغوي في الجزائـر:

1 -إذا نظرنا إلى المجتمع الجزائري وجدناه يتكلم خليطا بين الفرنسية والعربية واللهجات المحلية باختلاف مناطق الوطن، فقد تجد في العائلة الواحدة المُعَرّب، والمُفَرنَس، والمزدوج اللغة، ومن لا يحسن لا الفصحى ولا اللغة الأجنبية أو يجمع قليلا من الاثنين؛ وليس بمقدور أحد أن يعطي نسبة المتكلمين بهذه اللغة أو تلك، ومهما يكن من أمر، فإن اللغة الفرنسية بمعية لهجات محلية كثيرة، تسجل حضورها بقوة في الجزائر. مما يجعل اللغة العربية الفصيحة ومن اتخذها لسانا له محاصرين، وعاجزين عن أداء أبسط وظائفهم المتمثلة في التواصل والتعبير عن

1- تنمية اللغة العربية في العصر الحديث، إبراهيم السامرائي، ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1973م.ص:3.

رغباتهم وآلامهم، خاصة إذا سلمنا بأن «للغة أثرا فعالا في حياة الفرد والمجتمع، فهي بالنسبة للفرد وسيلة لاتصاله بغيره، وعن طريق اتصاله بغيره يدرك الفرد أغراضه ويحصل على رغباته، كما أنها وسيلته التي يعبر بها عن آماله وآلامه وعواطفه، واللغة تهيئ للفرد فرصا كثيرة للانتفاع بأوقات فراغه، وذلك عن طريق القراءة و المطالعة والاستمتاع بالمقروء، فيغذي الفرد بذلك عواطفه، وهي أداته التي يقنع بها غيره في مجالات المناظرة والمناقشة وتبادل الرأي، كما أنه أداته التي ينصح بها الآخرين ويرشدهم وينشر بوساطتها المبادئ بينهم ويؤثر فيهم...»1

هذا الوضع اللغوي ترك وضعا لغويا غير منتظم، فإذا كانت اللغة العربية الفصحى هي لغة التواصل الرسمية في الوثائق والمرافق العمومية، وتزاحمها الفرنسية في المؤسسات الإدارية والإعلام والتعليم العالي، فان الأمازيغيات، والعاميات العربية هي لغات التواصل اليومي في البيت والشارع، هذا الوضع الواقعي يعيش مفارقات غريبة، إذ لا علاقة له بالوضع القانوني المنصوص عليه في الدستور والقوانين، فاللغة العربية هي اللغة الرسمية دستوريا، بالإضافة إلى الأمازيغية المعترف بها وطنيًا، ولكن حضور الفرنسية يكاد يكون عامّا في الإدارة والاقتصاد والتعليم العالي وجزء كبير من الإعلام المكتوب والسمعي البصري، ممّا غدا له تأثير كبير في بناء تفاوتات لغوية واجتماعية.

2 -شكّل هذا التعدد اللغوي عوامل بالغة الخطورة على التعايش الذي ميّز اللغة العربية في اختلاطها بالأمازيغية، وهوما نتج عنه تلوث في البيئة

1- في فقه اللغة و قضايا العربية، سميح أبو مغلي، ط1، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن 1987م ، ص :256.

اللغوية الجزائرية عندما طغت فيها اللغة الأجنبية الداخلية على اللغة المحلية المُبوّأة عبر الثقافة والمعرفة والسلوكات اللغوية المحلية، وشوشت بالتالي على التعايش الذي كانت تعرفه البيئة اللغوية الجزائرية مجسدا في بيئة الازدواج: Diglossie أو بيئة التعدد: Multilinguisme بين لغة معيارية رسمية (العربية الفصيحة) ولهجات من نفس النسق اللغوي، رغم أنها تبدو في الظاهر ثنائية لغوية بسيطة تتمثل فقط في اللغة العربية / الأمازيغية واللهجات العامية.

ومن هنا نجد الفرد الجزائري المتعلّم وغير المتعلّم في الغالب، ذا لسان مزدوج، بسبب الاستعمال الدائم للغة على حساب لغة أخرى، وربما لعامل توفّر لغة ما على أدوات تعبيرية دقيقة، أو على مصطلحات دقيقة تساعد الفرد في تخصصه، وهذا ما خلق ما يسمى بالازدواجية اللغوية « Diglossie"، والثنائية اللغوية Bilinguisme ، هذا الاستعمال غدا له الأثر الكبير في بناء تفاوتات، وساهم في بروز تحاليل كثيرة.

3 -إن تعقد المسألة اللغوية في الجزائر لا يرتبط بالنموذج اللغوي الثلاثي فقط (عربية- أمازيغية -فرنسية) وإنما يرتبط بنماذج سفلية أخرى تؤول إلى الوضع الاعتباري للعاميات المتنوعة، هذه الظاهرة أصبحت من بين المسائل المطروحة في محيط اللغة العربية، ذلك أن وجود لغتين اثنتين أو أكثر لأمة واحدة مشكلة صعبة ومعقدة وفيها من عوائق التحصيل ما تبقى العربية معه في مستوى أضعف، فالجزائري كغيره من العرب يقرأ ويكتب ويؤلف بلغة ويتحادث ويغني بلغة ويَرْوِي النكات ويتشاجر ويداعب أطفاله بلغة ثانية1، وليس من شك أن هذه

1- الرؤية المعاصرة في الأدب و النقد، د. زكي العشماوي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ب.ط، ب.ت،ص: 124.

الظاهرة أصبحت من أهم القضايا التي تثير الجدل والمناقشة بين علماء العربية، بشيء كثير من الاهتمام، ومن بين المشاكل التي تؤرق بال المشتغلين باللغة والقائمين على أمرها: «إن مشكلة الازدواج اللغوي بالنسبة للمجتمعات التي تتكلم العربية أبعد مشكلاتها غورا، وأعنفها أثرا، لأنها تصيب هذه الأمم العربية جميعا بظاهرة الازدواج اللغوي التي تجعلها تحيا وتشعر وتتعامل، وتتواصل بلغة مرنة يومية نامية متطورة مطاوعة، ثم هي تتعلم وتتدين وتحكم بلغة مكتوبة محدودة غير أمية لاتطوع بها الألسنة، وتتعثر فيا الأقلام»1.

4 -جعل الازدواجية في النظام التربوي لا ينتج إلا متعلما ضائعا بين التعريب والفرنسة وينشأ على أفكار مبعثرة بين الثقافتين الوطنية والأجنبية، فاللغة « سواء لقنت باعتبارها لغة وحسب أم وسيلة لتدريس مواد، لابد وأن تحمل ضمنيا مجتمعها الأصلي، ذلك أنها أكثر ارتباطا بالحوامل أو الخلفيات الإيديولوجية والحضارية» ومن ثم فقد يؤدي تعلّمها إلى استلاب ثقافي للمتعلم، ويصبح ظاهرة اجتماعية وثقافية بين أفراد المجتمع2.

لقد بيّنت التجارب أنّ من بين الصعوبات التي تعترض التلميذ خلال عملية التعلّم تزداد بالضرورة، إذ كان يجب عليه أن يكتسب المعارف والعلوم بلغة أجنبية لا يتقنها أحسن الإتقان، ممّا يؤدّي إلى فشل مدرسي، ولئن كانت اللغة الثانية تنتمي إلى ثقافة مغايرة، فان الصعوبات تزداد من

1- مجلة اللسان العربي، مكتب تنسيق التعريب الرباط المملكة المغربية، المجلد 17، ج1، 1399هـ-1979م، مقال بعنوان: الفصحى واللهجات: قراءة جديدة و ملاحظات للدكتور محمود عبد المولى، ص: 87.

2- مصطفى محسن: في المسألة التربوية نحو منظور سوسيولوجي منفتح، ط2، المركز الثقافي العربي، بيروت،2002 ص: 76

منطلق أنّ التلميذ لا يتعامل فقط مع لغة أجنبية، إنّما يتعامل أيضا مع مصطلحات وبنى للتعبير والتفسير جديدة تماما بالنسبة إليه1.

إن هذا الازدواج لم ينتج لنا إلا جيلا ضعيفا مهزولا على مستوى اللغتين ، فالطالب اليوم في الثانوية والجامعة لا يمكنه الحديث باسترسال باللغة العربية، أما الفرنسية فهي غائبة عن لسانه ويده إلا كلمات ألفها وسمعها والأغلب ممن يستعملونها لا يحسنون كتابتها. لقد أصبحت العربية خليطا من الألفاظ العامية والفرنسية على جميع المستويات هذه الظاهرة متفشّية ومتغلغلة في المجتمع بمختلف فئاته وطبقاته ، فالخلط بين العربية و الفرنسية في مختلف مجالات التّعبير دون أن يتقن الكثيرون منهم اللغة الفرنسية. وهو ما يؤدي إلى تشويش لغة النّاشئة وتقديم صورة منحطّة عن لغتهم العربية فيحملهم ذلك على ازدرائها والزّهد فيها وهو الشيء الذي ظهرت بوادره في إنتاج جيل ضعيف في اللغة العربية لا يقدر أن يبدع و لا أن يفكّر بها. هذا الوضع الذي قد يؤدي مستقبلا إلى مسخ اللغة و البعد بها عن الأصل أو تحويلها إلى لغة هامشيّة فاقدة2.

5 -لقد اعتُبر الوضع الازدواجي في أية لغة أنه يشكل عوائق مختلفة للناطقين بتلك اللغة؛ كما اعتبره الكثير من الباحثين عائقاً للتعليم وللتطور التربوي والاقتصادي والتماسك القومي. وان تكن الازدواجية، وبشكل موضوعي، أداة بارعة للضرورة، فإنها من وجهة النظر الاقتصادية والتماسك القومي وفعالية التعليم والاتصالات وأجهزة الإعلام لعائق

1- قضايا ألسنية تطبيقية، دراسات لغوية اجتماعية نفسية مع مقارنة تراثية، د. ميشال زكريا

2- نظرية اللغة الثالثة،أحمد محمد المعتوق، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط5، 2005،ص: 22.

بالإضافة إلى ذلك، إذا اعتبرنا إنّ وظيفة اللغة ليست للاتصال وحسب؛ وحقيقة أن اللغة تخدم احتياجات الشخص والمجتمع العاطفية والمعرفية والنفسية، فان وجود الازدواجية في الجماعة اللغوية لذو آثار محدِّدة، بل معقدة لقوتها التعبيرية. الازدواجية رمز وتذكرة للصراع الاجتماعي ونقص التماسك الاجتماعي. ويبيّن أنيس فريحة انعكاسات وأثر الازدواجية على حياة الفرد فيما يلي:

- انتقال العربي من لغة سيالة سلسة مرنة غير معربة، من لغة لاتحتاج إلى عناء أو بذل جهود إلى لغة غربية عن حياته اليومية صعبة معقدة معربة تخضع لقوالب معينة، أمر يعوق الفكر.

- أما آثارها في التربية فأنها تتطلب زمنا أطول للانتقال من العامية إلى الفصحى وهو انتقال من لغة إلى لغة أخرى مغايرة لها، وتولد الأعراض عن القراءة وكساد الأدب وطغيان القالب على المعنى وصعوبة كتب التدريس.

- أما آثار الازدواجية في تكوين الشخصية فتتلخص في لا مبالاة العرب بمراقبة لغة الأولاد واتسامهم بالمقارنة مع من هم في سنهم من الأولاد الغربيين بالعجز الظاهر في حسن التعبير.

- أما تأثيرها في الأخلاق فيتمثل أن القتل وكثرة الجرائم التي تسمى في الشرق دفاعا عن العرض والشرف ناجما عن آثار كلمات لها فعل السحر وأخيرا يبين اثر ازدواج اللغة في الفنون الجميلة ليستنتج أن العرب قد حرموا من المشاهدة والاستمتاع بالمسرح نتيجة الازدواجية1.

1- في اللغة العربية وبعض مشكلاتها، أنيس فريحه. بيروت: دار النهار، ص:19

خاتمـة:

يتّضح مما تقدم أن الوضع اللغوي بالجزائر يكتسي طابع التعدد، الذي غدا له الأثر الكبير في بناء تفاوتات لغوية و اجتماعية، وأنّ هذا التعدد اللغوي في الجزائر كما في باقي البلدان العربية أضحى مسألة معقّدة، فنحن في حاجة ماسّة إلى جهود لتنظيم هذا التعدد وترتيب الشأن اللغوي، من أجل التحكّم في نتائجه، والمهمّة لا يتحملها اللساني لوحده، كما يستعصي على السياسي تدبيرها لوحده، بل تعود مسألة القرار فيها إلى سياسة التخطيط اللغوي التي تقع مسؤولية إعدادها وتنفيذها على عاتق الدولة ومؤسساتها.

من أجل ذلك أصبح التخطيط اللغوي ضروريا على المستوى الوطني بهدف تكوين اتجاه عام يتمثل في سياسة لغوية واضحة الملامح يشارك في تنفيذها المعنيون بالأمر، نظرا لأنّ التخطيط اللغوي يستجيب لاحتياجات ذات طبيعة سياسية واجتماعية واقتصادية، فان عمليته ينبغي أن تضمّ في مراحلها المختلفة مختصّين في العلوم السياسية والاقتصادية وعلم اللغة الاجتماعي واللسانيات وغيرهم من الحاسوبيين والإحصائيين، كما يشارك في تنفيذ الخطّة اللغوية التربويون والإعلاميون والإداريون وغيرهم، فالمجامع اللغوية ومكاتب التعريب،وبنوك المصطلحات والكلمات، ومشاريع الترجمة الآلية بإمكانها أن تساعد الحكومات وأن تدعمها في مساعيها لوضع سياسة لغوية من شأنها أن ترتب المشهد اللغوي، وتضع سياسة لغوية.

مكتبة البحث:

1 -التعريب بين المبدأ والتطبيق : د. أحمد بن نعمان، شركة دار الأمة للطباعة والترجمة والنشروالتوزيع، الجزائر، ط 2، 1998.

2 -تنمية اللغة العربية في العصر الحديث، إبراهيم السامرائي، ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1973م.

3 -دراسات في اللغة العربية الفصحى وطرائق تعليمها، د.انطوان صياح، دار الفكر اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى 1995.

4 -الرؤية المعاصرة في الأدب و النقد، د. زكي العشماوي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ب.ط، ب.ت.

5 -ظواهر قرآنية في ضوء الدراسات اللغوية بين القدماء و المحدثين، د. البدراوي زهران، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1993.

6 -العربية و علم اللغة الحديث، محمد محمد داود ، دار غريب للطباعة والنشروالتوزيع ، القاهرة، 2001م.

7 -علم اللغة الاجتماعي- مدخل- د كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشروالتوزيع، القاهرة، ط3، 1997.

8 -علم اللغة وصناعة المعاجم،علي القاسمي، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، ط2004،3.

9 -الفصحى واللهجات: قراءة جديدة وملاحظات للدكتور محمود عبد المولى

10 -فقه اللغة العربية و خصائصها، إميل بديع يعقوب، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1985م.

11 -في رحاب اللغة العربية، عبد الجليل مرتاض، ديوان مطبوعات الجامعية، الجزائر،2004.

12 -في المسألة التربوية نحو منظور سوسيولوجي منفتح، مصطفى محسن: ، ط2، المركز الثقافي العربي، بيروت،2002

13 -في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، مطبعة أبناء وهبة حسان ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2003.

14 -في اللغة العربية وبعض مشكلاتها،أنيس فريحه. بيروت: دار النهار، بيروت، لبنان.

15 -في فقه اللغة وقضايا العربية، سميح أبو مغلي، ط1، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1987م .

16 -في اللغة العربية وبعض مشكلاتها،أنيس فريحه. بيروت: دار النهار، بيروت، لبنان.

17 -قضايا ألسنية تطبيقية، دراسات لغوية اجتماعية نفسية مع مقارنة تراثية، د. ميشال زكريا، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1993.

18 -قضايا لسانية وحضارية، د. منذر عيّاشي، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق،ط1، 1991.

19 -اللسانيات الجغرافية في التراث اللغوي العربي، د. عبد الجليل مرتاض، دار الغرب للنشر والتوزيع، ب.ط، ب.ت.

20 -اللغة العربية بين سوء الوهم و سوء الفهم، د. كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ب.ط، 1999.

21 -اللغة الفصحى والعامية د محمد عبد الله عطوات، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان،1424هـ - 2003.

22 -نحو عربية ميسرة، أنيس فريحة، بيروت 1955.

23 -مدخل إلى علم اللغة ،المجالات والاتجاهات، محمود فهمي حجازي، . ط4، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2007م.

24 -معجم اللسانيات الحديثة انكليزي- عربي، د. سامي عياد حنا وآخرون، مكتبة لبنان،د.ط،1997.

25 -المستوى اللغوي للفصحى و اللهجات و للنثر و للشعر، د. محمد عيد، دار الثقافة العربية للطباعة

26 -نظرية اللغة الثالثة،أحمد محمد المعتوق، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط5، 2005

27 - Krumbacher، Karl. (1902) Das Problem der Modern Griechishen Schriftsprache. Munich.

28-Marcais، William. (1930) «La Diglossie Arabe» L›Enseignement Public.

29- le langage signe de l'humain،B. Malamberg ..

30- Jean Dubois et autres : Dictionnaire de linguistique.

31- Vincent Monteil ; L'arabe modern ; Librairie C.Kinckseick; Paris;1960.

32- Sotiropoulous، Dimitri. (1977) «Diglossia and the National Language Question in Modern Greece،» Linguistics

33 - مجلة اللسان العربي، مكتب تنسيق التعريب الرباط المملكة المغربية، المجلد 17، ج1، 1399هـ- 1979م.

34 - مجلة المعرفة العدد 176 نوفمبر2009/ ذوالقعدة 1430وزارة التربية والتعليم المملكة العربية السعودية.

العولمة اللغوية

د. صائل رشدي شديد
– كليات التقنية العليا – الإمارات

مقدمة

يتغيا هذا البحث النظرفي العولمة اللغوية من حيث السيطرة والنفوذ وأثر ذلك على التعايش بين الأمم والشعوب، ويتحوط هذا البحث في الدخول في الانعزالية أو العصبية، الأمر الذي يتطلب منا فهم حقيقة كنه العولمة اللغوية وما يترتب عليها، وما هو المقصود منها على وجه الحقيقة، وما يمكن أن تصنعه مثل هذه العولمة على أفراد المجتمع الواحد. وعليه يكون النظرفي تاريخ اللغات التي استحوذ استخدامها على الأمم والشعوب مطلبا ملحا. ويناقش هذا البحث العولمة اللغوية في تطوراتها التاريخية وكيف تعاملت اللغة المسيطرة على فكر الشعوب الأخرى، وكيف أثرت في صناعة حضارتها. ويحاول البحث جاهدا رصد آثار العولمة اللغوية على ثقافة الأمم والشعوب وعلى التقارب الإنساني الذي يمكن رصده من خلال الأحداث المتلاحقة عبر التواصل الإلكتروني والتقني.

وينظر هذا البحث في السياقات اللغوية التي يمكن أن تتخذها العولمة اللغوية وكيف يمكن لمثل هذه السياقات أن ترسم واقعا لغويا مختلفا عما كانت عليه اللغة قبل هذه العولمة. ويحاول البحث جاهدا أن يرصد الإثراءات المتعددة والمختلفة التي يمكن أن تصنعها العولمة اللغوية، وأثر هذه العولمة اللغوية على اللغة العربية وعلى العرب أنفسهم. ويناقش هذا

البحث أثر هذه العولمة على التجانس المجتمعي والاختلالات التي يمكن أن تسببها العولمة اللغوية على هذه المجتمعات. ويجتهد البحث في النظر في أثر العولمة اللغوية على التعدد اللساني، ومكانة اللغات الأخرى، وهل مثل هذه العولمة تعمل على موت اللغات الأخرى ومحوها عن الخارطة اللغوية؟. وهل يمكن للغة مسيطرة الآن أن تختفي نهائيا في المستقبل وما دور العولمة اللغوية في صدام الحضارات؟، أم أن العولمة اللغوية تعمل على تقارب الحضارات؟! كل هذه الأسئلة يحاول البحث جاهدا الإجابة عليها من خلال دراسة منطقية، وواقعية مع محاولة لرصد الأدلة والاستعانة بالشواهد اللغوية والأحداث التاريخية في إثبات ما نذهب إليه من آراء وأفكار نؤمن بها.

-العولمة اللغوية:

اختلف كثير من الباحثين في تعريف العولمة اللغوية، وتحديدها بدقة واتقان لكي يتسنى لهم التأصيل في مجال العولمة اللغوية. وسأختصر الأمر لأدخل في تعريف العولمة اللغوية كما أراها بأنها: تغليب أو مشاركة استخدام لغة ما خارج نطاقها الجغرافي في كثير من مسارب الحياة على اللغة الأم لشعب من الشعوب الأخرى والتي كان يعبر عنها في شتى مجالات حياتهم المعيشية والفكرية والثقافية والدينية والاقتصادية.

وبهذا يتضح لنا أن العولمة اللغوية هي نوع من أنواع السيطرة على الآخر في الجانب اللغوي، وهو أشد وأخطر أنواع العولمة على الإطلاق، ذلك لأن العولمة اللغوية تعني بالضرورة السيطرة على الآخر في كثير من الجوانب: المعرفية والثقافية والفكرية والسلوكية والأخلاقية وحتى يمكن أن تصل إلى الدينية. ولا يفهم هنا أن عكس العولمة اللغوية الإنعزالية عن

الآخر، والابتعاد عنه، أوبثّ روح العصبية المجردة للأنا، مع رفض الآخر وما يملك من مهارات وإبداعات وخبرات متنوعة.

إن المسألة غاية في التعقيد وغاية في اليسرفي آن واحد. وذلك لأن اللغة أداة لإنتاج المعرفة، والمعرفة ليست محكورة على أحد البتة، وغيرمقتصرة على شعب دون شعب أو أمة دون أمة وهذا يعني أنها غير مقصورة على لغة معينة. وعليه يكون التعارف والتآلف خيرلنا من أجل تبادل المعرفة التي تتوزع على لغات العالم. وبهذا فإن التعصب اللغوي الأعمى مرفوض بالجملة. ولكن الاعتزازباللغة الأم والتي هي ذاكرة الشعب التي يختزن فيها قيمه التي تعلمها بلغته، وتراثه الذي كتبه بلغته، ومفاهيمه التي عبرعنها بلغته. وبات من الضرورة معرفة لغة أخرى في الوقت المعاصر من أجل سرعة نقل المعرفة ومن أجل التطور العلمي والتكنولوجي.

-اللغة بين السيطرة والنفوذ:

ولكن عند النظر بتبصر إلى كنه العولمة اللغوية وحقيقتها نجدها غير ذلك، فالغرب لاسيما الممثل باللغة الإنجليزية يسعى بكل حيلة وقوة من أجل نشر اللغة الإنجليزية، من أجل نقل الثقافة الإنجليزية وسلوكها إلى الآخر، وقد خطا الغرب في ذلك خطى كبيرة ومتقدمة، بحيث أصبح كثير من أبناء العربية يستحي من العربية ويخجل منها ، ويحاول أن يصفها بأنها لغة متحفية، عاف عليها الزمن. وبما أن اللغة ذاكرة المجتمع، فإن انحسار العربية يعني فقدان الذاكرة العربية وما تحمل من ثقافة وعلم وأدب وأخلاق وقيم ودين. وهذا ما نحذر منه في العولمة اللغوية. إننا لانرفض الآخرولكن نرفض الهيمنة والسيطرة على ذاكرة الآخر.

إن سيطرة لغة على لغة يعني بالضرورة تزايد نفوذ اللغة المسيطرة، وأصبح الاعتقاد السائد حاليا أن إتقان الإنجليزية يعني الوظيفة القيادية، ويعني الراتب المتميز، ويعني في كثير من الأحايين الرقي والطبقة الأرستقراطيةّ!!!!! لقد أصبح النادي الإنجليزي محطّ استقبال لكثير من أبناء العرب، بل أصبح هذا النادي قبلة لمن أراد أن يغير من حياته الاجتماعية والاقتصادية. إن نفوذ اللغة الإنجليزية بدأ ينحو منحى غير أخلاقي في نشر اللغة الإنجليزية وثقافتها وما يتبعها. وهذا ما نعترض عليه، إن الغرب أخذ ينشر الإمبريالية اللغوية في كثير من الدول لا سيما في الدول العربية.

-تاريخ اللغات وإرهاصاته:

ليس المقصود هنا النظرفي تاريخ اللغات من الناحية التاريخية المجردة، ولكن ما أريده هنا هو نظرة سريعة في تاريخ اللغات لنستشرف الحاضر والمستقبل. ما هو معلوم لدينا أن أول من تفتق لسانه بالعربية المبينة هو سيدنا إسماعيل عليه السلام. والعربية تسيرفي مسربين ؛ المسرب الأول: وهو ثابت فيها ولا يتغير وهو ما تملكه العربية من معجم سابق وتراكيب نحوية وأبنية صرفية، وتعبيرات عرفتها وأنساق تستخدمها. والمسرب الثاني: وهو المسرب المتعلق بالتطور اللفظي، والاختراعات العلمية والتكنولوجية .أما اللغة الإنجليزية فهي لغة لا تملك المسرب الأول الذي تملكه العربية ، وذلك لأنها عبارة عن مجموعة من اللغات واللهجات ائتلفت وكونت ما بات يعرف بالإنجليزية. فكما نعرف أن هناك الإنجليزية القديمة والإنجليزية الوسطى والإنجليزية الحديثة. ومن الملاحظ أن الإنجليزية لا تثبت على مستوى من المفردات أو التعبير، بل على العكس فهي لغة مختلفة فيما بينها، وهي لغة لا تستطيع الثبات على نسق معين

من المفردات وأنساق التعابير المتعارف عليها. ولذلك نجد أن اللغة الإنجليزية بعدم ثباتها في المسرب الأول أدى إلى انقطاع الصلة بين أجيال هذه اللغة. ونريد أن نخلص هنا إلى أن الإنجليزية لا يمكن لها أن تكون لغة يعتمد عليها في التواصل بين الأجيال عبر التاريخ بعكس العربية التي ربما تعد اللغة الوحيدة في العالم التي يمكن أن يتم التواصل بين الأجيال من خلالها. وعليه فالعربية هي اللغة الوحيدة في العالم التي يمكن أن تكون لغة عالمية يمكن الاعتماد عليها في التواصل والتلاقح العلمي والإندماج الحضاري بين الأمم والشعوب والتواصل السليم بين أفرادها والناطقين بها. وهي بذلك تستحق أن تكون لغة العولمة.

وقد يقول قائل: إن العربية الآن لا مكانة لها وأنها مجرد لغة تراثية، أو ظاهرة أنثربولوجية!!! فهي ليست لغة العلم الآن وليست لغة الحضارة!!! في ظاهر هذا القول قد يكون الكلام صحيحا ولكن إذا دققنا النظر وأمعنا التبصر في هذا القول لوجدناه قولا خاطئا. فإقصاء العربية لم يكن بسبب قصورها أو عدم قدرتها على منازلة اللغات الأخرى أو عدم تواجدها في معظم المسارب اللغوية والمعرفية. بل جاء نتيجة لأسباب سياسية وأيديولوجية فرضت عليها في زمن الضعف العربي، وانهيار منظومته السياسية والفكرية والاقتصادية. إن العرب قادرون على إنتاج المعرفة إذا ما أتيح لهم ذلك، ولغتهم من أقدر اللغات التي يمكن لها أن تجد مصطلحات للمعرفة الجديدة. إن على العرب السعي الدؤوب علميا وإعلاميا ليكون لهم مكانة مرموقة في عصر المعرفة الجديدة والتكنولوجيا المتطورة ومن ثم يقوموا بتجسيد ذلك في لغتهم لتكون واقعا متمكنا ويواجهوا تلك العولمة المتغولة.

-الآثار المترتبة على العولمة اللغوية:

إن المتبصرفي العولمة اللغوية يجد أنها أثرت تأثيرا كبيرا في أدق تفاصيل حياة الفرد، بله المجتمعات والدول. وكان لهذا التأثير دور كبير في إعادة بناء المنظومات الاجتماعية والفكرية والثقافية والاقتصادية والسياسية والتعليمية. ولأن الأمر كذلك سارعت كثير من الدول للتحوط من هذه العولمة. وما يهمنا هنا العولمة اللغوية وتلك الآثار التي عكستها على الحياة بمناحيها المتعددة، ومن هذه الآثار:

1 -أثر العولمة اللغوية على الأفراد:

لقد أحدثت العولمة اللغوية ما يمكن أن أسميه: بالصراع الداخلي الصامت. وأعني هنا ذلك الصراع المتولد داخل نفوس أصحاب اللغات الذين هم خارج دائرة إنتاج المعرفة وصناعة التكنولوجيا، و النعرة في نفوس أصحاب من هم منتجو المعرفة وصانعو التكنولوجيا. صراع متضاد؛ فالأول يشعر بالضعف والتبعية والثاني يشعر بالكبرياء والسيطرة، وأنه متبوع لا تابع. ولهذا نجد كثيرا من أبناء العربية من يسعى لتعلم لغة ثانية، ليس من أجل التطور بحد ذاته ولكن من أجل التباهي أمام أبناء لسانه، وتسويق نفسه أمام الآخر. إنني لا أرفض هنا تعلم لغة أخرى على العكس تماما، ولكني أدعو إلى عدم التقوقع داخل نفس مهزومة نتيجة لواقع مفروض علينا، مع السعي لتعلم لغة ثانية من أجل نقل المعرفة والتكنولوجيا ومن ثم الانتقال بسرعة إلى نادي منتجي المعرفة وصناع التكنولوجيا بلغة الأم التي يمكن لها أن تستوعب كل التقدم العلمي والمعرفي. لقد عملت العولمة على إحداث تغيير في تكوين سلوك الأفراد، واتصف هذا التغيير بأنه غير متناسق مع أفراد البيئة الواحدة

تبعا لمدى تأثر كل فرد في العولمة، الأمر الذي أدى إلى تصدع في العلاقات الفردية الفردية. وأصبح عندنا ما أطلق عليه بالعولمة الفردية؛وهي تأثر كل فرد بنسق مختلف من أنساق العولمة مما أدى إلى عدم تناسق أفراد المجتمع بطريقة تنتظم فيها العلاقات بمساربها الصحيحة التي بنيت عليها.

2 - أثر العولمة اللغوية على المجتمعات:

يمكنني القول وبدون تردد أن العولمة اللغوية أدت إلى تمزيق البنية الاجتماعية في المجتمعات بشكل عام ، وبالمجتمعات العربية بشكل خاص؛ وذلك لأن المجتمعات العربية كانت ومازالت محطة تجارب للعولمات الغربية، أولنقل لدول العالم الأول، وحتى لدول العالم الثاني، الذين ابتعدنا عنهم لنسير نحو الأسفل. وكل ذلك بسبب العولمة اللغوية التي ضربت أوصال المجتمعات العربية، التي تفرقت بين عولمة أمريكية وأخرى فرنسية وأخرى ألمانية وأخرى يابانية، حتى بتنا نستمع لبرامج عن حياة الشعب الياباني، وكيف تسير أمورهم اليومية وغدا تقليدهم مطلبا ملحا، بل تعدى الأمر اليوم لأن نحاول تقليد التعليم في الدول الإسكندنافية، وأصبح مناط التعليم عندهم هاجسا عندنا، وأخذنا بمحاولة نقل التجربة الإسكندنافية في التعليم!!!! ومن العجيب أننا أصبحنا نرى المجتمعات العربية عبارة عن وحدات مستقلة كل وحدة تعزف سيمفونية مختلفة عن الأخرى بحسب تأثر كل وحدة بالعولمة التي أثرت عليها، ووصل هذا الانقسام إلى داخل الأسرة الواحدة، إذ تجد فيها من يتغنى بالعولمة الألمانية وآخر بالفرنسية وآخر بالأمريكية وآخر بالإنجليزية وكل يرطن بلغة من تأثر به، فتعددت الألسن العربية لتصبح

خليطا من اللغات وليس من اللهجات العربية، بل تعدى التأثير اللغوي ليصبح تأثيرا على الثقافة نفسها والسلوك نفسه.

3 -أثر العولمة اللغوية على اللغات الأخرى:

الناظرفي هذا النوع من التأثيريجد أن اللغات الأخرى أقل تأثرا بالعولمة اللغوية من اللغة العربية!!! وذلك يرجع إلى اعتزاز الشعوب الأخرى بلغتها، مهما كانت لغتها ضعيفة، فهذه فيتنام تلغي التعليم باللغة الإنجليزية بعد التخلص من وجود الاستعمار الأمريكي على أراضيها مباشرة، وفي وقت قياسي. إذن فالأمر يحتاج إلى قرار سياسي من صاحب السلطة، ولكن مثل هذا القرار غير موجود عندنا في الوطن العربي ليكون التعليم في جميع مراحله باللغة العربية وإن وجد فهو غير مفعل إلا في قليل من البلدان العربية.

ومع ذلك لا يمكن أن ننكر أثر العولمة اللغوية على كثير من اللغات الأخرى والشعوب المتعددة. فهذه اللغة الإنجليزية تغزو الصين، واليابان وروسيا، ويصبح تعلمها مطلبا ملحا، ولكن ضمن ضوابط معينة. وتعدت العولمة اللغوية لنجدها تصل إلى شاشات الفضائيات في فرنسا وألمانيا وغيرهما من الدول الأوروبية. بل أصبحت الإنجليزية تنافس الفرنسية والألمانية في الاتحاد الأوروبي نفسه. ولكننا نجد الفرنسية تحتل مكانة كبيرة في القارة السمراء، بل إن الفرنسية حلت حلولا كاملا مكان لغة الأم في بعض بلدان القارة الإفريقية. وهذا الإحلال أثر على ثقافة هذه الدول، بله على انتمائها القومي. فأصبحت هذه الدول تدين بالعرفان والجميل لفرنسا وثقافتها، حتى وصل الأمر إلى اتباع السلوك الفرنسي بأدق تفاصيله. وأثرت العولمة اللغوية على اللغة العربية، حتى أصبحنا نرى

التعليم الأساسي في بعض الدول العربية أصبح بالإنجليزية، وهذا الأمر عواقبه وخيمة جدا. إذ أصبح الفرد هناك لا يتقن التحدث بالعربية، حتى أنه الآن لا يقيم جملة في العربية سواء أكانت كتابة أم محادثة. إن على هذه الدول العربية أن تتنبه للعواقب المستقبلية والتأثيرات المستقبلية على شعوبها إذا ما استمر إحلال الإنجليزية مكان العربية، وساعتئذ ولات حين مندم.

لقد أدت العولمة اللغوية كما ذكرنا إلى موت بعض اللغات وبموت اللغة يعنى بالضرورة تغيروتبدل العادات والتقاليد والثقافات والسلوكيات التي كانت سائدة قبل موت لغة ما. ولكن ما شأن العربية مع العولمة؟ ذكرنا فيما سبق كيف أن العولمة اللغوية أثرت على العربية تأثيرا كبيرا. ولكن هل يعني هذا موت العربية في المستقبل؟! وهل ارتباط العربية بالمقدس يعني أنها ستبقى لغة خالدة؟

أقول هنا: أن العربية تأثرت تأثرا كبيرا من العولمة اللغوية، وأنها تعرضت إلى محاربة شرسة من قبل أبنائها ومن قبل الآخر، وحاولوا جميعا إنهاء العربية، وجعلها ظاهرة أنثربولوجية. لكن هذ الأمرلم يكتب لأعداء العربية وإن استطاعوا هزيمتها في كثير من الأماكن. والسؤال هنا عن سبب فشل إنهاء العربية من خارطة اللغات؟

أرى أن الأمرلا يتعلق بارتباط العربية بالمقدس (القرآن الكريم)، وإن كان للقرآن الكريم دور كبير في الحفاظ على العربية، لا يمكن لأحد أن ينكره البتة. لأن الله جل شأنه تعهد بحفظ القرآن الكريم من التحريف، ولكن لم يتعهد بحفظ اللغة العربية. لذلك أنيطت إلينا نحن العرب مسؤولية حفظ اللغة العربية من الضياع والاندثار، بل علينا نشرها في جميع أنحاء العالم. لذلك علينا العمل على ما يعرف بالتخطيط اللغوي

للغتنا العربية والاعتماد على انتشار العربية جغرافيا في كثير من المناطق، وأن نعتمد على أن العربية مرتبطة عند المسلمين بالمقدس ، وهذا عامل مهم في تمكين العربية، وسرعة انتشارها، وتأثيرها على اللغات الأخرى.

إن تجذر العربية عبر التاريخ ومحافظتها على معجمها في مسرب مفردات اللغة من الضياع أو الإهمال إلا في حدود ضيقة ومفردات معدودة محصورة، ضمن تغير الدلالة. وقوة العربية من جانب آخر؛ إذ تملك نظاما لغويا فريدا. وسعي المخلصين من أبناء العربية على بقائها حية هو الذي أدى إلى بقاء العربية إلى الآن بالرغم مما تعرضت لها من محن ومكائد كثيرة.

-أثر العولمة اللغوية على التعدد اللساني:

وفي هذا السياق نتساءل عن أثر العولمة اللغوية على التعدد اللساني سلبا وإيجابا. يظن البعض أن العولمة غير قادرة على فعل فعلتها على الاختلاف العرقي، الذي ينشأ عنه بعض من التعدد اللساني، و كذلك من اختلاف اللهجات في البلد الواحد. إن المتبصر بحديث بعض من متعلمي اللغات الأخرى يلحظ أنهم يدخلون كثيرا من الكلمات الأجنبية أثناء حديثهم. حتى أن بعضا من هؤلاء لم يتلق تعليمه بلغة أجنبية إلا أنه يزاوج في حديثه بين لغته الأصلية ولغة أجنبية يفتخر بها!!!. بل إن المشاهد لبعض القنوات العربية، يلحظ أن مقدم البرنامج يخلط بين لغة المشاهدين وبين اللغة الأجنبية التي يعتز بها!!!! الأمر الذي بدأ يقلق سكينة المشاهدين ويؤثر عليهم تأثيرا مباشرا. إن التعدد اللساني إن كان يجمع بين العربية الفصيحة واللهجة العامية فهذا يدل على عدم تمكن المتحدث من امتلاك ناصية اللغة العربية الفصيحة. أما إن كان التعدد اللساني يجمع بين العربية الفصيحة ولغة أجنبية فهذا يدل على تأثير

العولمة اللغوية على التعدد اللساني؛ ويكون اختياره للغة الأجنبية التي تحدث بها دليلا على اعتزازه بها أكثر من لغته الأم، حتى وإن ادعى غير ذلك. فهو مهزوم من الداخل.

ولكن ما أثر العولمة اللغوية على لغة أقلية تعيش في دولة تتحدث بغير لغة هذه الأقلية؟

في هذه الحالة يتجاذب لغة الأقلية عدة مؤثرات منها؛ تأثير لغة الدولة الرسمية التي يعيشون فيها، وهو تأثير كبير، لا يمكن إغفاله لأنه بدون تعلم لغة الدولة لا يمكن الشعور بالانتماء الحقيقي أو الشعور بالأمن الاجتماعي في هذه الدولة أو الأمن الوظيفي....الخ. لذلك تفقد هذه اللغة جزءا من مكانتها في داخل نفوس أبنائها. وتأثير ثان تقع تحت وطأته وهو تأثير اللغة الأجنبية التي تؤثر على لغة الدولة الرسمية وعلى لغتهم الخاصة بهم كأقلية. وهذا يعني أن يستخدموا اللغة الأجنبية التي ستأخذ كذلك جزءا من مكانة لغتهم الأصلية التي يتحدثون بها فيما بينهم. وبهذا فإن التعدد اللساني يشكل خطرا كبيرا على تناسق مكونات المجتمع والدولة. وبهذا يجب علينا الانتباه للتعدد اللساني داخل الدولة الواحدة ويتم علاج المشكلة من خلال التوازن بين منظور الهوية الواحدة، ومن خلال منظور الحرية وتحقيق الذات. أما وسائل تحقيق ذلك فيعتمد على سياسة الدولة، والبرنامج الذي يمكن أن تعتمده بالاتفاق مع هذه الأقلية.

-أثر العولمة اللغوية على صدام الحضارات وتقاربها:

لا شك أن للعولمة اللغوية أثر في تقارب الحضارات أو صدامها، وذلك لأن اللغة لها دور في تفاعل الشعوب معا. إذ تعمل اللغة على توصيف ماتحمله الحضارات لبعضها البعض. فالحضارة الغربية تجاهر في منظومتها اللغوية بالعداء للعرب والمسلمين وبالأخص من خلال العولمة الإعلامية ،

التي يملك الغرب فيها النصيب الأكبر، والذي يوجه ضد الحضارة العربية والإسلامية. إن العولمة اللغوية هي التي تقود زمام الصراع بين الحضارات، وذلك لأنها تعبيرعن رأي معين، وهي تعبيرعن خطط، وآمال وطموحات. ولا يوجد صراع، أوتقاتل قبل الكلمات، فالكلمة هي بداية الصراع، لذلك فالعولمة اللغوية والتي تحمل في ثناياها صراعا مريرا بين الحضارات تعمل على إكساب الصراع صفة الحضارة في بعض الأحايين. إن اللغة تعبيرعن قوة صاحبها، ودليل على رقي متكلميها، واللغة نفسها تبدأ الحرب وهي نفسها تنهي الحرب. والناظرفي أدبيات الغرب يجد كيف أن لغة الخطاب لغة عدائية تدعو إلى الصدام والقتال. إذ عمل الساسة كثيرا على تفعيل دور الإعلام ليكون معاديا للحضارة الإسلامية والعربية، وبتنا نرى كيف أن مفردات الإرهاب ملصقة بالإسلام والمسلمين، بل نعتوا الحضارة العربية الإسلامية برمتها بالإرهاب، بل ذهبوا لأبعد من ذلك حينما نعتوا القرآن الكريم ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم بالإرهاب. وليس إحراق المصحف والرسوم المسيئة للرسول الكريم إلا أنصع دليل على ذلك. إن مثل هذه الانفعالات اللغوية السلبية تؤدي حتما إلى الصدام الحضاري. إن التجييش اللغوي يلعب دورا كبيرا في تنافر الأفراد والشعوب والأمم والحضارات. واللغة التي نتحدث بها عن الآخرتلعب دورا مهما في التقارب أو الابتعاد بين الأمم والشعوب وعليه تكون العولمة اللغوية هي بداية الصراع وهي نهايته.

ومن هنا يتبين لنا أن على العرب أن يملكوا ناصية العولمة اللغوية لكي يتمكنوا من بسط نفوذهم على الواقع الخطابي بين الأمم والشعوب. وعليهم أن يتنبهوا إلى أهمية وخطورة الدرس اللساني في قيادة الخطاب اللغوي السياسي وتوجيهه توجيها يتناسق مع فلسفة التقارب والتراحم بين الأمم والشعوب.

ظاهرة التعدد اللغوي وتاريخها في الجزائر:
(دراسة في منظومة المصطلح ومدونة المفهوم)

د / محمد الأمين خلادي - جامعة أدرار- الجزائر

تحديد المصطلحات: التعدّد اللساني . اللغة الجامعة . اللغة الوطنية . اللغات الأجنبية . التسامح اللغوي . الهيمنة اللغوية . التعايش اللغوي . الانجراف اللغوي . الاحتكاك اللغوي . اللغات الأقطاب . الازدواجية اللسانية...

على القائمين بالبحث أن يولوا وجهتهم شطر الدرس اللغوي العملي اليومي ومتابعة تمظهراته وتطوراته التاريخية في الجزائر؛ لا ليجمعوا الأسباب والعوامل وصور النشأة والتشكل داخل الوطن وخارجه والعناية بالوصف والجرد؛ وإنما من أجل التعجيل بأدوية منهجية معرفية وطنية للأدواء المستشرية المحيطة بالظاهرة اللغوية بالجزائرفي كل مستوياتها.

وإن كان المسلم به يقينا هوأن عملية تعلم اللغة الصحيحة مشروط بإعداد ذلك في المراحل الأولى لتعلم الطفل الجزائري وتعليمه؛ فإن المعول عليه في الوسط الاجتماعي الجزائري حاليا أن ندقق في توجيه آليات التدريس اللغوي إلى مستوى أعلى من الإتقان والاهتمام لدى المربين والمعلمين وسائر المدرسين، في دور الحضانة والروضات والمدارس

القرآنية والزوايا والنوادي وكل المؤسسات المعنية بتربية الطفل وخدمته والمدارس الابتدائية... من جهة تكوينهم منهجيا وتعليما نفسيا واجتماعيا تربويا وتوازنا بين التدريب على الكفاءة وتطمينا من جهة الكفاية المادية والمعيشية، لا الاكتفاء بالجانب العلمي والمعرفي فقط وكيفما اتفق.

ناهيك عن تحمل الإعلام الرسالي مسؤولية تعليم الأولياء آليات الأخذ بأبنائهم تجاه التدريب المنهجي والنفسي السليم في التعامل اللغوي اليومي داخل البيت وفي الشارع، ونحن نقر – والحمد لله – أن الجزائريين على صورة محمودة – إلى حد لا بأس به - في ذلك التعامل وسط الأسر وفي البيوت، سواء أتعلق الأمر بالمناطق الشمالية والغربية والشرقية أم بالوسطى والداخلية والجنوبية...

ومنه فلا يعقل الحديث عن ظاهرة التعدد اللغوي وتاريخها في الجزائر إلا بالحديث عن حال التربية اللغوية في الأسرة الجزائرية وفي المستويات التعلمية للغة العربية والفرنسية والإنجليزية وغيرها وعلاقة ذلك كله بالعامية وسائر اللهجات و الأخلاط اللهجية ناهيك عن حقيقة اللغة الجامعة وعن وجودها أو عدمها بين صفوف الجزائريين...؟!

والتعدد اللغوي سنن الحياة وشرط من شروط توازنها في الحياة الدنيا؛ والكتاب العزيز أكد على هذه الفطرة قال تعالى"وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ، إِنّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ. الروم:22؛ لكن السر في مدى الحفاظ على اللسان ذي الهوية المخصوصة للمتكلمين بذلك اللسان؛ ولا ريب أن اللسان العربي مفضل بالوحي، وليس معنى هذا إقصاء غير اللسان العربي ،كما أن السنة المطهرة بينت حقيقة الغاية التي لخصت في التقوى ضمن خطبة حجة الوداع للنبي ـ

صلى الله عليه وآله وسلم _ لما قال: "إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد ، فلا فضل لعربي على أعجمي ولا أحمر على أسود إلا بالتقوى"1

من أجل ذلك سأحاول التركيز -في ورقتي- على عرض الظاهرة من جهة الكيفيات البديلة للواقع اللغوي المتعدد المعيش في الجزائر، منطلقا من ضبط المصطلحات المعتمدة في بحث تلك الظاهرة ومعرفة الشروط والضوابط التي نحسبها أصولا في نقد الظاهرة؛ لأن مفتاح المصطلح وخطورة استعماله من غير هدى يكون وبالا على تلقي المفهوم، فيعيق ذلك عملية التوصيل والإفهام، ومن تلك المصطلحات: التعدّد اللساني. اللغة الجامعة. اللغة الوطنية. اللغات الأجنبية. التسامح اللغوي. الهيمنة اللغوية . التعايش اللغوي . الانجراف اللغوي . الاحتكاك اللغوي . اللغات الأقطاب. الازدواجية اللسانية – تعليمية اللغة العربية – أثر الفصحى في الفهم والإفهام والتفاهم والسلوك – آثار الخلط بين اللغات في الحديث – تعليمية التوفيق بين الاستعمالات اللغوية المتعددة حسب المقامات والأسيقة -...

ثم بحث الظاهرة ونقدها من خلال أسئلة من مثل:

-هل تذيع تلك الظاهرة في خطورتها عند مجتمعات غير المجتمع الجزائري؟ لم وكيف؟

-ما هي الآلات المنهجية والرسمية لتجاوز أزمة التعدد اللغوي في صوره السلبية؟

1-من نص خطبة حجة الوداع

-أي دور يجب أن يؤديه المعلم والمتعلم تجاه التعدد اللغوي بين فريضة الاستعمال و قناعة التغيير؟

وقس على ذلك من أشباه تلكم الأسئلة والانشغالات والمسائل...

1 - تنامي التعدد اللغوي في تاريخ الجزائر وحقائقه:

تاريخ اللغة العربية موصول بالفتح الإسلامي في بلاد المغرب الإسلامي؛ والجزائر سابقة لاعتناق الضاد لغة القرآن الكريم والمعجزة المحمدية؛ فازدان اللسان الجزائري بتلك اللغة من خلال فضيلة الفتح الإسلامي، وتعامل أهل الديار الجزائرية المحروسة قرونئذ بالعربية في سائر حيواتهم سلما وحربا وأمدتهم بالتواصل العالمي مع دول عديدة.

وبالطبع إن العربية في بداية الفتح وما بعده بعقود غير قليلة كانت على خير حال متجانسة مع البربرية واللهجات الأصيلة في البلاد ، كما أنها اللغة التي تقع في الواجهة وقد احتفل السكان الأصليون بها متبركين بانتسابها للقرآن ونبي الإسلام – صلى الله عليه وآله وسلم-؛ كيف لا وهي تلك الملة التي أخرجتهم من الظلمات إلى النور وأذهبت عنهم الرجس ودفعت عنهم العدوان والتسلط من أعدائهم الذين أذلوهم زمنا طويلا؟!

ومما شجع على انتشار اللغة العربية في أوساط الأمازيغ والعرب تواصل هجرات الدعاة من التابعين – رضوان الله عليهم – وجموع العلماء والدعاة والأمراء والقادة ؛ وقد قويت تلك الحركة في عهد عمر بن عبد العزيز –رضي الله عنه – ووواليه إسماعيل بن عبيد الله بن أبي مهاجر الذي « رغب البربر في مزايا الإسلام فاعتنقه من بقي منهم مشركا، أو مسيحيا، أو مترددا، وعكف على تمكين الإسلام من نفوس المسلمين

الجدد، بنشر الثقافة الدينية ، وتعليم الناس الفرائض، والحلال والحرام، وبفضل عدم انقطاع سبيل الهجرة إلى المغرب، هجرة الرجال وتنقل أرباب المذاهب والأفكار، تعلم السكان مبادئ الدين والعربية وحفظوا القرآن»1، ومنه يستلزم سلامة العيش والتعايش بين أولئك الأقوام والأجناس والألسن بفضل وحدة الدين الإسلامي وسماحته؛«لقد تمثلت قوة العربية كأداة لانتشار الإسلام في وصف الأحداث والتعبير عن المشاعر الملتهبة، أما في موضوع العلاقات المنطقية فلربما كانت أقل درجة من اللاتينية مثلا. لكن بما أن العربية كانت أداة جيدة للتعبير عن النظم الفلسفية الكبرى، فلا شك إنها قادرة على التكيف بالفلسفة الحديثة. ذلك كان رأي أحد المستعربين من الدانمارك الذي شارك في الرد على أسئلة الاستفتاء. والواقع الحاضر يؤيد فكرة الترابط بين الدين والعربية لكونها شريكة الإسلام في سموّه ومقامه، وأن حركة التعريب لا يمكن فصلها عن حركة نشر الإسلام، لأن الكتاب المنزل جاء باللغة العربية التي بلغت مكانة أصبحت معها كل ترجمة دنساً لقداستها.ولهذا وجب على كل من اعتنق الإسلام تحصيل العربية».2

ويعرف من هذا مدى سلامة التلقي الفطري الذي تعلمه الخلفاء – رضوان الله عليهم - من حضرة النبي -صلى الله عليه وآله وسلم – ولقنوه الأتباع والتابعين ثم نقلوه إلى إخوانهم في الدين من الأمازيغ ببلاد المغرب، والسماحة والتربية النموذجية التي عرف بها الفاتحون والدعاة وصلت الكلمة الطيبة إلى كافة الخلق في الساكنة.

1- موسى لقبال ، المغرب الإسلامي منذ بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج سياسة ونظم ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ط: 3 ، 1984، ص 132.

2 محمود المنجي الصيادي، التعريب وتنسيقه في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط4، لبنان: 1984، ص524، 525

ومهد الفتح الإسلامي لمرحلة كبرى في تاريخ اللغة العربية ؛إذ بلغت الآفاق وصدحت بها أصوات الأعاجم والمازيغ وغيرهم من الروم والفرس والوندال... «والملاحظ أن العربية قد استجابت لما هو مطلوب من لغة خصصت للوحي، فكانت اللغة المناسبة لنقل الفكر الإسلامي، لما أضفى عليها من قدسية بداية من نزول الوحي، فإذا كانت العربية كأداة نقل للإيمان قد تقدمت وارتبط رقيها مباشرة بمراحل النزول، فإنها كتعبير عن الحضارة الإسلامية لم تعد ملكا للمسلمين وحدهم، مهما غلب عددهم.وبذلك اكتست العربية صبغة الأداة العالمية لنقل الحضارة بكافة مظاهرها ومناحيها»1.

رغم ذلك فإن العربية العتيقة حافظت على سلامتها في القرون الأولى؛ حتى إن لهجاتها كانت فصيحة يعتد بها في الاستعمال والاستشهاد، وهو مظهر صحي للتعدد اللغوي الذي لا يثير الرعب وسط المتكلمين بالعربية وغيرها؛ كالذي تحياه معظم الدول العربية اليوم من تنوع لساني غريب يتعايش إلى حد ما لكنه تعايش لا يؤدي إلى الارتياح في الغالب... ولمزيد المقارنة بين حال العربية مع لهجاتها قديما بحالها اليوم وسط اللهجات يطالع البحوث المختصة في ذلك2.

2 -الطفل وتربيته بين محورية التعلم وتوجيه سياسة التعدد اللغوي في الجزائر:

لا يمكن التفكير في الظاهرة المدروسة ههنا إلا برعاية النقطة المركزية في المعالجة لكشف الداء وأسبابه وحيثياته وكذا اقتراح الدواء؛ إنها

---

1 م.ن ، ص 544.

2 ينظر: د .محمد الحباس ، (مقال) ، مجلة اللغة العربية ، المجلس الأعلى للغة العربية ، الجزائر ،ع 8،2008، ص 275،295.

- عبد الرحمن الحاج صالح ، م.ن، ص 11، 12

نقطة الفئة المخصوصة بالنظر الواقعي والاستشراف على حد سواء، هي فئة الأطفال التي تعد المنشأ الأول لمعطيات الظاهرة من تعدد لغوي ولغة جامعة، وهلم جرا.

كل البحوث العالمية الجادة لا تنطلق من التكرار أو التراكم في دراسة تلك الموضوعات، وإنما يقوم منهجها عل استثمار النقد السابق والنتائج المعللة وبناء الرؤية المستقبلية القائمة على تخطيط رصين رزين؛ ومنه فالطفل وتربيته تربية لغوية مناط كل بحث يرقى إلى هدف النجاح، الذي يوصلنا إلى تجاوز الأزمة المدروسة.

يعالج الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح المسألة من باب الرصيد اللغوي للطفل العربي؛ إذ يسأل فيقول « الصعوبة في تحصيل الملكة اللغوية لا تتركز فقط في صعوبة تعلم القواعد النحوية بل أيضا في عدم استجابة المادة اللغوية التي يجدها المتعلم في نصوص الدرس اللغوي وغيره لما يتطلبه التعليم الناجح المفيد ، فبم تتصف هذه النصوص التي تقدم للطفل الصغير ؟».1

من هنا نعلم جذور السلبيات التي تعلق بالتربية اللغوية لدى الطفل باعتباره النواة الأساس في تعلم اللغة وسائر المعارف التي لا تستوعب إلا باللغة؛ ومن السلبيات تشحين ذهنه بقاموس مكثف منضغط تختلط فيه المواد الضرورية والكمالية والتي فوق مستواه الذهني والعمري والنفسي...، فتترسب تلك المواد محفوظة متراكمة دون تفعيل صحيح، بل وتزداد خطورتها لما تمتزج بلغة ثانية ولتكن اللغة الأجنبية عن اللغة

1 - عبد الرحمن الحاج صالح، الرصيد اللغوي للطفل العربي،وأهميه الاهتمام بمدى استجابته لحاجاته في العصر الحاضر (مقال)، مجلة الممارسات اللغوية، مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، جامعة تيزي وزو، الجزائر، العدد 1، 2010 ، ص 11

الوطنية ناهيك عن العامية واللهجات وربما لغات أخرى؛ وثمة أمل قائم دوما لكنه يحتاج إلى تنمية ورعاية أكثر مما هو عليه حال الطفل الجزائري الضحية، إذ نجد بعض الرؤى التي تتفاءل مهما تعانيه الساحة التربوية من تخوش على المستوى1.

وعليه فالخطورة هذه محط أنظار المعالجين للعمليات اللغوية معالجة فورية لا تردد فيها؛ قصد إنقاذ الطفل وقبل، حدوث الطامة اللغوية المعقدة من تعدد لغوي ذي شبكة لا يقدر الطفل على استيعابه، ويواصل الحاج صالح قوله « كإجابة عن هذا التساؤل يجدربنا أن نذكر ما قاله الاختصاصيون من المشرفين على مشروع الرصيد في مثال لهم تحت عنوان المشاكل التربوية اللغوية المتعلق بالرصيد الذي يتعلمه الطفل العربي، جاء فيه مايلي:

إن تصفح العلماء لحصيلة المفردات التي تقدم الآن للطفل في الوطن العربي قد أظهر عيوبا ونقائص كبيرة في هذه الحصيلة، أما من حيث الكم فقد لوحظ أن الكمية من الألفاظ التي « يتناولها» المتعلم، بالنسبة إلى مدرسة مغربية أخذت كنموذج في السنة الرابعة من الابتدائي فقط، من خلال الدرس ومطالعاته للكتب المقررة يبلغ ما يقرب من 2500 مفردة. فهذه الكثرة الهائلة إذا اقترنت بكثرة التراكيب وتنوعها تنوعا كبيرا من جهة، وغرابة المفاهيم التي تحملها هذه الألفاظ الجديدة بالنسبة للطفل من جهة أخرى صارت دافعا قويا على توقف آليات الاستيعاب الذهني للطفل، أما من حيث الكيف فقد لوحظ أيضا أن الكثير من هذه المفردات لا تستجيب لما يحتاج إليه الطفل في حياته اليومية، والمستجيب

1 ينظر:مختارنويوات؛ كلمة رئيس التحرير (مقال)، مجلة اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية ، الجزائر،ع 8،2008، ص 8

التقارب الدلالي والصوتي والجذري وكذلك بحكم دستوريتها ومؤسساتها أضحت اللغة الأم الثانية بالقوة بعد الدارجات فهل لغة أم رقم2».

ومنه فالطفل الجزائري مرتبط بمركب لغوي خليط ذي موارد متعددة وهي غالبا متناقضة في عمومها؛ ولذلك فالأمر أخطر إن لم تتعاون الجهات الرسمية لوضع البرامج المدرسية والإعلامية، قصد إعداد طفل جزائري بعيد عن الذبذبة والهلهلة التي تطيش بالذهن لدى الناشئة، وعليه فالمسؤولية على عاتق المقررين الرسمين والإعلاميين والمبرمجين وليس على عاتق المربين والأسرة، لأن الآليات العلمية والمنهجية سهلة المنال لاستدراك هذا الخطر قبل فوات الأوان أكثر مما مضى؛ وربما تفويت الفرصة أكثر على الأجيال اللاحقة.

لا اختلاف بين العقلاء في سائر الحضارات والمناهج العالمية أن المحور الذي يركز عليه في صناعة المنجاة من كوارث الظواهر المشينة التي تلحق اللغة أيا كانت هو العناية بالطفل؛ وكم هي التوصيات والبدائل والحلول التي رجحت وقامت قائمتها أو خمدت في المؤتمرات والمراسيم القانونية والمحافل العلمية والمصنفات قديما وحديثا، لكن الأزمة تتعقد واقعيا ، ومن اسس ذلك الشد على « طرائق تعليم اللغة للأطفال:

نحاول فيما يلي تبيان بعض الطرائق المتبعة في تعليم المهارات اللغوية الأربع محادثة واستماعا وقراءة وكتابة آخذين بالحسبان التدرج في تعليم المهارات اللغوية؛ إذ يكون البدء بالتدريب على المحادثة والاستماع في رياض الأطفال قبل الانتقال إلى تعليم القراءة والكتابة في الحلقة الأولى من مرحلة التعليم الأساسي انطلاقا من أن مرحلة الرياض إنما هي تنمية الاستعداد لتعليم القراءة والكتابة في المرحلة التالية»1

1 د.محمود السيد، طرائق تعليم اللغة للأطفال (مقال)، مجلة الممارسات اللغوية، ع01، مخابر الممارسات اللغوية في الجزائر، 2010، ، ص 29-27.

وهي مهارات تؤكد التدرج والحصائل المعرفية لاستلهام اللغة استلهاما يؤهل الطفل إلى مرحلة اكتساب حصانة وطيدة الأواصر المنهجية والنفسية ؛ قبل أن يقع في شبكة التعدد اللغوي الذي يكون عبئا ثقيلا على القدرة الذهنية في غالب الأحيان ووواردا إضافيا في أحسن الأحوال، ومنه نستنتج أن تلك المهارات لما تقدم للطفل في أحيانها متدرجة متقنة تساعده على تفعيل الرصيد اللغوي تفعيلا منظما فاعلا ومدمجا إياه في التواصل الاجتماعي الإيجابي.

الأصل في منهل الاكتساب اللغوي في واقع الطفل هو الأم «فالطّفل بعد ولادته يسمع لغة الأمّ مرارا وتكرارا مدّة عام تقريبا قبل أن يأخذ في الكلام تدريجيّا. ولهذا فإنّ الأطفال الذين يجلسون اليوم أمام شاشات التلفزيون أكثر من جلوسهم في قاعة الدّرس بالمدرسة أو مع والديهم، يتعلّمون اللغة أكثر من أيّ مصدر آخر»1. فالعلاقة موصولة بتلازم بين الأم والأسرة والإعلام ؛ ويواصل الأستاذ على القاسمي قوله: «يعدّ التّعليم والإعلام في طليعة وسائل نشر اللّغة، فكلما ازداد سماع الطّفل اللّغة الفصيحة في قاعة الدّرس، أو أمام شاشات التلفزيون، ازداد اكتسابه لها وتحسّن أداؤه بها»2.

فالواقع اللغوي المتعدد للطفل يمكن أن ينتظم بتغليب الأصل في خيارات اللغة بحسب التفاوت والترتيب ؛ إذ يحسن بالأم أن تكون متحفظة في استعمال القاموس المستعمل مع طفلها ، حيث تنتقيه أشد الانتقاء مع تقديم الخيار الأصيل والأساس ؛ كأن تختاره اللغة العربية

1- علي القاسمي «السياسة اللغوية في البلدان العربيّة: الإعلام نموذجا»جريدة القدس العربي، 2010م، الموقع: http://www.manfata.com

2 _ م.ن ، الموقع نفسه .

أو غيرها، علما أنها مسؤولة أولى على أثر ذلك الخيار في كل المستويات النفسية والاجتماعية والذهنية وآثار كل ذلك على شخصية طفلها...

3 - ضبط المصطلحات منطلقا:

أ/المصطلح أصالة:

المبتدأ الأساس هو معرفة الفاعلية التي يؤديها المصطلح المختار بين المصدروالهدف؛ والكلام في هذا المجال مبسوط معروف، لكننا ههنا نشير إلى بعض المعطيات القاعدية التي ترسم كيفيات الصناعة المصطلحية وتوظيفها الدلالي في الحقل المسخرة لخدمته استعمالا وتداولا.

نسوق مقولات دقيقة لهذا الشأن في تعريفات للدكتور عبد السلام المسدي وهو يعالج البناء التأثيلي للمصطلح قوله «المصطلح: صياغة المصطلح لها ثوابت معرفية مطلقة ولها نواميس لغوية عامة كما لها مسالك نوعية خاصة، وكل ذلك يمثل الآليات التي تقتفيها المصطلحات العلمية والفنية.

فأما الثوابت المعرفية فتتصل بطبيعة العلاقة المعقودة بين كل علم من العلوم ومنظومته الاصطلاحية، وأما النواميس اللغوية فتقتضي تحديد نوعية اللغة التي تتحدث عن قضية المصطلح ضمن دائرتها وما تختص به من فروق تنعكس على آليات صياغة الألفاظ ضمنها. فإذا جئنا إلى المسالك النوعية فإننا نعني بها مجال الاختصاص المعرفي الذي نتناول آلياته الاصطلاحية بالدرس، إذ رغم ما بين كل حقول المعرفة من قواسم مشتركة تحكم موضوع توليد الألفاظ الدالة على المفاهيم الدقيقة داخل اللسان البشري الواحد فإن لكل فن من أفنان المعارف خصوصيات لا غرابة أن تأتي على الأعراف اللغوية بكثير من المؤالفات الواسمة تختلف من حقل علمي لآخر».1

1 د. عبد السلام المسدي، المصطلح النقدي، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للنشروالتوزيع، تونس: 1994، ص10.

فالأصول العلمية والأثول المنهجية هي المنطلق في وضع المصطلح المخصوص بموضوع اللغة الجامعة والتعدد اللغوي وسواهما؛ مع ضرورة الاختيار الأسلم في تفعيل المصطلح وتدقيقه عند الاستعمال والحاجة الفورية لحصر المصطلحات في بابنا المدروس ضمن هذه الندوة.

وهو أول مأخذ نلج به الأقضية المدروسة في المحاور التي يقوم عليها تنادينا ؛ فلا يمكن لهذه الكثرة من المصطلحات المتشققة والاشتقاقية بعمد أو تراكم عملي وتاريخي أن تحيلنا إلى النتائج السليمة المبتغاة من نقد الظاهرة محط الدراسة في المنتدى؛ لأنها حشود قد تذهب بماء الرصانة العلمية وتبعدنا عن الهدف ورأس الهدف العلاج.

ويروح المسدي قائلا «وبين القاموس العام في اللغة والرصيد الاصطلاحي الخاص بكل علم ينبثق توازن متكافئ يأخذ فيه كل طرف من الآخر بما لا يُدخل الضيمَ على دلالات اللغة في وظيفتها الإبلاغية ولا على مفاهيم المعارف في وظائفها النوعية من حيث هي خطاب علمي. وعلى عماد هذه الحقيقة تنزرع قاعدة فرعية تتمثل في أن توفّق المصطلح في أداء المتصوّر المنشود يوكَلُ أمره إلى الاستعمال ومدى ما يحوطه به من رواج. ومعلوم أن للاستخدام اللغوي نواميسه التي تتحدد بضوابط التركيب والإيقاع ومقوّمات الرشاقة، وهو ضرب من البحث قائم بذاته عند أهل الدراية لا يستوفي حقه إلا بتعاضد المعرفة اللسانية والخبرة الأسلوبية حتى يتحقق الانسجام بين مخارج الحروف وبنية الحركات وتركيبة المقاطع، ثم يتطابق الكل مع خصائص الإيحاء الدلالي.

فالمصطلح يُبتكر فيوضع ويبث ثم يقذف به في حلبة الاستعمال فإما أن يروج فيثبت، وإما أن يكسد فيختفي، وقد يدلي بمصطلحين أو أكثر لمتصوّر واحد فتتسابق المصطلحات الموضوعة وتتنافس في "سوق" الرواج ثم يحكم التداول للأقوى فيستبقيه ويتوارى الأضعف».1

ب/ التعددية اللسانية:

عرض الدكتور محمد يحياتن مصطلح «التعددية اللسانية» عرضا تاريخيا واصطلاحيا تأسيسيا، بقصد بيان العلاقة بين اللغة في تعددها من حيث المصدر والخلفية المعرفية والمرامي في الاستعمال والقصد وحقل اللسانيات في فروعها وبالأخص اللسانيات الاجتماعية، بقوله « عندما تستقري تاريخ الأبحاث التي عنت بظاهرة التعددية اللغوية، تستوقفنا فيما نرى أبحاث فرجسون (Fergusson) الذي شحذ مفهوم الثنائية اللغوية (diglossie) في نهاية الخمسينات، ويعني به تعايش تنوعين لغويين في صلب الجماعة الواحدة، وقد أطلق على أحدهما صفة «التنوع الرفيع» (variété haute) أو (high variety)، أما الثاني فيسميه بـ « التنوع الوضيع » (low variety) أو (basse variété). وقد بنى تصوره هذا بعد إعمال النظر في بعض الأوضاع اللغوية التي تسم بعض البلدان كالبلدان العربية حيث تتعايش العربية الدارجة مع الفصحى واليونان حيث تتعايش اللغة الإغريقية العامية (demotiki) والإغريقية الصافية (katharessouva).»2

---

1 م.ن ، ص 14،15

2 - محمد يحياتن، التعددية اللسانية من خلال الأبحاث اللسانية الاجتماعية الحديثة، (مقال)، مجلة اللسانيات، مركز البحوث العلمية والتقنية لترقية اللغة العربية، ع 11، 2006، ص 73.

فالعلاقة بين التعدد اللغوي واللسانيات الاجتماعية موصول تاريخيا وواقعيا في البحوث العالمية؛ ومنه فكل تعدد، كالتعدد اللغوي في الجزائر أو الدول العربية مشروط بحثه ونقده في ضوء اللسانيات الاجتماعية، ذلك لأن آفاق الاستعمال المتعدد نابعة من طبيعة المجتمع المعني الذي تصدر عنه المواد اللغوية المتعددة، فتكون مواد التلقي اللغوي المتعدد مشبعة بثقافة المصادر اللغوية المتعددة، كخلط ما بين الجذور الفكرية للهوية العربية في اللسان العربي و الجذور الأخرى القابعة خلف المصادر اللغوية الأخرى في اللسان العامي واللهجي والأجنبي – مثلا – في الجزائر اليوم.

وبيان الاحتكاك اللغوي من حيث انتشاره وخصائصه في أي لغة مقابل لغات ولهجات موصوفة بتوصيفات واقعية معيشة يذكرها الأستاذ يحياتن بقوله «وتتميز الأوضاع هذه القائمة على الثنائية اللغوية ببعض السمات من بينها:

أ -**أولاهما التوزيع الوظيفي:** فالتنوع الرفيع يستخدم في المسجد والآداب والخطب الرسمية والجامعة والمدرسة إلخ. في حين يستخدم التنوع الوضيع في الأحاديث العادية اليومية والأدب الشعبي إلخ.

ب -**السمة الثانية** تكمن في أن التنوع الرفيع يحظى بصيت اجتماعي على عكس التنوع الوضيع الذي هو موضع استهجان.

ج -**السمة الثالثة** قوامها أن التنوع الرفيع يسخر لإنتاج أدب معترف به ومحط إعجاب.

د -**التنوع الوضيع** يكتسب بشكل طبيعي إذ هو اللغة الأولى التي يكتسبها الناطقون، في حين أن التنوع الرفيع لا يكتسب إلا في المدرسة.

هـ- يرى فرجسون بأن هذه الحالة اللغوية تمتاز بالاستقرار.

و- يتصف التنوع الرفيع بكونه مقعدا «خاضع لقواعد ونظام كتابة، على خلاف التنوع الوضيع.»1

المرجو من النقدة والمدرسين والمقررين الالتزام بهندسة الصناعة الاصطلاحية التي تفيد ضبط المنظومة المصطلحية والمدونة المفهومية لسائر المفردات التي تكون في حقل الدراسة العلمية للتعدد اللغوي واللغة الجامعة وغيرهما من المفردات في ذلك الجهاز.

ويرى الأستاذ مصطفى تاج الدين رؤية أصيلة لمعاني التعدد اللغوي ومنها التاريخية والوظيفية وبالأخص لدى العرب والمسلمين بقوله «ولعل الإسلام قد أكد على قيمة التعددية اللغوية حينما ربط القرآن الكريم بين اختلاف الألسنة ومعرفة إعجاز الله في الخلق، فهذا الاختلاف آية من آيات الله وليس هناك من مبرر علمي ولا خلقي لتفضيل لغة على لغة. يقول ابن حزم في الإحكام: «ولا ندري أي لغة هي التي وقف آدم عليها أولاً، إلا أننا نقطع على أنها أتم اللغات كلها... وقد قال قوم هي السريانية، وقال قوم هي اليونانية، وقال قوم هي العربية والله أعلم، إلا أن الذي وقفنا عليه وعلمناه يقيناً أن السريانية والعبرانية والعربية هي لغة مضر وربيعة لا لغة حمير، لغة واحدة تبدلت بتبدل مساكن أهلها... وإذ تيقنا ذلك فالسريانية أصل للعربية وللعبرانية معاً، والمستفيض أن أول من تكلم بهذه العربية إسماعيل - عليه السلام- فهي لغة ولده والعبرانية لغة إسحاق وهي لغة ولده، والسريانية بلا شك هي لغة إبراهيم صلى الله عليه وعلى نبينا وسلم»»2 .

1 م.ن ، ص 73،74

2 _ المصطفى تاج الدين ، اللغة والهوية ن (مقال) ، موقع مجلة التسامح :http://www.altasamoh.net/Article.asp?Id=19

ج/ اللغة الأم:

ومن المصطلحات التي طرقها الدكتور صالح بلعيد من قبل اللغة الأم بقوله « اللغة الأم: أرغب في البداية الحديث عن تحديد اللغة الأم، فما هو هذا المفهوم؟

لقد استحدث اليونسكو يوما عالمياً للغة الأمّ وهذا منذ سنة 2000م، والهدف منه حماية تراث العالم من الانقراض، وبهذه الشرعية الدولية، فقد رأت أنّ تعلمّ اللغة الوطنية فرض عين، وتعلّم اللغة الأجنبية فرض كفاية، فأعطت للّغة الأم كل الأهمية، ومن حق كل الأفراد في العالم أن يأخذوا نصيبا من العلم بلغاتهم.

نشأ مفهوم لغة الأمّ Langue mère مع نهاية الحرب العالمية الثانية حيث بدأت الدول المستعمرة تنال استقلالها، في الوقت الذي تنادي الأقليات الأوربية بتعلّم لغاتها الأم، وحصل الحديث عند ذلك عن الهوية والوحدة الوطنية والشخصية والتنمية الشاملة ونظام الحكم، وقد شعرت الدول الحديثة الاستقلال بتعزيز اللغة الأم بعد أن تضاءل دورها أو كاد يتلاشى أيام حكم المستعمر، وذلك من خلال اعتماد لغة رسمية للوطن ولغة تعلمّ وتعليم.-جماعة من المؤلفين، اللغة والتعليم، ط1، بيروت: 2000، الهيئة اللبنانية للعلوم التربوية، دارقابس، ص7. وانجرت في بعضها صراعات حول ترسيم اللغة الأم في منظومة التربية والتعليم، كما انجرّ اتجاه تحقيري في بعض البلاد، وما خرجت من ذلك الصراع إلا بعد تبني لغة الأم لأجيال لاحقة، ومع ذلك فإنه لم يكتب النجاح التام لكل الأمم التي تبنّت اللغة الأجنبية، بل أصبح لها ذلك انتحارا فلم تحصد من وراء ذلك إلا الحروب الأهلية»1.

---

1 - صالح بلعيد، اللغة الأم، والواقع اللغوي في الجزائر، (مقال)، مجلة اللغة الأم، دارهومة، 2004، ص 3.

يستنتج من هذا :

-اللغة الأم اللغة الوطنية مقدمة على غيرها

-نهاية الحرب العالمية الثانية فيصل تاريخي لترشيد الشعوب في هويتها بفعل الأزمة الاستدمارية وتبعاتها؛ وهي درس في السابق واللاحق لكل الشعوب وبالأخص العربية؛ والجزائر أبرز دولة وشعب عانى تبعات الاحتلال البغيض في محاولة ضرب اللغة الأم واللغات الأخرى معا ومازال يعاني...

وهذا من المصطلحات الأصول التي يجب الفصل في مدلولاتها وعدم تجاوزها إلى غيرها إلا بعد معرفة ما تختص به من دلالة تخالف غيرها من المصطلحات الأخراة؛ وقس على ذلك، ومسحه التاريخي الموجزهذا علامة على صحة التأثيل لأي مفردة من شأنها أن تفعل فعلها في توجيه الفهم أو تشظيه في أحيان كثيرة ، أو إيقاع التفاضل بين تلكم المفردات.

إلى أن يقول في مقام أدق بالحديث عن الأمة العربية في المسألة المبحوثة في السياق عينه

«وأما عند العرب فظهر الاهتمام باللغة الأم(العربية الفصحى) للتخلّص من اللغة التركية، وكانت المناداة لذلك بمصطلحات: لغتك/ اللغة الفطرية/ اللغة الأصلية في مقابل: الإفرنجية/ لغة برانية. واعتبرت الفصحى لغة أم مقدسة ومميزة، بل عدّت عند بعض الباحثين سبيلاً من سبل الانتماء الوطني، وذلك ما نجده في كتابات عبد الله النديم في: التنكيت والتبكيت والطائف والأستاذ.-ع/ محمود فهمي حجازي، اللغة العربية في العصر الحديث قضايا ومشكلات، القاهرة: 1988، دار قباء

للطباعة والنشر والتوزيع، ص30. وكذلك عند المرصفي الذي يربطها بالأمة، ويعّد مفهوم الأمة عنده ما تركّب من: اللسان والمكان والدين.

ومع كل هذا فإنه لم يحصل اتفاق نهائي حول مصطلح اللغة الأم، بعدما أطلق جزافا على اللغة الرسمية واللغة الوطنية واللغة الجهوية، وكل تعريف كان مصاحبا وجهة نظر إيديولوجية، ولذلك تشعّب ونال أبحاثا كبيرة؛ خاصة عند الباحثين الغربيين، حيث أجروا دراسات مهمّة بُغية تحديدها بعدما أخذت تسميات: اللغة الأم/ لغة المنشأ/ اللغة الوطنية/ اللغة القومية/ اللغة الجهوية... وهذا مع ظهور الطبقات الشغيلة في أوروبا والمد القومي وظهور الحكم الكنفدرالي، بل وصل الأمر أن حمل في بعض المناطق نزعة للاستقلالية(الحكم الذاتي) تحت مظلة الخصوصيات اللغوية، كما ساعدت العوامل الجغرافية وفروق البيئة على ظهور الاهتمام باللغات الأم. وهكذا نال التعريف دلالات متنوعة، بتنوع الباحثين في هذا المجال ونشير إلى بعض التعريفات».1

يعالج الدكتور صالح تقلبات المصطلح المختلفة في تحديد الدلالات المرادة والمهزوزة غير القارة، مع الاختلاف الكبير بين الآراء هنا وهناك؛ وهو تذبذب لايخدم المصلحة الوطنية والتوحد، ولهذا يطلب من مستعملي المصطلحات التحذر والتحوط في الإطلاق والتداول وما ينجم عنه من مخاطر في الذهنية التأويلية وانعكاساتها الخطيرة.

ثم يذلل الطرح حول ذلك المصطلح بتفسير دقيق يعتمد فيه المنهج المستوياتي للظاهرة " اللغة الأم " إفهاما للمتلقي والمستعمل والمتداولين بقوله «- ويمكن تبسيط مستويات لغة الأم التي تتحدد في اتجاهين هما:

1 - صالح بلعيد، اللغة الأم، والواقع اللغوي في الجزائر، (مقال)، مجلة اللغة الأم، دار هومة، 2004، ص 5.

1.اللغة العامة التي يتعلمها الفرد في البيت بهدف التواصل العادي وهي مكتسبة.

2.اللغة العلمية والتكنولوجية ويتمّ تعلمها بشكل اختياري ووفق قرارات فردية وحكومية، وتعد زيادة في رأس المال البشري للفرد وللمجتمع.- محمد مراياتي "أثر اللغة العلمية والتكنولوجية في النمو الاقتصادي العربي" مجلة أسئلة اللغة، الرباط: 2002، منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، ص 19. وهكذا نجد تعريفات للغة الأم متعددة وأحيانا متضاربة، ولك تعريف نظرة خصوصية ونلاحظ أن كل التعريفات تؤكد الآتي:

- أن تكون لغة طبيعية ناطقة.
- أن تتداول في الوسط العائلي أو المحيط أو المدرسة.
- أن ينص دستور البلد على ترسيمها أو وطننتها.
- أن يكون لها نظام خطي.
- أن تدرس في المدرسة.

« إن تعليم اللغة الأم يستند إلى قدرات المتعلم المكتسبة لكي يجعله يكتشف معطيات جديدة مما يعني أن بناء ديداكتيك اللغة الأم قائم على معطيات لسانية وسيكولوجية... ومرتكز على المقوّمات التالية:

1 -ربط استعمال الأشكال اللغوية بالنوايا التواصلية بدل الاقتصار على جمل مجزأة ترتد آليا.

2 -ملاحظة الكيفية التي تواصل بها الطفل مع محيطه.- عبد العزيز الفاربي وآخرون، معجم علوم التربية مصطلحات البيداغوجيا

والديداكتيك، الرباط: دار الخطابي للنشر، سلسلة علوم التربية، العدد: 9 - 10.

وهكذا فإن الطفل عصامي في اكتسابه الأول للغة؛ لأن له من الطاقة ودقّة الملاحظة وحبّ المحاكاة ما يغنيه عن التلقين بواسطة أمّه أو معلم مباشر، فيتّفق علماء النفس على أن الطفل ما إن يدخل عامه الثالث إلا ويكون قد اطلع على خصائص اللغة الأولى وبنياتها الأساسية ومخارج حروفها دون تلقين خارجي وبذلك المخزون يتواصل لقضاء حاجاته الآنية البسيطة، ثم ينحو ذلك الرصيد من بيئته الكبرى، وهو ما يوظف في البيت والشارع والمدرسة.

وأمام ما نعيشه في الجزائر، فلدينا لغتا أم، فهل هاتان اللغتان تدرسان بشكل جيّد في المدرسة والجامعة؟

إن اللغة الأم رقم 2 قد وقع الاهتمام بها، وأقيمت لها مؤسسات تعمل على ترقيتها ومع كل ما قدّم لها فهي تعيش ضعفا فادحا على مستوى الأداء السليم، وهذا ضمن معطيات حضارية مؤقتة، أضف إلى ذلك التوزّع القومي العربي الذي يعمل بتؤدة من أجل تطوير هذه اللغة، وضمن معطى شرقي قادم من مصر وهو التسامح اللغوي الذي لعبت فيه اللهجة المصرية عبر فضائياتها، وساهمت فيه الفضائيات اللبنانية، وعملتا على مسخ لغوي يزيد الفجوة بينها وبين الدارجات، ويعطي للغات الأجنبية أسواق الاستعمال العربي بمختلف منتوجاتها ومغرياتها الإشهارية، دون الحديث عن العولمة اللغوية التي تطرح كل اللغات التي لا تصلح لمتطلبات العالم المتقدم ثقافيا أو تجاريا وسياسيا، والعربية منها».1

---

1 - صالح بلعيد، اللغة الأم، ص 5.

يقدم الدكتور محمود السيد منحى آخر للغة الأم معتمدا الرؤية الخاصة بالفرد العربي وشخصيته داخل المجتمع وعلاقة ذلك بمقومات الشخصية كلها ؛ حتى أنه أطلق على اللغة الأم اسم الوطن نفسه، وفيه بعد عميق للطرح تجاوزا لبعض المفاهيم والرؤى الضيقة الأخرى التي تتجلى في بعض الدول العربية التي تتنازعها لغات ولهجات تفريعية لا تكاد تنحصر...

«اللغة الأم هي هوية المرء، وهوية الأمة التي ينتسب إليها، وهي محور المنظومة الثقافية المتجذرة والأصيلة بلا منازع، وإذا ما فقد أي شعب لغته الأم فإن ذلك سوف يؤدي لا محالة إلى طمس ذاتيته الثقافية، وفقدانه هويته المميزة لأن اللغة جنسية من لا جنسية له، إنها وطن، ومن فقد لغته فقد وطنه.

ولا يعني الحفاظ على لغتنا الأم وثقافتنا التقوقع وعدم الانفتاح على لغات أخرى واكتساب ثقافتها، وتعرُّف إسهاماتها في مسيرة الحضارة البشرية، لأن في هذا الانفتاح وذلك التعارف إغناءً لثقافتنا دون أن يعني ذلك التفريط باللغة الأم، وإنما يعني الانفتاح الإيجابي، فالهوية العربية تتغذى من الموروث الثقافي العميق الجذور والممتد في تاريخنا العربي، كما تتغذى بمختلف الإسهامات الثقافية الأخرى التي تفرضها طبيعة العصر، والعمل على استيعابها وتمثلها، وإعادة صياغتها بما يتلاءم مع ثقافتنا العربية الأم صياغة تتمثل فيها أصالة الأمة من جهة، والإطلالة على المستقبل الرحب من جهة أخرى، نظراً للدور الذي يمكن أن تؤديه اللغة الأم في التنمية الشاملة والمستدامة للمجتمع من طرف، وصياغة ملامحه وهويته وتماسكه من طرف آخر»1

1 د.محمود السيد، لغتنا الأم العربية الفصيحة (مقال)، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج84،

اعتدال يعزز ما ذهب إليه غالبية الباحثين كالذي قدمه الدكتور بلعيد وغيره ممن لم نسق آراءهم لعدم الانسجام بين تلك التفصيلات ومقام البحث.

د/ الأمن اللغوي:

لا أمن يطلبه المنتسب للغة العربية إن حافظ على سلامة لسانه وتقويمه بالتدرب على النطق العربي الفصيح البليغ ؛ وهو مطلب غير عسير إلا من اعسره والتجربة الفعلية لهذا النطق عند العزيمة الصلبة تثبت ذلك الإمكان.

واللغة العربية قد حفظها الذكر الحكيم بفعل الحافظ الحفيظ – سبحانه وتعالى -، ومنه نستلزم عدم حاجة العربي – أعني العربي باستعمال العربية نطقا وكتابة وتعاملا تربويا ورسميا – إلى تكريس سياسة الأمن اللغوي بتلك الكثافة التي تتحدث عنها مصادرعديدة سواء أتعلق الأمر بالعربية وأمنها أم بأمن أي لغة أخرى ؛ مع بعض الاختلاف ،لأن أمن العربية استعماله على الألسن حفظا لها لا للعربية في ذاتها؛ أمن اللغة هو تفعيل المخططات والنظريات وتسخير الأدوات والوسائل بالرعاية والديمومة خدمة للطفل المتكلم بتلك اللغة.

هـ/ التسامح اللغوي:

يشيع مصطلح التسامح اللغوي شيوعا يدعو إلى ضرورة إيضاح المفهوم أكثروتحديد مساحة الدلالة التي يرمي إليها في الاستعمال الخاص بالسياق اللغوي حتى لا يقع اللبس بين محمول الدال وتوجيه بعض الاستعمالات المدلول إلى غيرهدى ؛« هو مفهوم يعني ببساطة عدم رفض

ج1، مطابع دار البعث، سوريا: 2009، ص 13، 15.

التحدث مع الآخرين باللغة التي يفهمونها حتى لو لم تكن لغتك. الألمان .على سبيل المثال .غير معروف عنهم التسامح اللغوي، فالألماني يرفض التحدث معك بأية لغة كانت إلا الألمانية، وكنت أعاني كلما زرت ألمانيا التي .أعشقها وأعجب بها وبأهلها .من التخاطب بألمانيتي التي تعاني من الكسور والرضوض في كل أجزائها .من الأفعال والأسماء والحروف وحتى الظروف.»1

فالدلالة محاطة بشرط التفاعل مع الآخر تيسيرا للتواصل والتبادل لا على حساب الهوية وخصوصيات الشخصية لدى المتسامح أو المتسامح له؛ وقد حدد أحد الدارسين خصيصات التسامح بكلمته الدقيقة والتي اختصرناها أكثر «ولا يكتمل وضوح مفهوم التسامح في الثقافة العربية حتى يكون واضحا أن:

1 - احترام الآخر و حقوقه لا يستلزم قبول أو إقرار صحة أو مشروعية أفعال أو أقوال أو معتقدات الآخر التي هي محل التسامح وإنما ينصب الإقرار أو القبول على عدم مشروعية أو صحة قسر الآخر أو إكراهه على تغييرها أو التحول عنها أو عقابه عليه»2

وثمة مزيد من تلك السمات التي أكد عليها الباحث وهي قمينة بالنظر والبحث؛ كما ينصح بالاطلاع على بعض القراءات المتعلقة بهذا الشأن كالذي قدمه الأستاذ خالد هدنة في بحثه الموسوم: الازدواج اللغوي في الجزائر وانعكاساته الاجتماعية3.

_ 1 http://www.aawsat.com/leader.asp?section=3&article=291389&issueno=9622

2 ينظر التفصيل في مقال الأستاذ عبد الملك منصور حسن المصعبي بهذا الموقع
http://mansourdialogue.org/Arabic/fikr2.html

3 ينظر التفصيل في مقال الأستاذ خالد هدنة بهذا الموقع .http://www.almaktabah.net/vb/showthread
php?t=36256 ، وينظر : الصراع اللغوي في الجزائر: تأزيم الهوية بقلم : د ديدوح عمر، بالمقع : مزيد
http://www.almarefh.net

4 - شروط نقد الظاهرة وضوابطها:

أولا: اللغة العربية والعولمة

رأس هذه الحقيقة الإلزامية لكل دارسي الظاهرة اللغوية المتعددة؛ هي تحوطهم من كل لبس أو عارض مخل للحركة السليمة أو انحراف عن الغاية المنشودة بركوب جدلية المحافظة على الهوية والتعامل مع الآخر بلباقة لا تضر بالأصل ومرونة تحمل الذات على المحاورة والمجادلة بالحسنى مع الغير.

من أجل ذلك فإن أول شرط يجب النظر فيه والعمل بموجبه كياسة التفاعل مع العولمة ؛ تلك الوقعة التي تستهيض الأطراف المعنية بخطورة التعدد اللغوي وبالأخص العرب الذين هددوا ومازالوا كذلك في هويتهم ووجودهم، رغم الدعوة العالمية المتكررة إلى الحوار، وندرج ههنا قول القائل «اللغة العربية وتحديات العولمة: ماذا أعددنا لمواجهة العولمة اللغوية؟ قبل الإجابة عن هذا السؤال لابد لنا من التأكيد على الحقائق الآتية:

أولا: أن العولمة اللغوية والثقافية واقع معيش، وقدر محتوم، فالقضية في العولمة ليست قضية اختيار فكري، أو ثقافي، أو سياسي، أو اقتصادي في أن نقبلها، أو نرفضها، بقدر ما هي قضية سؤال عن كيفية التعامل معها، واستيعابها، وتحصين لغتنا وثقافتنا لمواجهتها.

ثانيا: أن العولمة والعولمة اللغوية والثقافية على وجه الخصوص مقبولة إن لم تكن اضطهادا فكريا للآخرين، وأن تتغذى من تنوّع الثقافات والقيم وتعدّد الطموحات المشروعة، واحترام الثقافات والهويات الأممية

المختلفة، وقبول الآخر، وهدم الـ(أنا) السيد المطلق، والاعتراف بالتعدد الثقافي واللغوي والحضاري، والإقراربأن الاختلاف بين الشعوب ثقافات ولغات أمرواقع.

إن كل هذا كفيل بأن يخلق بين أمم الأرض وشعوبها كبيرها وصغيرها، غنيّها وفقيرها أفقا تنويرياً قادرا على صوغ خطاب حضاري قائم على العدل والمساواة واحترام الآخر.

ثالثا: أن العولمة اللغوية والثقافية يجب ألا تكون نقيضاً لتوجهات الحضارة العربية الإسلامية؛ لأن في صلب هذه الحضارة تراثا ثقافيا ضخما وقادرا على تطويرالجانب المضيء من حركة العولمة نفسها وفي أي اتجاه تريد أن تسير.

رابعا: أن لبّ العولمة وهدفها الأساسي قائم على بضع كلمات: إزاحة كل شيء غيرقادرعلى المنافسة!»1.

_فالعناية المكثفة التي لقيتها الدراسات العالمية حول العولمة ليست جديدة في حد ذاتها؛ فالطرائح العالمية القديمة موجودة في المعرفة الإنسانية تاريخيا، وإنما الاختلاف في طريقة التمظهر العولمي وتبعاته على المجتمعات وهويات الشعوب ، وربما الاختلاف شبه التام في هندسة المصطلح الذي يفيد المفهوم نفسه للعولمة.

_ وجوب الطرح السلمي لموضوع العولمة وكذا التعدد اللغوي، كما أن الغريب الذي اتخذ صورة مضاعفة هو تعدد التعدد اللغوي لما نقوم بعملية المقارنة بين الشعوب والمجتمعات والألسن على مستويات عديدة

---

1 د. هادي نهر، اللغة العربية وتحديات العولمة، عالم الكتب الحديث، إربد-الأردن:2010، ص 17، 18.

مختلفة منها مستوى القومية والعرق والدين والجهوية والقرار السياسي والعسكري والاقتصادي والخلفيات الفكرية والفلسفية.

_ الحضارة العربية الإسلامية كفيلة بخصائصها ومخزونها التاريخي بتوجيه نفسها نحو مستقبل يحفظها وينجح التوجه السليم للاستعمال اللغوي ؛ كما أنها حضارة تضم في أبجدياتها أسس التعامل مع الآخر.

_ يختزل الدكتور هادي جوهر العولمة في معنى فحواه إقصاء كل طرف لا يستطيع المنافسة؛ وهو صحيح ؛ لكن الأخطر فيما أرى أن العولمة وروادها بشتى توجهاتهم وخلفياتهم وطرقهم لا يتيحون خيار التنافس النظيف والبريء لكل الشعوب والدول إلا بشروط تعجيزية وإقصائية واستعلائية.

ثانيا : الطفل محور صنع النجاة:

هذه شريطة أم في محاولة النقد الصحيح الجاد لظاهرة التعدد اللغوي؛ لأن تعلم الطفل بناء اللغة السليمة في التواصل اليومي مع العالم من حوله أنجح سبيل في القضاء على الظواهر المشينة بمسار الرصيد اللغوي للطفل وتنميته على أرشد أساس بيداغوجي منهجي معرفي ناجع، وضابط هذه الشريطة صناعة الأهداف وتخطيطها العلمي المتقن و هذا رأي في الصدد « أهداف تعليم اللغة:

تؤدي اللغة للفرد وظائف متعددة تتمثل في التفكير والتواصل والتعبير، وإن أهمية اللغة لا ترجع إلى كونها وسيلة للتخاطب والتواصل بين الجماعات والأفراد أو بين الفرد وذاته فقط، وإنما ترجع إلى كونها رمزا للهوية التي تميز شعبا عن شعب وتطبع حضارته ودرجة حضوره

في مسرح الوجود والحياة، وصولا إلى الاستدلال على ما في أعماق النفس وتصورات الذهن، وثمة تلازم بين الفكر واللغة فمن لا عقل له ولا فكر فلا لغة سليمة لديه، ولا سبيل إلى اعتباره جزءا ملتحما بالكل الذي هو المجتمع»1... «وإذا كان الهدف المنشود من العملية التعليمية يتمثل في بناء الفرد فكرا ونزوعا وأداء فإن أهداف تعليم لغتنا العربية تتمثل في:

1.إكساب المتعلمين المهارات اللغوية محادثة واستماعا وقراءة وكتابة.

2.تنمية الثروة اللغوية والفكرية للتمكن من الاتصال مع الآخرين والتواصل معهم بلغة عربية فصيحة بكل سهولة ويسر وتلقائية إن بطريق المحادثة أو الكتابة.

3.تنمية القدرة على فهم ما يستمع إليه وقراءته بلغة عربية فصيحة، وإفهام الآخرين بلغة عربية صحيحة نطقا وكتابة وبالسرعة المناسبة.

4.تطوير القدرة على قراءة النصوص الأدبية المختلفة وفهمها وتذوقها وإدراك بعض مواقع الجمال فيها وتحليلها ونقدها.

5.غرس الشغف بالقراءة ومحبتها في نفوس الناشئة بحيث يغدو الكتاب الصديق الصدوق.

6.إكساب الناشئ القدرة على اختيار المادة الصالحة للقراءة.

7.صقل مهارة الكتابة الصحيحة الجميلة في ضوء قواعد الإملاء والخط العربي وتنمية المواهب الفنية في مجال الخط العربي.

---

1 - د.محمود السيد، طرائق تعليم اللغة للأطفال (مقال)، مجلة الممارسات اللغوية، ع01، مخابر الممارسات اللغوية في الجزائر، 2010، ص 25.

8.التمكن من أساسيات اللغة العربية وأحكامها الوظيفية إملاء ونحوا وترقيما ودلالة وصولا إلى الفهم الصحيح والقدرة على التعبير السليم تعبيرا وظيفيا وإبداعيا وابتكارا.

9.تعزيز الميول والأهداف الأدبية وصقلها وتنمية الذوق الجمالي وصولا إلى الابتكار والإبداع.

10.تنمية القدرة على التفكير العلمي والبحث والتحليل والنقد والحوار من خلال اللغة.

11.الإفادة من التقنيات الحديثة كالحاسوب والشابكة وتقانة المعلومات والوسائل المعينة... إلخ في سبيل تسهيل العملية التعليمية التعلّمية تحقيقا للأهداف المرسومة.

وهكذا نجد أن الغاية من تعليم اللغة هي أن نجعل الطفل قادرا على استعمال اللغة في مختلف الظروف التي يعيش فيها والأحوال الخطابية التي يمر بها لاسيما تلك التي تطرأ في الحياة اليومية، ثم على استعمالها سليمة من كل لحن وعجمة»1 .

« وعلى صعيد محدود واعتبارا لما يتضمنه اختيار اللغة في الحقل التربوي التعليمي في قطر ما من نتائج، فإن الطفل الذي نطق بعامية بلاده، ينبغي عليه أن يواجه بغتة لغة مكتوبة تختلف عن العامية التي يستخدمها بفطرته، فوجب عليه التدرب على اللغة الجديدة مع ما يكتسي ذلك الأمر من عسر، فطالب بعضهم بتعليم لغة البيت في المدرسة واغتنام الفرصة لتقريبها من الفصحى. وإذا تقفينا هذه الظاهرة

1 د.محمود السيد، طرائق تعليم اللغة للأطفال (مقال)، مجلة الممارسات اللغوية، ع01، مخابر الممارسات اللغوية في الجزائر، 2010، ص 25.

وتأمّلناها، فلا شك أننا سنكتشف أوضاعا خاصة بكل قطر عربي. فقد تصير الازدواجية اللغوية ثلاثية (مثلا في الجزائر الفصحى، اللهجة العربية، اللهجة البربرية، الفرنسية»1.

«يعدّ تعليم اللغة حدثا نفسيا معقدا ينجم عن عوامل مختلفة فيزيولوجية واجتماعية ونفسية. وللأسرة دور كبير في سرعة هذا التعليم؛ إذ أن أطفال الوسط الأسري والاجتماعي ذي المستوى الرفيع يكتسبون الكلام أكثر من غيرهم ولكن لا يخفى دور المدرسة بعد ذلك لأنها جزء من الوسط الاجتماعي، فدور المعلم أساس هو الآخر في النهوض بلغة الأطفال والارتقاء بها في العملية التعليمية.

وعلى المدرسة أن ترمم الثغرات في لغة الأطفال وأن تغني بيئتها بالمثيرات والأجواء المشجعة على التنمية اللغوية»2.

5 - الكيفيات البديلة ومستوياتها:

يقول الدكتور محمود السيد في بعض عرضه لمفاتيح العلاج المنهجي للظاهرة أن « تحقيق وحدة اللغة في المنهج، ونسخ ما كان سائدا من قبل من حيث النظر إلى اللغة على أنها فروع، إذ إن النظرة الحديثة ترتكز على أن اللغة وحدة متكاملة، وأن الانفصال في تعليمها لا يخدم ممارسة اللغة في مواقف الحياة، وأن فروع اللغة ما هي إلا أجزاء لكل، وليست غايات في حد ذاتها، وإنما هي وسائل لتحقيق وظيفة التواصل اللغوية.

التركيز على التمهير وإكساب المتعلمين المهارات اللغوية إرسالا في المحادثة والكتابة واستقبالا في الاستماع والقراءة، ذلك لأن التمهير يؤدي

---

1 د.محمود المنجي الصيادي، التعريب وتنسيقه في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط4، لبنان: 1984، ص525.

2 د.محمود السيد، طرائق تعليم اللغة للأطفال، ص 25

إلى أن تغدو اللغة عادة لدى المتعلم في استعمالها . والتمهير يحتاج إلى المران والممارسة في مواقف الحياة بصورة طبيعية، كما يحتاج إلى توفّر القدوة الحسنة أمام المتعلم وتعزيزه إن كان أداؤه جيداً، وتوجيهه إن كان أداؤه دون المستوى»1.

ثم بعد هذا لابد من النظر المسؤول في برامج ومناهج تدريس اللغة العربية؛ لأنها مفتاح لكل بديل يحفظ سلامة المعاملات اللغوية عند الناشئة من المتعلمين، وهذا هم معظم المنظومات التربوية في كل بلد، لكن يجب مراعاة الهندسة اللغوية المتعددة لدى المتعلم وبالخصوص في المراحل الأولى للدراسة، إذ يلزم الخبراء والمسؤولون والمخططون والمدرسون... احترام شرط الأولوية في نوع اللغة المقدمة والراجحة وفق الهوية الوطنية؛ ولا بأس فيما بعد التفنن التعدد المثمر والمثري لا التعدد المخزي والماحي لمعالم الهوية.

وعليه نركز ههنا على المحورين التاليين في كيفيات البدائل الفورية ومستوياتها :

1 - اختيار التعليمية قبل تعليمية الاختيار:

تواجه المنظومة التربوية الجزائرية تحديات كبرى على الصعيدين الداخلي و الخارجي؛ فعلى الصعيد الداخلي تتوارد عدة تساؤلات وهموم شغلت و ما تزال تشغل الكثير من القائمين على العملية التربوية، ومن تلك التساؤلات: ما مدى استيعاب القائم على العملية التعليمية للمنهاج التربوي المعتمد؟ وهل ثمة رضا وقناعة تربوية و علمية من لدنه إزاء تلك التبديلات والتعديلات التي تطرأ بين الفينة والأخرى على برامج

1 د.محمود السيد، المنهج المدرسي للغة العربية (مقال)، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج84، ج2، مطابع دار البعث، سوريا: 2009، ص 316.

المنظومة التربوية؟ ما مدى توافق تلك المناهج وقدرات المعلم وكفاءته وأهليته وفاعليته؟ هل من سبيل إلى تحقيق رؤية بيداغوجية واحدة وترسيخها على الأقل – مدة كافية من الزمن- ريثما تتبيّن نتائج هذا المنهج أو ذاك؟.. أم أن سنة التبديل و التغيير باتت – هي أيضا- رهينة مبدأ السرعة والتسارع؟!!! وهل عمليات التأطير و التأهيل البيداغوجيين كافية وكفيلة بسد متطلبات ما اعتُمِد من منهج تربوي؟ هل تتوفر فعلا الآليات والوسائل والأدوات اللازمة للشروع في هكذا منظومة تربوية؟.. أم على المعلم والمتعلم الاكتفاء بما يلقيه أو يُلقَى عليه من تنظيرات وحشو وجرد وسرد؟!!!

أما على الصعيد الخارجي، فهل ما تبنّته المنظومة التربوية من منهاج بيداغوجي جديد مستعار من صنوه الأجنبي، كسابقه – منهاج بيداغوجية الأهداف- حقيقٌ بالصمود والبقاء في ظل متغيرات أجواء السياسة التربوية الداخلية و الخارجية على حد سواء؟ هل تمت مدارسة واستقراء هذا المنهج الجديد و هل استُوعبت أسباب تبنّيه وهل حُدّدت أبعاده و استُبحثت أهدافه قبلاً أم نزل - هكذا- فجأة على ساحتنا التربوية دونما إشعار؟ أم علينا الرضوخ إلى المقولة التقليدية: النتائج تأتي بعد الأسباب؟.. هل استوعِب درس بيداغوجية الأهداف لنُقحَم من جديد في درس الكفاءات و المهارات؟؟!!

إن مهمة اختيار المناهج التربوية الكفيلة باستقرار المنظومة التعليمية التعلمية أولى وأقمن بالعناية من النظر في كيفية إعداد المضمون واختيار النصوص وانتقاء المواضيع، لأن الهيكل أولى نشأة و تكوينا من المحتوى، و لهذا فالاهتمام بالمنظومة التربوية من حيث تركيبتها العامة

و مرجعيتها و توجهاتها وأبعادها و وسائلها و أهدافها من الأولوية بمكان؛ إذ لا يُعقل الاكتفاء باستعارة آلة أو وسيلة دون النظر في البيئة أو الواقع الذي استُلّت منه ثم المحل أو الحقل الذي ستعمل فيه، ومدى قابلية تأقلمها معه ومدى خضوعها واستجابتها لمقاييسه و أعرافه وقيمه... إن مهمة كهذه لهي خطوة ضرورية بل أساسية في النهوض بمشروع منظومة تربوية قارّة وهادفة.

ثم إن التمعّن في خصائص المناهج التربوية التي تواترت على مؤسساتنا التعليمية في الجزائر، ومن خلال قراءتنا المتأنية للنموذجين الأخيرين "نموذج بيداغوجية الأهداف ونموذج بيداغوجية الكفاءات" نجد أن فكرة التقريب بالكفاءات هي امتداد طبيعي للتعليم البيداغوجي القائم على أساس الأهداف، و«يمكن أن نستنتج و بدون أي ريب، أن بيداغوجيا الكفاءات – على غرار بيداغوجيا الأهداف- نشأت في إطار الطرح الصناعي والتكنولوجي، الذي يسعى إلى تحقيق الفعالية والمردودية، بل يمكن القول إن تبني العديد من المنظومات التربوية لبيداغوجيا الكفاءات (الجزائر و تونس والمغرب وفرنسا و بلجيكا وغيرها...) يعتبر خطوة هامة، ليس فقط للاستجابة لمتطلبات المجتمع من موارد بشرية واقتصادية، ولكن للاستجابة أيضا لملء الثغرات التعليمية التي كشف عنها علماء التربية بالنسبة لبيداغوجيا الأهداف»1، وإذا عقدنا مقارنة بسيطة بين النموذجين ألفينا بعضا من الفوارق المائزة بينهما؛ فمنها مثلا أن بيداغوجية الأهداف ترتكز على هدف عام ومحدد تنبثق منه أهداف فرعية خاصة عكس بيداغوجية الكفاءات التي تنطلق من أهداف عامة

1د. محمد بوعلاق، بيداغوجيا الأهداف و بيداغوجيا الكفاءات، قطيعة أو امتداد، مجلة دراسات، جامعة عمار الثليجي، الأغواط، الجزائر، ع: 03 –ديسمبر، 2005 ، ص: 181 ،182

تتمثل في كفاءات متعددة منها القدرة على الفهم والاستيعاب والتحكم في آليات التفكيك والتركيب وحيازة المهارات والإبداع، كما تعتمد الأولى على الجهد المشترك بين المعلم والمتعلم، بينما تكتفي الثانية بجهد المتعلم على وجه الخصوص، ويُعتبر المعلم في النموذج الأول المسؤول الرئيس في تلقين المعلومة وبث المعرفة، أما في النموذج الثاني فللمتعلم أن يسهم في عملية صياغة المعلومة ويشارك في بث المادة المعرفية حسب مكْنته وعلى قدر جهوده المبذولة وكفاءته الذاتية... ومجموع القول في هذه المقارنة أن ثمة نقلة نوعية تتم بين ذينك النموذجين، ففي النموذج الأول كانت تتم العملية التعليمية على النحو التالي:

المعلم Ã المعلومة Ã المتعلم

فالمعلومة هي واسطة العملية التعليمية، أما في نموذج التقريب بالكفاءات فقد أضحت تتم على أساس أن المعلم هو واسطة العملية التعليمية، أي على الشاكلة التالية:

المعلومة Ã المعلم Ã المتعلم

ولأجل ذلك، فلا بد من مراعاة هذه المفارقة الوظيفية والأخذ بمعطياتها و متطلباتها ثم العمل وفق ما تقتضيه من آليات ووسائل لم تكن متاحة وقتئذ، لكن بعيدا عن التهاون أو التكلان أو المماطلة أوصبّ جام المسؤولية على طرف واحد.. وقبل هذا وذاك: أن لا يُغفل الهدف الأساسي المنوط بالعملية التعليمية التعلمية؛ ألا وهو نجاح عملية التلقي واكتساب الهدف المرجو لدى المعلم والمتعلم على حد سواء مهما اختلفت الطرائق و النماذج والمناهج...

ومهما يكن، فما من نموذج تعليمي إلا ويعتريه النقص والخصاصة، ولا ضير عندئذ من أن تطال نقائصَه وفجواتَه نقودُ المختصين وتقويماتهم، ولعل هذا ما يدعونا إلى التمعّن الدقيق والنظر العميق والبحث الحثيث عن مكامن النقص ومواطن الخلل في النموذج المراد تبنّيه قبل اختيار طبيعة المادة التعليمية التي نود تلقينها، ناهيك عن مطارحة الواقع الذي تتم فيه وخصوصيات أفراده ومشاربهم وسلوكاتهم، لأن الواقع هو الكتاب الأول الذي تتفتّح عليه أعين الناشئة والمبتدئين، ولا أسمى من ذلك الهدف المنشود الذي نبتغيه لهم.

2 - تعليمية الاختيار بين الثابت والمتحول:

لطالما أن الجزائر على غرار مثيلاتها من الدول العربية قد «عدَّلتْ مناهجها غير مرّة، وعقدت الندوات والمؤتمرات لتقويم المردود التربوي، واعتمدت النظريات التربوية الغربية الحديثة، إلا أن ذلك كله لم يكن غير لبوس زاهٍ لجسد خاو ماتت فيه جذوة الإبداع والوطنية والتفكير الحرّ، حيث حُدِّثَ شكل التربية وبقي مضموناً تقليدياً يقمع الذاتية الفردية للطفل، ويخلق فرداً تابعاً مطيعاً يملك معارف شتّى ولكنه غير قادر على الربط بينها»1، ورغم ذلك فجميلٌ ما انتهجته المنظومة التربوية من جديد في التوجه والأسلوب والمنهاج والأهداف القريبة والبعيدة، وجميل كل ما من شأنه أن ينأى بمؤسسات المجتمع وقطاعاته التعليمية والتربوية والانتاجية والخدماتية بعيدا عن مهاوي الإفلاس والركود.

لكن هناك ثمة انعطافة تستوجب الوقوف عندها ثم التأمل في ما سيؤول إليه مجتمعنا بعد جيل أو جيلين من تبنّي هذه الوجهة الجديدة،

1سمرروحي الفيصل، أدب الأطفال وثقافتهم، قراءة نقدية، إتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1998، ص:128 ، بتصرف.

ونقصد بذلك التوجه الذي عقد العزم على تحويل المؤسسة التربوية التعليمية إلى مؤسسة إنتاجية عنوانها العرض والطلب والربح والخسارة، «فلقد كان من نتائج استخدام مفهوم الكفاءة كمبدأ منظّم للمؤسسة الإنتاجية بصفة خاصة، وفي مجال العمل بصفة عامة، أن تسرب هذا المفهوم إلى ميدان التربية والتعليم، فأصبح ينظر إلى كل مؤسسة تعليمية/ تكوينية على أنها مؤسسة للاستثمار والإنتاج، تشتغل وفق المقاربة النسقية بمدخلات وعمليات ومخرجات، لتحسين المردودية، وتحقيق الجودة في إنتاج الموارد والطاقات البشرية»1، وعليه فإذا كان مفهوم التعليم بتقريب الكفاءات يقوم على الأسس الثلاثة: الحس المعرفي والحس الوجداني والحس الحركي فإنه من اليسير تقويم تلك الكفاءة من خلال سلوكات معينة و محددة قابلة للقياس و التقييم؛ و منه فعلى قدر إنجازات المتعلم ومجهوداته تتحقق الكفاءة المبتغاة، ويضحى عندئذ همّ المتعلم الإنتاجُ والجودة و المردودية، وبذل المزيد من ذلك حسب ما ترتضيه متطلبات المؤسسات الإنتاجية الأخرى ليجد مكانا مناسبا في إحداها، وإلا فيُعاد إلى مؤسسته ليعاود الكرة من جديد ما أمكن ذلك.

إن إخضاع المؤسسة التربوية التعليمية إلى قانون السوق والعمل ليتطلب من العامل المتعلم الحرص على أداء وظيفته قصد الحصول على منتوج يجب أن يتوافق ومعايير الجودة والإتقان، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالتلقين الجيد والاكتساب المحكم والدربة الأوفى، لكن ماذا يجب أن يُلقّن؟ وما هو الاختيار الأمثل للمادة التعليمية الخامّ التي يجب أن يتلقاها وما طبيعة عناصرها وألوانها وأشكالها وظلالها وتحولاتها؟

1د. محمد بوعلاق، بيداغوجيا الأهداف و بيداغوجيا الكفاءات، قطيعة أو امتداد، ص: 180

إن الكتاب المدرسي أو المقرر كما اعتيد على تسميته هو سند بيداغوجي للمسار التعلمي التعليمي الموجّه للمعلّم عامة وللمتعلّم على وجه الخصوص، فهو يحتوي المواضيع المتعلقة بالبرنامج الدراسي الخاص بكل مادة تعليمية أوطور تعليمي أو مستوى تعليمي، و يقدم بشكل عملي ومباشر المعارف والمفاهيم الأساسية من معلومات وشروحات و تمرينات وأنشطة وقواعد وتلخيصات وتقييمات، وبعد مرور الكتاب المدرسي بمراحل عدة أهمها مرحلة ما بعد الاستقلال فمرحلة جزأرة الكتاب ثم أخيراً مرحلة التجديد والتنويع، فقد أضحى لزاماً تولية هذا السند العناية التامة و الاهتمام البليغ من حيث المضامين والأهداف التي سطرتها سياسة المنهاج الدراسي الجديد، وكذا الكفاءات المتوخاة من كل مرحلة تعليمية.

بعد النظر الدقيق والمراجعة المستفيضة لمحتويات جلّ الكتب المدرسية المقترحة لتعلم اللغة العربية في مختلف الأطوار التعليمية، لا بأس أن نكشف عن بعض الملاحظات والنقود التي شدّت انتباهنا ونحن نستقرئ طريقة بناء نصوصها و كيفية انتقاء مواضيعها، ومن أجل ذلك فلا بد من التنويه بدءاً بإيجابيات هذه الصيغة البيداغوجية الجديدة الهادفة إلى تحقيق الكفاءات اللغوية الأساسية: الإصغاء و التحدث والقراءة والكتابة؛ فمن محاسنها تبسيط جلّ المعارف والمعلومات وجعلها في متناول التلاميذ حسب مستوياتهم الدراسية، وكذا إشراك المتعلم في عملية التحصيل والتلقي وتحسيسه بروح المسؤولية التربوية المتمثلة في الاعتماد الكلي على قدراته ومهاراته، بالإضافة إلى اشتمالها على الطابع الجماعي من حيث الأداء، وكذا الصيغة الإدماجية القائمة على مبدأ

توجيه المتعلم نحو تشكيل روابط منطقية بين مختلف الأنشطة التي يتلقاها من جهة، وبين معطيات العملية التعليمية وواقع مجتمعه من جهة أخرى، ومن محاسنها أيضاً إعداد المتعلم وتهيئته لمواجهة مواقف ووضعيات جديدة بإعطائه حرية التصرف في اتخاذ الموقف الملائم وكذا استعمال مكتسباته وقدراته الخاصة في ما قد يطرأ من وضعيات مختلفة، ومنها أيضاً ميزة التقييم الذاتي وبيداغوجية المشروع المدرجتين في نهاية كل وحدة أو محور تعليميين أو فصل من فصول الكتاب، ومما يُحمد لها أيضاً انتقاؤها لبعض النصوص والموضوعات المتضمنة لآلياتٍ وكيفيات نوعية دقيقة من شأنها الإسهام في ترسيخ التربية الاجتماعية والمدنية والأخلاقية والثقافية...

ومن النقائص والسلبيات التي نراها قد اعترت بعضاً من هذه المضامين؛ عدم مراعاة بعض المقاييس والمعايير الضرورية كمقياس الحجم الساعي وأعمار التلاميذ... فكم من نصّ مختار لا تكفيه حصة أو حصتين وكم من موضوع لا يتلاءم وسن التلميذ...، ومن ثمة فهناك إشكالية في اختيار النص أولاً ثم في طريقة عرضه وتحليله ثم استيعابه؛ فعلى اختلاف مشارب المؤلفين – وواضعي النصوص الأدبية المقررة- وتفاوت أذواقهم وتوجهاتهم كان لا بد من النظر في هذه الخطوة بتدبر وتمعن دقيقين لئلا تتعارض تلك المختارات و الأهداف المقررة من كل نص أووحدة أوبرنامج تعليمي، فمن أولئك من يميل إلى اختيار النصوص الشعرية أو النثرية المشهورة و منهم من يحبذ النصوص المغمورة؛ و هذا ما ألفيناه جلياً في بعض الكتب المقترحة، و فيما يتعلق بدور وزارة التربية الوطنية في هذا الصدد فثمة عدم تنسيق بينها و بين دور التأليف

والنشر و المختصين بأدب الطفل و ثقافتهم عامة؛ إذ يقول الكاتب رابح خدوسي مدير "دار الحضارة للنشر و التوزيع" أن ثقافة الطفل و أدبه في المنظومة التربوية ناقص جدامؤكدا أنه «من حيث المنهاج فهي تقدم كتّابًا و أدباء أغلبهم من خارج الجزائر، و قليل جدا من الكتاب الجزائريين الذين ترد أسماؤهم في الكتاب المدرسي»1 ، كما لاحظنا أيضاً أن بعض النصوص المقدمة معقدةٌ في بعض مفرداتها المعجمية، و نحن نعلم أن المنهاج الجديد يعتمد على اقتصاره على شرح يسير لبعض المفردات، ثم إن الشرح المعجمي لا يكفي و قد يتعارض أحيانا مع سياق المفردة داخل النص، و هذا مما يستوجب على المعلم أن يوضح ما أُشكل على المتعلمين في ذلك، ويتطلب ذلك مدة زمنية ليست باليسيرة، و هذا مما يعطّل ويؤخّر و يقصي بعض عناصر العملية التعليمية فيُخلّ بسيرها و أدائها الجيد، و إذا كان الهدف الأساسي من تدريس اللغة العربية أن يتشبع المتعلم بالمشاعر التي يتضمنها النص ويتمثّل قيمه الجمالية والفنية والأدبية و اللغوية و الفكرية و النفسية والاجتماعية، فهذا ما ألفيناه يتعارض و بعض النصوص المنتقاة في بعض الكتب، ولأن النص الأدبي يجب أن تتوافر فيه الجمالية الأدبية واللغوية والبلاغية والنحوية مع المضمونية المعنوية التي تكفل للمعلم والمتعلم حقلا معرفيا شاسعا يتفاعلان فيه، فهذا لا يعني انتقاء النصوص ذات الغموض اللغوي والتعقيد النحوي و الأحادية في الدلالة والوظيفية والإيصال.

ومن مآخذ هذا الطرح الجديد أنه قد اعتمد في بعض الكتب مختارات حافظت على مبدأ التسلسل الزمني للأدب بدءاً من عصر ما قبل صدر

---

1 جازية روابحي، واقع أدب الطفل في الجزائر، مقال منشور بتاريخ 31 أكتوبر 2007، تحقيقات و آراء، مركز الأخبار، أمان.www ، بتصرف

الإسلام إلى العصر الحديث، بيد أن أخرى قد أهملت هذا الترتيب، وهذا مما قد يكوّن عائقا دون الفهم لدى بعض التلاميذ، ومن ذلك أيضاً اختياربعض النصوص البعيدة عن اهتمام المتعلمين ورغباتهم وواقعهم المعيش، وفي مقابل ذلك تغييب بعض النصوص ذات الصلة الوثيقة بطبيعة العصر و تحدّياته و المرحلة النفسية لدى المتعلمين، و إذا كان «من سبل الترويج للعربية إعداد المناهج الجيدة الصالحة و الموائمة لهذا العصر، فالمنهج الجيد مع الأستاذ القدير والطالب الجاد هي القواعد الأولى في صرح العملية التعليمية الناجحة في عصر التطور العلمي والتكنولوجي، وإعداد المنهج في مادة اللغة العربية يتطلب اختيارطاقات من ورد بستانها الوارف، وتراثها العظيم، و تقديمها للأجيال لكي يتعرفوا على خصائص هذه اللغة الخالدة، و مزايا اللسان العربي المبين»1

لقد تعددت منابع المعرفة و تنوعت مصادر المعلومة « ولاسيما منها وسائل الإعلام المرئية، حيث ازداد التوجس من مغبة تحول هذه الوسائل – بما تملكه من نفوذ جماهيري- إلى معاول تنسف اللغة، وتفسد استقامة اللسان، وتهوي بالذوق اللغوي إلى الحضيض. لاسيما إذا كان التلاميذ يقبعون أمام جهاز التلفزيون أكثر مما يجلسون فوق مقاعد الدراسة، فمع إكمالهم مرحلة الدراسة الثانوية يكون التلاميذ قد قضوا 20000 ساعة مشاهدة في مقابل 15000 ساعة في المدرسة، ومع إغراءات الوسيلة الإعلامية تقيم جسرا منيعا مع هؤلاء تتسلل من خلاله قيم معرفية عديدة، قد تؤدي إلى إزاحة ما تقدمه المدرسة أو على الأقل مزاحمته »2 ؛ ولهذا « فليس بمستغرب أن نجد انتشار ظاهرة

1د. محمد رفعت زنجير، قضية اختيار النصوص الأدبية في ضوء التحديات التي تواجهها اللغة العربية، دراسة تحليلية مقارنة : http://www.dmr.50g.com/m2.htm

2علي حمودين، اللغة العربية في ظل الإعلام والعولمة، أي واقع؟ أي مصير؟ مداخلة، الملتقى الوطني الثاني لقضايا النحو العربي جامعة عبد الرحمان ابن خلدون، تيارت.

تراجع المستوى الدراسي لأطفال التلفاز فضلا عن تدني قدراتهم العقلية والخبرات الخاصة نتيجة حرمانهم من ممارسة القراءة، يقول برونو بتلهايم، Bruno Bettelheim : التلفاز يأسر الخيال لكنه لا يحرره أما الكتاب الجيد فإنه ينبه الذهن ويحرره في الوقت ذاته... فتصبح القراءة ممارسة سطحية، ويرجع السبب إلى الانتباه المسترخي غير المركز (السلبية العقلية) المصاحب للمشاهدة التلفازية الذي يعوق نمو قدرة الأطفال على تفسير المادة اللفظية بطريقة ذات معنى مما يجعل عملية القراءة والتحصيل شاقة جدا »1، فأنّى لهم - و الحال هاته - أن يفقهوا لغتهم ويتقنوها و أن يحبّوا عربيتهم و يتبنّوها؟!،

ولأجل ذلك لا بد من انتقاء النصوص الأدبية ذات المجال الرحب للدراسة و التنقيب والتي تنسجم مع المنهج التكاملي و الأسلوب الشامل الذي يخترق عوالمها، وكذا اختيار المواضيع القريبة من واقع الفئة المتعلمة و أعمارها، ولا فرق في ذلك كله بين الانتقاء من تراثنا الأصيل أو حاضرنا المعاصر؛ «والظن بأن الأمة العربية مرشَّحة للتبعية الكاملة للغرب في القرن الحادي والعشرين إذا لم تتدارك أمر حاضرها المفضي إلى مستقبلها. أو فَلْنَقُلْ إنها مدعوة لانتقاء العناصر الإيجابية من الماضي والحاضر لتجعلها عماد الثقافة العربية عموماً، والثقافة المستقبلية للطفل العربي خصوصاً. والعناصر المنتقاة هي التي تُشكِّل جوهر التربية العربية الجديدة، جوهر العمل والمواطنة والانسجام والجماعة والابتكار والأخلاق. إنها الثوابت الجديدة القادرة على مواجهة متغيِّرات المستقبل»2.

ومن جهة أخرى « علينا أن ندرك أن النحو و الصرف و البلاغة وسائل لتمثل النص وتذوقه وليست غايات بحد ذاتها، و يستدعي هذا أن

1أ. سالم مبارك الفلق، اللغة العربية، التحديات و المواجهة: www. alfal agg@yahoo.com

2 سمر روحي الفيصل، أدب الأطفال و ثقافتهم، ص:130 ، 131

يكون النص محورا لدراسة علوم اللغة مندمجة لا مفرقة في حصص مستقلة يسأم فيها الطالب من رتابة البحوث و ينفر من لغته بدل أن يحبها ويتقبلها. فالعملية التعليمية للغة يجب أن تتحرر من التجزيئية والقواعدية، واعتماد النص محورا للنشاط اللغوي كله»1 ، لكن هذا لا يمنع من احتواء الكتاب على ملحقات مبسطة لعلوم النحو و الإعراب و الصرف والإملاء (كفاءة الكتابة) والصوت واللسان (كفاءات الإصغاء و التحدث والقراءة)، ممّا يثري رصيد التلميذ و يساعده حفظاً و استيعاباً واستذكاراً و فهماً لأن « للعربية قدرتها الفائقة على استخدام أكثر من طريقة لتثبيت ألفاظ جديدة في قاموسها: كالقلب المكاني، والنحت، والتعريب.. و غيرها. ومن مرونتها كذلك، الظواهر الصوتية من إبدال، وإدغام، وإظهار، وإخفاء، وروم، وإشمام، وأيضاً اسم المكان - الزمان - السببية - الحرفة - الأصوات - المشاركة - الآلة - التفضيل... وغيرها»2

ولا بد من الوقوف ههنا على قضية هامة و خطيرة، ألا وهي تغييب تقنية الإعراب التعليلي في كثير من الأنشطة و التدريبات والتمرينات و إبدالها بالإعراب الاجتزائي الذي أحال جمال الإعراب العربي إلى عضين مفككة موضعيا؛ و في هذا مغالطة و تناقض كبيرين فيما هو كائن وما هو مأمول من المتعلم في الظفر بكفاءة التحكم في قواعد لغته وحسن التصرف فيها وبها؛ إذ كيف يُعقل أن يُطلب منه إعراب جملة دون تعليلٍ وافٍ تترسخ به القاعدة النحوية في ذهنه أو كيف به إذا صادف وضعية إعرابية أخرى شبيهة بسابقتها؟؟!!

1د. حسن بن فهد الهويمل، النص الإبداعي التربوي، إشكالية الاختيار و الدرس، مجلة المعرفة، ع: 38 ، جمادى الأولى 1419 هـ، سبتمبر 1998 م. www.bab.com/articles/full_article.cfm

2أ. سالم مبارك الفلق، اللغة العربية، التحديات و المواجهة.

إنه بهذه المغالطة التعليمية سيعتقد أن المثال أو النموذج التطبيقي هو القاعدة لا محالة، والميدان خير شاهد على هذا؛ فهذا ما عوّدنا عليه وفاجأنا به الكثير من التلاميذ حينما يجيبون عن سؤال يتضمن مثالا ما بمثال آخر، أو محاولتهم الاستعانة بمثال سابق؟؟... ثم أليس هذا ما نجده في مادة الرياضيات مثلا؟؟!!! ثم إن ذلك مما يقتل روح الموهبة و الإبداع و شتى الروابط المنطقية لدى المتعلم؛ « إذ يُعرف الموهوب في الحقل الأدبي من تفوّقه في القراءة والتعبير، وميله إلى المطالعة وتذوّق الجمال في النصوص المكتوبة والمسموعة، وقدرته على مخاطبة الآخرين وإيصال أفكاره إليهم، وإسهامه في النشاط اللغوي العام، واندفاعه الذاتي للنقد والحكم والتحليل.

ويُعرَف المبدع من تحلّيه عادة بالدلالات الخارجية السابقة الخاصة بالموهوب، إضافة إلى القدرة على الإنتاج الإبداعي الذي يتصف بالجدّة.. ومن المفيد أن أنصّ على أن الموهوب يصير مبدعاً، والمبدع يصير عبقّرياً، إذا توافر المناخ التربوي الملائم.. وهذا يقودنا إلى أن تربية الإبداع لدى الأطفال يجب أن تُعْنَى بالموهوبين أوّلاً لأنهم أكثر عدداً، ولأن هذه العناية قادرة على قيادة الموهبة إلى الإبداع إذا توافرت في الموهوب قدرات كامنة تستطيع التربية إثارتها وحفْزها على الظهور. وربّما برز العبقري من صفوف المبدعين إذا كانت القدرات الكامنة والاستعدادات الوراثية أكثر أصالة وميلاً إلى العمل»1.

6 - المقترحات والتوصيات:

_ أبدأ بأول مقترح وهو أن اللغة الجامعة والتي هي أكبر من التعدد

1سمر روحي الفيصل، أدب الأطفال و ثقافتهم، قراءة نقدية، إتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1998، ص: 27 ، 28

اللغوي في الزمان والمكان وشتى أصول الإنسان أيا كان ؛ هي الحوار بالحسنى والتعارف لا التناكر؛ الحوار الذي يقدم الإنسانية على كل الاعتبارات.

_ جميل هذه الندوة بطابعها العالمي ؛ لأنها بهذه الأطروحة العالمية قد أصابت الهدف الأسمى لمحاورها، والخروج بمسألة التعدد اللغوي من الإطارات الضيقة إلى إطارها الأوسع؛ والأجمل أن توسع تفعيلات النتائج والتوصيات والاقتراحات المقدمة في كل البحوث إلى دائرة التطبيق والقرارات الرسمية المسؤولة عن تطوير اللغات العالمية وترقيتها نحو العطاء والتحاور والتلاقح والتكامل، لا الإقصاء والتعالي والانطواء والعرقية والحمية الجهلاء...

_ محاولة إقناع التوجهات التي تركب محاولات التعصب السلبي والتشدد المقلق في عمق الأوطان العربية تجاه اللغة مهما كانت...؛ وتوجيهها بالحكمة إلى خدمة مجتمعاتها بالخير والسلام وحملها على التعامل مع ذاتها والآخر

القائمة الاسمية للمصادر والمراجع

_ القرآن العظيم

- موسى لقبال ، المغرب الإسلامي منذ بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج سياسة ونظم ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ط: 3 ، 1984.

_محمود المنجي الصيادي، التعريب وتنسيقه في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط4، لبنان: 1984،

د. عبد السلام المسدي، المصطلح النقدي، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع، تونس: 1994.

د. هادي نهر، اللغة العربية وتحديات العولمة، عالم الكتب الحديث، إربد-الأردن:2010.

سمر روحي الفيصل، أدب الأطفال و ثقافتهم، قراءة نقدية، إتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1998.

__ د .محمد الحباس ، (مقال) ، مجلة اللغة العربية ، المجلس الأعلى للغة العربية ، الجزائر ،ع 8،2008، ص 275،295.

- عبد الرحمن الحاج صالح ، الرصيد اللغوي للطفل العربي،وأهميه الاهتمام بمدى استجابته لحاجاته في العصر الحاضر (مقال) ، مجلة الممارسات اللغوية ، مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، جامعة تيزي وزو، الجزائر، العدد 1، 2010 ،

_مختار نويوات ؛ كلمة رئيس التحرير (مقال) ، مجلة اللغة العربية ، المجلس الأعلى للغة العربية ، الجزائر ،ع 8،2008،

_د.محمود السيد، طرائق تعليم اللغة للأطفال (مقال)، مجلة الممارسات اللغوية، ع01، مخابر الممارسات اللغوية في الجزائر، 2010

-محمد يحياتن، التعددية اللسانية من خلال الأبحاث اللسانية الاجتماعية الحديثة، (مقال)، مجلة اللسانيات، مركز البحوث العلمية والتقنية لترقية اللغة العربية،ع2006،11.

صالح بلعيد، اللغة الأم، والواقع اللغوي في الجزائر، (مقال)، مجلة اللغة الأم، دار هومة، 2004،

_.د.محمود السيد، لغتنا الأم العربية الفصيحة (مقال)، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج84، ج1، مطابع دار البعث، سوريا: 2009،.

- د.محمود السيد، طرائق تعليم اللغة للأطفال (مقال)، مجلة الممارسات اللغوية، ع01، مخابر الممارسات اللغوية في الجزائر، 2010،

د.محمود السيد، طرائق تعليم اللغة للأطفال (مقال)، مجلة الممارسات اللغوية، ع01، مخابر الممارسات اللغوية في الجزائر، 2010،.

د.محمود السيد، المنهج المدرسي للغة العربية (مقال)، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج84، ج2، مطابع دار البعث، سوريا: 2009.

محمد بوعلاق، بيداغوجيا الأهداف و بيداغوجيا الكفاءات، قطيعة أو امتداد، مجلة دراسات، جامعة عمار الثليجي، الأغواط، الجزائر، ع: 03 –ديسمبر، 2005

د. محمد بوعلاق، بيداغوجيا الأهداف و بيداغوجيا الكفاءات، قطيعة أو امتداد،

جازية روابحي، واقع أدب الطفل في الجزائر، مقال منشور بتاريخ 31 أكتوبر 2007، تحقيقات و آراء، مركز الأخبار، أمان

علي حمودين، اللغة العربية في ظل الإعلام والعولمة، أي واقع؟ أي مصير؟ مداخلة، الملتقى الوطني الثاني لقضايا النحو العربي جامعة عبد الرحمان ابن خلدون، تيارت.

د. حسن بن فهد الهويمل، النص الإبداعي التربوي، إشكالية الاختيار والدرس، مجلة المعرفة، ع: 38 ،جمادى الأولى 1419 هـ،سبتمبر 1998 م.

أ. سالم مبارك الفلق، اللغة العربية، التحديات و المواجهة.

- علي القاسمي «السياسة اللغوية في البلدان العربيّة: الإعلام نموذجا»جريدة القدس العربي، 2010م، الموقع:

http://www.manfata.com

أ. سالم مبارك الفلق، اللغة العربية، التحديات والمواجهة:

alfal agg@yahoo.comwww.

د. محمد رفعت زنجير، قضية اختيار النصوص الأدبية في ضوء التحديات التي تواجهها اللغة العربية، دراسة تحليلية مقارنة:

http://www.dmr.50g.com/m2.htm

د ديدوح عمر، الصراع اللغوي في الجزائر: تأزيم الهوية

بالموقع : مزيد http://www.almarefh.net

التفصيل في مقال الأستاذ خالد هدنة بهذا الموقع

http://www.almaktabah.net/vb/showthread.php?t=36256

_عبد الملك منصور حسن المصعبي بهذا الموقع

http://mansourdialogue.org/Arabic/fikr2.html

_ المصطفى تاج الدين ، اللغة والهوية ن (مقال) ، موقع مجلة التسامح:

http://www.altasamoh.net/Article.asp?Id=19

تأملات ابستميولوجية في اللغة الجامعة واللغة الوطنية

أ/ مليكة النوي - جامعة باتنة

مقدمـــة:

تسعى هذه الورقة إلى مساءلة اللغة الجامعة باعتبارها لغة رسمية مركزية كانت ومازالت دعامة من دعامات الهوية الوطنية، إضافة إلى إقامة حوارية حميمية ومن خلال هذه المساءلة والحوارية نحاول الكشف عن كنوز دفينة تزخر بها اللغة الجامعة واللغة الوطنية ،إذ مازالت اللغتان حقلا لمفاهيم مستغلقة تنتظر من يفجرها، وذلك بالبحث في الفضاء السياقي لاستنطاق هذه العناصر الكامنة فيهما.

أهمية الدراسة:

تمر الأمة العربية بمرحلة حساسة تستلزم استنفار كل الطاقات للوصول إلى شاطئ الأمان، واستجابة لخصوصياتنا الحضارية كان لزاما علينا أن نحافظ على هويتنا الثقافية، وحتى يتحقق ذلك لابد أن يتمّ التعايش بين اللغة الجامعة واللغة الوطنية، باعتبارهما من الروافد الرئيسة في مقومات هويتنا الثقافية.

هدف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى :

1 - التأكيد على أن اللغة الجامعة قد تتعايش مع اللغة الوطنية إذا

كان المشرّع قد وضع استراتيجيات للحفاظ على التجانس الاجتماعي الثقافي.

2 - تسعى الدراسة إلى إبرازدور اللغة الجامعة باعتبارها اللغة الموحدة لنا منذ آلاف السنين ،وهي ركيزة رئيسة من ركائزهويتنا الوطنية والثقافية.

3 - التمييزبين اللغة الأم ولغة الأم (اللهجة العامية).

تعريف اللغة:

أما عن مفهوم اللغة فكثيرأولئك الذين تناولوا مفهوم اللغة، فقد جاء في الخصائص لابن جني: "اللغة هي فعلة من لغوت أي تكلمت... واللغة أصوات يعبّربها كل قوم عن أغراضهم"1.

فاللغة أصوات ولكنها ليست متشذرة، بل تحمل هذه الأصوات وظيفة التعبيروالذي يحقق الطابع الاجتماعي، كما تحقّق الأصوات بعدا نفسيا لأنها تعبّرعن أغراضنا ليكون قول ابن جني قد ترجم

البعد المادي: الأصوات (أصوات).

البعد المعنوي: التعبير (يعبر).

البعد الاجتماعي (كل قوم).

البعد النفسي (عن أغراضهم).

وحديثا يرى وورف "Whorf" أن اللغة "ليست للتعبيرعن الافكار، بل إنها هي نفسها التي تشكل تلك الأفكار .ونحن نقسم ما حولنا من العالم بموجب الخطوط التي ترسمها لنا لغتنا، أوكما يقول أحدهم:إن العالم يخلق بواسطة اللغة".2

1- ابن جني، الخصائص، تحقيق عبد الحليم بن محمد، المكتبة التوفيقية، ج1، ص.33.

2-نايف خرما ، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة،ط2،الكويت ،1979،ص.217.

من هنا تبدو العلاقة التلازمية التكاملية بين الفكر واللغة، وهذه العلاقة سماها البعض بالتبادلية "إن العلاقة بين الفكر واللغة علاقة تبادلية، لأن كلا منهما يعتمد على الآخر ،فنحن لا نستطيع أن نتكلم بما لا نقدر أن نفكر فيه ،ولا نستطيع أن نفكر بعيدا عن قدرتنا اللغوية".1

وباختصار فالإنسان هو اللغة "فلئن اندرج الإنسان في جنس الحيوان تبعا لمقتضيات التصنيف المتدرج في الكائنات، فإنه بالكلام ينفصل عن الحيوانية ليتفرد بنوعه، فيكون الكلام بذلك جوهر الإنسانية في الإنسان. لذلك يلحّ المنظرون على سمة الانفصال بين الحيوانية والإنسانية ابتداء من الحدث اللساني. ففي الكلام فُضّل الإنسان على سائر الحيوان وتكريم الخالق له، وبالكلام يخرج الإنسان من حد البهيمية إلى حدّ الإنسانية)2. لتكون اللغة المنطوقة سمة مميزة للإنسان، واللغة الإنسانية بحر من الأفكار الحبلى بطاقات تنتظر من يفجرها لتُعبّر عن أسرار كامنة، فالكلمة في سرها وجهرها، في نطقها وكتابتها هدية السماء لابن الأرض وعاها فبناها في صور تعبيرية جمالية، وفهم العالم لا يتأتى إلا بفهم اللغة، يقول ريكور: "فإذا كانت اللغة ليست بذاتها ولكن بعالم تفتحه وتكشفه، فتأويل اللغة –إذن- لا يختلف عن تأويل العالم"3.

تقاطع اللغة مع الكلام واللسان:

يتقاطع مصطلح اللغة مع مجالات معرفية مختلفة منها الكلام واللسان.

1- كريم زكي حسام الدين، أصول تراثية في علم اللغة، مكتبة الأنجلو مصرية ط 1985، 3، ص.99.
2-عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب ،ط 2، تونس، ص.46.
3- عمارة ناصر، اللغة والتأويل، دار الفارابي، منشورات الاختلاف، ط1، 2007، ص.54.

اللسان:

هو القدرة التي تجعل الإنسان قادرا على إصدار الأصوات وربطها بمعان "واستعمل لفظ اللسان بوصفه العنصر الأساس في جهاز النطق البشري

بمعنى اللغة في القرآن الكريم".1

قال تعالى: "وهذا لسان عربي مبين".2

وقوله عز من قائل: "فإنما يسرناه بلسانك".3

فاللسان هو القدرة التي مكّنت الإنسان من إنشاء اللغة "وإن إطلاق اللسان على اللغة المؤتلفة من عدة أنظمة ذات المستويات المختلفة التي تكون عرضة للوصف والدراسة والتحليل، يتوافق تماما مع المصطلح الذي اخترناه وهو علم اللسان العربي، لوصف أنظمة العربية وقوانينها، وتفسير ظواهرها وبيان خصائصها".4

أما عبد الرحمان الحاج صالح فيرى أن "اللسان هو قبل كل شيء أداة للتبليغ والتخاطب ،وبعملية التبليغ تتبلور وتتجدد الأفكار والمعاني بعد أن كانت مجرد أحاسيس ،وبذلك تستطيع الذات أن تبني كيانها فهذه هي وظيفته الأساسية"5

1- عبد الكريم مجاهد، علم اللسان العربي، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، 2004، ص.16.

2- سورة النحل، الآية 103.

3- سورة الدخان، الآية 58.

4- عبد الكريم مجاهد، علم اللسان العربي، ص.19.

5- عبد السلام المسدي، اللسانيات من خلال النصوص، . الدار التونسية للنشر، ط2، 1986، ص.127.

فدور اللسان لا يقل عن دور الطبيب الحذق الذي يصف الدواء فيعالج الداء، فبفضل اللسان نخرج تلك الترسبات من داخل النفس البشرية، فكل الأحاسيس والانفعالات يخرجها اللسان من حيز المجهول إلى حيز المعلوم،لأن الأفكار تبقى حبيسة الذهن ما لم تترجمها اللغة أو ما لم يخرجها اللسان، إلا أن "أهم ما يميز اللسان عن اللغة في بعض مفاهيمه المقابلة للغة أن اللسان أعم،وهو الذي يحتوي على عدة لغات تختلف فيما بينها بقليل أو كثير ،لكنها تظل متقاربة ترتبط باللسان الواحد ،خاصة عندما تكون اللغة بمفهوم اللهجة".1

الكلام:

فرق دو سوسير بين الكلام واللغة، إذ يرى أن الكلام فردي أما اللغة فجماعية، فكل فرد يصوغ قواعد اللغة حسب طريقته الخاصة ،وبعبارة أخرى الكلام هو اختيار فردي لعناصر تعبيرية معينة دون تعابير أخرى، من هنا اكتسب صيغة الفردية. وعلاقة اللغة بالكلام أنها تتجسم فعليا من خلاله، فالكلام يميز الإنسان عن الحيوان وإذا كانت الأنظمة العلامية متنوعة: علامات لغوية (نطق- كتابة) وغيرلغوية: كالإشارة والرمزوحركات الرأس واليدين وغيرها، فإن الكلام من بين الأنظمة العلامية التي تميزت بالانتشاروعن ذلك قال صاحب المغني "وإنما اختار أهل المواضعة الكلام في ذلك دون غيره لأنه أوسع بابا من غيره، فيتشعب بمقدارما يحتاج اليه من الأسماء للمسميات ،وذلك يتعذر فيما عداه من الأفعال ولأنه يدرك فهو أقرب إلى أن تعرف به المقاصد من غيره من الأفعال".2

1- أحمد شامية،في اللغة، دار البلاغ للنشر والتوزيع،الجزائر، ص.70.

2- المسدي، التفكير اللساني، ص.253.

أما ابن رشد فأشار إلى أن هدف الفاعل المتكلم إيصال رسالة إلى المتلقي و"بأن الكلام ليس شيئا أكثر أن يفعل المتكلم فعلا يدل به المخاطب على العلم الذي في نفسه ،وذلك فعل من جملة أفعال الفاعل".1

التعدد اللساني:

أشار الدارسون العرب القدامى إلى قضية التعدد اللساني ودليلنا أن ابن جني أشار إلى هذا الاختلاف بين اللغات فقال: "إن لكل واحد من القومين ضربا من القياس يُؤْخَذ به، ويخلد إلى مثله، وليس لك أن ترد إحدى اللغتين بصاحبتها، لأنها ليست أحق بذلك من رسيلتها، لكن غاية ما لك من ذلك أن تتخير إحداهما ،فتقويها على أختها، وتعتقد أن أقوى القياسين أقْبلُ لها، وأشد أنسا بها، فأما رد إحداهما بالأخرى فلا، أولا ترى إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم: (نزل القرآن بسبع لغات كلها كاف شاف)".2

فابن جني أشار إلى أن اختلاف اللهجات كان نعمة على اللغة العربية، إذ من حق الدارس أن يتخير لغة على أخرى ويقوي المختارة، وأما أن يطعن في صلاحية واحدة منهما فمردود مستدلا بقول النبي صلى الله عليه وسلم، وإن كانت إحدى اللغتين أقوى وأشيع من أخرى اختارها إذا قلت إحداهما وكثرت الأخرى "فإذا كان الأمر في اللغة المعوّل عليها هكذا وعلى هذا فيجب أن يقل استعمالها، وأن يتخير ما هو أقوى (وأشيع) منها".3 كما أشار إلى انتقال اللسان من لغة إلى لغة مثلها فصيحة فقال: "اعلم أن المعول عليه في نحو هذا أن تنظر حال ما انتقل إليه لسانه، فإن كان

1- المسدي، التفكير اللساني، ص.286.
2- ابن جني، الخصائص، ج2، ص.7.
3- نفسه، ص.8.

إنما انتقل من لغته إلى لغة أخرى مثلها فصيحة وجب أن يؤخذ بلغته التي انتقل إليها، كما يؤخذ بها قبل انتقال لسانه إليها، حتى كأنه إنما حضر غائب من أهل اللغة التي صار إليها، أو نطق ساكت من أهلها. فإذا كانت اللغة التي انتقل لسانه إليها فاسدة لم يؤخذ بها ويؤخذ بالأولى، حتى كأنه لم يزل من أهلها، وهذا واضح".1

ومع هذه الإشارات التي تدل على التعدد اللساني إلا أن علي أبو المكارم يرى أن قدماء النحاة لم يعطوا أوصافا دقيقة لكل لهجة فـ "ثمة ظاهرة واضحة في البحوث اللغوية المأثورة عن العرب، وهي ظاهرة تكشف عن فهم خاص للغة وتدل على تصور محدد لها، تلك الظاهرة هي الخلط بين مستويات الأداء اللغوي واللهجي دون تفرقة بين ما ينسب إلى لهجة من اللهجات القبلية ، وبين ما ينتمي إلى اللغة الفصحى، واعتبار الكل لغة واحدة، محددة الخصائص متحدة المستوى، وهذا الموقف يعني أن اللغة ليست مستوى واحدا يتميز بخصائصه الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية والدلالية عن كل لهجة من اللهجات على حدة، ثم عن اللهجات في مجموعها، وإنما هي مجموع اللهجات القبلية ذاتها".2

إلا أن المتأمل في كتاب الخصائص لابن جني في (باب اختلاف اللغات وكلها حجة) يربط ذلك بشرط وهو "إن قال يقول على قياس من لغتُه كذا وكذا، ويقول على مذهب من قال كذا ، وكيف تصرفت الحال فالناطق على قياس لغةٍ من (لغات العرب) مصيب غير مخطئ"3. وهذا الشرط هو القياس وليس السماع. أما محمد حماسة فيرى أن القرآن نزل

1- نفسه، ص.9.

2- علي أبو المكارم، تقويم الفكر النحوي، دار الثقافة، بيروت، (د-ت)، ص.157.

3- الخصائص، ج2، ص.8.

بلغة مشتركة استمدت خصائصها من اللهجات العربية على اختلافها وليست من لغة قريش فقط1. وعليه فهذه اللغات اللهجات حملت من الخصائص ما مكنها أن تكون متميزة والدليل أن كلام الله نزل بها، من هنا يمكن أن يُسْتشْهد بها "وفي كتب السيوطي النحوية نراه يكثر من الاستشهاد باللهجات ،فنراه يذكر كثيرا من لغات الحجاز وتميم وقيس ولغات أخرى غير منسوبة، أي أنه قد يعزو اللهجة إلى قبيل معين من قبائل العرب، وقد يهمل العزو".2

وإذا سلمنا أن لغة القرآن مستمدة من لهجات العرب،فإنه لابد من وقفة مع الدارسين الذين وجدوا في لغة القرآن حقلا مزروعا بشتى ألوان البلاغة والنحو والدلالة، فأثاروا بذلك قضية اللفظ والمعنى، وقضية الأثر النفسي وقضية النظم، فها هو عبد القاهر الجرجاني يقول: "وجملة الأمر أنّا لا نوجب الفصاحة للفظةٍ مقطوعةٍ من الكلام الذي هي فيه، ولكناّ نوجبها لها موصولة بغيرها، ومعلقا معناها بمعنى ما يليها"3.

وهذا التعليل للغويين العرب يدل على أنهم ما كانوا ليأخذوا لفظا أو عبارة دون تمحيص ونقد، وهذا يدل على وعي تام بتلك العلاقات التي تربط الألفاظ، مع تأكيدهم على دور النحو في هذه العملية "فعبد القاهر الجرجاني منح النظم سمة تمتاز بالتوضيح والتفصيل والتأويل الذهني والإمعان العقلي، فأعاد تشكيل مادته من جديد ووسع من دلالته أو عدّل منها، ووثّق الاهتمام به ونمّاه، ونبه في قوة إلى رصيد هائل من صوره ومعانيه، ورأي أن الشيء الذي لا يزال محتاجا إلى التوكيد أو التأييد هو

1- محمد حماسة عبد المطلب، لغة الشعر، دراسة في الضرورة الشعرية، دار الشروق، ط1، 1996، ص.312.

2- عصام عيد فهمي أبو غريبة، أصول النحو عند السيوطي بين النظرية والتطبيق، ص.143.

3-عبد القاهر. دلائل الإعجاز.ت.محمد التنجي. ص.299.

أن نعيد طريقة التفكير الأدبي على الإجمال، ولهذا يحسن بنا أن نبدأ بدراسة هذه المشكلة الشائكة وأن نلقي الضوء على تصور عبد القاهرلها وتتبعه لدقائقها وأسرارها"1.

أما محمد مندور فيقدم صورة لعبد القاهر تعكس طاقاته اللغوية وقدرته الأدبية وإبداعاته النحوية حيث اعتبره مطورا لإنجازات البلاغيين قبله، محلقا خارج عصره بتقديم نظرية لغوية متكاملة "والحق أن عبد القاهر قد اهتدى في العلوم اللغوية كلها إلى مذهب لا يمكن أن نبالغ في أهميته، مذهب يشهد لصاحبه بعبقرية لغوية منقطعة النظير، وعلى أساس هذا المذهب كوّن مبادئه في إدراك (دلائل الإعجاز) في القرآن وفي النثر العربي وفي الشعر العربي، على السواء... ومذهبه أصح وأحدث ما وصل إليه علم اللغة في أوروبا لأيامنا هذه، هو مذهب العالم السويسري فردناند دوسوسير"2. ومكونات نظرية النظم عند الجرجاني تعتمد البنية اللغوية التي تحقق فيها اللفظة معنى، وما البنية إلا بناء فيه نظم وضّم. مع ملاءمة اللفظة لمعاني جاراتها. "وجملة الأمر أنا لا نوجب الفصاحة للفظة مقطوعة، من الكلام الذي هي فيه، ولكنا نوجبها لها موصولة بغيرها، ومعلقا معناها بمعنى ما يليها"3.

ونظم الكلم لا يكتمل بناؤه إلا بتطبيق قواعد النحو، والتي على أساسها يتشكل المعنى، فالسمة المميزة للنظم عند الجرجاني التوضيح والتفصيل، والتأويل الذهني والإمعان العقلي، وبذلك استطاع أن يعيد تشكيل مادة النظم من جديد، وبلغ اهتمام الجرجاني بالنظم - والذي

1- تامر سلوم: نظرية اللغة والجمال في النقد العربي. ط1، دار الحوار للنشر، سوريا، 1983. ص.112، 113.

2- محمد مندور: النقد المنهجي عند العرب، ص. 333.

3- عبد القاهر: الدلائل ، ت. التنجي، ص. 299.

معناه التزام الأوضاع النَّحوية- أن جعله محور كتاب (الدلائل)، وما هذا الفلك الذي يدور فيه النظم سوى اللغة بما تحمله من نحو وبلاغة وموسيقى، لذا لم تكن نظرة عبد القاهر إلى اللغة على أنها قواعد صارمة، وضوابط لابد من التقيد بها، بل نظر إليها على أنها مشاعر وعقل، ضوابط وحركة، خيال وفكر، ألفاظ ومعان وسياق يحدد الدلالة، والمتجول في رحاب (أسرار البلاغة) يجد عبد القاهر قد ركز على البيان العربي ليكشف جمال اللغة وحسنها، أما المبحر مع (دلائل الإعجاز) يجد الخط البياني قد أخذ اتجاها آخر، إنه الاهتمام بإعجاز القرآن، وما كان الطريق ليكون سهلا لولا بحثه في (أسرار البلاغة) ليحدد وجوه الحسن في الكلام، وبعد أن عبد الطريق عبر إلى القرآن باحثا عن الإعجاز فيه، مستعينا بدراسات السابقين حول الإعجاز، فكان التفكير مطيتَه والتمعن فيه وسيلتَه، ليحط الرحال في نهاية المطاف عند مفهوم سُبِق إليه (النظم) إلا أن من سبقه كان في عجلة من أمره، فلم تكن عملية المسح قد مست كل جوانب النظم بدقة، إضافة إلى أن دارسي الإعجاز السابقين لم يعولوا على النظم كلية في الإعجاز، بل قالوا بأمور أخرى، يقول عبد الكريم الخطيب: "إن عبد القاهر لم يلتق بالإعجاز التقاء مباشرا، وإن كان قد طوف به ودار حوله، وكأنه بهذا كان يمهد لوقفة خاصة مع الإعجاز يريد بعدها أن يلقاه لقاء مواجها ويفرده بالكتابة والتأليف"1.فالقول بالنظم كوجه من أوجه الإعجاز دليل على إن اللغويين العرب أدركوا أن اللغة مجموعة من العلاقات، وأنه يستحيل فصل الدال عن المدلول، وفي هذا ردّ على أولئك الذين قالوا بأن النحاة العرب استدلوا بكل اللغات، فشوقي ضيف وقف وقفة ناقد موضوعي عند كتابات عبد القاهر الجرجاني فقال: "أنه

1- عبد الكريم الخطيب: الاعجاز في دراسات السابقين، ص. 241، 242.

أقام فروقا عقلية بين ألوان التعبير عن المعنى الواحد في العربية، وهي فروق تنبع من عقل فلسفي، ولا تنبع من حس لغوي دقيق، إلا في القليل النادر... وأن مرد الإعجاز والبلاغة إلى هذه المعاني الإضافية أو معاني المعاني كما يسميها"1.

فهذا العقل الفلسفي للجرجاني كما يصفه شوقي ضيف، وهذه الآراء النقدية للنصوص والمستمدة من فلسفة لغوية عميقة، كما يقول محمد مندور، إنما هي للبرهنة على منهج النحو الذي اعتمده الجرجاني في (الدلائل) هذا المنهج الذي احتاج لفكر عميق، ولغة دقيقة، كشفا عن نقد موضوعي كان كتاب (الدلائل) مسرحا له. ويرى الدكتور فخر الدين عامر أن ابن طباطبا العلوي له تأثير كبير على عبد القاهر الجرجاني، في كثير من القضايا النقدية، منها قضية المعنى. يقول ابن طباطبا: "فإذا أراد الشاعر بناء قصيدة مَخَضَ المعنى الذي يريد بناء الشعر عليه في فكره نثرا، وأعدّ له ما يلبسه إيّاه من الألفاظ التي تطابقه"2. فما قام به عبد القاهر هو العرض الشيق باعتماد وسائل الإقناع مع شرح الفكرة وتفصيلها أكثر، ويستدل فخر الدين بما قاله عبد القاهر: " وأما نظم الكلم فليس الأمر فيه كذلك، لأنك تقتضي في نظمها آثار المعاني وترتبها في النفس على حسب ترتيب المعاني"3. ورغم أنه اقتفى آثار سابقيه، إلا أنه في هذا الاقتفاء لم يكن يتتبع الخطوات خطوة خطوة، حتى وإن مالت إحداها، بل هي محاولة لمعرفة الطريق ليحدد بعد ذلك أي حركة يريد، أيريد السّير أم الرّكض أم الهرولة... فخرج عن مألوف سابقيه في جمعه بين التنظير والتطبيق، فكانت وقفته متنوعة بين الشعر والنثر والحديث

1- شوقي ضيف: النقد، ط 3، دار المعارف، مصر، 1964، ص. 89.
2- فخر الدين عامر: أسس النقد الأدبي في عيار الشعر، ص. 149.
3- نفسه، ص. 149.

وآي القرآن، تعددت الطرق والهدف واحد. إنه هدف إثبات الإعجاز القرآني. ومن تطبيقه توقفه عند آية من سورة هود فقال: "وهل تشك إذا فكرت في قوله تعالى: (وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)" سورة هود -الآية44.

الخريطة الوراثية للغة:

من الإشكالات التي فرضت نفسها قديما وحديثا القضية اللغوية، كيف نشأت اللغة أهي إلهام أم محاكاة أم تواضع واصطلاح؟ وهدف هذه المداخلة ليس الولوج إلى عالم هذه الإشكالية، ولا محاولة عرض النظريات اللغوية، وإنما هدف الدراسة هو إزالة الغموض عن التعدد اللساني واللغة الجامعة. وهل هذا التعدد نعمة أم نقمة؟ مع التركيز على اللغة الجامعة واللغة الوطنية.

اللغة الجامعة:

هي اللغة الفصحى، والتي شكلت دعامة هامة من دعامات هويتنا الوطنية والثقافية، واللغة الجامعة لغة مركزية رسمية تدور في فلكها اللغة الوطنية واللغة العامية واللهجات المحلية ، ورغم ذلك فإنه "في هذا العصر جاءت محاولة أخرى وهي استبدال اللغة الفصحى باللغة العامية،على أن العامية لغة الوضع والاستعمال،ومرة أخرى يأتي التشكيك في هذه اللغة الجامعة التي حافظت على أواصروحدتنا".1

فاللغة الجامعة واجهت تيارات وهي تعيش صراعا غير متكافئ في ظل سيطرة اللهجات ،فمثلا في الجامعات الأمريكية يشجع الطلبة العرب على

1-صالح بلعيد، محاضرات في قضايا اللغة،مطيوعات جامعة منتوري قسنطينة ، ص.443.

فاللغة الوطنية هي التي ينطقها سكان بلد معين، ضمن حدود سياسية معينة، وهي بذلك لغة هذا الوطن، ومع تنوع الأداءات للغة الوطنية في الجزائر إلا أن ذلك لم يكن عائقا أمام التفاهم، فكل أبناء الجزائر يفهم بعضهم بعضا، ورغم هذا يبدو أن ثمة صراعا داخليا على أشده بين اللغة الجامعة وبين اللهجات، وصراعا خارجيا بين العربية الفصيحة و اللهجات واللغات الأجنبية.

-1الصراع الداخلي بين العربية الفصيحة وبين اللهجات المحلية:

يتمثل هذا الصراع في أن هذه اللهجات تختلف من منطقة إلى أخرى داخل الوطن الواحد، ناهيك عن الأقطار المتباعدة «يضاف إلى هذا كله أن اللغة العامية تختلف باختلاف الشعوب العربية، وتختلف في الشعب الواحد باختلاف مناطقه، فعامية العراق لا يكاد يفهمها المصريون أو المغاربة، وعامية المصريين لا يكاد يفهمها العراقيون ولا المغاربة، وعامية المغاربة لا يكاد يفهمها العراقيون ولا المصريون، وفي البلد الواحد تختلف اللهجات العامية باختلاف طوائف الناس وباختلاف المناطق».1

ووجوه الصراع اللغوي بين العربية الفصيحة والعامية، أن العامية تبوأت مكانة في كثير من المؤتمرات والندوات والاجتماعات، بل سيطرت على وسائل الإعلام، فكم هي كثيرة تلك الإعلانات والبرامج التي كانت فيها العامية ممسكة بزمام القيادة متجاهلة وجود لغة جامعة بإمكانها أن تحتل الريادة وأن تمسك مقود التعبير، بل نشأ عن هذا التغييب وجود مستويات لغوية للغة العربية في العصر الحديث حددها الدكتور السعيد بدوي في:

1- علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، ط8، 1945، ص.158.

"فصحى التراث: وتستخدم في قراءة الكتاب المقدس (القرآن الكريم).

فصحى العصر: وتستخدم في كتابة وحديث في المواقف الرسمية.

عامية المثقفين: وتستخدم لغة الحديث الرسمية لطبقة المتعلمين.

عامية المتنورين: وتستخدم لغة الحديث العادية لطبقة المتعلمين.

عامية غير المتنورين: وتستخدم لغة الحديث للأميين".1

ويرى عبد الكريم مجاهد "أن اللغة الفصحى المشتركة يجب أن ترتفع عن مستوى هذه اللهجات، وعن مستوى العامية، لأنها لغة الثقافة والأدب،... فهي اللغة النموذجية الأدبية للعرب التي يكتب بها شعرهم، دون أن تكون لغة سليقة لعامة العرب قديما وحديثا، فهي أعلى من مستواهم لأن لغة السليقة هي اللهجة التي تتضمن خصائص محلية تميمية أو حجازية مثلا ينطق بها المتكلم دون شعور منه بهذه الخصائص ويؤديها بآلية اكتسبها على مر الأيام منذ الطفولة".2

أما عن أصل العربية الفصيحة فيرى عبد الكريم مجاهد أن الفضل فيها لا يعود للغة قريش وحدها والسبب أن قريشا "مع فصاحتها وحسن لغتها ورقة ألسنتها إذا أتتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم، فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات إلى نحائزهم وسلائقهم التي طبعوا عليها، فصاروا بذلك أفصح العرب، فخلت لغتهم من خصائص اللغات المذمومة... وضمّت إليها

1- كيس فريستيغ، اللغة العربية تاريخها ومستوياتها وتأثيرها، ترجمة محمد الشرقاوي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2003، ص.219.

2- عبد الكريم مجاهد، علم اللسان العربي، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2005، ص.271.

مااستحسنته من صفات اللهجات الأخرى ما استحقت معه أن يطلق على هذه اللغة، اللغة العربية الفصحى".1

وما يمكن استخلاصه أن العربية الفصحى مرت بمراحل من المد والجزر واستطاعت أن تفتك لها مكانة بين شعوب العالم، من خلال انفتاحها على حضارات الشعوب الأخرى، فالواقع يسر إلى أن الحضارة العربية الإسلامية لم يضعها العرب وحدهم بل انتشر تحت فهمها أمم كثيرة، ويرى ميشال شوسودوفسكي في كتابه (عولمة الفقر) "الذين تقلدوا مناصب عالية في الدولة الإسلامية لم يكونوا كلهم عربا لأن المناصب تحكم بالمعرفة. وبالسعي على تقدم الإنسانية الذي أتم امتزاج الحضارات والثقافات دون أي تمييز بين مجتمع أو شعب وآخر".2

ولنا أن نتساءل هل اللغة تصنع الإنسان؟ أم الإنسان يصنع اللغة؟ ولابن حزم الأندلسي في ذلك رأي إذ يقول "فإن اللغة يسقط أكثرها ويبطل بسقوط دولة أهلها، ودخول غيرهم عليهم في مساكنهم،أو بتعلمهم من غيرهم واختلاطهم بغيرهم، فإن ما يقيد لغة الأمة وعلومها وأخبارها قوة دولتها ونشاط أهلها وفراغهم، وأما من تلفت دولتهم وغلب عليهم عدوهم واشتغلوا بالخوف والحاجة والذل وخدمة أعدائهم، فمضمونٌ منهم موت الخواطر، وربما كان سببا لذهاب لغتهم، ونسيان أنسابهم وأخبارهم، وبيود علومهم، هذا موجود بالمشاهدة ومعلوم بالعقل ضرورة".3 والذي يصنع قوة الأمة أو ضعفها هو الإنسان، وهذا ما ينطبق على حال العربية

1- نفسه، ص.171.

2- ميشال شوسودوفسكي، عولمة الفقر، ترجمة محمد مصطفى، دار أرسطو، بيروت، 1998، ص.45.

3- ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق أحمد محمد شاكر، م1، ط1، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1980، ص.32.

اليوم، فرحم الله زمانا كان فيه العربي قويا فكانت العربية لغة الحضارة والعلوم، ولغة المنابر والفنون، فما كنا لنعرف الأنساب، ولا لتصلنا الأخبار لولا اللغة، فحياة اللغة وتطورها أو ضعفها مرهون كذلك بقوة الأمة أو ضعفها، وهذا ما أفرز صراعا خارجيا بين العربية واللغات الأخرى خاصة الإنجليزية.

ب-الصراع الخارجي:

مادام قانون الطبيعة يعطي الغلبة للقوي، فإن الصراع بدا على أشده بين الإنجليزية التي شقت طريقها وبخطى ثابتة، وبين لغات كانت بالأمس لغة العلم والحضارة كالعربية والفرنسية، ولعل نجاح الإنجليزية تحقق بفضل:

1 - تأليف المعاجم وبأحجام مختلفة.

1 - تنوعت هذه المعاجم بين:

أ- معاجم إنجليزية - إنجليزية.

-2معاجم إنجليزية - عربية.

ج- معاجم إنجليزية - فرنسية.

د- معاجم إنجليزية - ألمانية.

3 - تم إنشاء هيئات مختلفة لتشجيع الإنجليزية منها: الإذاعة البريطانية التي تقدم برامج تعليمية لكل المستويات.

4 - إنشاء مؤسسات حكومية وخاصة للترغيب في دراسة الإنجليزية، وتقديم العون المادي والمعنوي.

وفي المقابل ثمة شح في منابع إمداد العربية وتشجيعها بما يمكنها من مواجهة هذه التحديات، وحتى نعيد الاعتبار للغة العربية والتي كانت بالأمس القريب لغة الحضارة يجب علينا أن نعتمدها في مراحل التعليم المختلفة (من دور الحضانة حتى الجامعة).

وهذا الجدول يوضح عدد الناطقين بأهم لغات العالم باعتبارها اللغة الأم حسب إحصائيات 1:2011

الترتيب	اللغة	العدد بالمليون
1	اللغة الصينية	1.213.000.000
2	اللغة الإسبانية	329.000.000
3	اللغة الإنجليزية	328.000.000
4	اللغة العربية	221.000.000
5	اللغة الهندية	182.000.000
6	اللغة البنغالية	181.000.000
7	اللغة البرتغالية	178.000.000
8	اللغة الروسية	144.000.000
9	اللغة اليابانية	122.000.000
10	اللغة الألمانية	90.000.000

1- www.infoplease.com

كلمات عامية ذات أصول فصيحة:

حاولت أن أعود إلى بعض المعاجم وأن أتتبع بعض الكلمات العامية ذات الأصول الفصيحة معتمدة الترتيب الأبجدي .

الألف: إيه: اسم فعل للاستزادة من حديث أو فعل،ونستعملها بكثرة في العامية الجزائرية.

الباء: بطَّ: بطّا الجرحَ: شقه.

بحبح: تبحبح: تمكّن في المقام.

بحّ: البحة: خشونة وغلظ الصوت.

التاء: تفل: بصق وتنطق في العامية بالدال.

تكتكت الساعة: أسمعت صوتها المعهود.

الثاء: ثار: هاج، والثائر الغاضب.

الجيم: جَرَد، جردا أو جرّد العود قشره، وفي العامية تأتي الجيم ساكنة (جْرد).

الجيب: عند العامة هو كيس يخاط في جانب الثوب، ويجعل فمه في الخارج.

الحاء: الحدَبة: خروج الظهرودخول الصدر، وفي العامية تنطق بتسكين الدال.

الحسيفة: العداوة ، الغيظ، حسِف حسفا له، أضمرله العداوة والغضب.

الخاء: خرط خرطا الرجل: كذب، الخراط: الكذاب.

خلص الرجل: أعطى الخلاص، وهو مثل الشيء.

الدال: دلل: الدلال على السلعة عرضها للبيع مناديا عليها.

دلدل رأسه أو أعضاءه: حركها عند السير.

الراء: رجف رجفا: حركه شديدا، رحب المكان، وسّعه، ومرحبه: أحسن وفده.

الردم: ردم ردما: سد سدا.

الزاي: زعق، زعقا: صاح.

السين: سرَط وسرِط: سرطا وسرطانا، وتسرط واسترط الشيء: ابتلعه.

ساح: سيحا وسيحانا الماء: جرى فهو سائح، سيّحه: جعله يسيح.

الشين: شرُف: ومنها شروف الناقة أي مسنة هرمة.

شوّر إليه: أومأ، أشار بيده.

شاط: شوطا به الغضب: اشتعل، وشوشط الطعام احترق.

الصاد: صفع صفعا: ضرب قفاه أو بدنه بكفه مبسوطة.

الضاء: ضلع: الضلع مصدر الميل والعوج، ضلع ضلعا الشيء: اعوج.

الطاء: طحا الشيء: بسطه ومدّه، طحى، طحيا الشيء بسطه

وفي ا لعامية نقول طاح سقط على الأرض وانبسط.

الطراحة: فراش مربع أو مستطيل يجلس عليه، المطرح: جمعه مطارح، المفرش، وهو كلمة في العامية.

الظاء: الظِّنة: القليل من الشيء (ظنن- ظنائن) الظنين قليل الخير، وهو المعنى المستعمل في العامية.

العين: عرم: التراب كوّمه (عامية)، العرام: الكومة من شيء ما.

عس: عسا وعسسا: طاف بالليل يحرس، العساس، العاس: الذئب لأنه يعس بالليل.

الفاء: فتل: ما فتلته بين أصابعك من الوسخ فأصبح عبارة عن حبات صغيرة، فتلت المرأة إذا حولت الدقيق إلى حبات صغيرة.

فحج: تدانت صدور قدميه وتباعدت عقباه، تفحج الرجل: فرق بين رجليه(كلمة في العامية).

القاف: قسح: قساحة وقسوحة: صلب، وقلب قاسح في العامية غليظ صلب.

الكاف: كمش من الشيء كمشة، إذا أخذ منه بقدر ما يملأ يده.

كانون: جمع كوانين: الموقد والمصطلى.

اللام: لبخ له: وضع له لبخة (عامية)، اللبخة: جمع لبخات: خرقة تجعل فيها نخالة ونحوها وتوضع على مكان الألم.

الميم: مرّك: وضع عليه الماركة: علامة فارقة تجعل على البضائع، ويعتقد العامة أنها كلمة أجنبية.

مسّد: بشيء أو على الشيء: أمرّ يده عليه.

مكّاس: من يأخذ دراهم المكس من بائع السلع.

النون: نشَف ونشِف، نشفا الثوب العرق: شربه.

نخم: تنخم: دفع بشيء من صدره أو أنفه.

الهاء: هبرة اللحم: اللحم أو بعض اللحم لا عظم فيه.

هرج: هرجا الناس: وقعوا في فتنة واختلاط.

الواو: والف، ولافا وموالفة، ألف، توالف: ائتلف أحدهما إلى الآخر.

وحوح: صات بصوت فيه بحح.

إن هذه الكلمات التي تتبعتها هي قليل من كثير، ولا أبالغ إذا قلت إن العامية الجزائرية أقرب العاميات العربية إلى اللغة العربية الفصيحة، وليس هذا تعصبا ولكن انطلاقا من تتبعي لهذه الكلمات العامية ذات الأصول العربية الفصيحة.

الخاتمة:

بعد هذه الرحلة الاستكشافية في عمق التعدد اللساني واللغة الجامعة خلصت إلى مجموعة من النتائج أوجزتها فيما يلي:

1 - ليست وظيفة اللغة ترجمة الواقع الموجود بل إ نشاء الموجود والافتراضي.

2 - اللغة الجامعة واللغة الوطنية بإمكانهما أن تؤسسا منطقة خصبة يستثمر فيها المبدع طاقات اللغة اللامتناهية.

3 - تكمن أهمية اللغة في أنها تختزل العالم في صور ذهنية يعيدها الإنسان وقت الحاجة، ليكون التواصل بينه وبين محيطه.

4 - على المجامع اللغوية أن تتحمل مسؤوليتها وذلك بترجمة المصطلحات العلمية والأدبية لإثراء اللغة الفصيحة،ومحاولة الاتفاق حول المصطلحات المترجمة.

5 - للغة الجامعة دور بالغ الأهمية في تطور الأمة وتحضرها ،ولتفعيل هذا الدور علينا أن نجعلها لغة الحياة اليومية.

6 - لا بد من تفعيل القرارات السياسية الخاصة بتطبيق اللغة الفصيحة.

7 - تشجيع استعمال اللغة الجامعة في الندوات، واللقاءات الصحفية، والملتقيات الفكرية.

8 - عدم السماح للهجات المحلية بالسيطرة .

من اللاوعي إلى الوعي اللغوي دراسة في سبل التخلص من الآثار السلبية للازدواجية اللغوية في اللسان العامي الجزائري

أ.د/ نوار عبيدي.
جامعة الطارف. الجزائر

الكل متفق على أن اللغة هي الخاصية الأولى لهوية الشعوب والحضارات، بل إن اللغة هي المحدد الأول والأساس لشخصية الإنسان وجنسه وثقافته؛ فالعربي عربي لأنه يتكلم العربية، والإسباني إسباني لأنه يتكلم الإسبانية. ثم إن الإنسان لم يقطع هذه الأشواط في تاريخه إلا مستعينا بملكته اللغوية التي مكنته من وضع العلوم وتسجيل ملاحظاته عبر العصور لتستفيد منه الأجيال البشرية المتعاقبة.

إن اللغة. من هذا المنطق. هي محرك الفكر البشري، وبالتالي هي الوعاء الأول للعلوم ومن ثم الحضارات وكل هذا التطور البشري الذي وصل إليه الإنسان اليوم. إلا أن حياة اللغات لم تخل من اضطراب وتحول وتغير وتطور، وهذا هو ميدان البحث اللغوي منذ القديم، والدراسات اليوم تعكف على فهم هذا التحول والتطور سواء من حيث النظرة الزمنية. التاريخية، أم من حيث النظرة الآنية، وما المناهج المتعددة التي أنجبتها اللسانيات الحديثة إلا نتيجة لتلك الأبحاث المتعددة حول التطور

من اللاوعي إلى الوعي اللغوي دراسة في سبل التخلص من الآثار السلبية للازدواجية اللغوية في اللسان العامي الجزائري

أ.د/ نوار عبيدي.
جامعة الطارف. الجزائر

الكل متفق على أن اللغة هي الخاصية الأولى لهوية الشعوب والحضارات، بل إن اللغة هي المحدد الأول والأساس لشخصية الإنسان وجنسه وثقافته؛ فالعربي عربي لأنه يتكلم العربية، والإسباني إسباني لأنه يتكلم الإسبانية. ثم إن الإنسان لم يقطع هذه الأشواط في تاريخه إلا مستعينا بملكته اللغوية التي مكنته من وضع العلوم وتسجيل ملاحظاته عبر العصور لتستفيد منه الأجيال البشرية المتعاقبة.

إن اللغة. من هذا المنطق. هي محرك الفكر البشري، وبالتالي هي الوعاء الأول للعلوم ومن ثم الحضارات وكل هذا التطور البشري الذي وصل إليه الإنسان اليوم. إلا أن حياة اللغات لم تخل من اضطراب وتحول وتغير وتطور، وهذا هو ميدان البحث اللغوي منذ القديم، والدراسات اليوم تعكف على فهم هذا التحول والتطور سواء من حيث النظرة الزمنية. التاريخية، أم من حيث النظرة الآنية، وما المناهج المتعددة التي أنجبتها اللسانيات الحديثة إلا نتيجة لتلك الأبحاث المتعددة حول التطور

للعربية؟ أم هي عربية لأنها وردت في القرآن الكريم والذي قرر أنه نزل بلسان عربي مبين.

وهذا الباب لا يمكن أن يحاط به في هذا البحث خاصة فيما دخل في العربية، وبقي على أصله، وفيما عُرب بعد ذلك1. إلا أن الألفاظ المتعلقة بالقرآن الكريم ذهب فيها العلماء ثلاثة مذاهب2: مذهب يرى أن كل ما ورد في القرآن عربي لقوله تعالى " قُرْآنًا عَرَبِيًّا " (فصلت الآية 3) منهم الشافعي رضي الله عنهُ الذي شدّد على القائل بغير ذلك، ومنهم أبو عبيدة، وابن أوس الذي قال إن ذلك يبطل مفهوم الإعجاز. ومذهب يرى أن تلك الألفاظ أعجمية وتكون فارسية أو حبشية أو نبطية، وهذا رأي ابن فارس. إلا أن ابن جرير قال إن تلك الألفاظ من اتفاق اللغات حيث تكلّم بها العرب والفرس وغيرهم3. ومذهب ثالث يرى أن تلك الألفاظ عربية صرفة إلا أنها خفيت.

وقال أبو عبيدة أيضاً إن الصواب " أن هذه الحروف أصولها أعجمية كما قال الفقهاء، إلا أنها سقطت إلى العرب فأعربتها بألسنتها، وحولتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها، فصارت عربية، ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب، فمن قال إنها عربية فهو صادق، ومن قال أعجمية فهو صادق"4.

---

1 انظر تفصيلا لهذه المسألة د/ صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1/1986.ص314 وما بعدها. وانظر د/ عبد الواحد وافي، فقه اللغة، شركة نهضة مصر، القاهرة، ط4/2005، 153 وما بعدها.

2 انظر حول مختلف هذه الآراء جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، دط/2003، ج2 ص105. وكذا المزهر، في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق محمد أحمد جاد المولى، وعلى محمد البجاوي، ومحمد أبوالفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، لبنان، د ط، د ت، ج1 ص266.

3 ويرى هؤلاء أن الألفاظ الأعجمية القليلة لا تبطل كون القرآن عربياً. انظر الإتقان في علوم القرآن، ج2 ص105.

4 المزهر، ج1 ص269.

فسدت العربية على الإطلاق كما قال ابن خلدون، ولم يبق لها رسم في المماليك الإسلامية، وذهبت أساليبها من الشعر والكلام،1 ولولا حفظ القرآن وتمسك العربي بلغته لما بقي من العربية شيء.

لقد عمل الاستعمار الفرنسي ما لا يمكن تصوره للقضاء على العربية، حيث اعتبرها لغة أجنبية في بلدها وفي وسط أهلها طيلة 132 سنة، فلم يكن هذا الاستعمار تدميرا سياسيا بإزالة سيادة الشعب الجزائري على أرضه ومصيره واختياراته بل بإزالة هويته وذلك بإفقاره وتجهيله ومن ثم القضاء عليه نهائيا2. إن هذه السياسة الاستدمارية لا تزال آثارها بادية للعيان إلى يوم الدين هذا " وهذا ما يفسر ما لقيته الجزائر من الصعوبات لاسترجاع لغتها وإحلالها مكانتها الطبيعية التي أفقدها إياها الغزاة"3.

لقد كان الاستعمار الفرنسي ومنذ سنوات الاحتلال الأولى يدرك قوة اللغة العربية ومن ثمة قوة القرآن الكريم في قلوب الجزائريين. وبالتالي كان القضاء على العربية من أهم أولويات الاحتلال. يقول الفريد رامبو وزير التعليم الفرنسي عام 1897 " يجب أن نضمن السيطرة للغتنا وأن تدخل في أذهان المسلمين الفكرة التي نحملها نحن أنفسنا عن فرنسا ودورها في العالم، وأن تحل محل الجهل والأفكار المسبقة المنغلقة"4.

لقد طبقت فرنسا قوانين جائرة في سبيل القضاء على العربية بفرض قانون الأنديجينا، فحاربت المدارس واستولت على المساجد ودمرت الزوايا وكل ما يمكن أن يحافظ على شخصية هذه الأمة.5

1عبدالرحمن ابن خلدون، المقدمة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د ط، د ت، ص320.

2بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1 ص 387.

3م ن، ص

4د/ محمد الميلي، وضع العربية خلال العهد الاستعماري، مجلة المجلس الأعلى للغة العربية، دار الأمة، الجزائر، ط1/ 2007. عدد خاص، ص 59.

5د/ محمد العربي ولد خليفة، ملاحظات أولية حول العربية . من محن الكولونيالية إلى هيئتها الاستشارية، مجلة المجلس الأعلى للغة العربية، عدد خاص، ص 110.

ولم يكتف الاستعمار الفرنسي بالقضاء على العربية الفصحى بل كان يشجع العاميات المتداولة... وعملت نفس الشيء بالنسبة للأمازيغية بلهجاتها المتداولة، وركزت بوجه خاص على منطقة القبائل1. وقد ذكر د/ أحمد بن نعمان2 أن فرنسا ما فتئت تدعو إلى سياسة التفرقة بين العرب والبربر زاعمة أنها الوريث الشرعي للحضارة اللاتينية التي شيدها الرومان في شمال إفريقيا، فأنشأت إذاعة بإحدى اللهجات البربرية لأنها راهنت على المنطقة وتأكدت من قابلية أهلها للفرنسة، إلا أن ذلك لم يفلح وبقت المنطقة معتزة بمساجدها وكتاتيبها وزواياها التي تعلم القرآن والدين الإسلامي. وأكد ابن نعمان أن حرب فرنسا للعربية تمثلت على الخصوص في:

1. هدم المدرسة العربية.
2. إنشاء المدرسة الاستعمارية. ولتحقيق ذلك اعتمدت على:
   1. التفرقة بين العرب والبربر.
   2. الإدماج.
   3. التنصير.

إن الحديث عما فعلته فرنسا في العربية لا يكفي المجلدات وتكفي هنا هذه الإشارة3.

1م ن، ص 109

2د/ احمد بن نعمان، وضع اللغة العربية في عهد الاحتلال. مجلة المجلس الأعلى للغة العربية، عدد خاص، ص 302.

3للتوسع في هذه المسالة يمكن العودة إلى المرجع السابق وهو عدد خاص أصدره المجلس الأعلى للغة العربية حول محنة اللغة العربية أثناء فترة الاحتلال، وهو عدد ممتاز كتب فيه نخبة من المفكرين والمحللين الجزائريين مقالات وشهادات وتصريحات مثيرة حول الموضوع. العدد نشر بمناسبة الاحتفال بمرور 50 سنة على الثورة الجزائرية. تحت عنوان: اللغة العربية من محنة الكولونيالية إلى إشراقة الثورة الجزائرية، دار الأمة، الجزائر، ط1، 2007.

وقد استطاعت الجزائر بفعل جهود مخلصيها وخاصة جمعية العلماء المسلمين التصدي لتلك الهجمة لإنقاذ ما يجب إنقاذه، وتواصلت الجهود بعد الاستقلال فيما يسمى (بالتعريب)، ثم مشروع المدرسة الأساسية وتعريب بعض الاختصاصات في التعليم العالي، وظهور بعض القرارات والمراسيم الجريئة لتعريب الإدارة، وكل ذلك أمر محمود1.

بين اللهجة العامية واللهجة الهجينة

لقد بدأ الاهتمام بدراسة اللهجات العامية العربية دراسة علمية منذ العصور الأولى عندما اهتم القدماء بلحن العامة، وفي العصر الحديث بدأ الاهتمام جديا في القرن الماضي بهذه المسألة التي شجعتها التحولات السياسية والاجتماعية والثقافية التي عرفتها الأمة العربية والإسلامية منذ ظهور الاستعمار، ثم الغزو الثقافي، ثم تأثير وسائل الإعلام المدهش في البشرية آنذاك.

وقد اهتم الباحثون المشارقة بالعاميات العربية خاصة المصرية والعراقية والخليجية. ولعل أهم دراسة في هذا المجال ذلك المعجم الذي وضعه د/عبد الصبور شاهين حول الدخيل في العامية المصرية، ونشره لأول مرة في كتابه دراسات لغوية2. وأعقب شاهين ذلك المعجم بدراسة تحليلية وافية تناولت الدراسات السابقة للعامية منذ ظهور اللحن في اللسان العربي، وما أحصاه د/ رمضان عبد التواب في كتابه الهام (لحن العامة والتطور اللغوي) الخ...

1للتفصيل انظر عبد الرحمن سلامة، التعريب في الجزائر من خلال الوثائق الرسمية، مكتبة الشعب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1981. وانظر بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، م س، ج 1 ص 387.

2د/عبد الصبور شاهين، دراسات لغوية (القياس في الفصحى- الدخيل في العامية)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2، 1986، ص 107 وما بعدها.

وقد تطرق شاهين إلى خطورة هذا النوع من الدراسة باعتبار أن مسالة العامية أخذت حقها في النقاش بين الداعين إلى استعمالها كلغة بديلة للفصحى، وبين الرافضين لها خوفا على العربية ودينها، وإن كان هذا النقاش ليس مكانه الآن، إلا أننا نختلف مع د/ شاهين حين يرى أن تأثير العامية على الفصحى " غلو لا فائدة منه"1 كما نختلف معه في كون " دراسة الدخيل في العامية يجب أن تتم لذاتها ومن حيث كونها سجلا لأحداث تاريخية واجتماعية ولغوية، ومن حيث هي مؤشر إلى مرحلة حضارية تعيشها الجماهير"2. هذا النظر يمكن التسامح فيه حول الدخيل الذي يخضع للقاعدة الصرفية العربية، والذي يصعب إيجاد بديل له في المتن العربي كالمصطلح العلمي وغيره، أما التسامح مع كل دخيل فذلك ما لا يخفى خطره على أحد.

والحق أن الخطر الذي تحمله تلك الألفاظ الهجينة لا يمتد فقط إلى اللغة ليزيل لفظا ويعوضه بلفظ آخر، إنما الخطريمتد إلى الشخصية ذاتها والهوية وطرق التفكير، فيصيب الشخص بالعجز عن التعبير السليم، أو ما يمكن أن نسميه (الإعاقة الإرادية في التعبير). وهذا بالضبط الذي تفطن له ابن خلدون حين تكلم عن ظاهرة التخلي عن اللسان الأصلي بسبب مخالطة الأعاجم حيث قال" فمن خالط العجم أكثر كانت لغته عن ذلك اللسان الأصلي أبعد، ... وهذه ملكة ممتزجة من الملكة الأولى التي كانت للعرب ومن الملكة الثانية التي للعجم. فعلى مقدار ما يسمعونه من العجم و يربون عليه يبعدون عن الملكة الأولى. واعتبر ذلك في أمصار أفريقية والمغرب والأندلس والمشرق3". وكأن ابن خلدون بيننا!

1م ن، ص 223.

2م ن، ص 223

3المقدمة، ص 558.

والغريب أن شاهين في خاتمة تلك الدراسة يحذر مما وقع في الجزائر ويطالب بحماية العامية المصرية قائلا بأنه " يوشك أن تغرق العربية الشعبية1 في طوفان الدخيل، وحينئذ قد نواجه ما واجهت شعوب شمال إفريقيا (تونس، الجزائر، المغرب) من استعجام ألسنة الناس، يومها لن يجدينا أن نبدأ جهودا مضادة لتعريب الألسنة على طريقة (قل ولا تقل)2". وهو تخوف مشروع.

ولم نعثر في الجزائر3 على دراسات ذات أهمية كبرى تحاول تقديم حلول لمعضلة العامية الهجينة الفرنسية في الجزائر. واقتصر الاهتمام على العامية العربية فقط في إطار الدراسات الشعبية أوما يسمى التراث الشفوي، كما اقتصرت البحوث اللسانية على محاولة اكتشاف علاقة العامية الجزائرية بالفصحى4.

ولعل أهم دراسة في هذا الصدد كتاب د/ عبد المالك مرتاض (العامية الجزائرية وصلتها بالفصحى)، والحق أن هذا المؤلف يعد معجما للألفاظ العامية ذات الأصل العربي كألفاظ (الأطعمة، والأشربة، والفلاحة، والفنون الشعبية وغيرها). وقد أكد مرتاض أن العامية الجزائرية لها صلة وطيدة بالفصحى، وهي لهجة نقية وأصيلة5، وذكر في مقدمة كتابه

1يقصد اللهجة المصرية.

2م ن، ص 253.

3استنادا لكتاب د/ مختار بوعناني، المصنفات اللغوية للأعلام الجزائريين عبر القرون، دار هومة، الجزائر، ط1/ 2001. وهو معجم يضم كل الكتب المطبوعة والمخطوطة والرسائل الجامعية التي أنجزت في اللغة العربية وعلومها وعددها 1036 عنوانا.

4من اللهجات المدروسة (أطروحات ماجستير) نذكرمثلا: لهجة الدزيرية لنصيرة بودينة، جامعة الجزائر. لهجة جيجل لبلقاسم بلعرج، جامعة عنابة. لهجة تلمسان لبن عيسى التيجيني، جامعة تلمسان. لهجة بريكة لعبد الكريم عوفي، جامعة باتنة. لهجة البيض لمرسلي لعرج، جامعة وهران.

5د/ عبدالمالك مرتاض، العامية الجزائرية وصلتها بالفصحى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1/ 1981، ص 10.

أنه استبعد في هذه الدراسة الألفاظ الفرنسية، ودرس الألفاظ التي تنطق نطقا صحيحا من حيث المخارج والتهجي، وما اعتبره عامة الشعب الجزائري من العربية1.

اللاوعي اللغوي في اللسان الجزائري

الإشكالية التي نود طرحها إذن تتمثل في استعمال المعجم الفرنسي (الألفاظ الفرنسية) في العامية الجزائرية بشكل يكاد يحول العامية الجزائرية إلى عامية فرنسية! وهذا أمريدعو إلى الحيرة والقلق.

والحق أن اللغات تتلاقح وتتعارض وتتقاطع كما أسلفنا، حيث عرفت العربية في تاريخها الطويل مئات الكلمات الأجنبية ودخلت الاستعمال دون عناء كما رأينا في ألفاظ القرآن، لكن أن يتحول المعجم العامي الجزائري إلى معجم فرنسي بحت فهذا أمرلم تعرفه أي لغة في العالم. في البيت الجزائري تقول الأم لابنها:

روح (اذهب) إلى الكوزينة (cuisine) وجيب (احضر) الصرفيتة (serviette) والفرشيطة (fourchette) وحل (افتح) الفريجيدار (réfrigérateur) وجيب قرعة (زجاجة) ليموناد (limonade) وطفي (اطفأ) لمبولة (Ampoule).

في هذه الفقرة نلاحظ جيدا أن الأسماء كلها باللغة الفرنسية ما عدا الأفعال (روح، جيب، حل) وقد حاولنا جمع هذه الألفاظ الفرنسية المنطوقة بشكل مستمرفي محيط البيت الجزائري فجمعنا مئات الألفاظ وهو عدد قليل باعتبار أن الجمع مس فقط العائلة العنابية (أقصى

1م ن، ص 10. لكنه أدرج ألفاظا ذات أصول فرنسية مثل النوتيل (النزل) التريسيتي (الكهرباء)، الباليزة (الحقيبة).

الشرق الجزائري) إذ لو امتد الجمع إلى كافة المناطق لوصل المعجم إلى الآلاف.

ومن الألفاظ الفرنسية في البيت الآتي:

Ampoule	أومبولة:	Salon	الصالة:
Télé	تيلي:	Chambre	شومبرة:
Poste	بوست:	Douche	دوش:
Veste	فيستة:	Stylo	ستيلو:
Pyjama	بيجاما:	Table	طابلة:
w.c	فيسي:	Tricot	تريكو:

هذا بالإضافة إلى الاستعمالات الأخرى مثل:

طاكسي: Taxi وتنطق في الغرب الجزائري لوطو L'auto وفي الوسط كروسة Carrosse

كاميو Camion، تروتوار Trottoir، أوتوروت Autoroute، تران Train، بيسكلات Bicyclette، تيكي Ticket، بيي Billet، ريستورون Restaurant، مارشي Marché، ستاد Stade، سافا: Ça va نورمال: Normal، زوفري: جمع Ouvrier، كوم مام: Comme même، مورال Morale. تأمل هذه الجملة: نسيت تيكي (Ticket) في التريكو (Tricot) كي هبطت من التران (Train) في لاقار (La gare).

وتأمل جيدا هذه الجملة: راجل (كرازاتو) (الماشينة) جاو (ليبومبيي) (راماصاوه) (مورسوات مورسوات).

والمعنى راجل: (رجل)

كرازاتو من فعل Ecraser أي دحسته

الماشينة La machine ويقصد بها القطار

جاو (جاؤوا)

ليبومبي Les pompiers رجال المطافئ

راماصاوه من فعل Ramasser أي حملوه

مورصوات جمع Morceau أي مجموعة من القطع

فحوالي 80% من هذه الجملة فرنسية، ومثلها كثير جدا.

وقول الآخر: (قاري) في (الباركينغ) و(سيري) (آ دروات)

قاري: أي أوقف سيارتك

الباركينغ: الموقف parking

سيري: أي احصر سيارتك من فعل serer

آدروات: أي على اليمين، droite

وهذا هو الذي أسميناه اللاوعي اللغوي.

فنحن لا نستطيع أن نعتبر هذه الجملة من العامية، بل هي جملة فرنسية خضعت للكنة جزائرية، المشكلة هنا أن المتكلم يعتقد أنه يتكلم بالعامية الجزائرية، ونحن اسمينا هذا الاستعمال باللغة اللاواعية لأن المتكلم بهذه العامية الهجينة لا يعي أنه يتكلم باللغة الفرنسية، بل يعتقد أنه يتكلم بعامية جزائرية عربية. وهذا هو الخطر الذي يحدق بالإنسان الجزائري وفكره وسلوكه إلى درجة أن أي جزائري يعرف بسهولة في أي بلد عربي لأنه ببساطة يستعمل الفرنسية كثيرا دون وعي منه.

إن حالة (اللاوعي اللغوي) هذه شبيهة بالذي يتكلم أثناء نومه وكأنه في حلم عميق، أوالذي يتكلم في حالة هيجان، ثم إذا أخبرعما فعله أوقاله لا يكاد يصدق. نفس هذه الحالة يجدها الذي يتكلم بالعامية الهجينة التي أغلب ألفاظها فرنسية، فإذا قلت له إن ألفاظك كلها فرنسية سيضحك وكأنه يستيقظ من غفوة، ويعود إلى وعيه اللغوي.

مقاربة للحل:

الدكتور عبد المالك مرتاض قال إنه " لوكان في كل حي خمسة عشر مثقفا أو أكثر، وأصبح كل واحد منهم يتكلف عبارات وألفاظًا فصيحة في أحاديثه مع جيرانه ومعارفه، لطمعنا في أن قومنا لا تتعرب لهجاتهم وتتحسن لغتهم فحسب، ولكن لعلهم أن يصبحوا ممن يستعملون في أحاديثهم اليومية كثيرا من الألفاظ الفصيحة العالية"1. بل وذهب إلى أن المثقفين لو أخلصوا في عملهم (يقصد القيام بحملة تفصيحية للسان الجزائري) لتوصلوا إلى نتائج ثورية2. وواضح أن الدكتور آنذاك كان متفائلا كثيرا لمستقبل العربية إلى درجة أنه قال عن لفظة التريسيتي (الكهرباء) وهي فرنسية الأصل " هذه الفظة البشعة ستضمحل من عاميتنا بعد زمان محدود"3. وهذا تفاؤل مبالغ فيه.

لحل هذه المعضلة نقترح بعض الإجراءات العملية والمقسمة حسب المراحل الآتية:

1م ن، ص 9.

2م ن، ص11.

3م ن، ص43.

المرحلة الأولى:

نحن نعمل الآن على صناعة معجم لهذه الألفاظ، وهو عمل يحتاج إلى جهد وزمن وطول نفس، لأن عملية الجمع هذه يجب أن تكون شاملة لمختلف ولايات الوطن، حيث لاحظنا استعمال ألفاظ أخرى من اللغات الإيطالية والاسبانية والبرتغالية خاصة في الغرب الجزائري، لكن الغالب وبنسبة 90% تعود إلى الألفاظ الفرنسية. هذه المرحلة يمكن أن تمتد إلى ثلاث سنوات.

بعد جمع الألفاظ يتم صناعة المعجم حسب الموضوعات أو ما يسمى بالحقول وفيه نصنف الألفاظ حسب بيئاتها، ولعل أهم هذه البيئات المنزل وكل ما تعلق بالأشياء الموجودة به والمستعملة يوميا، مثل (دوش، شومبرة، فريجيدار، صالون، بالكون، إلخ..) ثم بيئة الشارع (تروتوار، طاكسي، كاميو، بيسكلات، موتو، ريستورون...) وعن هذه البيئات تتفرع حقول أخرى كثيرة، فبيئة المنزل تحوي مثلا حقل اللباس (تريكو، بيجاما، روب دوشومبر، كالسون، سليب، كلاكات..) وحقل الأدوات (فرشيطة، سرفييتة، كوتو، ستيلو، كايي، طابلة..) وحقل المأكولات والمشروبات (ليموناد، بتي بانا، طوماطيش...) ومثل ذلك في بيئة الشارع.

ثم نقدم في المعجم الألفاظ التي تعبر عن الأفكار والمعاني (إسبري Esprit، سونتيمونتال Sentimentale، ترونكيل Tranquille، دونجي Danger) وغير ذلك من التقسيمات الكثيرة للألفاظ المستعملة في الحياة العادية (Bien، ça va) والألفاظ المستعملة في مختلف المهن (موتور Moteur، موتو Moto، مارتو Marteau).

هذه المرحلة يمكن أن يكلف بها طلبة الجامعة من أقسام اللغة العربية في مختلف جامعات الوطن، وينسق العملية خلية بحث من أساتذة أكفاء، يتم اختيارهم من طرف هيئة تتبنى العملية كالمجلس الأعلى للغة العربية.

المرحلة الثانية:

إذا علمنا أن الطفل يعيش في ثلاث بيئات تعليمية- تربوية؛ وهي:

1. بيئة الأسرة (لغة الأم).
2. بيئة المدرسة (لغة الخاصة).
3. بيئة الشارع وأماكن الترفيه الخاصة بالطفل (لغة العامة).

فإن هذا يدل على أن الضحية الأولى لما أسميناه باللاوعي اللغوي هو الطفل ذاته، يعني ذلك أن الطفل وبطريقة عفوية (ينهل) لغويا من هذه البيئات الثلاث وفي الوقت ذاته يميزبينها، ويعرف القيمة الاجتماعية لكل بيئة، فهو لا يستطيع أن يتكلم بلغة المدرسة في البيت وفي الشارع، ولا يستطيع أن يتكلم بلغة البيت في المدرسة، كما لا يستطيع أن يتكلم بلغة المدرسة ولغة الشارع في البيت.

إن هذا الخلط في الاستعمال اللغوي لدى الطفل والحدود التي يتعرض لها، وكذا الضغوط المسلطة عليه، والضوابط التي يجب أن لا يتجاوزها في كل بيئة؛ تخلق منه طفلا معقدا على المستوى اللغوي، فهو يبذل جهدا دائما في اختيار الألفاظ المناسبة لكل بيئة، وأكثر جهد سيبذله هو اختيار الألفاظ العربية الصحيحة التي يتعامل بها في القسم مع المدرس، ويظهر لنا هذا الجهد عندما يتأخر الطفل (التلميذ) في الإجابة على أي سؤال

يطرحه المعلم، ويرجع هذا التأخير إلى تلك العملية المعقدة التي تحدث عند الطفل في علاقة (اللغة بالتفكير)، فهو دائما يفكر بلغة الشارع أو لغة البيت وعندما يريد التحدث في القسم يقوم بعملية (ترجمة) إلى الفصيحة، فلو سأله المعلم عما فعله بالأمس فإن التلميذ سيجد صعوبة كبيرة ليقول مثلا: ذهبت مع صديقي إلى الحديقة لنلعب بالدراجة، وأكلنا لمجة، ثم شربنا المشروبات.

لماذا هذه الصعوبة؟

لأن اللغة التي فكر بها التلميذ هي: رحت أنا وصحيبي لـ (الجردينة Jardin) نلعبوا (بالبسكلات Bicyclette)، كلينا البريوشbrioche وشربنا (ليموناد Limonade).

والأمثلة على ذلك كثيرة جدا خاصة إذا سأل المعلم التلميذ عن أدوات المطبخ فإن الصورة الصوتية ستتضح في مثل قوله (فريجيدار، طاس، فرشيطة، سرفيتة أو سربيتة...) وكلها كلمات تحتاج إلى تفكير وترجمة، وهذا ما يعيق التلميذ على التحدث بسرعة بعربية سليمة وطليقة.

نحن في هذه المرحلة حددنا الجمهور المستهدف وهو نظريا كل الشعب الجزائري، لكن نعتقد أن الطفل هو الضحية الأولى وهو المستقبل الذي يعول عليه في حل المعضلة. وبالتالي فقد تحدد ميدان التجربة.

المرحلة الثالثة:

إذا عرفنا أن هدفنا هو الطفل، فقد عرفنا كيف سنصل إليه، والواضح أن أهم بيئة للطفل هي البيت ثم المدرسة ثم أماكن الترفيه.

بالنسبة للغة الأم فالكل يعرف تأثيرها السحري على ابنها وبالتالي في هذه المرحلة سنتوجه إلى أمه التي تعلمه اللغة الأولى، وسنقدم لها ذلك المعجم الذي جمعناه للألفاظ الهجينة في شكل دليل مطبوع بطباعة راقية والذي سيحتوي على الكلمة اللاواعية (الفرنسية) مقابل الكلمة الواعية (العربية) مع الشرح والتوضيح باستعمال الرموز والصور.

ونفس الدليل نقدمه للمعلم في المدرسة وكل من له صلة ببيئة المدرسة كدور الحضانة ومستشفيات الطفولة والمراكز وغيرها.

أما أماكن الترفيه كالمسارح وقاعات اللعب والمكتبات العمومية فيمكن إيصال هذا الدليل إلى المشرفين عليها وتدريبهم وتشجيعهم على استعمال العربية السليمة.

إن هذه العملية تحتاج إلى وسائل مادية وبشرية نوجزها فيما يأتي:

1 -إنشاء جمعيات تطوعية في كل ولاية تعمل على إيصال هذه الفكرة، وتوزع الدليل مجانا على الأمهات العاملات والماكثات في البيت مع تنشيط ملتقيات وندوات وخرجات للتحسيس بالمسألة.

2 -مساهمة الإذاعة التلفزيون ولو بدقيقة (يوميا) لقراءة الدليل.

3 -تدريب منشطين وصحفي الإذاعة والتيليفزيون على الاستعمال الجيد للعربية السليمة وتشجيعهم على ذلك بالمسابقات والتحفيزات المختلفة. وكذا إنجاز حصص تثقيفية لغوية ترفيهية لتعليم العربية والحفاظ على الفصحى. كمنافسة أرقام وحروف في التيليفزيون الفرنسي.

4 -مساهمة الجرائد بعدم استعمال العامية الهجينة، وترقية مستوى الكتابة الصحفية.

5 -تشجيع طلبة أقسام اللغة العربية في كافة الجامعات على إجراء تجارب ميدانية للقضاء على الألفاظ الهجينة، مع إجراء بحوث لسانية تعنى بتدعيم تعليم العربية وتطبيق أحسن المناهج في تدريسها ضمن مقياس اللسانيات التعليمية.

6 -تنظيم مسابقات وطنية للبحث عن السبل الكفيلة للقضاء على الألفاظ الهجينة واستبدالها بالألفاظ العربية السليمة، يشارك فيها الباحثون والمهتمون بالعربية.

7 -تنظيم مسابقات للتلاميذ في الأطوار الأولى على الاستعمال السليم للعربية. وتشجيع المدرسين على المساهمة في هذا المسعى النبيل خاصة بتشجيع التعبير الشفي داخل الأقسام وخارجها.

8 -تنظيم المعارض والندوات والملتقيات المحلية والوطنية والدولية للتحسيس بأهمية اللغة العربية.

9 -توفير ميزانية كافية لإنجاز الدليل (لمختلف البيئات اللغوية) تساهم فيها الدولة والوزارات والمؤسسات المعنية بهذه القضية خاصة الجامعات.

خاتمـــــة

تلكم هي ملاحظات سريعة وخاطفة حول مشكلة اللهجة الهجينة في الجزائر، ونحن ندرك أن هذا الموضوع لم يأخذ حقه من البحث والطرح، كما ندرك أن هناك من يزعجه هذا الحديث، ولكن خوفا على هذه اللغة وأهلها، وإشفاقا بأبنائنا الذين يصلون إلى شهادة ليسانس ويرتكبون أبشع الأخطاء النحوية والإملائية، يجب أن نتحرك لوضع حد لهذه المهزلة المنكرة، والعمل بجد على تصحيح الوضع. هدفنا الوحيد هو عودة الوعي إلى اللسان الجزائري، ونريد ببساطة أن يستفيق هذا اللسان من غفوته ويشعر على الأقل أنه لا يتكلم عامية عربية جزائرية بل يتكلم عامية هجينة فرنسية لقيطة.

يجب أن نشير في الأخير إلى أن هذا العمل يحتاج إلى سنوات من العمل الدؤوب، وليحمل المشعل جيل بعد جيل حتى يتخلص الشعب الجزائري من هذا الفيروس الفتاك الرابض على قلوبنا، ونتحرر من استعمار طال أمده.

المقترض في القواميس العامّة بين الغربة والاندماج

أ. د: زكيّة السائح دحماني
- جامعة منوبة – تونس

يمثل مبحث المصادروالمستويات اللّغويّة الأسّين الهامّين لركن الجمع في التّأليف القاموسي. وتصنف المستويات اللّغويّة إلى أربعة أصناف اختلف اللغويون منذ الخليل وإلى الآن في الحكم على منزلتها من التأليف القاموسي وهي:الفصيح المشترك بين قبائل العرب، والمولّد المستحدث في اللّغة بعد عصر التّدوين، والعاميّ المستعمل من ألفاظ اللّغة في التعامل اليومي من طرف مجموعة لغويّة ضيّقة ضمن مجموعة لغويّة موسّعة، والمقترض وهو كلّ لفظ أعجمي معرّب أو دخيل أدمج في اللّغة المورد عن طريق تلاقح الحضارات وتقارب الشعوب. ويعدّ هذا المستوى أقلّ شيوعا وتواترا من المستويات الثلاثة الأولى، وإن لم تخل منه لغة بشريّة. فيدرج قليله في القواميس العامّة وكثيره في القواميس المختصّة. ورغم الدرجة الضعيفة التي حظي بها في التوليد المعجمي، فهو يعتبر من الأهميّة بمكان نظرا لمساهمته في التعدّد اللساني نقلا وترجمة وتداخلا لغويّا.

سنثير في هذا العمل مجموعة من المسائل التي لها صلة بظاهرة الاقتراض في القواميس العامّة لنتبيّن من خلالها:

1 -مدى حضور اللفظ المقترض في القواميس العربيّة العامّة الحديثة.

2 -طرق تنصيص القواميس على المستوى اللّغوي لكلّ وحدة معجميّة مقترضة.

3 -أسباب لجوء اللغات إلى المقترض.

4 -دور المقترض في إثراء القاموس العام والمختص.

توظّف اللّغة العربية لتوليد وحدات معجميّة جديدة توليدا ذاتيّا قواعد لغويّة من داخل اللغة تتفاوت أهميّة هي التوليد الصوتي والتوليد الصرفي والتوليد الدلالي ، تضاف إليها قاعدة توليدية من خارج اللّغة هي الاقتراض المعجمي الذي يتحقّق بأخذ لغة مورد من لغة مصدروحدات عامة ومصطلحات تسدّ بها الخانات الشاغرة في رصيدها استجابة لمتطلبات العصرولحاجات مجتمعها. وقد يكون التقارض عن طريق لغة وسيطة وليس بالتبادل المباشربين اللغة المصدروالغة المورد ممّا يؤكد على تداخل اللغات تداخلا طبيعيا وتلاقح الحضارات الإنسانية ومن أمثلتها كلمة أفيون التي أثبتت " مراجع كثيرة أنها من اليونانية « opion » وأن اليونانية قد أقرضت الفارسيّة أيضا فقيل فيها » أبيون« "1.

ويتحقّق التقارض بين اللّغات باعتماد طريقتين: إمّا أخذ الدّال والمدلول معا في الاقتراض الحقيقي الذي يحمل على النّقل ويكون في الوحدات المعجميّة العامّة والمصطلحات المخصّصّة المتعلّقة بالأشياء والمفاهيم في العلوم والفنون. وإمّا بنقل المدلول دون الدّال في الترجمة الحرفية بنسخ المضامين دون المباني. فالاقتراض وسيلة من وسائل إثراء المعجمين العامّ والخاصّ2 ويمثلّ مظهرا من مظاهر التّداخل اللساني بين

1 ابن مراد (إبراهيم) : مسائل في المعجم : ص 218 ، دار الغرب الإسلامي 1997

2 نعني بالمعجم الرصيد اللغوي العام المشترك بين مجموعة لغوية واحدة ويقابله في الفرنسية Le lexique ، وقد يكون رصيدا لغويا خاصّا في العلوم والفنون، بينما نقصد بالقاموس جزءا من هذا

العربيّة وغيرها من اللّغات المقرضة في المجال المعجمي، ويبرهن على انفتاح لا بدّ منه، ويؤكد على " قدرة العربيّة على استيعاب الثقافات الأعجميّة الوافدة عليها مشرقا ومغربا"1. فقد اقترضت ألفاظ اللغة العامّة وأكثرت الاقتراض من العلوم وخاصّة المواليد الطبيعيّة من نبات وحيوانات ومعادن إلى جانب مصطلحات العلوم الصحيحة والتكنولوجيا والفنون، وأقرضت بدورها العديد من مصطلحاتها الطبيّة والفيزيائيّة والرياضيّة.

وقد اقتبس العرب في الجاهلية عن الفارسيّة واليونانية والسريانيّة والعبريّة ألفاظا عديدةمنها الإبريق والنرجس والشطرنج والفردوس والناقوس والشيطان... كما أخذوا في صدر الإسلام من اليونانية والفارسيّة وغيرهما كلمات كثيرة كالبلور والفلسفة والجغرافيا. وأكثروا من الاقتراض حديثا في العلوم والفنون خاصّة من اللّغات التي تربطها بها علاقات تاريخية كفرنسا، ومن لغات بلدان حوض البحر الأبيض المتوسط الشّمالية.

وكما أخذت العربية عن غيرها فقد أعطت أيضا الكثير من الألفاظ لعديد اللغات ومنها الفرنسية التي أحصت منها فاطمة لخضر 870 كلمة2 دون اعتبارما تولّد عنها في اللّغة المورد من مشتقات. وهي قائمة مفتوحة ومرشّحة للتضخيم بالبحث والتنقيب من ذلك: أجيج (ء.ج.ج) avive، أمير البحر (ء.م.ر) amiral، بارجة (ب.ر.ج) barge، تعريف (ع.ر.ف) tarif، خافيا (خ.ف.ي) mafia، درجة (د.ر.ج) degré، شراب (ش.ر.ب) sirop، كحول (ك.ح.ل) alcool، وليجة (و.ل.ج) valise...

الرصيد المكون للغة ، مدوّنا في كتاب ، مرتبا ومعرّفا بطريقة مّا، يعبّرعنه في الفرنسية بمصطلح dictionnaire.

1ابن مراد (إبراهيم) : نفسه . ص 205 .

2 فاطمة لخضر : الكلمات العربية في اللغة الفرنسية : أصولها وتحوّلاتها . معجم عربي - فرنسي / فرنسي – عربي . ص 8 وما بعدها . تونس 2006.

إنّ المجال المعجمي أقوى مجالات الاقتراض اللّغوي لأنه مجال مفتوح، بينما حافظت المستويات اللّغوية الأخرى على انغلاقها ونمطيّتها لأنها مجالات محافظة. وليس وجود المقترضات في قواميس اللّغة العربية قديمها وحديثها إلاّ دليلا على حركيّتها وانفتاحها على امتداد التاريخ على غيرها من اللغات وتلاحمها بالحضارات البشرية أينما ازدهرت العلوم. فالاقتراض المعجمي مظهر من مظاهر الاتصال بين اللغات والشّعوب وقاطرة لانتشار الثقافات والتقاء المجتمعات في ميادين متعدّدة من حياتها اليوميّة.

قسّمت الدّراسات المعجميّة الاقتراض المعجمي إلى صنفين كبيرين هما الاقتراض الحقيقي والاقتراض الدلالي. ونقسّمه بدورنا تقسيما ثنائيّا إلى اقتراض في القواميس العامّة خاضع لمقاييس لغويّة صوتيّة وصرفيّة واقتراض في الاستعمال العام تفرضه على المتكلّم ضوابط اجتماعيّة وخيارات فرديّة.

1 -الاقتراض في القواميس العامّة:

1-1الاقتراض الحقيقي:

يتحقق باستعارة وجهي الدّليل من لغة أجنبية. وصف بالحقيقي لأنّه ضروري واع يعمد إليه مستعمل اللغة لحاجته إليه قصد ملء الخانات الشاغرة بالألفاظ العامّة والخاصّة التي ليس لها ما يناسبها آنيّا في اللغة الأمّ. وهو حقيقيّ أيضا لأنّه يمثّل قاعدة لغويّة قائمة بذاتها لتوليد الوحدات المعجميّة وتطوير الرصيد. ويتطلّب انفتاح نظام اللغة الآخذة على أنظمة لغوية أخرى إدخال تغييرات على الألفاظ المقترضة، فتتفاوت درجات التغيير حسب نوع الاقتراض الحقيقي الذي يصنف إلى صنفين: معرّب ودخيل.

1-1-1المعرّب:

تدخل اللغة المورد على دوالّ الوحدات المعجميّة المقترضة تحويرات بالزيادة والنقصان، فتغيّرها صوتيا وصرفيا بأن تطوّعها لتأليفها الصوتي وبنيتها الصّرفيّة ونمطها الصّيغي خاصّة متى اختلفت مع اللغة المصدرفي الانتماء العائلي وفي طبيعة البنية الصرفية. ويتمّ إدماج اللّفظ بإلحاق تعديلات به في نظام اللّغة الآخذة، فيوافق مقاييس العربيّة ويدخل في جداولها التّصريفيّة ويتولّد تولّدا مقيّدا داخليا غير سلسليّ بعد أن كان يتولّد في اللّغة الأصل تولدا سلسليا مطلقا خارجيا مفتوحا. ويعدّ هذا الضّرب من الاقتراض المقنّن معرّبا intégré emprunt لأنه فقد خاصيات اللغة المصدر الصوتيّة والصرفية وحافظ على المدلول سالما. وهو اقتراض عفويّ يبحث له مقترضوه عن وسائل الإدماج ويسعون إلى تخليصه شكلا من عجمته. وقد عجّت بهذا الصّنف من المقترض قواميسنا العامّة والخاصّة وكتبنا العلمية المترجمة والمؤلفة، فاخترنا كمدوّنة لأمثلتنا قاموسين معاصرين أحاديي اللغة هما"المعجم الوسيط" قاموس مجمع اللّغة العربيّة بالقاهرة و"المعجم العربي الأساسي" قاموس المنظمة العربيّة للتربية والثقافة والعلوم، وقاموسا ثنائي اللغة فرنسيا – عربيا هو "المجيب" للأستاذ أحمد العايد وشريكيه عبد القادر بلعيد وهشام حسّان. وركّزنا على قواميس اللغة العامّة لأنّ " الجماعة اللغوية في العادة تنحو إلى الاقتراض دون تخطيط مسبق.أمّا العلماء سواء كانوا أفرادا مستقلّين أم كانوا منتمين إلى المؤسسات العلميّة أو اللغوية، فهم الذين يقترضون بوعي"1. وعلاوة على ذلك فإنّ القواميس العامة تتميّز بتضمّنها لمداخل عامّة ومخصّصة كما يتجلّى من المدوّنة ممثّلة في الشبكة التالية.

---

1 فتحي جميل: المقترضات المعجميّة في القرآن بين المقاربة اللّسانيّة والمقاربة المذهبيّة. ج1. ص 42.

* : تدل علامة النجمة على المقابل العربي للفظ الأعجمي

اللّوحة رقم1

القاموس المدخل	المعجم الوسيط	المعجم العربي الأساسي	المجيب
تلفزيون	تلفزيون (د)	·(ت.ل.ف.ز) تلفزيتلفز تلفزة. متلفز. تلفاز.(فعلل يفعلل فعللة مفعلل فعلال) تلفزيوني، تلفزيون	تلفزة تلفزيون تلفاز: télé تلفزة ج تلفزات television تلفز téléviser تلفازج تلافز téléviseur تلفزي télévisuel
تلفون	التّلفون (د) *الهاتف	·(ت.ل.ف.ن) تلفن يتلفن تلفنة.(فعلل يفعللفعللة) تلفوني، تليفوني التلفون. *الهاتف التلفونات	*هاتف ج هواتف téléphone تلفون *هتف.تلفن téléphoner *هاتفيّ téléphonique تلفوني *اتصال هاتفي Communication téléphonique *موظّف هاتف téléphoniste

درهم Drakhmê (يوناني)	درهم.ج. دراهم مدرهم (مع)	.(د.ر.هـ.م) درهم.ج .دراهم (فعلل، فعالل) دريهم.ج دريهمات (فعيللفعيللات)	درهم .ج. دراهم) Dirham Ø)
صراط Strata (لاتيني)	صراط (Ø)	.(ص.ر.ط) صراط. ج.صرط (تكتب كذلك بالسين: سراط)	(Ø)

اختلف تعامل القواميس الثلاثة مع الوحدات المعجميّة الأربعة (تلفزيون، تلفون، درهم، صراط). فقد رتّبها المعجم الوسيط ترتيبا ألفبائيّا بحسب الحرف الأوّل للكلمة ، وأثبتها تحت مداخل مستقلّة ونصّص على مستوياتها اللّغويّة . فكلّ من «التلفزيون» و»التّلفون» دخيل (د) غير مقيس بنية ووزنا، بينما طوّعت اللغة اللّفظ المقترض «درهم»، فعرّب (مع) ودخل جداول التصريف العربيّة، فجمع واشتقّ منه اسم الفاعل (دراهم، مدرهم)، وسكت الوسيط عن الأصل اللّغوي للمدخل «صراط» (Ø). ومزج بين الأعجمي والعربي فرادف بينهما في " التلفون" و "الهاتف"، وكذلك فعل المعجم الأساسي والقاموس المجيب. ولكنّ المعجم الأساسي خالف الوسيط تماما في منهج الجمع والوضع ، فقد افترض للوحدات المقترضة جذورا نظرية عربيّة بعدد الحروف المكوّنة للكلمة، وأخضعها كلّها للأوزان الرّباعية (فعلل يفعلل مفعلل فعلال فعللةفعالل)، ورتبها ألفبائيّا كترتيب المداخل العربيّة، ووسّع حقولها الاشتقاقيّة دون ذكر مستوياتها اللّغوية وأصولها، وصرّفها صيغيّا من المفرد إلى الجمع (درهم

ج دراهم، صراط ج صرط)، وزمانيّا (تلفن، يتلفن) واشتقّ منها مقولات الفعل والاسم والصفة (تلفز يتلفز متلفز تلفزة تلفاز) . ولأنّه عرّب المقترض فقد انتقل به من مقولة الاسم (تلفزيون ، تلفون) إلى مقولة الفعل (تلفز، يتلفز، تلفن، يتلفن). وبنى من المقترضات مجموعة من الجذوع جلّها رباعيّ مقيس على أوزان العربيّة وصيغها المجرّدة و المزيد، ومدمج في جداولها التصريفيّة الفعليّة والاسميّة منها:

(ب.ي.ط.ر): بيطر، يبيطر، بيطرة، بيطار، بيطريّ، ج. بياطرة وبياطير. (يوناني (Hippiatros

(ف.ل.س.ف) فلسف، يفلسف، فلسفة، فيلسوف، ج. فلاسفة. (يوناني(Philosophia تفلسف، يتفلسف، تفلسفا، متفلسف.

(ق.ل.ن.س) قلنسوة، ج قلانس.

(س.ف.س.ط) سفسط، يسفسط، سفسطة، سفسطائية، سفسطائي. (يوناني(sophistês

(ج.و.ر.ب) جورب، ج جوارب.(فارسي (gûrpâ

ورغم تصريح جلال الدّين السيوطي بعدم اشتقاق العربية من الألفاظ المقترضة في قوله "محال أن يشتق العجميّ من العربيّ أو العربيّ منه لأنّ اللغات لا تشتق الواحدة منها من الأخرى مواضعة كانت في الأصل أو إلهاما وإنّما يشتق في اللغة الواحدة بعضها من بعض لأنّ الاشتقاق نتاج وتوليد(...) ومن اشتق الأعجميّ المعرّب من العربيّ كان كمن ادعى أنّ الطير من الحوت"1، فإنّ العربيّة عالجت بعض المقترضات المتواترة

1 - جلال الدين السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جزءان، ج1 ص 287.النوع التاسع عشر (معرفة المعرّب)

معالجة خاصّة فأخضعتها للقياس وأدرجتها في نظامها الاشتقاقي وجداولها الصّيغيّة، وولّدت من الجذوع الأعجميّة حقولا اشتقاقيّة بآليّات صرفيّة دون أن يمسّ ذلك القاعدة والذّوق العربيين ودون مغالاة في إخضاع ما يعمل بنظام الأسّ le radicalإلى نظام الجذر la racine. وسبب هذه الاستحالة التي تحدّث عنها السيوطي تعود إلى اختلاف النظام الصرفي غير السّلسلي القائم على الاشتقاق في توليد وحدات المعجم توليدا داخليا مقيّدا في اللّغة العربيّة والساميات، عن النظام الصرفي السّلسلي المتولد خارجيا بتوسيع الأس توسيعا مطلقا في اللّغة الفرنسية وغيرها من اللّغات الهنديّة الأروبيّة. إلاّ أنّ النحاة واللّغويّين القدامى لم يتشدّدوا تشدّد السيوطي في منع الاشتقاق من الأعجمي منعا باتّا. فقد جاء في كتاب العين للخليل ص 125 ج 4 " الدّرهم والدّرهم لغتان، رجل مدرهم: كثير الدراهم. ادرهمّ الشيخ ادرهماما أي كبر". وقال ابن منظورعن نفس المدخل ص 341 ج 4" اشتقوا من الدراهم فعلا وإن كان أعجميّا". وقد اشتقّ اللّسان من المقترضات ومن بينها بيطر وجورب ودرهم وفلسفة وقلنسوّة . فصرّح أحيانا بعجمة بعضها وسكت عن بعضها الآخر فعاملها معاملة الأصول العربيّة1

يمثّل المجيب من خلال أمثلةاللّوحة الأولى منهجا خاصّا في التأليف القاموسي، لأنّه قاموس ثنائي، لغته المصدرالفرنسية التي تتعدد مداخلها الثانوية في شكل مشتقات من اللغة الأم، فقابلها المترجم باللفظ الدخيل (تلفزيون، تلفون)، و المعرّب (تلفاز، فعلال)، والمشتقات (تلفز تلفزة)، والترجمة الحرفيّةفنقل المدلول دون الدال (هاتف، هاتفي)، غرضه من

1 انظرلسان العرب لابن منظور: ج 1 ص 430، ج 2 ص 230، ج 4 ص 341، ج 10 ص 319 ، ج 11 ص 271.

كل ذلك ليس التركيز على المستويات اللغوية أو التوليد من المقترضات بقدر ما هو بحث عن المقابل العربي وسدّ كل الثغرات في اللغة المترجم إليها. وقد حمل المجيب المدخل درهم في اللغة المصدر "الفرنسية" على أصل عربي دون أن يعود به إلى أصله اليوناني Drakhmê. والسبب في ذلك أنه ليس قاموسا تأصيليّا وأنّ منطلقها لمدخل الرئيس الفرنسي المستعمل آنيّا والمقترض عن لغة وسيطة ثانية هي العربيّة.

1 - 1 2-الدخيل

هو نوع من الاقتراض الحقيقي l'empruntintégral أو1Le xénisme الذي يدمج صوتيّا في نظام اللّغة المقترضة ويبقى مستعصيا عنها صرفيا، فلا يقبل بنية الكلمة العربيّة ولا يقاس على أوزانها، ولا يدخل في جداولها التصريفيّة، فيحافظ بذلك على كثير من مظاهر عجمته ولا تخفى غربته عن مستعمل اللغة بسبب " ظهور أنماط غريبة من المفردات وخاصّة المفردات المنتقلة من اللغات السلسليّة البنية إلى اللّغات ذات البنية غير السّلسليّة."2 فالدخيل وسيلة توليديّة مخصوصة تنقل المصطلحات الأعجميّة بوجهيها الدّالي والمدلولي التي لا مقابل لها في اللغة المورد وتوجد مسمّيات للمفاهيم. وهو عمليّة معجميّة موضوعيّة واعية وضرورة إلزاميّة تستوجب اقتراض الإنتاج واسمه بقطع النظر عن انصهاره أو عدم انصهاره في النّظام، فهي مسائل لا تعني المصطلحيّ. لذلك اقترضت مصطلحات الطب والصيدلة و النبات ومختلف الفنون من مصادر أجنبيّة متعدّدة دون الوقوف عند شكل اللّفظ أو ترجمته أو البحث عن مقابل له في اللّغة المستعيرة، فتلك مهمّة اللّساني المصطلحي

---

1 1975.GUILBERT (L) : La créativité lexicale.p92.larousse

2إبراهيم بن مراد: مقدمة لنظريّة المعجم. ص 162-161

لاالعالم المختص. ولم تكتف قواميس اللغة العامّة بقبول المعرّب وحده، بل اشتملت أيضا على الألفاظ الدخيلة جاء منها عدد هام في الوسيط والأساسي، مع اختلاف بينهما في منهج المعالجة القاموسيّة ، نذكرمنها:

الآبنوس (د) : شجر

الخرطوش (د): حشو السّلاح النّاري

الزنجة (د) : نوع من السمك

السيجار (د): لفافة غليظة من التبغ

القيطان (د): نسيج من الحرير أو القطن

قلاووظ (د) : مسمار ذو سنّ ملولبة

المصطكا والمصطكاء (د) : شجر (يونانيmastikhê)

تبقى السّمة الأساسيّة المميّزة للدخيل عن المعرّب هي اختلاف بنية الكلمة عن بنى وحدات اللّغة الآخذة، أمّا ما يبدو خضوعا للأقيسة العربيّة أحيانا فليس إلاّ من محض الصدفة والتشابه الشكلي، إذ لم تتدخّل اللّغة المقترضة لإلحاق أيّ تغيير على اللّفظ الأجنبي في المستوى الصرفي، مثل:

بنك (فعل) Banque

فلم (فعل) film

إبليس (إفعيل)(يوناني diabolos)

بسباس (فعلال)

قنطار (فعلال) (لاتيني centenarius)

قسطاس (فعلال) يوناني X'estes

لكنّ التّواتر وطول الاستعمال وتصرّف متكلّمي اللّغة في اللفظ المقترض حسب المحيط الذي يعيشون فيه وبحكم تطوّر المجتمعات، يجعلهم يخضعون مكوّنات الرصيد المولّدة والمقترضة لحاجياتهم. فتفقد الألفاظ بعضا من خصائصها الشكليّة وتتغيّر دلاليّا. فقد انتقل على سبيل المثال اللّفظ العربي "مخزن" إلى الفرنسيّة « magasin »أو الإيطاليّة « magazzino »، وحافظ في أوّل تحوّله على المعنى العربي "إيداع السلع عموما"، ثم توسّعت دلالته في اللّغات المقترضة فخصّص لتعيين موضع بيع الألبسة والأحذية والأغذية. وانتقل في صيغة الجمع " مخازن" إلى اللّغة المورد الأولى الإنغليزيّة، ثم أخذته عنها لغة مورد ثانية هي الفرنسيّة، فتحوّل صوتا وشكلا عن اللّغة المصدر ليصبح « magazine » وهو مصطلح دال على "خزن المعلومات في مجلّة ورقيّة أو إلكترونيّة". وبعد هذه الرحلة الطويلة عبر المكان والزمان عاد اللّفظ إلى اللّغة المنطلق معرّبا "مغازة" بدلالات محوّلة واستعمالات معاصرة1.

وبتطوّر مدلول اللّفظ الدخيل زمانيّا تقرّبه اللّغة من المعرّب فيستقرّ في معجم اللّغة المقترضة وترفع عنه الغربة الدلاليّة فيتوسّع معناه أو يضيق. فقد اكتسب لفظ قسطاس اليوناني الدال في الأصل على المكيال، معاني كثيرة حقيقيّة ومجازيّة هي الكيل والميزان والعدل والجور. وذكر لفظ قسطاس بمختلف مقولاته الاشتقاقيّة 31 مرّة في القرآن الكريم2 مكوّنا حقلا دلاليّا موضوعه العدل وعناصره المكيال والميزان والبرّ والإحسان. كما أفاد في بعض السّياقات المعنى المضاد وهو الجور.

1فاطمة لخضر. نفسه.ص 182.

2 محمد فؤاد عبد الباقي: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، المطبعة الإسلاميّة. استانبول 1982-.ص545-544

ومن أمثلة تضييق معنى اللفظ الدخيل الذي يحافظ على عجمته في أوّل مرحلة من مراحل اقتراضه، ثمّ يتأقلم بطول الاستعمال مع نظام اللغة المورد ويلحق بالمعرّب، نذكر لفظ "الدقل" « dáctulos »الدّال في الأصل اليوناني على معاني الإصبع وما كان على هيئته وعلى التمر. وبانتقاله إلى العربية سقطت المعاني الأولى وحافظ "الدقل" على معنى واحد هو التّمر1.

نفهم من اختلاط المداخل العامّة بعدد كبير من المداخل المخصّصة حرص القواميس العامّة الحديثة على جمع المصطلحات العربيّة والمقترضة وتقريبها من قرّائها استجابة لحاجتهم إليها دون أن تقوم مقام القواميس المختصّة التي تختلف عنها منهجا وأهدافا. فدورها تبسيط المعرفة وتعميم الفائدة.

1 - 2الاقتراض الدلالي

يمثّل الاقتراض الدلالي القاعدة الثانية من قاعدتي التوليد الدّلالي في المعجم؛ هما التوليد بالمجاز من داخل اللّغة، يتمّ بتحويل الدال من دلالته الوضعيّة إلى دلالة نقليّة موسّعة معمّمة أو دلالة مضيّقة مخصّصة . والتوليد الثاني هو توليد بالترجمة الحرفيّة اعتبرناه اقتراضا دلاليّا .

1-2-1الترجمة الحرفيّة

هي اقتراض خارجي بالتحويل، تحمل مع ظاهرة التوليد الداخلي بالمجاز على التوليد الدلالي، فيقتصر فيها على نقل الوجه المدلولي ويؤتى له من اللّغة المترجم إليها بالدّال المناسب. تنقل بالترجمة الحرفيّة أو

1 - إبراهيم بن مراد : الكلم الأعجميّة في عربية نفزاوة ، ص 199 – 200 ، تونس 1999.

النّسخ le calque الوحدات المعجميّة البسيطة والتعابير التحليليّة Les locutions analytiques المكوّنة لتراكيب جاهزة ومستقرة في اللّغة تلازمت عناصرها وقامت على المجاز، ولكنه مجازيقبل الترجمة من لغة إلى أخرى بما يقابله من المداليل،على خلاف التراكيب الاصطلاحيّة Les expressions idiomatiques النابعة من تجارب خاصة بمجموعة لغوية دون غيرها والمستعصية على الترجمة الحرفيّة.

وتساهم الترجمة الحرفية في إثراء القاموس العام والقاموس المختصّ، وتتمّ بين لغتين تجمعهما علاقات تاريخية واجتماعيّة وحضاريّة وعلاقات جوار. وكلّما ضعفت هذه المعطيات ضعف التبادل والنقل واختلّ اقتراض المعنى وحرمت اللغة المورد من الإضافة الدلالية. ويعكس القاموس الثنائي اللغة مبدأ الترجمة الحرفية بنقل المعنى من اللغة (أ) إلى اللّغة (ب) نقلا توفيقيّا بين معنى الأصل ومعنى الفرع. فيبحث المترجم عن الدلالة التي تتلاءم ونظرة متكلم اللغة إلى الكون، دون أن تخون الترجمة المعنى في اللّغة المنقول عنها.

استخدم قاموس المجيب مناهج مختلفة لترجمة المدخل الرئيس في الفرنسية. فقابل تركيبيّا الوحدة المعجمية البسيطة بوحدة عربية بسيطة أومركّبة والمركّبة بمركّبة وأخفق أحيانا في إيجاد المصطلح المقابل في العربية فعوّضه بشروح وتعريفات وأوصاف، وعمد إلى المترادفات والدخيل والمعرّب، ممّا أدخل بعض الضيم على منهج الوضع ، من ذلك:

اللّوحة رقم 2

Abscisse (maths)	إحداثيّ أفقيّ إحداثيّ سينيّ
Absinthe (bot)	شيح روميّ
Accélérateur (tech)	دوّاسة البنزين في السيارة
Acacia (bot)	سنط ، أقاقيا (د)
Acanthe(bot)	أقنثة (مع)
Pied noir	فرنسي أو أوروبي كان يسكن شمال إفريقيا خاصّة الجزائر قبل الاستقلال.
Accordéon (mus)	معزف يدويّ
Accordéoniste (mus)	عازف بالمعزف اليدوي

«ترجم المجيب» دلالة المداخل الفرنسية بنقل المعاني والتصرّف في المباني ، فقابل البسيط بالمركب. ومتى استحال وجود المقابل ترك الترجمة الحرفية أوالترجمة بالمقابل ولجأ إلى الاقتراض بالدخيل والمعرّب أو إلى الشرح والتعريف وهو نوع من التشارح في القاموس الثنائي la périphrase، حتى لا تبقى الخانة شاغرة تماما. ويلاحظ في المقابلين الأخيرين من اللّوحة (2) "معزف يدويّ" و"عازف بالمعزف اليدويّ" حرص القاموسي على بناء دالين من اللغة المورد بصيغة صرفية (اسم آلة، اسم فاعل) ونمط صيغيّ دال (مفعل، فاعل). إلاّ أن الترجمة ظلّت غامضة لا تفي بالمقصود من المدخل الرئيس. فكل آلة موسيقية يدوية هي معزف يدوي، وكم هي كثيرة ! فمنها العود والقيثارة والطبلة والكمنجة

والقانون... كما أنّ "العازف بالمعزف اليدوي" يمكن أن يكون عازفا على كل الآلات اليدويّة. ولعلّ الحلّ في رفع اللبس عن المعنى وتخليص المقابل العربي من العجمة الدلالية يكون باقتراض الدال والمدلول عن طريق الدخيل كما فعل سهيل إدريس في "المنهل"، فقابل المدخلين الفرنسيين بوحدتين دخيلتين (أكرديون/عازف الأكرديون).

شملت التّرجمة الحرفيّة أمثالا وحكما وأقوالا مأثورة وتراكيب جاهزة في اللّغة الفرنسيّة قرّبت المعنى المقصود بها أحيانا، وخرجت ترجمات أخرى عن الذّوق السليم أو بسّطت محتوى التّعبير فأفقدته روحه وبلاغته وأضعفت صورته المجازيّة، بينما نقلت ترجمات أخرى التّعابير نقلا دقيقا لا يتفطّن القارئ إلى الأثر الأعجمي فيها رغم ما تقوم عليه من مجاز.نستنتج من ذلك أنّ الشعوب وإن اختلفت رؤيتها إجمالا إلى الكون لاختلاف حضاراتها وتقاليدها وبيئاتها ومخيالها، فإنّ الترجمة تذلّل هذا التّباعد بينها وتصقل الأذواق وتكشف عن أسرار اللّغات. نسوق أمثلة عن هذه الترجمات من "المجيب" أصاب في نقل معاني بعض المداخل وأخفق في التعبيرعن معان أخرى:

1-تمخّض الجبل فولد فارا	La montagne a accouché d'une souris
2-حموضة ملاحظاته(!!!)	L'acidité de sesremarques
3-لا يفهم من الأمر شيئا	C'est de l'algèbre pour lui
4-شرّف توقيعه (!!!)	Faire honneur à sa signature
5-أثار أرنبا برّيّا (!!!)	Lever un lièvre

يمكن أن نعتبر المقابل في (2) و(4) و(5) ترجمات حرفيّة رديئة مضلّلة للمعنى الأصلي وخائنة لمداليل مداخل اللّغة المصدر. فقد أهمل القاموسي المعنى المستفاد من مجموع مكوّنات التعبير التحليلي واهتم بمعنى كل عنصر مستقلّ. فلا معنى في العربيّة لحموضة الملاحظات (2) وإنّما المقصود "ملاحظات لاذعة". ولم تؤدّ الترجمة في (4) المعنى المجازي في اللّغة المصدر الذي يفهم منه "كان في مستوى التزاماته"، وبعدت تماما الترجمة في (5) عن التعبير المجازي الذي يفيد " الكشف عن صعوبة غير متوقّعة". فقد التصق القاموسي بالمعنى الوضعي لكل عنصر من عناصر التركيب منعزلا، فأفسد المقصود وشوّه الصورة وأضاع الائتلاف المنشود بين المدخل الفرنسي ونظيره العربي، لأنّ "المعاني المجازيّة مرتبطة بالبيئة الاجتماعيّة والحضاريّة والثقافيّة لمجتمع لغوي معيّن، وليس هدفها ملء شغورات اللّغة المورد بقدر ما يقصد بها نقل المعنى المقصود في اللّغة المصدر بمقابل قريب ومقبول دلاليّا ومنطقيّا. أمّا مقابلة المجاز بالمجاز فقليلا ما يحدث ، لأنّ كلّ لغة تقطّع الواقع تقطيعا خاصّا بها حسب تجربتها"1، ولكنّ الشعوب تلتقي فيما يعتبر من الكليّات الفكريّة. فقد اتضح لنا في مثال "يد" main اشتراك الفرنسية والعربية في دلالة اليد على الآلة والوسيلة وفي بعض معانيها المجازيّة، فلم يعسر نقل المعنى بين اللّغتين،فاخترنا لذلك التراكيب التالية من المجيب:

خطب فتاة :	Demander la main d'une jeune fille
أجبره على :	Forcer la main à quelqu'un
يد عاملة :	Main- d'oeuvre

1 - زكية السائح دحماني : قضايا المجاز في القاموس الثنائي اللغة ، المنهل نموذجا ، ص 44 ، ندوة المعنى الحقيقي والمعنى المجازي. دار المنى 2007.

إنّ الدّافع إلى الترجمة الحرفية باعتبارها اقتراضا دلاليّا داخليّا، دافع موضوعيّ يحقّق التداخل اللغوي عند توفر ظاهرة الثنائيّة اللغوية أو التعدد اللّغوي، ومجالها اللغة la langue ومهمّتها سدّ الخانات الفارغة.

2 -الاقتراض في الاستعمال العام

يعود الاقتراض في الاستعمال العام إلى المعجم الذهني الفردي لا المعجم اللّساني الجماعي ، وله صلة بتداخل اللّغات واختلاط الألسن، تحرّكه دوافع ذاتيّة وأخرى اجتماعيّة عادة ما تكون أخلاقيّة. من الاقتراض في الاستعمال ماهو بذخيّ اختياري ومنه ماهو إرغامي إلزامي، وإن كان الإلزام فيه نسبيّا مقارنة بإلزاميّة الاقتراض في القواميس.

2 - 1الاقتراض البذخي

تتحدّث الدراسات المعجميّة عن الاقتراض الحقيقي الملزم الذي تكون دوافعه موضوعيّة ومقصودة ،وتستوجبه الحاجة لتسمية ما يجدّ من أشياء في العلوم الصحيحة والعلوم الإنسانية الواردة على اللغة من اللّغات التي تنتج الشيء ومصطلحه. كما تتحدّث أيضا بدرجة أقل عن اقتراض ذاتيّ غير ملزم، ثنائي اللغة ولا يخضع خضوع المعرّب والدّخيل لقواعد لغويّة صوتية وصرفية تفرض على اللفظ المقترض تحوّلا كلّيا أو جزئيّا. سمّي هذا النّوع من الاقتراض اقتراضا بذخيّا l'emprunt de luxeلأنّه يتولّد عن الانبهار الثقافي والحضاري بلغات الشعوب المتقدّمة، فتأخذ عنها الشعوب غير المصنّعة ألفاظ الموضة والزينة والفن وتعابير التأدّب والمجاملة. ويدلّ الاقتراض البذخي على تأثّر واع بثقافة لغات مصدّرة للحضارة الجديدة1، ولكنه ليس تداخلا لغويّا ممثلا لواقع لساني

---

1 DEROY (L) : L'emprunt linguistique. P172 . Ed « Les Belles lettres ».1956.

وقائما على التبادل المتكافئ. إنّه اختيار ذاتي سببه الإعجاب بلغة الغرب وليس الهدف منه الحاجة الماسّة لسدّ الخانات الفارغة في معجم اللغة المورد، لأنها خانات مليئة في العربية.

لا علاقة لهذا الصّنف من التّداخل بين اللغات بالاقتراض الفعلي العملي، إنّه مجرّد تقليد للغير واتّباع للأجنبي وتهافت على حضارات غربيّة. فهو اقتراض في اتّجاه واحد، تختلف درجات الأخذ به من فرد إلى آخر ضمن المجموعة اللّغويّة الواحدة ومن لغة إلى أخرى . إنّه نتاج ذاتيّ " يحدثه الأفراد في الغالب إحداثا عفويّا نتيجة مواقف الإعجاب بأنماط ثقافيّة وحضاريّة أجنبيّة"1 لذلك يبقى خارج القاموس. فهو من الممارسات الكلاميّة الفرديّة.

ويعتبر الاقتراض البذخي عفويا متى كان وليد ثنائية لغويّة اختياريّة، فلا يترك آثارا نفسيّة سلبيّة وإحساسا بالنقص لدى المتكلّم، بينما تؤثر الثنائية اللغويّة الإجبارية أيّما تأثير على من سلّطت عليه لغة الأقوى بحكم واقع تاريخيّ استعماري، فيعجب أبناء الوطن المستعمر بلغة المحتلّ الوافد عليهم بتقنياته وتمدّنه وتطوّره وفنونه ورقيّه على جميع الأصعدة. لذلك تسرّبت ألفاظ أعجميّة عديدة إلى رصيدهم وحلّت في كلامهم محلّ ألفاظ لغتهم الأمّ. هذا الضرب الثاني من الاقتراض البذخي هو الأكثر انتشارا في بلداننا المغاربيّة يصل أحيانا عند بعض الأفراد إلى مزج مفتعل ومستهجن بين كلمات اللغتين في الجملة الواحدة وحتى في التركيب الواحد، وإلى رغبة واعية في تغريب اللغة الأمّ " بفرنستها" francisation وتهميشها والحطّ من قيمتها. نذكر لهذا التّصرف اللّساني غير المسؤول

---

1 - إبراهيم بن مراد ، مسائل في المعجم ، ص 50.

جملة من الأمثلة المتداولة اليوم بين جمهور الشباب في تونس ألحق ببعضها إعادة صياغة قياسا على قواعد العربية في التأنيث والتذكيروفي اشتقاق فعل من اسم وفي إنجاز الأصوات إنجازا معرّبا. وجاءت أمثلة أخرى مختزلة بحثا عن المجهود الأدنى في الكلام.

لوحة عدد 3

اللفظ الفرنسي المستعمل	المقابل العربي المهمل
Diplôme	شهادة
Radioراديو	مذياع
Vaccin	تلقيح
téléphoneتلفون	هاتف
Pharmacie	صيدلية
Contrat	عقد
Fac	كلية
(restaurant universitaire) resto-U	مطعم جامعي
Prof (**mas**) – profa !! (**fem**)	أستاذ / أستاذة
Portable	محمول / جوّال
Computer – ordinateur	حاسوب
Maîtrise (subs)–matriz!!(فعلل) (vb)	إجازة (اسم)– تحصل على الإجازة
Mastère (subs)-mastir (فعلل) (vb)	ماجستير (اسم) –تحصّل على الماجستير
Appel	نداء
SMS	إرسالية
Inscri(ption)	تسجيل
La poste البوسطة (إيطالية Posta)	البريد

لا يمكن لأي لغة حيّة متفتّحة على غيرها من اللّغات أن ترفض مبدأ التقارض، لذلك نعتبر أنّ السعي إلى الحدّ من ظاهرة الاقتراض البذخي يمكن أن يتحقّق متى شعرنا بالاعتزاز بلغتنا ومتى آمنّا أنها تمثل هوّيتنا المشتركة وأنها قادرة على مسايرة ركب التقدم. فاللغات تحيا وتزدهر بفضل إصرار أبنائها وقوّة عزيمتهم على المضيّ بها قدما إلى الأمام.

2-2الاقتراض الإرغامي

ليس هذا الصنف من الاقتراض اختياريّا ذاتيّا بل هو ظاهرة لسانيّة اجتماعيّة تفرضها الأعراف والتقاليد. فيتغيّر اتجاه الترجمة وتصبح العربية اللغة المصدر والفرنسية اللغة المورد متى أراد المتكلّم تجنّب المحظور والمستكره من الألفاظ1واللّجوء إلى لغات أجنبيّة يتستّر وراءها تلطيفا للعبارات 2euphémisme واستنكافا من بعض الألفاظ وتسليطا لرقابة فردية على القواميس والكلام أشدّ قسوة من رقابة القاموسيين والصفويين أنفسهم. فقد اعتبرت مجموعةمن الألفاظ المعيّنة محمّلة بدلالات إيحائيّة أخلاقية وذوقيّة نذكر منها:

لوحة عدد 4

المدخل المستعمل	المدخل المحظور
adultère	زناء ، خيانة زوجية
bar	حانة
amant	عاشق
Maîtresse	عشيقة
Prostituée	مومس

1 زكية السائح دحماني ، نفسه ص 29 – 32.

2DEROY (L) : L'Emprunt linguistique , P177. op.cit

(pédéraste) Pédé (fam)	شاذ، لوطي
Toilette - WC	مرحاض

يمجّ الذوق والأخلاق هذه الألفاظ المحظورة ، ويأنف المتكلّم من استعمالها لما تحمله في نظره من وطء ثقيل على السّامع رغم أنّها ألفاظ من معجم اللغة الأمّ ومن الواقع الاجتماعي . فتسقط من الكلام وتعوّض بدوال أجنبيّة وتلطّف مداليل العلامة في القواميس وفي الاستعمال1، ويحلّ المعنى المجازي محلّ المعنى الوضعي. وهي ممارسات لسانيّة لا علاقة لها بالتداخل اللسانيّ.

إنّ التقارض بين اللّغات ظاهرة لغويّة صحيّة وطبيعية كونيّة، لا تمثّل تهديدا للّغة الآخذة شريطة تحقيق التوازن ودون إسراف. وهو لا يمثّل عائقا أمام تطوّر المعجم العربي تطوّرا داخليّا، فاللّغة تتحوّل باستمرار لما يتسّم به نظامها الصرفي والدلالي من طواعيّة وحركيّة دائمة. وليس الاقتراض المعجمي التوليدي إلاّ ظاهرة لغويّة فرعية في نظام اللغات يسعى إلى إكساب العلوم ونموّ المفاهيم مع مراعاة بناء اللفظ العربي والمحافظة على أنماطه الصيغيّة. وتساهم الترجمة الحرفية بدورها في تطوير الجهاز الاصطلاحي والتخفيف من تبعيّة اللغة تبعيّة مطلقة إلى لغات مانحة للمصطلح والمفهوم. لذلك يعتبرها الصّفويون أقل خطرا على اللغة من الاقتراض الحقيقي لنقلها المفاهيم الأجنبية دون المصطلحات. فهي تساعد على ملء الفراغات دون أن تثقل كاهل اللّغة بوحدات معجميّة كثيرة ليست منها، ودون أن يتحوّل هدف الاقتراض عن وظيفة الاحتكاك والتداخل النسبيّ والتّبادل بين اللغات المنتجة والمصدّرة إلى

1زكية السائح دحماني ، نفسه ص 31-30.

تباعيّة مطلقة وامتزاج أنظمة لغويّة مختلفة ينتج عنها تشويه لواقع اللّغة الآخذة قد يؤدّي بها إلى الانصهار والاندثار.

أمّا الحدّ من الاقتراض الملزم فيعتبر مهمّة صعبة جدّا لأنّ كل المخترعات والصناعات في حياتنا اليومية وكل المصطلحات الدّالة عليها تفد علينا من الغرب. ولكن يمكن أن نقلّص من هجمة الاقتراض الحديث في العلوم والفنون والتكنولوجيا بوجوب العودة إلى تراثنا العربيّ الثريّ والبحث في أعماق الرصيد المعجمي المشترك الضخم لاستنباط المصطلحات المقابلة. ولا نقصد بالحدّ القطع مع ظاهرة الاقتراض الإلزامي سواء أكان معرّبا أم دخيلا أم ترجمة حرفيّة. فهي ظاهرة كونيّة وزمانيّةملزمة، ولكن نأمل ترشيدها وضبط حدود لغويّة لها حتى لا ننساب وراء عمليّة الأخذ ونترك البحث عن المقابل من داخل اللّغة.

أمّا الأصناف الأخرى من المقترضات وهي الاقتراض البذخي الاختياري والإجباري والاقتراض الإرغامي، فإنّها تبقى خارج القواميس نظرا لطابعها الفردي في التعامل مع اللّغة.

المراجع

1 -العربيّة

-ابن أحمد (الخليل) : كتاب العين. 8 أجزاء. داروكتبة الهلال (د.ت)

-ابن مراد (إبراهيم): دراسات في المعجم العربي. دار الغرب الإسلامي بيروت 1987 ص 399.

oمسائل في المعجم.دارالغرب الإسلامي . بيروت 1997 . ط1 . 274 ص

oمقدمة لنظريّة المعجم. دار الغرب الإسلامي . بيروت 1997. ط1 . 217ص.

oالكلم الأعجميّة في عربيّة نفزاوة (بالجنوب الغربي التونسي) .سلسلة اللّسانيّات عدد 10.تونس 1999 . 469 ص.

-ابن منظور (جمال الدّين): لسان العرب . 20 جزءا . دارإحياء التراث العربي. بيروت. ط1. 1988 .

-البكوش (الطيّب): إشكاليات اندماج الدخيل في المعجم. مجلة المعجميّة عدد 3. 1987. تصدرعن جمعيّة المعجميّة العربيّة بتونس.ص ص -60.41

-جميل (فتحي): المقترضات المعجميّة في القرآن بين المقاربة اللّسانيّة والمقاربة المذهبيّة. رسالة دكتوراه في اللّغة والآداب العربية (مرقونة). إشراف الأستاذ إبراهيم بن مراد، كلية الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة. والأستاذ حسن حمزة، جامعة لوميارليون 2. جزءان. 599 ص. تاريخ المناقشة فيفري 2011.

-السّائح دحماني (زكية): قضايا المجازفي القاموس الثّنائي اللّغة: المنهل نموذجا.ص ص51-21.وقائع ندوة المعنى الحقيقي والمعنى المجازي. دار المنى بيروت 2007 . 190ص.

-السّيوطي (جلال الدّين) المزهرفي علوم اللّغة وأنواعها .جزءان. دار الفكر(د.ت).

-عبد الباقي (محمد فؤاد): المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. المكتبة الإسلاميّة استانبول . 1982 . 782 ص.

-لخضر (فاطمة) : الكلمات العربية في اللغة الفرنسية . أصولها وتحوّلاتها. معجم عربي – فرنسي : 113 ص / فرنسي – عربي:539ص.

-المعجم العربي الأساسي: قاموس المنظّمة العربيّة للتربية والثّقافة والعلوم.لاروس . 1989.

-المعجم الوسيط: قاموس مجمع اللّغة العربيّة بالقاهرة. جزءان . ط 3 (د.ت).

2 -بالفرنسية

-AL Mujib : Dictionnaire francais – arabe. Ahmed EL AYED‹A.BELAID.H.HASSAN.Maison YAMAMA. TUNIS 2007.

-Baccouche (Taieb) : L'emprunt en arabe moderne. EdBeit AL-Hikma. Carthage.Institut Bourguiba des langues vivantes.1994.554p.

-DEROY (L) : L'emprunt linguistique. Ed « Les Belles Lettres » 1956.347p

-GUILBERT (L):La créativité lexicale.Larousse.Paris 1975.285p.

واقع الرأسمال اللغوي الجزائري: من التعددية إلى المزج اللغوي.

أ.عمر داود

- جامعة غرداية

مقدمة

تستحوذ المعرفة اللسانية حيزًا معتبرًا ضمن خريطة المعارف المعاصرة، وبالرغم من حداثتها فإنها استطاعت أن تخطو خطوات نحو التقاطع مع مجالات معرفية عديدة، ناهيك عن تداخلها المستمر مع الواقع المجتمعي، باعتبارأن المسألة اللغوية مفتاحٌ من المفاتيح المساعدة في فهم بنية المجتمع، ومحاولةً منا تجاوز الطرح التقليدي في تفسير علاقة اللغة بالمجتمع، تتمحور إشكالية هذه الورقة البحثية حول المسألة اللغوية في الجزائر، وما يعيشه الواقع المجتمعي من وضعٍ لغويٍ شاذ، يتسم بما يمكن أن يُسمى بظاهرة "المزج اللغوي" باعتبارها نتاجًا لتصورات ذهنية رمزية معينة، ولممارسات اجتماعية محددة بسياقاتها التاريخية، ومحصلة لضرورةٍ اجتماعيةٍ وثقافيةٍ آنية، تسعى إلى احتلال موقع جديد ومُميّزفي رقعة السوق اللغوية الجزائرية، في ظل تحكم الوضعيات الاجتماعية والثقافية في تحديد أشكال الهيمنة وآليات تشكيل أسعار الرساميل اللغوية، وتحويل بعضها إلى رأسمال رمزي.

ومن أجل تسليط الضوء على جملة هذه المفاهيم وتحديدها، ثم الوقوف على أبعادها اللسانية والاجتماعية المتداخلة، تمَّ اتخاذ تصور السوسيولوجي الفرنسي بيار بورديو Pierre Bordieu للمسألة اللغوية كمقاربة نظرية مساعدة لحسن فهم الواقع اللغوي الجزائري.

1 -مفهوم اللغة:

يعرِف القاموس المحيط اللُّغَة: بـ «الأصْوات التي يُعَبِّرُ بها كلُّ قومٍ عن أغْراضِهِم»(1)، ويُوصف عالم الإنسان بأنه عالم رمزي، كما يُنعت الإنسان بصانع الرموز(2)، فهو الذي نعت مجموعة منها باللغة، وليس العالم سوى فيضٍ من الصور المختلفة في أشكالها وألوانها، يلتقطها دماغ الإنسان وينظمها بفضل بنية النظام اللغوي الذي يتكلم به، «فاللغة ظاهرة اجتماعية، تقوم بدور هام في نشر الوعي، إذ تعتبر بمثابة النظام الإشاري الذي يحقق الوظائف المعرفية والتواصلية في عملية النشاط الإنساني»(3).

واللغة كما يقول بعض علماء اللسانيات «هي نظام المنظمة الرمزية في الحياة البشرية(...)، فهي التحقيق والتعبير الصوتي لميول الإنسان، وقيمتها ليست في طبيعتها ولا في مكوناتها الداخلية، إنما لكونها تفسر وتحلل رؤية الأفراد للواقع الذي يعيشونه وتعكس انطباعاتهم وتلقيهم للأحداث التي يمرون بها، بطريقة إبداعية رمزية»(4).

1– أباذي الفيروز، معجم القاموس المحيط، دار المعرفة، ط4، بيروت، 2009، ص1181.
2- خليل أحمد خليل، معجم المصطلحات الاجتماعية، دار الفكر اللبناني، ط1، 1995بيروت، ص161.
3- م.روزنتال وب. يادين، ، الموسوعة الفلسفية، تر: سمير كرم، دار الطليعة، بيروت، ط4، 1981، ص410.
4- بسّام بركة، اللغة العربية القيمة والهوية، مجلة العربي، العدد 528 ،الكويت، نوفمبر 2002 ، ص82.

فهي إذن نسقٌ من الإشارات والأصوات المتعارف والمتفق على معانيها، للتعبير عن الفكر والوجدان والإرادة، فتتجلى مهاراتها في تأدية وظائف التفكير والتعبير والتواصل، بمعنى أنها أداة التفاهم واكتساب المعرفة وإنماء الفكر، حتى أنَّ كل التقويمات والأحكام والإدراكات متعلقة باللغة.

فهي بذلك خاصية إنسانية أصيلة، يتميز بها دون سائر المخلوقات، إذ يوصف الإنسان بالحيوان الناطق لدلالة العقل ودلالة الكلام، وهما متكاملتان لا تكاد تنشأ واحدة منهما بصورتها السليمة الوافية من دون الأخرى، فوجود اللغة إذن مرتبط بوجود الإنسان، وحيث يتواجد هذا الأخير يصاحبه التاريخ، تبعًا لذلك، فإنه حيث كانت اللغة يكون التاريخ، وتكون المشاركة في فهم الوجود، وإدراك الشعور المشترك، ومحاولة التواصل مع الغيروفهمه، من منطلق معرفة الذات، كما يقول هايديجر(1).

وتنبع اللغة من الذات البشرية، فكل ذات لا تعي ذاتيتها، إلاَّ إذا كانت مقرًا للغة، ومستهلكةً لها باستمرار، إذ ليست اللغة مجرد كلمات وألفاظ وعبارات تُنطق وتُسمع فحسب، بل هي نسقٌ فكريٌ ووجدانيٌ تنتظم فيه ارتباطات الكائن البشري باستعداداته وتصوراته الذاتية وبثقافته وعلاقته مع الآخر(2)، بمعنى أنها سبيل الفرد إلى معرفة ذاته ومحيطه، ولا بد من أن يقودنا الاعتراف بأهمية اللغة في تكوين المفاهيم العقلية والتصورات الذهنية عند الإنسان إلى التأكيد على أن معرفة اللغة كبنية فكرية هي السبيل لمعرفة القوالب الفكرية الأخرى عند البشر، مثل الفكر الأسطوري، والديني، والعلمي، والفني... .

1- عبد المنعم الحنفي، المعجم الفلسفي، دار ابن زيدون، ط1، بيروت، 1992، ص239.

2- محمد عزيز الحبابي، الإنسان حيوان يتكلم، مجلة الأصالة، العدد16، سبتمبر-أكتوبر 1973، ص79.

وبفضل اللغة تكونت الجماعات الإنسانية لأنّ تاريخ البشرية منذ بدايته يفترض وجود اللغة(1)، فالإنسان لم يصنع الحضارة ولم يتمكن من تسخير الطبيعة ولا السيطرة عليها، إلاّ باليد كأداة عملية وباللغة أداته الفكرية والقولية، التي تُعتبر من أهم أسس وحدة الأفراد، ومظهرًا من مظاهر الحفاظ على هُوِيتهم عبر التاريخ(2)، وإذا عجب المرء مما ابتكره الإنسان، فاللغة من المبتكرات التي أظهرها التطور الإنساني، فاللغة أداة تفكيرٍ، تُمّكن الإنسان من الشعور بالذات، وتحمل إحساسًا وعاطفة مشتركة مع المتحدثين بنفس اللغة(3).

"إدوار سابير"E.Sapir أول فيلسوف استطاع أن يدرج اللسانيات وفلسفة اللغة والحياة الاجتماعية في دراسة شاملة للبنية الاجتماعية عند الفرد كما عند الجماعة، وهو بذلك يكون قد وضع الأسس التي تربط علم الأنتروبولوجيا بدراسة اللغة، فيحدد اللغة وعلاقاتها بالمجتمع بما يلي: «إن اللغة التي تنتمي إلى مجتمع بشري معين والتي يتكلمها أبناؤه ويفكرون بواسطتها، هي التي تنظم تجربة هذا المجتمع، وهي التي تصوغ بالتالي عالمه و"واقعه الحقيقي"، فكل لغة تنطوي على رؤية خاصة للعالم، (...) إن اللغة تتحكم كثيرًا في أفكارنا المتعلقة بالمسائل الاجتماعية، ومن الخطأ تصور أن الإنسان يتكيّف مع واقعه دون استخدام اللغة، أو أنّها مجرد وسيلة لحل مشاكل الاتصال والتفكير، إن العالم في الواقع مبني بطريقة لا واعية على أساس عادات الناس اللغوية وعلى أساس استعمالاتهم للغتهم الأم»(4).

1- ج.فندريس، اللغة، تر: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو مصرية، ط1، القاهرة، 1951، ص5.

2- المرجع نفسه، ص1.

3- علي خذري، اللغة وشخصية الأمة، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد2، جامعة باتنة، ديسمبر1994، ص80.

4- بسّام بركة، مرجع سابق، ص84 .

فالحديث عن اللغة لا ينفصل عن الحديث عن الفكر الإنساني، لأن اللغة تمثل السبيل لاستكشاف حوافل الأمم، فمن خلال ألفاظها تتجلى كوامن الإحساس بالمواطنة والشعور بالصلة والانتماء، والتوافق في المشاعر، وهي من أقوى عوامل الوحدة والتضامن بين أبناء البنية الواحدة، فهي التي تحول الإنسان إلى كائن اجتماعي يتحسس الواقع، ويستشرف الخصائص المميزة له التي تترسب في كل إشارات اللغة ودلالاتها .

واللغة المتداولة تنتقل وتتوارث من جيل إلى آخر، وعبر مسالك خفية غير واضحة، ولكنها ثابتة، فهي التعبير الحقيقي عن "ذكاء الشعب"، حيث أن الطابع الفكري لكل شعب، إنما يتجسد عبر الألفاظ والعبارات التي تتكون منها لغته، ويصفها "موس Mosse" بروح الشعب: «إن روح الشعب هي القوة الخفية المعنوية التي تسيطر على الجماعة فتفرض الترابط وتتحدى الأحداث وتنتظر اللحظة المناسبة لتتفجر حقيقة واقعة، فإذا بها أمة ودولة، بل وظيفة حضارية وقيادة إنسانية؛ إنها محور التطور، وما روح الشعب؟ وما الذي يسمح باستمراريتها رغم الأحداث؟ إنها اللغة أقدس الأقداس»1.

2 -مفهوم التعدد اللغوي:

يشير هذا المفهوم إلى وجود مجموعة من اللغات المتقاربة أو المتباينة في مجتمع واحد2، لا تتداخل كلمات هذه اللغات فيما بينها أثناء الخطاب الواحد.

1- سمدون حمادي وآخرون، اللغة العربية والوعي القومي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1984ص259.

2- بلعيد صالح، في الأمن اللغوي، دارهومة، الجزائر، 2010، ص224.

ونادرًا ما توجد مجموعات كلامية تتصف بأحادية قطبها اللغوي، وقد حاولت بعض الجماعات سواء بشكل علني أو بشكلٍ خفي تحقيق سياسة لغوية هادفة لتأسيس مبدأ أحادية لغتها، إلاَّ أنه من النادر جدًا أن يتحقق ذلك دون أن يكون هناك مزجٌ وبأشكال معقدة عديدة.

وبالمنظور التاريخي، تعود ظاهرة التعدد اللغوي في المجتمعات إلى عدة أسباب، منها السبب المتعلق بظاهرة الغزو والاستيلاء على بعض المناطق اللغوية المختلفة وفرض سياسة الوحدة اللسانية بجعل جميع السكان يتداولون لغة الغازي، كما حدث في الجزائر إبان الغزو الفرنسي، وغالبًا ما يؤدي الوضع الجديد إلى المقاومة الثقافية، ومع مرور الزمن واشتداد الممارسة التثاقفية العنيفة منها خاصة يتشكل التعدد اللغوي، غير أن الأمر لا يحصل دومًا بنفس الوتيرة، لأن اللغة الأصلية قد تعرف الاضمحلال كما حدث عندما أُلحقت مناطق البروتون والألزاس والبروفانس بفرنسا.

كما تقوم ظاهرة الهجرة بدور أساسي في تشكيل التعددية اللغوية، إذ عند تنقل الجماعات اللغوية من حيز جغرافيٍ إلى حيزٍ آخر، قد تنصهر لغتها في لغة الجماعة المُستضِيفة، كما يمكن أن تساهم بعض العوامل كوجود جوٍ اجتماعيٍ مشحونٍ يمنع أي شكل من أشكال القِران، فتحافظ كل مجموعة بذخيرتها اللغوية حتى تتشكل التعددية اللغوية، وبمرور الزمن قد تزول تلك العوامل ويحدث التفاعل الثقافي واللغوي حتى تمتزج اللغتان لتتشكل بعد ذلك اللغة المشتركة.

3 -المزج اللغوي:

تعني كلمة المَزْج لغويًا: الخَلْط والتَّحْريش1، وهو خلط كلمات مستقاة من لغتين أوأكثرفي الخطاب، ويسميه البعض بالتداخل اللغوي2، ويُطلق عليه البعض الآخر الهجين اللغوي3، الذي يسمح للمتكلم بمضاعفة مخزونه اللغوي ممّا يسهل عليه العملية التواصلية.

وتعود عوامل بروز هذه الظاهرة في الجماعات اللسانية إلى أسباب عديدة، منها ما قد ذكر سابقًا، ومنها أيضًا خلو بعض اللغات من المصطلحات والمفاهيم العلمية، ممَّا يضطر المتعلم إلى توظيف لغات تتوفر فيها تلك المصطلحات، وتحصل بذلك عملية مزج لغة الأم بتلك اللغات، كما تُعتبر الوسائل الإعلامية مصدرًا مهمًا من مصادر المزج اللغوي في المجتمع عندما تحاول جعل لغة "الشارع" الممزوجة أمرًا مألوفًا بتوظيفها، بحجة إيصال الرسالة الإعلامية، والابتعاد عن القيود النحوية للغة الأكاديمية.

وغالبًا ما تقوم الجماعة اللغوية التي تشعر بدونية لغتها بمزجها بعبارات مستقاة من لغة تحمل من الرمزية ما يجعلها المُهيّمِنة، ومن المعلوم أنَّ اللغات تتصارع لإدامة وظيفتها التواصلية لأجل البقاء، وتحاول تطوير ذاتها للهيّمنة على اللغات الأخرى بالتأثير على الناطقين بها ومعرفة تجاربهم الحياتية، فاللغة »أداة للتخاطب والتأثير، ويمكن

1- أباذي الفيروز، مرجع سابق، ص1220.

2- برنارد صبولسكي، علم الاجتماع اللغوي، تر: ستقادي عبد القادر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010، ص128.

3- بلعيد صالح، مرجع سابق، ص224.

بفضلها تحليل التجارب البشرية التي تختلف من مجموعة إلى أخرى»1، ويقول العلامة ابن خلدون في مقدمته: «اعلم أنّ لغات أهل الأمصار، إنّما تكون بلسان الأمة، أو الجيل الغالبين عليها، أو المختطين لها»2، لذلك يسعى الأفراد في وضعيات اجتماعية معينة لاكتساب رأسمال لغوي ذي قيمة رمزية معتبرة يمكِّنهم من الهيمنة عند اقتحام الأسواق اللغوية.

4 -مفهوم الرأسمال اللغوي:

يشير مدلول الرأسمال اللغوي إلى وجود فوائد لغوية، بمعنى أنَّه بمجرد أن يفتح الفاعل الاجتماعي فمه للحديث فإنه سيدخل في عملية استثمار ومزاد لرأسماله، وقد يتحصل على أرباح لغوية تتباين حسب سلطة الفرد الرمزية التي ينعتها بورديو بالسلطة اللاَّ مرئية التي تُفرض على الأفراد ويعترفون بها ويخضعون لها دون وعيهم بها3؛ هذه السلطة التي تفرضها اللغة المُشكلة لرأسماله، وتسمح للبعض بحق الكلام بغض النظرعما سيُقال؛ فوضعيات علاقات القوة اللغوية rapports de force linguistiques هي الوضعيات التي تُمَّكِن فيها المؤسسة وقوانين السوق وكل الفضاء الاجتماعي للغة معينة بالهيّمنة لتحقيق مصالحها، وتظهر في مثل هذه الوضعيات أهمية الرأسمال الرمزي للفرد الذي يتحكم في آليات تشكل الأسعار اللغوية، وكذا القدرة على جعل قوانين تشكيل الأسعارتعمل لصالح صاحب الرأسمال، والقدرة على استخلاص فائض القيمة النوعي، وباختصار؛ فإن كل عمليات التواصل اللغوي هي أنواع من الأسواق الصغرى التي تبقى دوما تحت رحمة البنيات المُهيمِنة ثقافيًا.

1- المرجع نفسه، ص76.

2- ابن خلدون عبد الرحمان، مقدمة ابن خلدون، تح: حامد أحمد الطاهر، دارالفجر،ط1، القاهرة، 2004، ص458.

3- بورديو بيير، الرمزوالسلطة، تر: بنعبد العالي عبد السلام، دارتوبقال، ط3، الدارالبيضاء (المغرب)، 2007، ص48.

ويعتبر الذاودي أنَّ نمو هذا النوع من الرأسمال وتطوره مرتبطان بمدى توظيفه واستخدامه في الأنساق الاجتماعية المختلفة1، لأن إقصاء الرأسمال اللغوي من الوظيفة الاتصالية المجتمعية حتى وإن كان جزئيًا هو إنقاص من سعره وقيمته الرمزية.

ويعكس الرأسمال اللغوي للفرد انتماءه الطبقي2؛ لأنَّ حقول الفضاءات الاجتماعية المختلفة تقوم بأساليب لانتقاء ذوي رأسمال لغة الطبقة المحظوظة وإقصاء الآخرين عن طريق ما يسميه بورديو بالعنف الرمزي، فعلى سبيل المثال قد يتشكل الرأسمال اللغوي الأصلي للمنتمين إلى الطبقات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية الدنيا بمضامين لغوية تغلب عليها العبارات التي تميل إلى الخشونة والصيّغ المباشر عند طلب الحاجة مثلاً، بينما تميل عبارات رأسمال لغة الطبقة الراقية الأصلي إلى الفخامة بتوظيف صيغ غير مباشرة وعبارات المجاملة وحسن الأدب...، ولاقتحام الفضاءات الراقية التي تتخذ من الرأسمال اللغوي للطبقة المحظوظة سلطةً رمزية بها تُشرعِن أحقية الانتساب لها، غالبًا ما يتخذ بعض أفراد الطبقات الدنيا استراتيجيات لغوية معينة قد تتجسد إمَّا على شكل:

- تعبيرات رمزية عن القطيعة مع رساميلهم اللغوية الأصلية بغية اكتساب رأسمالٍ لغويٍ يُخوِّل لهم دخول حقول الطبقات المحظوظة.

- أو محاولات للبحث عن حلولٍ توفيقية حتى لا يفقدوا رساميلهم الأصلية لاعتبارات رمزية بالدرجة الأولى.

1- الذاودي محمود، المقدمة في علم الاجتماع الثقافي برؤية عربية إسلامية، مجد للنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 2010، ص210.

2- علوان محمد السيد، المجتمع وقضايا اللغة، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر، 1955، ص63.

وعليه يمكننا الاستفسار عن كيفة اكتساب الفرد لرأسماله اللغوي الأصلي، وما هي آليات تشكله؟

يتحصل الفرد على مختلف رساميله الأصلية بما في ذلك الرأسمال اللغوي من فضائه الاجتماعي بصفة عامة، ومن الحقل الأسري بصفة خاصة، عن طريق عملية الميراث، باعتباره مُنتجًا مُستبطنًا، قد يتفق مع المرجعية اللغوية للنشاط التربوي والتعليمي في المدرسة لاحقًا، فتساهم بذلك المؤسسة التربوية في إثراء رأسماله، وإعطائه شرعية الهيمنة برفع سعره في مزادات مختلف الأسواق1.

3 - الرأسمال اللغوي والعملية التواصلية:

تحمل العملية التواصلية اللغوية في مضمونها بُنية مختلف الرساميل اللغوية وعلاقات القوة وشكل الفعل السلطوي إذ أنَّ «العلاقات اللغوية هي دائمًا علاقاتٌ للقوة الرمزية، وعن طريقها تتحقق علاقات القوة بين المتكلمين وجماعاتهم»2، فتبقى اللغة دومًا محل صراع اجتماعي رمزي تظهر فيه علاقات القوة، لذلك تتصارع الجماعات اللغوية فتسعى كل جماعة لغوية إلى فرض خطابها على النسق المجتمعي عن طريق الوسائل الاتصالية كالإعلام والمدرسة حتى تكرس سيادة رأسمالها اللغوي رمزيًا وشرعنته اجتماعيًا.

وتؤكد إحدى مقاربات السوسيولوجي التربوي بيرنستين Bernstein على تأثير الرأسمال اللغوي على التحصيل الدراسي، بحيث أنَّ الأطفال

1- بورديو بيار، العنف الرمزي: بحث في أصول علم الاجتماع التربوي، تر:جاهل نظير، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت، 1994، ص43-42.

2- بورديو بييروج.د فاكونت، أسئلة علم الاجتماع في علم الاجتماع الإنعكاسي، تر: الكور عبد الجليل، دار توبقال للنشر، ط1، المغرب، 1997، ص103.

الذين ينتمون في طبقة ثقافية واجتماعية يتوافق رأسمالها الثقافي واللغوي مع الثقافة المدرسية يطورون في مراحل مبكرة من حياتهم رموزًا مختلفة أو أشكالاً من الكلام تترك آثارها على تجربتهم المدرسية اللاحقة1.

وهذه الرموز لا تعني المفردات أو المهارات الشفوية فقط، بل الفوارق في صيغ التعبيروأساليب استخدام اللغة، فمثلاً يرى هذا السوسيولوجي أنَّ «حديث أطفال الطبقة العاملة يمثل رموزًا مُقيَّدة، أي وجوهًا لاستخدام اللغة تنطوي على افتراضات غير معلنة يتوقع المتحدثون من الآخرين أن يكونوا على علم بها، وترتبط هذه الرموز المُقيَّدة بسياقات ثقافية محددة»2.

وإنّ كثيرًا من أفراد الطبقة العاملة يعيشون في سياق ثقافي يتميز بالترابط الأسري والإحساس بـ"الحميمة الأسرية"، فيتواضع هؤلاء الأفراد على كثيرٍ من القيم والمعايير، ويتفهمونها، ويلتزمون بها دون أن يتحدثوا عنها، باعتبارها مسلمات.

فتُستخدم الرساميل اللغوية لأطفال هذه الطبقة في مثل هذه السياقات للتواصل بينهم وبين أفراد المجتمع حول الخبرات العملية، لا تُوظف لمناقشة الأفكاروالعمليات والعلاقات المجردة، وكثيرًا ما يدور الحديث ضمنًا عن معايير جماعتهم من دون التطرق إلى تفسير دوافع السلوك أو أنماطه المختلفة، وعليه فإنّ التحادث بـ"الرموز المُقيَّدة" هو من الخصائص التي تميزرساميل لغة أطفال هذه الطبقة.

---

1 - M. Cacouault et F.Oeuvrard, **Sociologie de l'éducation**, édition Casbah, 1998, p53.

2- أنتوني غدنز، علم الاجتماع، تر: فايز الصياغ، المنظمة العربية للترجمة، ط4، بيروت، 2005، ص555.

أمّا أطفال الطبقة الميسورة، فيكتسبون ما يسميه بيرنستين Bernstein بـ"الرموز المفصلة" «أي أسلوب الحديث الذي تتحدد فيه معاني الكلمات المستخدمة لتطابق الوضع في تلك اللحظة»1.

وخلافًا لما يقوم به أفراد الطبقة العاملة حينما يوقعون العقاب أو الثواب بأطفالهم مباشرة دونما شرح للأسباب والبواعث، فإنّ الأهل من الطبقة الميسورة يسهبون في حالة مماثلة في تعداد المبررات والمسوغات لتصرفاتهم اتجاه أطفالهم.

ويعتقد بيرنستين Bernstein أنّ الأطفال الذين يكتسبون رأسمال لغوي به "الرموز المفصلة" يكونون أقدر على التعامل مع متطلبات التعليم الأكاديمي الرسمي من نظرائهم الذين تلقوا "الرموز المقيدة" ممّا يُيَسِّر دخول أبناء الطبقة الميسورة وتعايشهم مع بيئة المدرسة2.

وبالرغم من كون مقاربة بيرنستين Bernstein ما زالت مَثَارًا للكثير من النقاش، إلاَّ أنَّ اختلاف الرساميل اللغوية وأنماط استخدام اللغة التي تحدث عنها ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالفوارق الثقافية العريضة التي تشدد على تنوع المصالح والأذواق وتركز على السوق اللغوية، فملكية الكفاءة اللغوية القريبة من معايير اللغة المُهيمِنة يجعلها بورديو وباسرون Bourdieu et Passeron من المحددات الأساسية للانتقاء والإقصاء المدرسي، بحيث «كلما كانت السوق اللغوية رسمية، كانت قريبة من معايير اللغة المهيمِنة»3، فأطفال الطبقة العاملة يواجهون عند دخولهم المدرسة صدامًا ثقافيًا أكبر بكثير مما يجده القادمون من طبقات اجتماعية وثقافية محظوظة ومرفهة، فهم يجدون أنفسهم في بيئة

1- المرجع نفسه، ص557.

2- المرجع نفسه، ص558.

3- بورديو بييروج.د فاكونت، أسئلة علم الاجتماع في علم الاجتماع الإنعكاسي، مرجع سابق، ص104.

ثقافية "غريبة"، فلا يقتصر الأمر فيها على افتقارهم إلى الحوافز الدافعة إلى تحقيق مستويات عالية من التحصيل والأداء الأكاديمي فحسب، بل إنَّ رأسمالهم اللغوي وأنماط التحادث والتصرف التي تعودوا عليها لا تتلاءم وتلك التي تستخدمها المدرسة، فيقضي هؤلاء الأطفال ساعات طويلة في المدرسة يحاولون تعلم أنماط تحدث وتصرف المعلمين.

يحدد بيرنستين Bernstein بعض الجوانب التي يرتبط بها الرأسمال اللغوي للطفل المعتمد على استخدام الرموز "المُقيّدة" والمُسببة في الحد من فرص التعليم منها:

•عندما يتلقى الطفل استجابة محدودة على ما يُثيره في المنزل من تساؤلات، يضيّق من مجاله المعرفي من ناحية، ويكبح فضوله لمعرفة ما يدور في العالم الخارجي حوله، مقارنةً بالأطفال الآخرين الذين اكتسبوا الرموز المفصلة.

•من الصعب على الطفل أن يستجيب لعبارات اللغة المجردة وغير المشحونة بالعاطفة أو التجاوب مع التعليمات التي تدعو إلى الالتزام بالانضباط المدرسي.

•قد يكون ما يتحدث به المعلمون أمرًا غير مفهوم لدى الطفل، لأنهم يستخدمون لغة غير مألوفة لم يعتد عليها، فيُفسرّ الطفل عبارات المعلمين بالطريقة التي تحلوله، ويُجانب بذلك الصواب.

•يُعاني الأطفال صعوبات كثيرة في تعلم الأفكار المجردة، والتمييز بين المفاهيم المختلفة القابلة للتعميم من خلال التمارين والتدريبات التي يشاركون فيها في المدرسة1.

1- أنتوني غدنز، مرجع سابق، ص559.

4 -الرأسمال اللغوي الجزائري:

من الصعوبة تحديد الرأسمال اللغوي الجزائري لأسباب موضوعية عديدة، منها تعدده وتنوعه وتمازجه بالثقافات التي استوطنت المنطقة تاريخيًا، ولأن المسار التاريخي للغة الجزائريين مرتبط بالاحتكاك المباشر بلغات تلك الثقافات ممّا يجعل احتمال التأثير المتبادل واردًا، لذلك سيتم عرض أهم المحطات التاريخية التي تركت بصماتها واضحة في الواقع اللغوي الجزائري لمحاولة الإحاطة به وبخصائصه وتركيبته الآنية.

5 -جذور الرأسمال اللغوي الجزائري:

يرى وليام شارل William Charles أنَّ وجود اللغة الأمازيغية أسبق بكثير من وصول الفينيقيين إلى شمال إفريقيا1، لقد تحقق بعض التمازج بين الأمازيغ والفينيقيين، فاستخدموا اللسان الفينيقي على نطاق وظيفي واسع، حتى بعد انتهاء وجودهم، وهذا ما لم يتحقق لهم مع الرومان والبيزنطيين مثلاً، واُعتبر استعمال اللغة الرومانية مظهرًا من مظاهر الانسلاخ والتبعية، ما انعكس على محدودية انتشارها الذي لم يتجاوز القلة المجتمعية المرتبطة بالظاهرة الاحتلالية2.

ويمكن الإشارة إلى ذلك التحالف الذي كان موجودًا حينها بين نوميديا الأمازيغية وقرطاجنة ضد الإمبراطورية المستعمرة الرومانية أسهم بشكل كبيرفي تقارب النفوذ المعنوي والثقافي والاحتكاك اللغوي البونيقي والأمازيغي، حتى أصبحت اللغة البونيقية لغة دواوين وإدارات المماليك

1- العربي إسماعيل، مذكرات وليام شارل: قنصل أمريكا في الجزائر(1816-1824)، الشركة الوطنية للنشروالتوزيع، الجزائر، 1982، ص102.

2- عشراتي سليمان، الشخصية الجزائرية: الأرضية التاريخية والمحددات الحضارية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2002 ، ص65.

الأمازيغية، وقد اعتبر غوستاف لوبون Gustav Lobons أنَّ اللغة البونيقية هي المصدر الأساسي الذي اشتقت منه اللغة الأمازيغية1.

وبالرغم من انتهاج الرومان سياسة نشر اللغة اللاتينية ومحاربة اللغة السائدة حينها وانتشار اللغة اللاتينية في بعض الحواضر، فقد صمدت القبائل الأمازيغية وحافظت على بُنيتهم اللغوية والثقافية، وكما يذكر المؤرخون أنَّ لا الرومان ولا البيزنطيين والوندال تمكنوا من القضاء على البنية الثقافية واللغوية لمجتمعات شمال إفريقيا2.

قد يكون من الصواب الجزم بأنَّ ما أحدثته الهجرات والنزوحات الجماعية المتتالية على شمال إفريقيا في تلك الفترات التاريخية من امتزاجٍ عرقيٍ لم يرق إلى الأثر الذي خلفه الفتح الإسلامي لها، عندما دشن مرحلةً من التداخل العرقي ليس بين الأمازيغ والعرب الفاتحين فقط ولكن بينهما وأعراق أخرى مشرقية وإفريقية وأوروبية مختلفة، وشكلت من الجميع محصلة بشرية تنتمي إلى مجالٍ جغرافيٍ واحد، نتيجة قبول الأمازيغ للإسلام الذي كان يحمل في طياته معالم الحرية والعدل والمساواة، هذه المعالم التي لم يعرفوها وافتقدوها مع الوافدين السابقين، «فرحبوا بالإسلام كدين أسمى وأقرب إلى العقل والقلب، كما أنه لا يتناقض وقيمهم وثقافتهم وتقاليدهم»3، لذلك لم تعرف المسيحية التي تواجدت في المنطقة لعدة قرون الانتشار الذي أحدثه الإسلام في الأوساط الأمازيغية، ويذكر المؤرخ غوتيه Goutier أنَّ «الجاذبية التي كانت بين المسلمين العرب والأمازيغ هو نتيجة التشابه في الحياة والشعور الأساسي الذي غلب الاختلافات

1- سعدي عثمان، عروبة الجزائر عبر التاريخ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص73.

2- بوقرة بلقاسم، من الإستبداد الشرقي إلى النظام العالمي الجديد: التاريخ الاجتماعي للجزائر تحت المجهر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2003، ص131.

3- لونيسي رابح، دعاة البربرية في مواجهة السلطة، دار المعارف، الجزائر، 2002، ص11.

اللسانية»1، وعليه فقد كان الدين الإسلامي بتعاليمه سببًا رئيسًا في تقبل الأمازيغ للغته، واكتسبت بذلك اللغة العربية الطابع المرجعي المقدس بعد أن استوعبت الخصوصية الدينية، عندما رافق الفقهاء والعلماء العرب المسلمون الجيوش الفاتحة، فتجاوزت بذلك الحيز العرقي الذي شغلته قبل الإسلام، إلى فضاءات التحضروالرقي، إذ أصبح للمتحدث بها مكانةٌ اجتماعية باعتبارها رمزًا للتفوق ومصدرًا للتدين.

وقد أشارت بعض المراجع التاريخية أنَّ الأمازيغ المرابطين والموحدين الذين نشروا الإسلام، وكانوا يكتبون نصوصهم الفقهية باللغة الأمازيغية، وبحروف عربية، كما فعل ابن تومرت في رسالته، وهذا ما سهَّل عملية التمازج بين العرب والأمازيغ، كما أنَّ الهجرات الهلالية ساهمت في هذا التفاعل، بفضل نشرهم للغة العربية في نطاق واسع من بلاد المغرب، ويقول بهذا الصدد الشيخ البشير الإبراهيمي: «أنَّ بني هلال خربوا ولكنهم عربوا»2.

ورغم أنَّ قبائل بني هلال أرسلوا من طرف الفاطميين للتدمير والتخريب، فقد واجههم أمراء بني زيري وبني حمَّاد بأسلوب حكيم، حيث تمكنوا من استيعابهم داخل المجتمع، ورغم ما قاموا به من تخريب في مدن إمارتيهما، إلاَّ أنَّهم لم يصدروا أي رد فعل ضد العرب كعرب، إنّما فسروا ظاهرة بني هلال بتفسيرها الصحيح وهو التفسير البدوي3، فلم تمض عدد من السنين حتى انصهر الهلالي داخل المجتمع الأمازيغي، فكان

1- بوقرة بلقاسم، مرجع سابق، ص133.
2- سعدي عثمان، مرجع سابق، ص87.
3- المرجع نفسه، ص88.

نتيجة ذلك إفراز دولتين أمازيغيتي القيادة هما: دولة المرابطين ودولة الموحدين، اللتان لعبتا دورًا كبيرًا في نشر الإسلام والذود عنه، وتطوير حضارته.

وقد عمل التواجد العثماني في الجزائر على غرس قيمه وثقافته ولغته التركية في المؤسسات الإدارية والعسكرية بصفة خاصة1، ما جعل القنصل الأمريكي في الجزائر يعتبرها من بين اللغات المتعددة للمجتمع الجزائري قبل الاحتلال الفرنسي2، غير أنها كما يبدو لم ترق إلى مستوى الإنتاج الأدبي والفني الذي حققته اللغة العربية.

وقد حاولت فرنسا منذ نزول جيوشها أرض الجزائر مسح مقومات الشخصية للفرد الجزائري، بحكم سيطرة نظرة التمركز الأوروبي التي تعتقد بدونية الشعوب غير الأوروبية التي لم تصل بعدُ إلى التطور التاريخي الذي تشهده الثقافة الأوروبية3، واستعملت كل الوسائل المُتاحة لأجل ذلك فتسلطت وحاولت القيام بالدمج الجذري الاجتماعي لأبناء مستعمَرتها في حضارة فرنسا وثقافتها4، ممّا جعل المسألة اللغوية في الجزائر تشهد هزةً في تركيبتها لا تزال ارتداداتها متلاحقة إلى يومنا هذا، ويمكن تلخيصها فيما يلي:

- إبعاد اللغة العربية عن المجالات التعليمية والثقافية باعتبارها رمز التخلف والانحطاط.

1- بوقرة بلقاسم، مرجع سابق، ص165.
2- العربي إسماعيل، مرجع سابق، ص39.
3- أمين سمير، التمركز الأوروبي: نحو نظرية للثقافة، سلسلة صاد، موفم للنشر، الجزائر، 1992، ص117.
4- نازلي أحمد معوض، التعريب والقومية العربية في المغرب العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 1986، ص56.

·إقحام اللغة الفرنسية في جميع المؤسسات الحكومية كالتربوية والتعليمية والإدارية والعسكرية، وجعلها لغة العمل والاتصال والتفكير.

6 -الواقع السوسيو لغوي الجزائري:

بعد أن تمَّ التطرق إلى الخلفية التاريخية لتشكل الرأسمال اللغوي الجزائري، التي تبرر الواقع التعددي الأمازيغي العربي، والذي من خلاله حققت الأجيال هُويتها الثقافية، لذلك يمكن القول بأن القضية التعددية ليست جديدة سواء كواقعٍ معيش أو كطرح سوسيو لساني، إلاَّ أنَّ الإشكال الذي لا يزال يُصاحب هذه التعددية يحصل أساسًا على مستوى التعامل مع تلك اللغات، الذي يتخذ أوجهًا مختلفة تسفر عن تراتبيات معينة، ورمزيات سوسيولغوية مختلفة بحسب منظومة القيم الأيديولوجية القائمة في تلك الفترة الزمنية.

وعلى سبيل المثال، فقد تمكنت مجموعة من القيم الأيديولوجية عقب استقلال الجزائر من فرض نفسها، وأساس تلك القيم هو الجنوح نحو الرفع من قيمة وحدة الأبعاد الانتمائية (وحدة اللغة، وحدة القومية، وحدة الدين، وحدة الحزب...إلخ)1؛ كرد فعل قوي للتثاقف العنيف الذي شهدته الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي، وللمكانة والسلطة الرمزية التي لا تزال تشغلها اللغة الفرنسية، وانعكست هذه القيم مباشرةً على مستوى التعامل مع الملف اللغوي المتعدد، من خلال التدخل في فرض لغة معينة على حساب اللغات الأخرى في قطاعات التعليم، والإنعاش الثقافي، ومصالح العدالة، ومرافق الشأن المحلي، ووسائل الاتصال، ممَّا

1- ينظر: بن نعمان أحمد، التعريب بين المبدأ والتطبيق، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص297-265.

مكَّن من خلق تراتبية وظائفية رمزية للغة العربية على المستوى الرسمي، رغم بروز الخطاب المطلبي اللغوي.

وبالرغم من ذلك، فإنَّ السلطة الرمزية للنموذج اللغوي الفرنسي التي مارست إبَّان الاحتلال مختلف أشكال الهيمنة على السوق اللغوية الجزائرية لم تتراجع عن موقعها، بل اقتحمت مختلف الحقول لتشكل منها سوقًا للصراعات اللُغوية تتحدد بها قيمة وسعر الرساميل اللسانية الجزائرية.

ومن الواقع السوسيو لغوي الجزائري، فإنّ الوضع المجتمعي العام للغة الفرنسية لا يزال فاعلاً ومؤثرًا، لا لشرطياتها التاريخية فحسب، بل لكثافة حضورها المجتمعي، لأن وجود هذه اللغة كأداة للعمل والتعامل في العديد من المجالات والمرافق الاجتماعية الهامة والمرتبطة بحاجيات ومصالح جميع الأفراد، يشكل التدعيم العملي لهيمنتها الرمزية على مختلف الحقول الاجتماعية، فضلاً عن مساهمة هذا الحضور في تعميق عدم التطابق مابين التعليم والتكوين الجزائري الذي لا يزال ينتهج الإصلاح التعريبي، وما بين سوق العمل والواقع المجتمعي، حتى أصبح النُطق بها صراعًا على المواقع، ومن إتقانها المُحدِّد الأساسي لقنوات الترقية الاجتماعية، ومعايير الانتقاء والإقصاء في الجزائر.

ويمكن تبرير تحيّد العامية والأمازيغية بعدم قدرتهما على المنافسة؛ لأنهما لم تتجاوزا بعدُ الطابع الشفوي التواصلي، ممّا يجعل اكتساب الفرد الجزائري للغة الفرنسية حتى في حالة عدم الوصول إلى مستويات الإتقان إثراءً لرأسماله الثقافي اللغوي وإظهارًا للاختلاف والتميز عندما يتم تحويله إلى رأسمال رمزي.

ويبني بذلك الفرد الجزائري استراتيجياته اللغوية وفقًا لتموقع وثمن كلماته في السوق اللغوية، فيتباهى عند لهجه كلمات فرنسية، معتقدًا بأنها رمزٌ للتحضر والانخراط في نمط حياتي متقدم ومنفتح، وفي الآن ذاته لا يرغب في تشكيل أي نوع من القطيعة مع لغاته الأصلية المتعددة إمَّا اعتبارًا لقيمتها الرمزية، أو نتيجةً لما يسميه برنارد صبولسكي B.Spolsky بالإخلاص اللغوي، الذي يشير إلى مدى قوة متكلمي لغة ما في التعلق بلغتهم والذود عنها1، كما يمكن أن يكون انعكاسًا لما يسميه بيار بورديو "الموقف التحقيري" الذي يلقاه الرأسمال اللغوي الجزائري الأصلي بين النُخب السياسية والفكرية والمجتمع بصفة عامة، إذ لم يُسمح بعدُ للغة العربية ميدانيًا باقتحام العديد من المجالات الحيوية على غرار المؤسسات البنكية مثلاً ممَّا يفرض على الجزائري ملء صكوكه البنكية باللغة الفرنسية.

وبفشل عملية إعادة إنتاج Reproduction الرأسمال اللغوي المفرنس بدليل تراجع نتائج المتعلمين في مادة اللغة الفرنسية؛ يلجأ الجزائري مضطرًا إلى مزجها باللغة الفرنسية تعبيرًا عن قيمة وثمن رأسمالها اللغوي كمصدر حيوي للوجاهة والقوة والمكانة في الفضاء الثقافي الجزائري.

ونتيجةً لذلك، تحول الرأسمال اللغوي الجزائري المتعدد اللغات (أمازيغية متعددة، عربية دارجة متنوعة) إلى رأسمال جديد ممزوج بالعبارات فرنسية غالبًا ما يتم تحويرها كي تتلاءم والصيغة التعبيرية الجزائرية "أنا وأصحابي أنريفيزو باش نبريبارو للباك" التي لا يفهمها إلاَّ جزائري القرن الواحد والعشرين، وفي نفس السياق يمكن استحضار

1- برنارد صبولسكي، مرجع سابق، ص140.

أمثلة كثيرة تنذر بتحول حادٍ وخطير في بنية الرأسمال اللغوي الجزائري، وما يمكن ملاحظته واقعيًا حضور صعوبات جمَّة في العملية التواصلية مع الآخر، نتيجة الارتباك الذي يحدث على مستوى تعبير الفرد الجزائري، ولعل عدم قدرة الفرد الجزائري على التحكم في التعامل مع رصيد لغوي واحد من اللغات المتداولة سبب تلعثم لسانه وتزاحم ثلاث لغات مختلفة في خطابه الواحد، وقد تكون كلماته المنطوقة هي محصلة لقدرة المتكلم، كما يمكن أن تكون المُعبر عن خصوصيات السوق التي يعرض فيه الرأسمال ويتداول فيها الخطاب.

ولم يتوقف زحف ظاهرة الرأسمال اللغوي الممزوج عند مستوى التداول اللساني الشعبي فحسب، بل اخترق المؤسسات التعليمية بأطوارها المتعددة حتى اكتسحت قاعات التدريس بالجامعات، ولم يسلم من هذه الظاهرة إلاَّ العدد القليل من أعضاء هيئاتها التدريسية.

ويبدو أن هذه الظاهرة لم تقتصر على اللسان الشفوي، بل تخطته لتشكل اللغة المكتوبة أيضًا ولا أدلَّ على ذلك ما يشهده عالم SMS رسائل الهواتف الجوَّالة أو البورتابلات بالرأسمال اللغوي الجزائري الممزوج والأنترنت من تداخل وتمازج بين اللغات والأحرف فعُوِّضت الحاء بالرقم7، والعين بالرقم3...، ويمكن تفسير هذا "الابتكار" بعدم توفر الأجهزة المعنية لبرامج تسمح بالكتابة بالخط العربي في بادئ الأمر، إلاَّ أنّ الوضع استمر رغم توفر أجهزةٍ متعددة الحروف بما في ذلك الحروف العربية السنوات الأخيرة.

وعند التساؤل عن أكثر اللغات استعمالاً في حواسب الجزائريين على المستوى الفردي والمؤسساتي، فإنَّ الإجابة قد تفيد بأنَّ اللغة الفرنسية

تتمتع بالمكانة الأولى ولا أدّل على ذلك واجهات الحواسب التي تستحوذ عليها اللغتان الفرنسية والانجليزية بالدرجة الأولى وكأن المخيال العربي ينذر بعجز اللغة العربية عن مسايرة مقتضيات العصر، واقتصار توظيفها في الشعروالخطابة.

لقد كانت اللغة العربية سببًا حاسمًا في تثبيت الفتح الإسلامي في العديد من المناطق على قواعد وركائزحضارية إنسانية، عندما استفادت كثيرًا من التجارب اللغوية للأمم الأخرى، وأتاحت لها فرصة الاغتناء من مواردها اللغوية وإغنائها في الآن ذاته لما حدث الإثراء المتبادل مع شقيقاتها الفارسية، والأمازيغية...، فضلاً عن اليونانية والسريالية والعبرية، فاقتحمت بذلك ميدان اللسانيات كلغة منتجة للمعرفة وحاملة لها.

ويبدو أنَّ هذه الخاصية الاستيعابية للموارد اللغوية الأخرى لم تنقطع يومًا عن اللسانيات التي تُسمى حاليًا بـ "اللغات حيَّة" كاللغة الفرنسية مثلاً، إذ أحصى أحد اللسانيين ما يزيد عن أربعة آلاف (4000) كلمة أجنبية المصدرمسجلةً في قاموس لاروس LA ROUSSE الفرنسي الصادر سنة 1960م1، وبالرجوع إلى نفس القاموس نجد كلمات عديدة مأخوذة من اللسان العربي الفصيح أوحتى الدّارج منه ككلمات: Kif kif3، Bézef2، Méchoui4...، وهل يمكن اعتبار انقطاع هذه الخاصية الاستيعابية المتفتحة على اللغات الأخرى سببًا من أسباب تعطل عملية إعادة إنتاج الرأسمال اللغوي الجزائري بطريقة آمنة له؟

1- Henri Mitterand, **Les mots français**, Que sais-je?, Presses universitaires de France, 3e édition, Paris, 1968, p69.

2 - **Le Petit Larrousse illustré2012**, édition Larrousse, paris, juin2011, p120.

3 - **Ibid**. p606.

4 - **Ibid**. p670.

ولا ندّعي بذلك الإلمام بكل حيثيات الموضوع، وما من شك أن الأمر يتطلب بحوثًا ودراسات مستفيضة وموسعة، فيكفي لهذه الندوة وغيرها من الندوات والملتقيات العلمية المُماثلة أن تفتح أمامنا آفاقًا أرحب للتفكير والعمل المبادر لاقتحام موضوع الإشكالية اللغوية في الجزائر، والذي يُعتبر على قدرٍ كبيرٍ من الأهمية والصدارة، لا لمردوديته على مستوى البحث الأكاديمي فحسب، بل لما يُنتظر منه من إسهامٍ حقيقيٍ في تشكيل لبنةٍ أساسية في بناء تصورٍ علميٍ لواقعنا المتداخل في جوانبه السياسية والتربوية والاجتماعية والثقافية، وفهم طبيعة التحولات البنيوية للإطار المجتمعي المرجعي.

المراجع:

✓أباذي الفيروز، معجم القاموس المحيط، دار المعرفة، ط4، بيرو2009، ص1181.

✓ابن خلدون عبد الرحمان، مقدمة ابن خلدون، تح: حامد أحمد الطاهر، دارالفجر،ط1، القاهرة، 2004.

✓أنتوني غدنز، علم الاجتماع، تر: فايز الصياع، المنظمة العربية للترجمة، ط4، بيروت 2005.

✓أمين سمير، التمركز الأوروبي: نحو نظرية للثقافة، سلسلة صاد، موفم للنشر، الجزائر، 1992.

✓برنارد صبولسكي، علم الاجتماع اللغوي، تر: ستقادي عبد القادر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010.

✓بسّام بركة، اللغة العربية القيمة والهوية، مجلة العربي، العدد 528 ،الكويت، نوفمبر 2002.

✓بلعيد صالح، في الأمن اللغوي، دارهومة، الجزائر، 2010.

✓بن نعمان أحمد، التعريب بين المبدأ والتطبيق، الشركة الوطنية للنشروالتوزيع، الجزائر، 1981.

✓بورديو بيير وج.د فاكونت، أسئلة علم الاجتماع في علم الاجتماع الإنعكاسي، تر: الكور عبد الجليل، دار توبقال للنشر، ط1، المغرب، 1997.

✓بورديو بيار، العنف الرمزي: بحث في أصول علم الاجتماع التربوي، تر:جاهل نظير، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت، 1994.

✓بورديو بيير، الرمز والسلطة، تر: بنعبد العالي عبد السلام، دار توبقال، ط3، الدار البيضاء (المغرب)، 2007.

✓بوقرة بلقاسم، من الإستبداد الشرقي إلى النظام العالمي الجديد: التاريخ الاجتماعي للجزائر تحت المجهر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2003.

✓ج.فندريس، اللغة، تر: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو مصرية، ط1، القاهرة، 1951.

✓خليل أحمد خليل، معجم المصطلحات الاجتماعية، دار الفكر اللبناني، ط1، بيروت 1995

✓الذاودي محمود، المقدمة في علم الاجتماع الثقافي برؤية عربية إسلامية، مجد للنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 2010.

✓سمدون حمادي وآخرون، اللغة العربية والوعي القومي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1984.

✓سعدي عثمان، عروبة الجزائر عبر التاريخ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

✓عبد المنعم الحنفي، المعجم الفلسفي، دار ابن زيدون، ط1، بيروت، 1992.

✓عشراتي سليمان، الشخصية الجزائرية: الأرضية التاريخية والمحددات الحضارية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2002.

✓العربي إسماعيل، مذكرات وليام شارل: قنصل أمريكا في الجزائر(1816-1824)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

✓علوان محمد السيد المجتمع وقضايا اللغة دار المعرفة الجامعية الاسكندرية، مصر 1955

✓علي خذري، اللغة وشخصية الأمة، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد2، جامعة باتنة، ديسمبر1994.

✓لونيسي رابح، دعاة البربرية في مواجهة السلطة، دار المعارف، الجزائر، 2002.

✓محمد عزيز الحبابي، الإنسان حيوان يتكلم، مجلة الأصالة، العدد16، سبتمبر-أكتوبر 1973.

✓م.روزنتال وب. يادين، ، الموسوعة الفلسفية، تر: سمير كرم، دار الطليعة، بيروت، ط4، 1981.

✓نازلي أحمد معوض، التعريب والقومية العربية في المغرب العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 1986.

✓Henri Mitterand, Les mots français, Que sais-je?, Presses universitaires de France, 3e édition, Paris,1968.

✓Le Petit Larrousse illustré 2012, édition Larrousse, paris, juin2011.

✓M. Cacouault et F.Oeuvrard, Sociologie de l'éducation, édition Casbah,1998.

اللغة العربية لغةً جامعة

د . عبد السلام السيد حامد

- جامعة قطر

نعني باللغة الجامعة هنا أن اللغة تمثل إحدى اللغات العالمية المعترف بها في الأمم المتحدة؛ نظراً لكثرة عدد المتحدثين بها وامتداد وجودها وانتشارها جغرافياً وثقافياً وحضارياً بالقياس إلى غيرها من اللغات. واللغة العربية تعد بهذا الفهم من اللغات الجامعة لأسباب محددة نراها تتجسد في: خصائص نظام هذه اللغة، وواقع وجودها وانتشارها وتداولها، وارتباطها بالإسلام، وتفصيل ذلك في المباحث الآتية.

المبحث الأول: خصائص نظام اللغة العربية:

ليس القصد هنا أن نتحدث عن هذا النظام من جميع جوانبه، وإنما القصد بيان بعض الجوانب التي أهّلت اللغة العربية لكي يكون نظامها نظاماً للغة جامعة أو (عالمية)، إذا جاز الوصف "بالعالمية" هنا. وتقييد الكلام بالشرط بـ"إذا" إنما هو احتراس للتمييز بين خطابين اثنين في هذا المضمار: الخطاب الذي يتناول اللغة من الخارج، والخطاب الذي يتناولها من الداخل؛ لأن الباحث ربما يذكر المقومات التاريخية التي ترتقي بلغة من اللغات إلى مستوى التداول الإنساني الواسع، فيصبح واقفاً على منبر اللسانيات الاجتماعية في إطارها السياسي والحضاري الفسيح،

الوارد فيه الإشارة إلى تميّز لغة أو تغلبها على لغة أخرى، أما خطاب اللغة من الداخل فينفذ فيه الباحث إلى البنى الصوتية والصرفية والنحوية، فتتساوى اللغات البشرية في مبدأ كليّ عام، وهو أنها جميعاً تتطور، وأنها بهذا المعيار تكون متعادلة ومتطابقة في قيمها التعبيرية وينتفي القول بتفاضلها(1).

وبناءً على ما سبق نقول: إن للتطور أصولاً وقوانين يجب معرفتها لمعرفة الممكن في التطور من المستحيل، وتمييز المتغير من الثابت. والثابت بالنسبة للغة العربية الفصيحة ثلاثة أركان، الأول : أصول الكلام أو النحو وهي كل ما يكون مناط التبويب والتقسيم والتجريد في نظام اللغة، والثاني: أصول المنهج أو أصول النحاة كالسماع والقياس وما يشبههما، والثالث: ارتباط العربية بالقرآن الكريم. وأما المتغير فهو – على وجه الإجمال – المفردات وبعض أنماط الاستعمال. ودراسة التطور في العربية الحديثة الفصيحة تتجنبها بعض دراسات التطور مكتفية في كثير من الأحيان بمستوى العامية، وهذا مسلك غير كافٍ، ولو سلكنا الطريق الصحيح، فسنجد أن الإشارة إلى تطور الإعراب من الناحية التاريخية وأثر ارتباط العربية بالقرآن في إيقاف امتداده - يمكن أن تكون مدخلاً جيداً لدراسة هذا التطور.

وقد مرت اللغة العربية الفصيحة بحلقات من التطور حتى جاء الإسلام ونزل بها القرآن فأصبح لها – ولا سيما في نظامها النحوي العام - حكم خاص من شبه الثبات وبطء التغير على مدى ما يزيد عن أربعة

---

(1) – انظر : العربية والإعراب، للدكتور عبد السلام المسدّي 195، 196. وقد جعل الدكتور المسدّي هذا الكلام مدخلاً للاعتراض على بعض ما ورد لدى الدكتور إبراهيم أنيس في كتابه «اللغة بين القومية والعالمية» .

عشر قرناً، وصارت لغة استثنائية في هذا الشأن لا تقاس بما تقاس به غيرها. وهذه الحالة الخاصة نظر البعض إليها بمنظار النقد فجعلها سبب جمود وتأخر في اللغة وفي عقل أبنائها، وهذا زعم مردود عليه بأدلة كثيرة أهمها أن اللغة حيادية لا تصنع تقدماً ولا تأخراً، وأنه لا تنافي بين اتصاف العربية بوضع خاص، وضرورة إصلاحها وإصلاح التعامل معها. إن حالة العربية الخاصة هذه أدت إلى مقولات ومحاولات تفسير، منها القول بأنها (أي العربية) كانت محكومة تاريخياً بتيارين متقابلين من المحافظة والتجديد، كفلا لها نوعاً من الاتزان، وقد جسد الصراع بين هذين التيارين - وما يزال - ما أُلّف وكُتِبَ في اللحن والرد عليه.

ويؤكد هذا الاتزان في تاريخ العربية مقارنتها بغيرها من اللغات الأخرى كالإنجليزية التي ذكر لها ل. ر. تراسك نصاً يرجع إلى ما يقرب من ألف عام، وتبدو لغته غريبة لا يمكن لأحد أن يحدد ما هي ولا أن يجزم بأنها الإنجليزية؛ لأنها متغيرة في مفرداتها ومعانيها وهجائها وبنيتها النحوية إلا ما ندر، ولذلك لا يستطيع أن يعرفها ولا أن يفهمها إلا المتخصص الذي تلقى تدريباً خاصاً في ذلك(1).

وتتمثل حدود تطور العربية الفصيحة المعاصرة في أنه واقع في مستوياتها المختلفة أصواتاً وصرفاً ونحواً ودلالة، غير أن مستوى الأصوات أقلها تغيراً، ومستوى المفردات والمعجم والدلالة هو أوسعها وأكثرها تطوراً (يشهد بهذا أنها وهي في أوج نهضتها في فترة صعود الحضارة الإسلامية قد رحبت بكثير من الألفاظ التي اقترضتها من اللغات الأخرى)، ومدى التطور في الصرف والنحو ومجالُه هما: كثرة الاعتماد على إضافة الصدور

---

(1) – انظر : أساسيات اللغة، تأليف ر. ل. تراسك، ترجمة رانيا يوسف 105، 106.

واللواحق في مصطلحات العلوم والفنون، وإحياء الصيغ والاستعمالات المهملة، وإطلاق القياس، وتوسيع بعض القواعد، وتفصيح بعض الأساليب. وبناءً على ذلك لا يعني اعترافنا بالتطور في العربية المعاصرة أنها تختلف اختلافاً تاماً عن فصحى التراث وأنهما يمثلان مستويين مختلفين في كل شيء؛ ولهذا تظل اللغة العربية هي اللغة الوحيدة التي عاشت قروناً عديدة ثابتة في أطرها العامة وخصائها وأصول أنظمتها، وسر ذلك ارتباطها بالقرآن الكريم، ويساعدها عليه ما انتظمته في وصفها الأول من ائتلاف خصائص اللهجات المختلفة.

وصفوة القول أن من أسباب اعتبار اللغة العربية لغة جامعة كون نظامها يعتمد على الإعراب، ويجمع بين التصرّف والإلصاق والعزل وإن غلب عليه التصرف، وقد جعل كلُّ أولئك نظامَ العربية متنوعاً وسطاً يجمع بين النوعين الأساسين من اللغات، وهما: اللغات التأليفية أو التركيبية، واللغات العازلة أو التحليلية (1). ومن سمات "جامعيّتها" أو عالميتها أيضاً أنها لغة ديمقراطية لا تخاطب الكبير بخطاب والصغير بخطاب آخر، ولا تخلط بين ضمير المفرد والجمع(2). وقد أهّلتها هذه السمات للبقاء ولأن تكون ذات قدرة كبيرة على التعبيرعن المعاني وتوليد الكلمات والاتساع، كما أهّلها لأن تكون لغة للقرآن الكريم.

---

(1) – انظر : اجتهادات لغوية ، للدكتور تمام حسان 135-129، وانظر : «من قضايا اللغة العربية المعاصرة ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم»، مقال للدكتور تمام حسان بعنوان «اللغة العربية والشعوب الإسلامية» 69 ، 70، وقضية التحول إلى الفصحى في العالم العربي الحديث، للدكتور نهاد الموسى 160، ومعجم المصطلحات اللغوية، للدكتور رمزي البعلبكي 262، 493، وأسس علم اللغة لماريو باي، ترجمة د. أحمد مختارعمر 151. وانظرلـ: مدخل إلى دراسة التطور النحوي في العربية المعاصرة ، بحث منشور بمجلة كلية دارالعلوم، جامعة القاهرة – يوليو 2011، ومعظم ما ورد هنا في هذا المبحث الأول تلخيص لذلك البحث.

(2) – انظر : اللغة بين القومية والعالمية، للدكتور إبراهيم أنيس 279، 280.

المبحث الثاني – واقع وجود اللغة العربية وانتشارها وتداولها:

اللغة العربية لغة العرب ولغة الدين الإسلاميّ ولغة رسمية من اللغات الست المعترف بها في الأمم المتحدة . هذا هو واقع وجود العربية وواقع انتشارها. وكونها لغة العرب ولغة الإسلام نفصله فيما يأتي:

أ – وصف اللغة العربية ومنزلتها بين لغات العالم من خلال بعض الإحصاءات1 :

المجموع الكلي لمساحة الدول الأعضاء في منظمة جامعة الدول العربية هو 13.953.041 كم²، وهذا يجعل مجموع مساحة العالم العربي الثاني عالمياً بعد روسيا، ويجعل مجموع سكانه الذي يُعدّ حوالي 339 مليون نسمة . كما تقول إحصاءات عام 2007 م . هو الرابع عالميا بعد الصين، والهند والاتحاد الأوروبي إذا ما نظرنا إلى الكيانات السياسية(2).

وبالاعتماد على بعض الإحصاءات والجداول المفصلة التي وردت في دراسة صدرت سنة 2004 م، يمكننا أن نلم ببعض التفاصيل المهمة في هذا الأمر، مع ملاحظة اختلاف ترتيب منزلة عدد الناطقين باللغة العربية في الدول العربية عالمياً بين المنزلة الرابعة (كما يشير مصدر إحصاء 2007 الذي أشرنا إليه سابقاً) والمنزلةِ الخامسة كما تشير الجداول الآتية وهي أقدم زمنياً، ويأتي الاختلاف لسببين أولهما قدم هذه الإحصاءات؛ إذ إنها صادرة سنة 2000 م، والثاني أنها تدخل الناطقين بالإنجليزية على مستوى العالم كله في الاعتبار. والجدول الأول فيما يأتي خاص بعدد الناطقين

---

(1) - يجب الالتفات إلى أن الإحصاءات التي تتعلق بالسكان وأحوالهم تختلف من وقت إلى آخروتتصف بأنها تقريبية ، وهذا يجعل الاعتماد عليها من باب الاعتماد على الغالب ووجه التقريب، والذي ذكرناه في هذا الأمر ما هو إلا من هذا المنطلق، ولم يكن حصر الإحصاءات من جميع جوانبها من قصدنا.

(2) - انظر على شبكة المعلومات : موقع الموسوعة الحرة (ويكيبيديا) http:// ar.wikipedia .org .

بأهم اللغات بوصفها اللغة الأم. وسيبين لنا هذا الجدول أن العربية تأتي في المنزلة الخامسة بعد الصينية والهندية والإنجليزية والإسبانية ؛ لأن عدد الناطقين بالعربية (في الدول العربية) كان يبلغ مائتين وأربعين مليوناً (240).

عدد الناطقين بأهم لغات العالم بوصفها اللغة الأم (سنة 2000)

الترتيب	اللغة	العدد بالمليون
1	الصينية (المندارين)	874
2	الهندية	366
3	الإنجليزية	341
4	الإسبانية	322
5	العربية	240
6	البنغالية	207
7	البرتغالية	176
8	الروسية	167

وإذا تحدثنا عن النسبة المئوية للناطقين بأهم لغات العالم بوصفها اللغة الأم، فسنجد ما يأتي:

الترتيب	اللغة	العام				
		1958	1970	1980	1992	2000
1	الصينية المندارين)	15.6	16.6	15.8	15.2	14.5
2	الهندية	5.2	5.3	5.3	6.4	6.1
3	الإنجليزية	9.8	9.1	8.7	7.6	5.7
4	الإسبانية	5.0	5.2	5.5	6.1	5.4
5	العربية	2.7	2.9	3.3	3.5	4.0
6	الروسية	5.5	5.6	6.0	4.9	2.8

ومن الجوانب الأخرى التي تكشف منزلة اللغات بعضها من بعض وتبين أهميتها، المعايير الستة التي وضعتها إحدى الجمعيات الأمريكية، وهي:

- عدد المتحدثين بها بوصفها اللغة الأصلية.
- عدد المتحدثين بها بوصفها لغة ثانوية.
- عدد الدول التي تتحدث باللغة وعدد سكانها.
- عدد المجالات الرئيسة التي تستخدم فيها اللغة على الصعيد الدولي.
- القوة الاقتصادية للدول التي تستخدم اللغة.
- الإشعاع الثقافي والأدبي للدول التي تستعمل اللغة.

وقد وضعت نقاط تعبر عن أهمية اللغات ، بناءً على هذه المعايير، فجاءت اللغة الإنجليزية في المرتبة الأولى والعربية في المرتبة الخامسة أيضاً:

التسلسل	اللغة	عدد النقاط
1	الإنجليزية	37
2	الفرنسية	23
3	الإسبانية	20
4	الروسية	16
5	العربية	14
6	الصينية	13
7	الألمانية	12
8	اليابانية	10
9	البرتغالية	10
10	الهندوأوردية	9

إذن تحتل العربية - بناءً على الإحصاءات والجداول السابقة - المرتبة الخامسة بين لغات العالم، من حيث عدد الناطقين بها ومن حيث الأهمية، وهي تحتل المرتبة الثامنة من حيث إجمال الإنتاج القومي (6.6). وإذا كانت هذه المراتب لا بأس بها ، فهناك تدنٍ وتأخر ملحوظان للعربية في مجالات أخرى. ففي مجال النشر يطبع سنوياً سبعمائة ألف كتاب (700 ألف)، ونصيب العربية من ذلك محدود ومنزلتها فيه الثانية والعشرون. وكذلك في مجال لغات شبكة المعلومات، لا ذكر للعربية في اللغات الخمس عشرة الأولى في هذا المجال، واللغات الأربع الأولى هي: الإنجليزية فالألمانية فاليابانية فالفرنسية(1).

ب – وصف اللغة العربية من حيث التوزيع الجغرافي:

من الواقع الجغرافي للغة العربية ما ذكرناه من قبل من أن مساحة العالم العربي هي الثانية بعد مساحة روسيا. وثمة ارتباط وثيق وواضح بين وجود العربية ووجود الإسلام تاريخياً وجغرافياً. فأما توزيع اللغة العربية داخل العالم العربيّ وخارجه فيمكن أن نسمي له ثلاثة مواطن هي:

- مواطن الدول العربية المشهورة والمعروفة باللغة العربية (مواطن التوحد اللغوي).
- مواطن الدول العربية ذات الأوضاع الخاصة (مواطن التعدد اللغوي).
- مواطن وجود العربية مصاحبة للعرب والإسلام والمسلمين في غير العالم العربيّ.

---

(1) - انظر : لتحيا اللغة العربية ... ، لشريف الشوباشي 43 - 56.

1 - **فالمواطن المشهورة والمعروفة باللغة العربية (مواطن التوحد اللغوي)** - ولا يقصد بهذا عدم وجود لغة أخرى أو ازدواج لغوي - هي التي يُفترض أن فيها لغة واحدة هي العربية التي هي اللغة الرسمية واللغة الأم ولغة الحياة والتعامل، وهذه تتمثل في ثماني عشرة دولة هي: عمان واليمن والسعودية والإمارات وقطر والبحرين والكويت والعراق وسوريا ولبنان والأردن وفلسطين ومصر والسودان (دون الجنوب) وليبيا وتونس والجزائر والمغرب (مع التسليم بأن المغرب لها أوضاع لغوية خاصة ضمن هذه المجموعة؛ لأنه إلى جانب العربية فيها، توجد الإسبانية في الشمال والجنوب والفرنسية بشكل عام، وهاتان لغتان أجنبيتان وجدتا بعامل الاستعمار وتوابعه، إلى جانب الأمازيغية وهي لغة وطنية)(1).

2 - **والمواطن العربية المختلطة ذوات الأوضاع الخاصة (مواطن التعدد اللغوي)** هي التي يوجد فيها إلى جانب العربية لغة أو لغات أخرى تستعمل في التخاطب وجميع مجالات الحياة على نطاق واسع؛ وذلك - في أغلب الأحوال - بسبب الازدواجية الثقافية وسياسات العزل عن تيارات الحياة في الوطن الكبير التي مارسها الاستعمار خلال حقب من الزمان. وهذا يصدق على بقية الدول العربية الأربع الباقية وهي: الصومال وجيبوتي وموريتانيا وجزر القمر، وكان الإقليم الجنوبي في السودان قبل انفصاله يُضاف إلى هذا القسم. وتتفق هذه البلاد لغوياً في الهدف والأسلوب؛ فأما الهدف فهو التعريب والوصول إلى ثنائية لغوية تثبّت وجود اللغة العربية مع غيرها وتمكن لها، وتجعل الفرد يتقن استعمالها في جميع المجالات كاللغة المحلية الأخرى، وأما الأسلوب المتبع في تحقيق هذا الهدف فهو -

---

(1) - انظر : معجم بلدان العالم ، لمحمد عتريس 106، والتعدد اللغوي، انعكاساته على النسيج الاجتماعي، لمحمد الأوراغي 76 وما بعدها.

على الوجه الأغلب - العفوية والافتقار إلى التخطيط الشامل والمنهجية الواضحة والخضوع لتقلبات الظروف السياسية1.

ففي الصومال لغتان رسميتان كما ينص الدستور: اللغة الصومالية واللغة العربية. وإلى جانب ذلك توجد الإنجليزية بصورة ملحوظة، والإيطالية معروفة وإن كانت بشكل أقل2. والصومالية هي اللغة الأولى، وقد أصبحت مكتوبة منذ عام 1973 وهي مكتوبة بالحروف اللاتينية، وبينها وبين العربية صلة وطيدة طويلة العهد مكنتها من اكتساب كثير من مفرداتها وأصولها منها. وقد قرر قانون التعليم الصادرعام 1977 أن اللغة العربية مادة دراسية في كل المراحل وأن النجاح فيها شرط للانتقال من مرحلة إلى أخرى، وبعد ذلك صدرقرارمجلس الوزراء في مارس 1980 بالتخطيط للتعريب في كل مناحي الحياة وتكونت لجنة وطنية برئاسة وزيرالتربية والتعليم للاضطلاع بذلك. وقد نتج عن هذا أن تلخص موقف العربية في أنها تحتل مكانها على أنها مادة دراسية في كل المدارس والمعاهد، وتستعمل وسيلة لتدريس المواد الاجتماعية (الجغرافيا والتاريخ) والتربية الدينية في المدارس الإعدادية والثانوية مع تفاوت في مستواها من مدرسة إلى أخرى ووجود صعوبة في التدريس بها في المرحلة الابتدائية. وفي ميدان الإدارة يكاد يكون الاعتماد كاملاً على اللغة الصومالية، هذا مع الاعتراف بالعربية لغة للمكاتبات والعمل في كل مكان واطراد استعمالها وفهمها لدى عدد كبيرمن المسئولين والموظفين، وأغلب أوراق المكاتبات الرسمية واللافتات على المرافق العامة تكتب باللغتين الصومالية والعربية، وهذا الوضع الذي يبعث على التفاؤل لا يعيبه إلا نقصان الطاقات والعقول

---

(1) - انظر : التعريب ودوره في تدعيم الوجود العربي والوحدة العربية (مركزدراسات الوحدة العربية - بيروت - ط 1 - 1982 م) 309 - 311.

(2) - انظر : معجم بلدان العالم ، لمحمد عتريس 79.

المدربة، وفي سبيل سد جزء من هذا النقص أنشئ معهد للتعريب الإداري بإشراف المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، وقد قام هذا المعهد بدور ملموس في هذا الشأن(1).

وفي جيبوتي اللغة الرسمية هي العربية والفرنسية، وإلى جانب ذلك توجد اللغة العفرية واللغة الصومالية(2). وتفصيل ذلك أن العربية لغة الدين والعلم والثقافة، والصومالية والعفرية لأغراض الحياة العامة بنسبة تكاد تكون مناصفة بينهما، وأما الفرنسية فهي لغة الإدارة والدوائر الحكومية. ولا تقتصر معرفة العربية على المتعلمين فقط ، بل تنتشر بين قطاعات كبيرة من أفراد المجتمع بفضل انتشار الكتّاب (المَعلمة) الذي يرسل إليه أغلب الأطفال حتى قبل سن المدرسة الابتدائية حيث يتعلمون فيه الحروف ويحفظون سوراً من القرآن الكريم، إلى جانب إقامة التجمعات والاحتفالات الدينية التي تمارس فيها العربية. وهذا لا ينفي أن ثمة حالة من الضعف في اللغة والثقافة العربيتين وأنهما لا يقومان بدورهما في حياة الشعب ، ويعزى هذا إلى السياسة التعليمية التي انتهجت تحت الحكم الأجنبي الطويل وجعلت الفرنسية اللغة الرسمية للدولة، لذا كان طبيعياً مع فجر الاستقلال أن تتجه الدولة نحو التعريب، وقد بدأ تدريجياً ثم تطور الاتجاه الحقيقي نحوه في العام الدراسي 1979/1980م، بإدخال اللغة العربية بتشريع إلزامي بمعدل أربع ساعات في الأسبوع في الصفين الخامس والسادس في المرحلة الابتدائية، وانتقل الإلزام في العام التالي إلى المدارس الثانوية والمعهد الفني، وكانت الخطة المعدة أن يستمر الأمر على هذا النحو حتى يعم تدريس اللغة

---

(1) - انظر : التعريب ودوره في تدعيم الوجود العربي 312 - 314 .

(2) - انظر : معجم بلدان العالم ، لمحمد عتريس 247.

العربية في سنوات التعليم العام كلها. وقد تمثلت الخطوات الأولى في سبيل إعداد المعلمين في إنشاء مركز لإعداد معلمي المرحلة الابتدائية، مع الاعتماد على المعلمين المعارين من البلدان العربية الشقيقة وعلى تأهيل الجيبوتيين المبعوثين إلى جامعات ومعاهد تلك البلدان "إن المرحلة التي يجتازها التعريب هنا تختص في المكان الأول بتعليم اللغة (كمادة) دراسية. أما اتخاذها وسيلة للتعليم فيعتبر هدفاً لمرحلة أخرى تحتاج إلى تخطيط وبرمجة خاصين لتحل العربية محل الفرنسية التي تصبح آنئذٍ اللغة الأجنبية الأولى"(1).

وفي موريتانيا اللغة العربية هي اللغة الرسمية، وتوجد إلى جانبها الفرنسية وثلاث لغات محلية لها منزلة وطنية خاصة هي: البولارية والسونونكية والولوفية(2). والدولة تعمل على تقنين هذا الوضع وتأكيده في خططها وقراراتها التي صدرت في سنة 1973 وسنة 1979، وقد كان المخطط لما بعد عام 1985 أن "تحتل اللغات الوطنية مكانها في النظام التعليمي بدل الفرنسية فيبدأ تدريسها في الصف الأول الابتدائي، وتكون العربية هي اللغة المشتركة بين جميع التلاميذ، وتأتي الفرنسية لغة أجنبية أولى. وهناك من يرى احتمال تدريس واحدة من اللغات الوطنية الثلاث غير العربية على أساس اختياري لمن يتحدثون بالعربية لغة أصلية. وقد قطع وضع المناهج المعربة وتوفير الكتب اللازمة لها شوطاً"(3). وخارج إطار المدرسة في المجالين الثقافي والإداري كان إلى وقت قريب للفرنسية نفوذ كبير، من ذلك أن الصحف كانت تصدر مناصفة بالفرنسية والعربية، ولكن يبدو أن هذا النفوذ بدأ يقل تدريجياً بدليل أن صحيفة "الشعب"

---

(1) - التعريب ودوره في تدعيم الوجود العربي : 316 .

(2) - انظر : معجم بلدان العالم ، 385.

(3) - التعريب ودوره في تدعيم الوجود العربي والوحدة العربية : 318 .

- وهي الجريدة الموريتانية الرسمية - كانت تصدر باللغة الفرنسية ثم صار إصدارها باللغة العربية1.

وفي جزر القمر اللغة الرسمية هي العربية والفرنسية ولغة "شيقُمُر" (القمرية) وهي لهجة من لهجات اللغة السواحلية2.

إن من المهم هنا أن أشير إلى أن اللغة العربية في موطنها الأصلي - وهو ما يسمى بالعالم العربي ويصدق هذا على دول النوعين السابقين حقيقة أو حكماً - لها سمة جغرافية عظيمة الشأن تميزها عن الكيانات الجغرافية لغيرها من اللغات حتى بعض التي تفوقها في عدد الناطقين بها كالإنجليزية ؛ هذه السمة هي عظم المساحة ووحدة المكان، أي وحدة الرقعة الجغرافية الكبيرة لهذه اللغة وتلاحمها وامتدادها في حيز جغرافي واحد كبير، يمتد وينسجم أفقياً من الخليج العربي شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً؛ ولهذا فنحن حين "ننظر إلى مُرْتَسم العالم متوهمين خطاً مستقيماً يبدأ من عُمان على الخليج العربي، وينتهي في نواكشوط على المحيط الأطلسي، فإن هذا المستقيم يشتمل على لغة واحدة فقط، بينما نجد المستقيم الذي يوازيه ويساويه في أوروبا ينتظم أكثر من عشرين لغة مختلفة، ومثله المستقيم المارّ في إفريقية. وهي تهيئ لهم من عمان إلى نواكشوط مدخلاً تلقائياً إلى التواصل يفضي إلى تفاعل إيجابي وتلاقٍ وجداني"3.

3 - **وأما مواطن وجود العربية مصاحبة للإسلام والمسلمين والعرب في غير العالم العربيّ**، فالعربية فيها توجد بأشكال مختلفة أدناها أداء الشعائر بها وكونها لغة الثقافة الدينية، وهذا يصدق على اللغة العربية

(1) - انظر : السابق، الصفحة نفسها، وانظر أيضاً : http://ar.wikipedia.org/wiki .
(2) - انظر : معجم بلدان العالم 231 .
(3) - قضية التحول إلى الفصحى في العالم العربي الحديث ، للدكتور نهاد الموسى : 161 ، 162 .

بالنسبة لإيران بصفة عامة وباكستان وأفغانستان وبعض مناطق الهند، وماليزيا وإندونيسيا وبروناي وما يشبه هذه المناطق، وكذلك تركيا، وقد توجد اللغة العربية في هذا القسم في شكل جزر لغوية منعزلة مشتملة على نسبة استخدام واسعة مع قدر من التهجين ومجاورة لغات أخرى، ومن أمثلة ذلك وجود العربية في السنغال ونيجيريا ومالي إلى جانب اللغة الأجنبية التي يقع التعامل بها في الداخل مع اللغات المحلية. ففي السنغال مثلاً اللغة العربية لغة مقررة في المرحلة الثانوية بوصفها لغة حية ، وهي تدرس عن طريق الفرنسية ، وقد قامت الطرق الصوفية هناك بدور كبير في تعريب المسلمين وتعريب أسماء الأعلام للأشخاص والقرى والدوائر المحلية1. ومن أمثلة هذه الصورة أيضاً عربية الأقليات خارج الوطن العربي كذلك ، كعربية الأناضول وعربية أوزبكستان في منطقة "قشقا داريا" و"بخارى" وقريتي "جوجاري" و"أربخانة"، وكذلك عربية أفغانستان في محافظة "بلخ" بالشمال ، واللغة العربية في المهجر، وقد نشأت من هجرة أعداد كبيرة من العرب في العصر الحديث إلى بعض البلاد الغربية، كهجرة اللبنانيين إلى الولايات المتحدة وأمريكا الجنوبية وهجرة المغاربة والجزائريين إلى دول غرب أوروبا كبريطانيا وفرنسا وهولندا وألمانيا2.

ووضع اللغة العربية في المهجر الأمريكي خاصة – كما أشار إليه الدكتور حسام الخطيب في دراسة منذ عدة سنوات – كان وضعاً مؤسفاً ومخجلاً ومحزناً، على عكس وضع اللغات الأخرى كالإسبانية والإيطالية. ذلك أن حال اللغة العربية ساءت، بعد أن كانت دوحة عظيمة من خلال الأدب المهجري الذي ازدهر حتى منتصف القرن العشرين. إن الأمر تجاوز بكثير

1- انظر : التعريب وتنسيقه في الوطن العربي ، للدكتور محمد المنجي الصيادي (مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت - ط 3 - 1984) 557 .

2- انظر : اللغة العربية ، تاريخها ومستوياتها وتأثيرها 243 - 262.

ما صوره هذا الأدب من إحساس بالغربة والمعاناة حتى في داخل الأسرة الواحدة ومع الأبناء، ومما ورد في هذا قول الشاعر القروي:

حولي أعاجم يرطنون وما للضاد عند لسانهم قدرُ
ناسٌ ولكن لا أنيسَ بهمْ ومدينةٌ لكنها قفرُ

وكذلك قول إلياس فرحات :

وصلتنا ببنينا لغةٌ لم تصلنا ببنينا الظرفاءْ
إن نقلْ قولاً فصيحاً بينهمْ ردّدوه بلسان الببّغاء
نحن غرقى في خضمٍّ إنما لغةُ الضاد سفينٌ للنجاء(1)

ونحن نظن أن هذا الوضع بدأ يتغير ويتجه نحو بعض التحسن، في ظل ظروف الاهتمام العالمي العام بالرغبة في فهم الإسلام والعالم العربي ولغته، بعد أحداث ومتغيرات كثيره مرت وتمر في ضوء علاقة الشرق الإسلامي بالغرب.

ومعنى ذلك أنه كما توجد في دول العالم العربي فئات لا تتكلم اللغة العربية - وعدم التكلم هذا بنسب متفاوتة (كما في الصومال، وجيبوتي، وجزر القمر، وشمال العراق وسوريا لوجود نسبة من الأكراد فيهما)- توجد فئات في غير العالم العربي تتكلم العربية. ومن الأمثلة الأخرى لذلك سكان إقليم الأهواز في إيران حيث يوجد فيه ثمانية ملايين من العرب، ويوجد عرب كذلك في تشاد (اللغة العربية فيها لغة رسمية إلى جانب الفرنسية(2))، وتركيا، وإريتريا، ومالي، وغيرها من الدول. ومن

(1) - انظر : اللغة العربية ، إضاءات عصرية ، للدكتور حسام الخطيب 199 ، 202 .
(2) - انظر : معجم بلدان العالم 217 .

أسباب وجود اللغة العربية في هذه الدول والأماكن وجود الإسلام فيها وكونها ملاصقة جغرافياً للدول العربية، وهذا أدى إلى أن يكون بعض سكانها عربًا أو قبائل قد تأثرت باللغة العربية، فكانت هي المتداولة بينهم. وبالرجوع إلى موسوعة إنكارتا 2004 نجد أن عدد المتكلمين بالعربية (أي في الدول العربية وغيرها) قد وصل إلى 422.039.637 شخصاً تقريبًا(1).

إن مواطن وجود اللغة العربية مصاحبة للإسلام والمسلمين في الدول الإسلامية غير العربية، يُضاف إلى حضور العربية لديها في مستويات أدناها أداء الشعائر بها وكونها لغة الثقافة الدينية أمران: الأول: كتابة لغات بعض هذه الدول بالحرف العربي، كما في الفارسية والأردية.

والأمر الثاني: أن دول غربي إفريقيا وشرقيها في هذا الإطار تمثل ركناً مهماً شديد الخصوصية لعدة أسباب، منها:

أ - أن عدد المتكلمين باللغة العربية في إفريقيا لغة أولى أو لغة ثانية يمثلون ثلث سكان القارة، وأن عدد الذين يتكلمون بكبريات اللغات الإسلامية فيها يمثلون نصف سكانها.

ب - أن اللغة العربية كانت مرشحة بقوة (مع الهوسا والسواحلية) بعد الاستقلال عن الاستعمار لتكون اللغة المشتركة لدول هذه المنطقة، وذلك لرصيدها الديني والتاريخي والحضاري في القارة الذي كان وما زال. ولكن أتباع الاستعمار- كالحركة القاديانية التي تتحدث كذباً وزوراً باسم الإسلام - حاربوا العربية حرباً خبيثة، واستبدلوا بالدعوة إليها الدعوة إلى "الزنجية" لإقصاء العرب والإسلام واللغة العربية من الساحة(2).

(1) - انظر : http://ar.wikipedia.org/wiki .

(2) - انظر : من قضايا اللغة العربية المعاصرة (المنظمة العربية للتربية ...) مقال للدكتور يوسف الخليفة أبوبكر 236 - 239.

ج - أن اتفاقاً قد وقّع في سنتي 1977 و1980 م بالتعاون بين عدة جهات عربية وإسلامية لنشر الحرف العربي هناك وكتابة بعض اللغات به، بعد أن سبق لنحو ثلاثين لغة إفريقية أن كتبت بالحرف العربي وحاول الاستعمار جاهداً إقصاءه ، ولكن كثيراً من هذه اللغات ما يزال يكتب به في تعايش مع الحرف اللاتيني خاصة اللغات الكبرى المشتركة(1).

المبحث الثالث – الخصائص الدينية والثقافية والتاريخية للعربية (ارتباط العربية بالإسلام):

إن البحث عن هذه الخصائص للغة العربية يعني دراسة ارتباط اللغة العربية بالإسلام بشكل عام، وهذا معناه في رأينا النظر في مسائل محددة هي:

1 – العلاقة بين اللغة وكل من الدين والثقافة والقومية.

2– العربية والقرآن.

3– آراء بعض العلماء والباحثين في العلاقة بين العربية والإسلام.

4 - خصائص اللغة العربية في الإسلام.

أولاً – العلاقة بين اللغة وكل من الدين والثقافة والقومية:

هذه المسألة نعتبرها مدخلاً عاماً لهذا الموضوع، وتفصيلها على النحو الآتي:

اللغة والدين:

1 - تتفرع من وظيفة اللغة الكبرى (تحقيق الاتصال) وظيفة

(1) - انظر : السابق 244.

استعمالها في إقامة التواصل مع الخالق سبحانه وتعالى خلال الشعائر الدينية والعبادات والأوردة والأدعية والطقوس الخاصة بذلك(1). ولذا اكتسبت اللغة صفة التقديس من هذه الناحية عند أصحاب كل دين سماوي واعتبروا لغتهم هي المثل اللغوي الأعلى والنموذج القديم الأصيل؛ فقد قدس اليهود العبرية وعدوها لغة آدم، وقدس النصارى السريانية، وبالغ اللغويون العرب القدماء في مكانتها وقدمها فجعلوها لغة آدم ولغة الجن ولغة الملائكة ولغة عالم الغيب(2). ومجمل موقف الديانات السماوية من اختلاف اللغات - كما بين الدكتور إبراهيم أنيس- أنه مظهر من مظاهر ابتلاء الإنسان، صنعه بنفسه. وقد بنى رأيه هذا على أساس بحث هذا الموضوع في التوراة والقرآن الكريم.

فنصوص التوراة تجعل اختلاف اللغات بين البشر مظهراً من مظاهر ابتلاء الرب لعباده في الحياة الدنيا، حين بدا لحكمته أن توحدهم في لغة واحدة سيدفعهم إلى الطغيان والجبروت وتحدي ربوبيته. وقد أدى هذا إلى أن كان للناس لغات مختلفة برغم أنهم أبناء أب واحد وأم واحدة. وتلك هي "لعنة بابل" التي يشار إليها كثيراً في كلام المفكرين من علماء أوروبا.

وأما القرآن الكريم فقد وردت الإشارة فيه إلى اختلاف اللغات مرة واحدة في آيات ست من سورة الروم، تحكي في إيجاز قصة البشرية منذ الخليقة إلى البعث، وذلك في قوله تعالى: "وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ. وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ. وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ

(1) - انظر : أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ، للدكتور نايف خرما 211 .
(2) - انظر : اللغة العربية عبر القرون، للدكتور محمود فهمي حجازي 16 ، 17 .

فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ. وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ. وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاء مَاء فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ. وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاء وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ " [الروم:25-20]. و"من آياته" هنا معناها : من دلائل قدرته وربوبيته وحكمته. وكلمة "الآية" في القرآن المعنى الأصلي الأشهر لها هو "العلامة"، وقد يضاف إلى ذلك معنى "النفع"، كما في قوله تعالى: " وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حباً فمنه يأكلون" [يس:33]، وقد توحي بمعنى "الضرر" حين تكون الآية ابتلاءً واختباراً يطهر الإنسان من شره وطغيانه كما في قوله تعالى: "فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ" [الأعراف: 133]. وقد تساءل د. أنيس: هل كان اختلاف الألسنة والألوان من مظاهر نفع الإنسان فوق الأرض كما يفهم من كلام بعض المفسرين، وهو ابتلاء من الله لخلقه في الحياة الدنيا؟

وقد أجاب عن هذا بأنه كما كان اختلاف الألوان سبب نقمة وابتلاء لبني البشر وحروب وثورات وتفرقة عنصرية، فكذلك اختلاف اللغات: مصيبة ككل المصائب وبلية ككل البلايا التي يصنعها الإنسان بنفسه؛ ولهذا يترجح الرأي الذي ينادي به معظم اللغويين من أن اللغة اصطلاحية، أي أنها من صنع الإنسان، بدأها ونماها وطورها ثم أصبحت مصدر شر كبير، وبناءً على هذا تكون العالمية التي دعت إليها الديانات السماوية قد حال دون تحققها ما صنعه الإنسان بنفسه وما جلبه لها من تباين في اللغات فوق الأرض(1).

---

(1) - انظر : اللغة بين القومية والعالمية، للدكتور إبراهيم أنيس 242 - 244 .

وأياً كانت تفاصيل رأي الدكتور أنيس في هذه المسألة، فالذي يهمنا منه خلاصته التي تتمثل في أن صاحبه يفسر موقف الديانات السماوية بصفة عامة من اختلاف اللغات بأنه من مظاهر الابتلاء، وأنه من أسباب اختلاف البشر وتناحرهم وتفرقهم. وتعليقاً على هذا يجب أن نتذكر أن اختلاف اللغات والألوان والأجناس سنة من سنن الله في الكون وفي البشر، ودليل عظيم على كمال قدرته وتمام عظمته، وأن القرآن بين لنا أنه ما من نبي أرسل إلا بلسان قومه تيسيراً على الأنبياء والأقوام في الدعوة والفهم والأخذ والاتباع، قال تعالى: "وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم" [إبراهيم: 4] وقال أيضاً عن القرآن- وإن كانت رسالته كافة للناس-: "إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون" [يوسف: 2]، وقال كذلك: "ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته " [فصلت: 44].

2 – وقد حاول شريف الشوباشي فصل العربية عن الإسلام، قائلاً إن ربط العربية بالدين أدى إلى مزاعم كثيرة منها:

- القول بقدسية اللغة وأنها أفضل اللغات وأن تعلمها من الدين وأن المتحدثين بها أفضل من غيرهم، وممن قال هذا الكلام الثعالبي في كتابه "فقه اللغة" وهذا نصه: "من أحب الله أحب رسوله المصطفى - صلى الله عليه وسلم - ومن أحب النبي العربي أحب العرب، ومن أحب العرب أحب اللغة العربية التي نزل بها أفضل الكتب... وإن محمداً - صلى الله عليه وسلم - أفضل الرسل، والإسلام خير الملل، والعرب خير الأمم، والعربية خير اللغات والألسنة، والإقبال على تفهمها من الديانة؛ إذ هي أداة العلم ومفتاح التفقه في الدين، وسبب إصلاح المعاش والمعاد".

- القول بأن العربية توقيفية لا اصطلاحية.

■أن القول بأن العربية لغة الإسلام مخالف للواقع الذي يقول إن أغلب مسلمي العالم اليوم ليسوا عرباً ، ومع ذلك لا يشكك أحد في إسلامهم وفي صحة إيمانهم ؛ فالإحصاءات تقول إن عدد المسلمين في العالم مليار وربع (1.25 مليار) ، وعدد العرب 240 مليوناً تعد العربية لغتهم الأم ، وبين هؤلاء عشرة ملايين من غير المسلمين ، أي أن نسبة المسلمين العرب تمثل 19.2 % من مجموع مسلمي العالم ، وبناءً على ذلك يكون 81 % من المسلمين لا يعرفون العربية ، وإذا وضعنا في الاعتبار أن نسبة الأمية في العالم العربي تصل إلى 50 % ؛ فهذا معناه أن 9.6 % فقط هم الذين يعرفون الفصحى وأن أكثر من 90 % من المسلمين يجهلون اللغة العربية ! بل إن هناك مفكرين إسلاميين ممن تعمقوا في الدين وهم لا يجيدون العربية إجادة تامة، مثل الخميني وأبي الأعلى المودودي، وكذلك يوجد كثيرون من حفظة القرآن من غير العرب ، وهم لا يعرفون العربية ويكتفون بفهم المعنى الإجمالي للآيات من خلال الترجمة إلى لغاتهم.

■أن المساس بالعربية من أجل التطوير ومواكبة العصر معناه المساس بالدين(1).

والاعتراض على هذه الأقوال بعضه صحيح ونوافق عليه، وبعضه نرفضه ولا نؤيده. فأما الاعتراض الصحيح، فعلى مثل قول الثعالبي - وربما يكون مدفوعاً بمناهضة الشعوبية وثقافة عصره - إن العرب هم خير الأمم، وإن العربية مفضلة على غيرها مطلقاً. وقد تكون هذه المبالغة في تفضيل اللغة العربية هو الذي أدى إلى فهم الشوباشي أن العلماء

---

(1) - انظر : لتحيا اللغة العربية يسقط سيبويه 83 - 107 .

يعدون اللغة العربية لغة مقدسة؛ ولذلك تعجب الدكتور أحمد درويش من هذا وذكر أنه اعتراض في غير موضعه؛ لأنه لم يقل أحد أبداً من العقلاء قديماً أو حديثاً بأن اللغة العربية لغة مقدسة، بفهم أو تصور يترتب عليه أنها لا تقبل التطور، وأنها ترفض شعر الغزل بنوعيه مثلاً، لأن معيار القبول فيها ولدى أهلها هو معيار الأخلاق! فهذا غير صحيح(1).

وأما الذي نرفضه صراحة من تخليط الشوباشي ولا نراه صحيحاً، فهو كثير ونخص بالكر منه القول بأن العربية ما دامت ليست لغة الدين وحده، فإنها ليست مرتبطة بالإسلام ارتباطاً وثيقاً، فهذا كلام غير صحيح لأن القرآن والإسلام هما اللذان حفظا العربية، وكون النصارى لهم جهود في خدمة العربية غير كافٍ وحده للفصل بين العربية والإسلام، ويكفي أن نقول إن الأمة الإسلامية مر عليها زمن فرضت فيه اللغة التركية لغة رسمية في كثير من المجالات، ولولا بقاء العربية مرتبطة بالدين لضاعت ومُحيت. وأما القول بأن نُطوّر اللغة العربية حتى تواكب العصر ولا تعوق عن التقدم، فهذا شيء لا ينكره صحيح الفكر وراجح العقل ولا علاقة له بالمساس بالدين، لكن أن يُفتح مجال هذا التطوير على مصراعيه ويفسح فيه المجال لطغيان العاميات وزعزعة أصول اللغة وثوابتها ويقال هذا لا علاقة له بالقرآن والدين ، فهذا هو المرفوض؛ لأنه من المعلوم أن الهجوم الموجه على العربية من أهم مداخل الهجوم على الإسلام.

---

(1) - انظر : إنقاذ اللغة إنقاذ الهوية، للدكتور أحمد درويش 58 ، وانظر أيضاً ص 65. ومعنى ما سبق أن اعتبار اللغة العربية لغة معظّمة، مقبول بل هو واجب في رأينا، مادام بالفهم العام الذي لا يتنافى مع الإقرار بقبول التطور والإقرار بأن الدين بمعزل عن الشعر، كما قال القاضي الجرجاني. ومن هذا المنطلق يصح قول الدكتور عبد السلام المسدّي: « فللعربية عند أهلها وزن مخزون ليس كمثله وزن عند الأمم الأخرى، فيها بُعد روحاني، ومعها إرث إعجازي، وعليها هالة من القداسة واكبتْها فاصطبغت بها عند أهلها، وسلّم بأمر قداستها عند أهلها مَن لم يكونوا من أهلها ... «. العربية والإعراب، للدكتور عبد السلام المسدي: 91.

3 - ثمة علاقة بين إصلاح اللغة، وإصلاح الدين وإصلاح المجتمعات. والمثال على ذلك من المسيحية أنه بعد غزو النورمنديين لإنجلترا سنة 1066 م ورحيلهم وتأثيرهم على الحياة البريطانية بلغتها وجوانبها الاجتماعية المختلفة - قام صراع قوي استمر زهاء قرنين بين لغة الإنجليز السكسون واللغة الفرنسية (لغة النورمنديين)، ولم يكد يبدأ عام 1362م حتى كانت اللغة الإنجليزية قد خرجت من هذه المحنة، وأصبح لها كيان مستقل برغم تأثرها بالفرنسية، وتلك اللغة هي التي كتب بها الشاعر الإنجليزي "تشوسر" آثاره، وهي التي كتب بها أيضاً بعد قليل "وكليف" آثاره الدينية الروحية التي مهدت للنهضة الدينية في عهد الإصلاح بإنجلترا في أواخر القرن السادس عشر. وحركة الإصلاح هذه التي مهد لها "وكليف" لم تكن في حقيقة أمرها إلا حركة لغوية نتج عنها كتابة النسخة المحققة المعتمدة لديهم من الكتاب المقدس "الإنجيل" سنة 1611 م، وشيوع الوعي اللغوي العظيم لدى الإنجليز باللغة الإنجليزية، ونتج عنها كذلك تأليف شكسبير آثاره الخالدة بها1.

وفي تاريخ الإسلام والعربية - وهذا هو محور كلامنا هنا - من المعلوم الذي لا يحتاج إلى تفصيل أن الإسلام بكتابه الخالد هو الذي أمد العربية بالحياة هذه القرون الطويلة الممتدة وجعلها لغة فريدة في هذا الباب، ولكن بحسبنا في هذا الموضع أن نشير إلى أن الإصلاح الشامل الذي دعا إليه الإمام محمد عبده كان يقوم على ثلاثة أسس يتآزر بعضها مع بعض هي: الإصلاح الديني، والإصلاح اللغوي، والإصلاح السياسي، ومعنى هذا أن الدين واللغة مثلا اثنين من هذه الأسس التي لا يغني أحدها عن الآخرين، وقد قصد بالإصلاح الديني تحرير العقل من قيد التقليد، وبالإصلاح

(1) - انظر : اللغة بين القومية والعالمية 293 - 295 .

اللغوي النهضة الأدبية واللغوية، بجعل حياة العرب الأدبية الحديثة امتداداً متطوراً لأكثر الصفحات إشراقاً في تاريخهم الأدبي العظيم1.

اللغة والثقافة:

سنعرض هنا لثلاثة تحليلات للعلاقة بين اللغة والثقافة: للأستاذ محمود شاكر، ولمالك بن نبي، وللدكتور محمد الأوراغي:

1 - للأستاذ محمود شاكر تحليل مهم في هذا الشأن ورد في كتابه المشهور "رسالة في الطريق إلى ثقافتنا" كان القصد الأساسي منه نقد عمل المستشرقين في اللغة العربية وثقافتها وبيان خطر ذلك، وهو لم يقتصر في هذا الشأن على الربط بين اللغة والثقافة، بل جمع بينهما وبين الدين؛ لأنه هو رأس كل ثقافة. ونحن نجد ذلك في: حديثه عمّا أسماه "قبل المنهج"، وحديثه عن أركان الثقافة، وتعريفه للثقافة.

فأما "ما قبل المنهج" فهو في رأيه أصل أصيل في كل أمة وفي كل لغة وثقافة، وهو مطلوب في "العلوم البحتة"، كما أنه مطلوب وأصيل في آداب اللسان وعلومه كالأدب والتاريخ وعلوم الدين والفلسفة. وفي آداب اللسان يجب أن يراعي "ما قبل المنهج" ثلاثة أشياء:

الأول: اللغة التي هي وعاء المعارف جميعاً؛ لأن بين تمام الإحاطة بها وقصور هذه الإحاطة مزالق تزل عليها الأقدام، والثاني: الثقافة، والثالث: الأهواء(2).

والأصل الأخلاقي لكل ذلك والعاصم من الزلل فيه هو "الثقافة" التي تذوب في بنيان " الإنسان وتجري منه مجرى الدم لا يكاد يُحَس به،

---

(1) - انظر : الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده 1/197.

(2) - انظر : المتنبي، رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، لأبي فهر محمود شاكر 26 - 29 .

لا من حيث هي معارف متنوعة تُدرك بالعقل وحسب، بل من حيث هي معارف يؤمن بصحتها عن طريق العقل والقلب، ومن حيث هي معارف مطلوبة للعمل بها، والالتزام بما يوجبه ذلك "الإيمان"، ثم من حيث هي بعد ذلك انتماء إلى هذه الثقافة انتماء ينبغي أن يُدرَك معه تمام الإدراك أنه لو فرط فيه لأداه تفريطه إلى الضياع والهلاك، ضياعه هو، وضياع ما ينتمي إليه ... ورأس كل "ثقافة" هو "الدين" بمعناه العام، والذي هو فطرة الإنسان، أيَّ دين كان، أو ما كان في معنى "الدين"، وبقدر شمول هذا "الدين" لجميع ما يكبح جموح النفس الإنسانية ويحجزها عن أن تزيغ عن الفطرة السوية العادلة، وبقدر تغلغله إلى أغوار النفس تغلغلاً يجعل صاحبها قادراً على ضبط الأهواء الجائرة، ومريداً لهذا الضبط = بقدر هذا الشمول وهذا التغلغل في بنيان الإنسان، تكون قوة العواصم التي تعصم صاحبها من كل عيب قادح في مسيرة "ما قبل المنهج" ثم في مسيرة "المنهج"(1).

وبناءً على هذا يكون للثقافة ثلاثة أركان هي: الإيمان والعمل والانتماء، ولا يكون لها وجود محقق ظاهر إلا بها، وإلا تهدم بنيان هذه الثقافة وصارت مجرد أقوال ومعلومات ومعارف ملقاة في الطريق، متفككة لا يجمع بينها صلة، ولا يقوم لها تماسك ولا ترابط، وبديهي أن شرط الثقافة بقيوده الثلاثة ممتنع كل الامتناع على المستشرق(2).

وأما تعريف "الثقافة" فقد قال فيه الأستاذ شاكر:

((الثقافة" في جوهرها لفظ جامع يقصد به الدلالة على شيئين أحدهما مبني على الآخر، أي هما طوران متكاملان:

(1) - السابق : 30، 31 .

(2) - انظر : السابق 68 ، 69.

الطور الأول: أصول ثابتة مكتسبة تنغرس في نفس الإنسان عند مولده ونشأته الأولى حتى يشارف حد الإدراك البين، جماعها كل ما يتلقاه عن أبويه وأهله وعشيرته ومؤدبيه حتى يصبح قادراً على أن يستقل بنفسه وعقله... لكي تكون له "لغة" يبين بها عن نفسه، و"معرفة" تتيح له قسطاً من التفكير... ولأن الإنسان منذ مولده قد استودع فطرة باطنة بعيدة الغور في أعماقه، تُوزعه (أي تلهمه وتحركه) أن يتوجه إلى عبادة رب يدرك إدراكاً مبهماً أنه خالقه وحافظه ومعينه، فهو لذلك سريع الاستجابة لكل ما يلبي حاجة هذه الفطرة الخفية الكامنة في أغواره. وكل ما يلبي هذه الحاجة هو الذي هدى الله عباده أن يسموه "الدين"، ولا سبيل البتة إلى أن يكون شيء من ذلك واضحاً في عقل الإنسان إلا عن طريق "اللغة". فالدين واللغة، منذ النشأة الأولى متداخلان تداخلاً غير قابل للفصل... ولذلك فكل ما يتلقاه الوليد الناشئ في مجتمع ما، عن طريق أبويه وأهله وعشيرته ومؤدبيه، من لغة ومعرفة، يمتزج امتزاجاً واحداً في إناء واحد، ركيزته أو نواته وخميرته دين أبويه ولغتهما، وأبلغهما أثراً هو "الدين")) (1). وقد بين الأستاذ أنه تروج في حياتنا الأدبية الفاسدة دعوة خبيثة جاهلة لفصل "اللغة" عن "الدين"، وهذا شيء لا يتحقق إلا بمفارقة دين، والدخول في دين آخر يصنعه أصحاب هذه الدعوة لأنفسهم؛ لأن الصحيح أن الدين يشتمل على الدلالة على الأصول الصحيحة المحكمة التي ترشد العقل في التفكير والنظر والاستدلال (2).

والطور الثاني للثقافة هو الفروع المنبثقة عن الأصول المكتسبة بالنشأة الأولى حين يخرج الناشئ من قيد التسخير إلى طلاقة التفكير،

---

(1) - السابق : 72 ، 73.

(2) – انظر: السابق 73.

معتمداً على اللغة والمعارف الأول التي كانت في الطور الأول مصبوغة - لا محالة - بصبغة الدين، وثقافة كل أمة وكل لغة هي حصيلة أبنائها المثقفين بقدر مشترك من الأصول والفروع، كلها مغموس في "الدين" المتلقّى عند النشأة. فهو صاحب السلطان المطلق الخفي على اللغة وعلى النفس وعلى العقل جميعاً(1).

وينبني على ذلك أن من الباطل أن توجد "ثقافة عالمية" يشترك فيها البشر جميعاً على اختلاف لغاتهم ومللهم ونحلهم وأجناسهم وأوطانهم؛ لأن هذا تدليس يراد به هدف آخر يتعلق بفرض سيطرة أمة غالبة على أمم مغلوبة، لتبقى تبعاً لها، فالثقافات متعددة بتعدد الملل.

وهنا ينبغي أن نميز بين "الثقافة" و"العلم" أي "العلوم البحتة" لأن لهذه طبيعة مغايرة؛ فالثقافة مقصورة على أمة واحدة تدين بدين واحد، والعلم مشاع بين خلق الله جميعاً، يشتركون فيه اشتراكاً واحداً مهما اختلفت العقائد والملل(2).

2 - نجد وجهاً آخر من العلاقة بين اللغة والثقافة في الازدواجية اللغوية التي نتجت بتأثير الاستعمار؛ لأنه غرس فيما غرس من الظواهر في البلاد المستعمرة، هذه الظاهرة التي تتعلق بالبنى الثقافية والعقلية والفكرية. ولم تكن النتائج المترتبة على هذه الازدواجية واحدة في كل الأماكن وكل الحالات، بل كانت متفاوتة. وثمة مثالان ذكرهما مالك بن نبي لذلك هما: مصر والجزائر. ففي مصر حيث اللغة الأجنبية المنافسة هي الإنجليزية، تؤثر هذه اللغة على زاوية معينة من العمل الفكري، يمكن أن تجعلها نموذجاً لبلد لديه مشكلة ازدواج لغوي جامعي كان من أكبر آثارها تخلص "الأزهري القديم" علي عبد الرازق الذي أصبح

(1) - انظر : السابق 74.

(2) - انظر : السابق 74 ، 75 .

تلميذ أكسفورد - من أصل المنهج الإسلامي؛ وذلك حين جعل موضع التساؤل قيمه وأفكاره الأساسية ممثلة في فكرة "الخلافة". وهكذا يكون الانشقاق الذي أحدثته الازدواجية اللغوية في ثقافة البلد الإسلامي ليس فقط ذا طابع جمالي، بل هو ذو طابع أخلاقي وفلسفي. ومع ذلك، يمكن لهذا الانشقاق "أن يتعمق أكثر من ذلك في بلاد إسلامية أخرى؛ حيث ازدواج اللغة لا يستعمل لمجرد تفجير يطلق حركة العالم الثقافي... ففي الجزائر- مثلاً -وحتى الجزائر المستقلة فازدواجية اللغة (أي العربية مع الفرنسية) ليست مجرد مفجِّر، بل هي أكثر من ذلك ديناميت قذف في العالم الثقافي، وإذا كان لم ينسف كل شيء فإن انفجاره أحدث أغرب الانشقاقات"(1).

3 - دراسة اللغة غالباً ما تتم في البحث اللغوي الصرف الذي يرفض اتخاذها ذريعة لمعرفة واقعة خارجها ويركز على دراستها في نفسها. وفي غير هذا التوجه لا يتأخر النظّار على اختلاف تخصصاتهم عن "إقامة علاقة بين اللغة والعقل آلة الفكر، أو بينها وبين الواقع مصدر المعرفة، أو بينها وبين الثقافة أساس التنمية في المجتمعات البشرية"(2). وتكوين الإنسان ثقافياً لا يحصل مستقلاً عن تمام اللغة، بل لا بد من تعاون نظامين أحدهما ثقافي اجتماعي والآخر رمزي لغوي، وإذا كان الانتظام لا ينشأ أصلاً بعناصر غير متجانسة، فإن بناء مجتمع منسجم لا يمكن أن يتم بخليط من الثقافات المتباينة الأصول ولا بمزيج من اللغات المتعددة الأنماط(3).

---

(1) - مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، لمالك بن نبي : 139 ، وانظر 137 ، 138 . ومن الجدير بالذكر أن نشير إلى أن ما ذكره مالك بن نبي عن «الجزائر» قد تغير كثيراً مع الصحوة الثقافية واليقظة الفكرية الجزائرية التي تقوم على صنع التوازن بين الثقافتين العربية والفرنسية.

(2) - التعدد اللغوي، انعكاساته على النسيج الاجتماعي، للدكتور محمد الأوراغي : 45 .

(3) - انظر : السابق 27 .

وتعريف كلمة "الثقافة" ليس من اليسير من الناحية المعجمية الاصطلاحية لتداولها بين علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا وغيرهم، والبديل الأفضل لذلك تصور "الثقافة" من خلال المجالات التي تدخل في إطارها. وهي مجالات أربعة على النحو الآتي:

أ - **مجال الصنائع:** وهو يشمل الموضوعات التي صنعها الإنسان، ويمكن سردها في قوائم موسعة لمختلف الأشياء المصنوعة في شتى مناحي الحياة (كالمأكل والملبس والمشرب والمسكن) داخل مجتمع محدد، والأصل الجامع لذلك هو كل ما يدخل في إطار تحويل المعرفة النظرية والأفكار المجردة إلى بضاعة لها وجه نفعي وقيمة تجارية. وثمة ملحوظة مهمة هنا هي: أن رقي مجتمع ما في مجال الصنائع هذا لا يعني بالضرورة رقيه في السلم الثقافي بشكل عام؛ لأن هذا الرقي العام لا يحتسب إلا بمجمل الرقي في المجالات كلها.

ب - **مجال السلوك:** وكل سلوك لا يخرج عن أن يكون واقعاً بين طرفي نقيض؛ إذ لا يخرج عن أن يكون من الخلال الحميدة الموافقة لفطرة العقل في الإنسان، أو من الخلال الذميمة التي تناسب طبيعة النفس الحيوانية.

ج - **مجال العقائد:** وهو يضم مجموعة من الأنساق العقدية التي يحكمها مبدأ "الاقتناع". وهي ضربان:

الأول : أديان سماوية (اليهودية ثم المسيحية ثم الإسلام).

والثاني: شرائع إنسانية وضعية، وهي كثيرة العدد يمكن أن تجمع في ثلاثة أقسام كبرى: أساطير دينية، ونظم مذهبية في الاقتصاد والاجتماع

والسياسة، وقوانين حُكْمِيَّة. فالأساطير الدينية لها عند أصحابها قوة الدين في المجتمعات الكتابية، ومن أمثلتها الهندوسية في شبه القارة الهندية، والبوذية في مناطق أخرى من آسيا. والنظم المذهبية تشمل الديمقراطيات الرأسمالية والاقتصاديات الاشتراكية وأشباههما. والقوانين الحُكْمِيَّة هي مجموعة من القواعد الإلزامية التي تسنها سلطة تشريعية في جهاز الدولة، وتكره أفراد المجتمع على الخضوع لها بوساطة سلطة تنفيذية.

ويتضح من ذلك أن قيم مجال العقائد هذا شديدة التباين وأنها تشكل أسس انفصال الثقافات، وأن بناء ثقافة متميزة لا يتأتى دون انسجام قيم المجالات (أو الوسائط) الثقافية المختلفة فيما بينها، والتئامها جميعاً مع مجال العقائد التي تعد قاعدة هذا البناء. وبفضل مبدأ الانسجام يجري التثاقف الرزين الذي يعصم من السقوط في اللَّقَط الثقافي(1).

د - **مجال الفكر:** وهو يشمل تأملات الإنسان في الطبيعة والكون وتدبره نفسَه وبني جنسه وما جاءه من خالقه، وقد نتج عن ذلك كله عدد كبير من العلوم أيسر سبيل لتصنيفها أن تقسم إلى ثلاث مجموعات: الأولى : علوم طبيعية، تتميز بتناولها لموضوعات غير متعلقة بمشيئة الإنسان وإرادته، كعلم الفلك والكيمياء والفيزياء والطب والأحياء والأرض، والثانية: علوم بحتة، تقوم على النظر في طرق حصول المعرفة وكيفية التأمل السليم، ومثالها الرياضيات والمنطق وعلم المناهج، والثالثة: علوم وضعية يجمعها التعلق بمشيئة واضعها، ومن أمثلتها العلوم الشرعية وعلم الاقتصاد وعلم اللغة والأدب والفلسفة والتاريخ والجغرافيا البشرية.

---

(1) - انظر : السابق 36 .

ويعد "الفكر" أكبر مجال للتبادل الثقافي بين المجتمعات البشرية، وهو أيضاً أوضح المجالات لتقييم ثقافات الأمم(1).

ونستنتج من المقارنة بين قيم المجالات (أو الوسائط) الثقافية الأربعة أن قيم العقائد الدينية (كاعتناق الإسلام دون غيره) من الثوابت الثقافية التي تتميز بها ثقافة أو أمة عن غيرها، وهذا يكون له امتداد من عدة جهات "إذ تعتبر تلك القيمةُ الأساسَ والقاعدة لبناء مجتمع ثقافي متميز، وهي أيضاً الأصل والمرجع لانتقاء الوارد من قيم سائر الوسائط الثقافية غير المشتركة. ومن التئام مجموع هذه القيم ينشأ "نسق ثقافي نووي" يختص بالامتياز عن سواه دفعاً لاختلاط الأغيار، وبالامتناع عن التقارض حرصاً على الانسجام، وبالاستقرار السرمدي حفظاً للهوية. والنواة الثقافية المختصة بما ذُكر لا تقبل الجبّ أو النسخ والتجاوز. فكما لا تستبدل الأنساق العقدية، لا يُعوَّض أيضاً أصل من أصولها أو شيء من مستلزماته بما يوجد في سائر الأغيار"(2). وبناءً على هذا لا يُتوقَّع لتيار الحداثيين التقليديين داخل المجتمع المؤسس ثقافياً على نسق عقدي نواته الإسلام - كبير الأثر الذي كان للمجددين في الثقافة الأوروبية الحديثة؛ لعدة أسباب منها اكتفاؤهم بالنقل واستيراد الأفكار الدخيلة والاستعانة بالنماذج الجاهزة المقترضة، وعدم الوعي بالحفظ الأزلي لأصول النسق العقدي الإسلامي، هذا إلى جانب "إغفال الحداثي التقليدي لخاصية امتناع التقارض التي يتميز بها كل نسق ثقافي قاعدته إحدى قيم وسيط العقائد... إذ لا تقارض بين الأنساق النمطية سواءٌ أكانت ثقافية أم لغوية دون تعارض يفضي إلى تغليب الأجنبي وإهمال

---

(1) - انظر :السابق 29 - 37 .

(2) – السابق: 39، 40 .

مقابله المحلي. والتقارض المفضي إلى التعاوض لا يخرج عن أحد الاحتمالين: إما أن يكون جزئياً... يولّد لَقَطاً في المستوى الثقافي ولَغَطاً في المستوى اللغوي، وإما أن يكون كلياً ينتج عنه "انسلاخ ثقافي" عن طريق التجرد من الإرث التاريخي والاندماج في مجتمع ثقافي جديد"(1).

يمكننا أن نلخص ما ورد في العرض السابق لما اخترناه من أهم الآراء التي تناولت العلاقة بين اللغة والثقافة فيما يأتي:

خلاصة رأي الأستاذ شاكر:

- اللغة وعاء المعارف جميعاً، وأركان الثقافة ثلاثة: الإيمان والعمل والانتماء.

- اللغة والدين من أهم أسس الثقافة، وأبلغهما أثراً هو الدين؛ لأنه رأس كل ثقافة، ولأنه صاحب السلطان المطلق على اللغة والنفس والعقل جميعاً.

- القول بوجود ثقافة عالمية (في غير العلوم البحتة والعلوم الطبيعية) يشترك فيها البشر كلهم على اختلاف مللهم وأجناسهم أوطانهم، قول باطل وتدليس يراد بهما فرض هيمنة أمة غالبة على أمم مغلوبة.

- الدعوة إلى فصل اللغة عن الدين دعوة خبيثة؛ لأنها تؤدي إلى مفارقة دين والدخول في دين آخر.

خلاصة رأي مالك بن نبي:

- الازدواجية اللغوية من غرس الاستعمار له أثر سيئ على الثقافة لأنه يؤدي إلى إحداث الانشقاق والتصدع في بنائها.

---

(1) - السابق : 41 .

خلاصة رأي د. محمد الأوراغي:

- بناء مجتمع منسجم لا يمكن أن يتم بخليط من الثقافات ولا مزيج من اللغات؛ لأن الانتظام في تكوين الإنسان لا يمكن أن ينشأ من عناصر غير متجانسة، من النظامين الرمزي اللغوي والثقافي الاجتماعي.

- الثقافة تتكون من أربع مجالات هي: الصنائع والسلوك والعقائد والفكر، وهو مشتمل على العلوم.

- أهم ما يميز ثقافة عن أخرى مجال العقيدة؛ لأنها من الثوابت التي تعد قاعدة البناء الثقافي.

- الاقتراض الذي تقوم به ثقافة قاعدتها الأساسية العقيدة إما أن يفضي إلى اللقط الثقافي واللغط اللغوي، وإما أن يفضي إلى الانسلاخ بالكلية.

ولعلنا من كل ما سبق نلحظ الاتفاق الواضح في الربط بين اللغة والثقافة، بل بينهما وبين الدين واعتبار الدين هو أصل الثقافة وعمادها، وأنه هو الذي يفصل ويميز بين ثقافة وأخرى.

اللغة والقومية :

1 - التفسير الصحيح للقومية أنها (الواقع التاريخي واللغوي والثقافي والجغرافي العام لقوم من الأقوام). فالعالم معمور بأقوام من هنا وأقوام من هناك، أي قوميات متعددة؛ مصداقاً لقوله تعالى: " ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم " [الروم:22]، وقوله أيضاً: " يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم" [الحجرات:13]. ومن نواميس

الطبيعة البديهية أن شبه الشيء منجذب إليه وأن الجنس يألفه الجنس، ومن هنا تنشأ القوميات.

ويتضح من هذا أن الدعائم العامة للقومية ولتكوين شتى المجتمعات كما تتبعها الباحثون هي: اللغة والجنس والبيئة الجغرافية والتاريخ المشترك والدين والمصالح والآمال المشتركة. ولا يكفي عنصر واحد من هذه العاصر لإقامة مجتمع له كيانه وخواصه، بل لا بد من توفرها كلها أو توفر أغلبها(1).

إذن "اللغة" دعامة وعنصر مهم من أهم عناصر القوميات، لا يجادل في ذلك ولا ينكره إلا من يخلط بين مفهوم "الدولة" ومفهوم "الأمة" مستشهداً بمثل بلجيكا التي توجد فيها لغتان وسويسرا التي توجد فيها ثلاث لغات، غافلاً عن أن كلاً من هاتين دولة لا أمة، وأنهما يمثلان كيانات خاصة ومناطق لغوية مختلفة لها اعتبارات تناسبها(2).

2 - يعد ساطع الحصري أبرز الذين كتبوا في "القومية العربية" ونظّروا لها؛ لذا لا بد من الإشارة إلى رأيه الخاص في هذه المسألة وبيان الحكم عليه. إنه يرى أن بناء الأمة والقومية إنما يقوم في المقام الأول على ركنين اثنين: وحدة اللغة، ووحدة التاريخ، وفي هذا الشأن يقول: " إن أس الأساس في تكوين الأمة وبناء القومية هو: وحدة اللغة ووحدة التاريخ. لأن الوحدة في هذين الميدانين، هي التي تؤدي إلى وحدة المشاعر والمنازع، ووحدة الآلام والآمال، ووحدة الثقافة... وبكل ذلك (نجعل) الناس يشعرون بأنهم أبناء أمة واحدة متميزة عن الأمم الأخرى. ولكن

---

(1) - انظر : حقيقة القومية العربية أو أسطورة البعث العربي، للشيخ محمد الغزالي 29 ، 117 .

(2) - انظر : أبحاث مختارة في القومية العربية، ساطع الحصري، 2/24، 25 ، والتعدد اللغوي لمحمد الأوراغي 49 .

لا وحدة الدين، ولا وحدة الدولة، ولا وحدة الحياة الاقتصادية تدخل بين مقومات الأمة الأساسية. كما أن الاشتراك في الرقعة الجغرافية أيضاً لا يمكن أن يعتبر من مقومات الأمة الأساسية. وإذا أردنا أن نعيّن عمل كل من اللغة والتاريخ في تكوين الأمة، قلنا: اللغة تكوّن روح الأمة وحياتها، والتاريخ يكوّن ذاكرة الأمة وشعورها"(1). وفي موضع آخر حاول ساطع الحصري أن ينفي عن نفسه كونه من القوميين اللادينيين، ويعلي من شأن عنصر "اللغة" فقال: " إني أعتقد أن اللغة من أهم عناصر الثقافة فهي أعمق جذوراً من جميع العناصر الأخرى... (وأرى) من واجبي أن أقول، بعد أن نفيت عن القوميين تهمة اللادينية، إنهم يقولون بوجوب الاستمساك بالأصول التاريخية للثقافة، ولكنهم يعتقدون بأن أهم وأعمق الأصول التاريخية للثقافة هي اللغة"(2).

إذن - في وجهة النظر هذه - اللغة والتاريخ هما أهم روابط القومية وأركانها ، وأهم هذين الاثنين هو اللغة. ومعنى ذلك أن "اللغة" هنا تُفْصَل عن "الدين"؛ فهو في هذا الرأي غير معتبر.

إن ساطع الحصري في هذا لا يختلف كثيراً عن طه حسين الذي قال: "من المحقق أن تطور الحياة الإنسانية قضى منذ عهد بعيد بأن وحدة الدين ووحدة اللغة، لا تصلحان أساساً للوحدة السياسية، ولا قواماً لتكوين الدول" "فقد تخففت أوروبا من أعباء القرون الوسطى وأقامت سياستها على المنافع الزمانية، لا على الوحدة المسيحية، ولا على تقارب اللغات والأجناس"(3). إن كل ما يعترض عليه الأستاذ ساطع في كلام الدكتور طه حسين أنه كيف يسوغ له - كما قال بالنص "أن

(1) - أبحاث مختارة في القومية العربية : 2/21 .

(2) - العروبة أولاً ، لساطع الحصري : 130 .

(3) - مستقبل الثقافة في مصر ، لطه حسين : 16 ، 18 ، نقلاً عن أبحاث مختارة في القومية العربية 2/ 82 .

"يحشر اللغة مع الدين" في كلامه هذا؟ فهو يوافقه على كل ما قال بما فيه من أن الدين لا يصلح رابطاً بين الدول والأمم وأن السياسة شيء والدين شيء آخر! لكنه لا يوافقه على القول بأن "السياسة شيء واللغة شيء آخر"(1). وفحوى هذا أن الرجلين يتفقان في طرح وحدة الدين من القومية وبناء الأمة وعدم اعتبارها، غير أن أحدهما - وهو طه حسين - يدعو إلى فصل وحدة اللغة أيضاً ونزعها من القومية، والآخر- وهو ساطع الحصري - يُبقي على وحدة اللغة عنصراً من أهم عناصر القومية، لكنها هنا مفصولة عن الدين ومقطوعة الصلة به.

ولقد تكفل بالرد على هذا الشيخ محمد الغزالي في قوله: "ما ذا يريد الأستاذ ساطع؟ لقد كتب كلاماً عليلاً تحت عنوان العروبة أولاً!! يزعم فيه أن العلم انتصرعلى الدين ثم انفصل عنه، وبالتالي يطلب إبعاد الدين، أو تأخير مرتبته لتكون العروبة أولاً. والصراع بين العلم والدين شيء حدث في أوروبا، حدث بين كهان الكنائس والأديرة وبين طلائع البحث والمعرفة. فما الذي نقل هذه الحكاية إلى بلادنا ورمى بها تاريخنا؟ وكيف طوعت للأستاذ الحصري نفسه، فقاس تاريخاً على تاريخ ودِيناً على دين؟ ثم ما معنى أن تكون العروبة أولاً؟ هل يطلب من المسلم أن يطوي شريعته فلا يَذكر منها (قانوناً) ليكون عربياً. أو يدع عقيدته في مهب الرياح، وبين يدي سلطات ملحدة أو متجددة ليكون عربياً؟ وما الدين الذي يبقى بعد ذلك في عالم مشحون بالتعصب حتى للوثنية؟ الحق أن كلمة العروبة أولاً، لا معنى لها إلا الجاهلية أولاً، وأن قومية تؤخر تعاليم الإسلام، وتقدم عليها أي شيء آخر هي جاهلية حديثة، وأن العروبة الصحيحة براء من هذا الكلام"(2).

---

(1) - انظر : أبحاث مختارة في القومية العربية 2/82 ، 83 .

(2) - حقيقة القومية العربية، للشيخ محمد الغزالي : 165 .

3 - نخلص من النقطة السابقة إلى أن هناك اتجاهاً يرى أن الدين هو الأساس الذي صنع القومية العربية؛ ولذا يجعله في المقدمة. وبناء على هذا يقول أصحاب هذا الاتجاه: إن القومية العربية هبة الإسلام وصنعته؛ فهو مقدم عليها وما العرب وتاريخهم ولغتهم وحضارتهم بشيء يذكرلولا الإسلام، وإن "في العالم الآن عشرات القوميات، وهذه القوميات لا تعدو أن تكون أغصاناً في شجرة الإنسانية الباسقة، يغذوها جذرواحد وتنتشر فيها حياة مشتركة، وما يمتاز غصن على آخر إلا بما يحمله من ورق وثمر أو ما يقدمه من ظل وجنى. والعرب إذا نسبوا إلى قوميتهم لا يزيدون ولا ينقصون عن سواهم من الأمم، ولكن الميزة التي ترفع قدرهم هي ما انفردوا بتقديمه للحياة والأحياء من الإسلام وخيراته"(1). ومع أن هذا الرأي يجعل الدين أساس القومية، فهو لا يغض من قيمة اللغة - وهذا أصلاً غير ممكن - ولا يهون من شأنها وشأن العرب، بل يحفظ للعربية وللعرب مكانتهما ويجعل لها ولهم الريادة والقيادة.

وقد ورد في كتاب "حقيقة القومية العربية" للشيخ محمد الغزالي القول بأن القومية في الإسلام مقياسها أنها تقوم على دعامتين: الأولى أنها ليست انعزالية لأنها تتبنى مبدأ " لتعارفوا" الذي تشير إليه الآية الثالثة عشرة في سورة الحجرات ، والثانية أنها ليست تعصباً وأنانية لأن " أكرمكم عند الله أتقاكم" كما تشير بقية الآية. والإخوة الإسلامية التي تجمع بين مختلف الأجناس الداخلة في الإسلام لا تخدش مثل هذه المبادئ، وهي في الوقت نفسه تحفظ للعرب مكانتهم وتجعل لهم قيادة قوميتهم وأصل توجيه أمة الإسلام؛ لأن لهذه القيادة خصائص تتمثل في عروبة الشعور والتفكيروالآراء واللغة(2).

---

(1) - السابق : 63 ، وانظر : عن العروبة والإسلام للدكتور عصمت سيف الدولة 52، 53 .

(2) - انظر : حقيقة القومية العربية 30 ، 31 .

والقول بهذه الخصائص وبتميز القومية العربية الإسلامية بمعرفة اللغة العربية وبكونها يجب أن يكون لها القيادة والتوجيه - وسنعود لتفصيل مسألة القيادة هذه فيما بعد - ليس معناه أن يستعرب الخلق جميعاً وتذوب الأجناس كلها فهذا ضد الفطرة، وبقاء الأجناس واللغات مختلفةً آية كونية حسمها القرآن الكريم، والذين يكلفون الإسلام بهذا يطلبون المستحيل. إن الإسلام جاء إثباتاً للفطرة لا تغييراً لها "فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون" [الروم:30]، "ويستطيع الإنجليزي والروسي والصيني أن يكونوا مسلمين وهم على ألسنتهم وألوانهم؛ فإن معرفة الإله الواحد، والاتجاه إليه، والإعداد للقائه، معانٍ في الأفئدة والألباب ميسورة للناس أجمعين. وشرح الإسلام ووصاياه لأهل الأرض بكل لغة، فريضة علينا نحن العرب الذين اصطفانا القدر لتلقي الوحي، ولَفْت العالمين إلى رب العالمين. وكون اللغة العربية لغة الإسلام، لا يعني أكثر من فرضها لغة عالمية للتفاهم الإنساني كله، وليس معناه محو اللغات الأخرى، وفتح باب الاستعراب للأجناس كلها لا يعني أكثر من تجديد الأمة العربية على مر الزمان، وليس معناه إزالة الأجناس الأخرى. بيد أن هناك حقيقة لا بد من شرحها وتجليتها. إن هذا الاختلاف الجنسي يعلو عليه الإسلام بوحدة المشاعر والسلوك التي يفرضها على أتباعه، وإخوة الإيمان التي ترجح أي آصرة أخرى، وبالولاء لله ورسوله الذي يسبق كل ولاء. وفي الحديث: "لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به"(1).

إذن "القومية" بهذا المفهوم عربية أساسها الدين: هي عربية لأن أصحابها هم العرب وهم الذين يتكلمون العربية أياً كان جنسهم؛ فمن

(1) - السابق : 108 ، 109 .

المعلوم أن من تكلم العربية فهو عربي، وهي إسلامية الأساس: لأن الإسلام هو الذي يهيمن عليها ولأنها تستمد وجودها وأصولها ومبادئها منه وقوة لغتها منه. والعربي المسيحي تشمله هذه القومية مادام مستقيماً مع طبيعته وغير كاره لجنسه(1).

4 - إذن نحن في إطار علاقة اللغة بالقومية لدينا وجهتا نظر مهمتان : واحدة تجعل اللغة هي الأساس وفي المقدمة وتفصل القومية عن الدين، وأخرى تجعل الدين هو الأساس الذي صنع القومية العربية وتعطي للغة العربية - في الوقت نفسه - حقها وأهميتها وتحفظ للعرب مكانتهم وتجعل لهم الريادة والقيادة.

وإذا كان لا بد من اختيار أحد الرأيين، فإن ما أراه - ولا أظن أن مسلماً صحيح العقيدة والفطرة والنظر لا يرتضيه - هو الرأي الذي يجعل الدين هو الأساس في القومية العربية. على أن للمسألة - في رأيي - وجهاً يمكن أن يخرجنا من هذه المتاهة، وهو أن ندع مثل هذه الكلمات ذات الظلال الملبسة أو الموجَّهة سياسياً وثقافياً وإعلامياً، سواءٌ أكانت معاصرة أم غير معاصرة. وأظن أن كلمة "القومية" قد انطفأ بريقها وخفت ضجيجها منذ سنوات طويلة. وما علينا في مثل هذه الحالات إلا أن نحذر من هذه "الكلمات" ونضعها في إطارها الصحيح، وأن نحاول أن نأتي عوضها بالبديل المناسب. وليكن من ذلك في حالة "القومية العربية" أن نستبدل بها : "الوحدة العربية".

ويكفي دليلاً على الإشكال والجدل اللذين أثارتهما كلمة "القومية" في إطار علاقتها باللغة والدين، أن نلفت الأنظار إلى تحليل الدكتور عصمت

---

(1) - انظر : السابق 167 .

سيف الدولة والدكتور محمد عيد لهذه المسألة، وكلاهما كان معنياً بالتعليق على مجمل النظرتين السابقتين.

فالدكتور عصمت سيف الدولة قال: إن في الوطن العربي طائفتين اختلفتا فاتفقتا: طائفة تناهض العروبة بالإسلام وطائفة تناهض الإسلام بالعروبة، وهذا هو وجه الاختلاف. وتجهل كلتاهما - هكذا يقول معمماً - العروبة والإسلام، وهذا هو وجه الاتفاق، وإنهما لتثيران عاصفة من الجدل تكاد تضل الشعب العربي المسلم عن سبيله القويم. وهو يرد على ذلك بأنه لا تناقض بين "الأمّة" بالمفهوم القومي و"الأمة" بالمفهوم الديني، وبناءً على ذلك توجد لدينا أمتان : أمة عربية، وأمة إسلامية. وتتبع معنى كلمة "أمة" في القرآن الكريم يؤيد ذلك؛ لأنها تدل بصفة عامة على مفهوم الجماعة المتميزة بأي شيء كالنوع أو الجنس أو الموقف أو الزمان أو المكان وغير ذلك. وبهذه الدلالة "كانت الأغلبية الساحقة من الشعب العربي وما يزالون وسيبقون، جزءًا لا يتجزأ من الأمة الإسلامية التي ينتمي إليها كل المسلمين في الأرض بصرف النظر عن أجناسهم وألوانهم ولغاتهم وأممهم ودولهم وأوطانهم، لا فضل لأحد منهم على الآخر إلا بالتقوى"(1). وبهذه الدلالة أيضاً ودلالة كلمة "الأمّة" في القرآن، يكون كل العرب منتمين إلى أمة عربية واحدة، حيث يكون مميزهم عن شعوب وأمم أخرى ما يميز سائر الأمم عن الشعوب والقبائل من وحدة اللغة أو التاريخ أو المكان وغير هذا. وخلاصة كل ذلك أن "الأمة" كما تتميز بوحدة العلاقة "القومية"، لا تتشابه بوحدة العلاقة "الدينية"؛ ولذا لا تتشابه ولا تتعارض ولا تتناقض "الأمة العربية" مع "الأمة الإسلامية"، كما لا تتشابه ولا تتعارض ولا تتناقض الأمة الإنجليزية والأمة الإيطالية والأمة

(1) - عن العروبة والإسلام، للدكتور عصمت سيف الدولة : 34 ، 35 .

الألمانية مع كون كل هذه الأمم وغيرها تنتمي عقيدةً إلى الأمة المسيحية. كل من الانتماءين قائم، ولكنّ كلاً منهما ذو مضمون مختلف. يقول الدكتور عصمت سيف الدولة: مرتان في التاريخ الذي نعرفه قيل غير ما نقول، أي قيل إن للانتماء الديني والانتماء القومي مضموناً واحداً، وإنّ لكل دين أرضاً ولكل أرض ديناً، وكان العرب هم الضحايا في المرتين: المرة الأولى في الحروب الصليبية التي استمرت قرابة قرن (من 1096 م إلى 1192م) عندما حرّض البابا أربان الثاني ملوك أوروبا وأمراء الإقطاع على غزو الشرق، للاستفادة من خيراته باسم الدين وباسم تحرير مهد المسيحية من المسلمين، والمرة الثانية عندما حصل اليهود من الإنجليز على وعد بلفور الذي أدى إلى نشأة الدولة اليهودية في فلسطين(1).

وأما الدكتور محمد عيد فيقول إن كلا الاتجاهين في القومية (اتجاه اعتبار الدين هو الأساس واتجاه اعتبار اللغة هي الأساس) قد تطرف في وجهة نظره، وقد حاول التوفيق بين الاتجاهين بمحاولة طرح الانحياز المطلق لأحدهما بالقول بأنه توجد مسالك أربعة أخرى متداخلة مع الدين وغيره هي التي تصوغ القومية، وهذه المسالك هي: التجربة القومية الشعورية الناتجة عن ظهور الإسلام، والحضارة الإسلامية، واللغة العربية التي صبغها الإسلام بقسط كبير من القداسة والتوقير والإجلال، ووجود جانبين في شخصية النبي- صلى الله عليه وسلم -: عموم رسالته، واعتزازه بعروبته وقومه(2). والذي أراه أن الدكتور محمد عيد حاول أن يصول ويجول، وانتهى به المطاف إلى رد فكرة القومية إلى الدين الإسلامي من حيث أراد أن يدفع ذلك.

---

(1) - انظر : السابق 35 ، 36 .

(2) - انظر : قضايا معاصرة في الدراسات اللغوية والأدبية 89 - 98 .

إن "القومية" - خاصة في ضوء علاقتها بالإسلام واللغة العربية - كلمة ملبسة ومثيرة للشكوك، وقد قال الدكتور إبراهيم أنيس إنها سلاح ذو حدين، ومن صفاته النبيلة أنه يعلّم أصحابه الإيثار والشجاعة والتضحية في سبيل المجتمع وأمنه ورخائه وأنه يجمعهم على شعور واحد، ومن صفاته القبيحة أن "القومية" تهتم بمبدأ الحرية على حساب الأصوات التي قد تنادي بفكرة إصلاحية لمصلح أو فيلسوف أو واعظ، كما أن من أسوأ ما فيها أنها عملية تفتيت وتشتيت للبشرية. وقد كانت بديلة أو رديفة لبعض الدعوات المتجهة إلى العالمية في العصر الحديث، والدعوة إلى هذه العالمية (أي العولمة بالمفهوم الأحدث) دعوة مادية واقعية، وليست روحية كالدعوة العالمية التي دعت إليها الديانات(1).

لقد تحدثنا فيما سبق عن العلاقة بين اللغة وكل من الدين والثقافة، فكان للدين أثر واضح في علاقة اللغة بالثقافة مثلما يكون من أثر بيّن في علاقة اللغة بالدين، من حيث إصلاح أحد العنصرين بالآخر. وها نحن هنا في حديثنا عن علاقة اللغة بالقومية، نجد ذكر "الدين" يأتي مرة أخرى، ويكون هو الطاقة المحركة والأساس المتين في هذه العلاقة، كل ذلك يؤكد لنا أن اللغة تتداخل مع الدين وتلتحم به، من أي وجه من الوجوه نظرنا وأيّ طريق سلكنا: من وجه "الدين" الصرف، ووجه "الثقافة"، وأخيراً وجه "القومية". وإذا كان هذا التلازم يصدق في أكثر من موضع على العلاقة بين أية لغة وأي دين - كما بينا - فهو أعظم صدقاً على العلاقة بين العربية والإسلام.

---

(1) - انظر : اللغة بين القومية والعالمية 244 - 250 .

ثانياً- العربية والقرآن:

1 - القانون العام في علاقة اللغة العربية بالإسلام أنها لغة القرآن. وقد نزل القرآن بها؛ لأنها كانت لغة النبي صلى الله عليه وسلم ولغة قومه، ولأن الأصل في ذلك إرسال الرسل بلغات أقوامهم: "وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم" [إبراهيم:4]، "فإنما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوماً لُدًّا" [مريم:97]،" فإنما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون"[الدخان:58]. ولما كان الإسلام آخر الأديان ومحمد - صلى الله عليه وسلم - خاتم الأنبياء، اكتسبت اللغة العربية صفة البقاء والخلود. وقد ورد وصف القرآن بأنه عربي وجاء الحديث عن عروبته باللفظ الصريح لذلك في إحدى عشرة مرة، كقوله تعالى: " الر تلك آيات الكتاب المبين. إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون " [يوسف:2،1]، وقوله: "نزل به الروح الأمين. على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين" [الشعراء:195-193](1).

2 - والإشارة إلى عروبة القرآن، كما تتأتى من وصفه بأنه عربي وأنه نزل بلسان النبي صلوات الله وسلامه عليه، تتأتى كذلك من اطراد استعمال الحروف المقطعة في أوائل السور المبدوءة بها، متبوعةً بالإشارة إلى القرآن والحديث عنه، وذلك كما في مثال سورة يوسف السابق، وكما في قوله تعالى في أول سورة البقرة: "الم. ذلك الكتاب لا ريب فيه هدًى للمتقين" [البقرة:2،1].

---

(1) - جاءت مادة (عرب) في القرآن في ثلاثة موضوعات: في وصف القرآن بأنه عربي، والحديث عن عروبة القرآن، وفي الحديث عن «الأعراب» وهم سكان البادية من العرب، (وذلك في عشر مرات، مثل قوله تعالى: « سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا» [الفتح:11])، وفي الحديث عن نساء الجنة (وذلك مرة واحدة في سورة الواقعة في قوله تعالى :»فجعلناهنّ أبكاراً .عرباً أتراباً» [الواقعة:36 ، 37]) . انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لمحمد فؤاد عبد الباقي.

والدليل على استفادة الإشارة إلى عروبة القرآن من اطراد استعمال الحروف المقطعة مقرونة بذكر القرآن، أن مجمل ما ذهب إليه جمهور العلماء في تفسير هذه الحروف - وهم الذين قالوا إن هذه الحروف تقبل التفسير والتأويل وليست من المتشابه كما رأى غيرهم - وجهان: أحدهما أنها إشارة إلى حروف المعجم وأن القرآن تحدى العرب بنظم من هذه الحروف التي عرفوها (وهذا القول منسوب لقطرب وغيره)، والثاني أنها ليست إشارة إلى حروف المعجم، وإنما هي غير ذلك: إما أنها أسماء لله أقسم بها، وإما أنها أسماء للسور، وإما أنها أسماء للقرآن كالفرقان والذكر، وأما أنها للتنبيه وغير ذلك(1). وعلى القول بأنها إشارة إلى حروف المعجم، جاء إعرابها وإعراب ما بعدها دالاً على هذا الارتباط؛ إذ كان من أوجه إعرابها أن أعربت مبتدأ وعُدّ ما بعدها خبراً. ومثال ذلك إعراب هذه الآيات:

- قوله تعالى: " الم . اللّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ . نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ " [آل عمران:3-1] . فقد ذهب فيه الجرجاني إلى أن "الم" مبتدأ يشير إلى حروف المعجم، كأنه قيل : هذه الحروف كتابك، ويكون قوله " الله لا إله إلا هو الحي القيوم نزّل عليك الكتاب " دليلاً على الخبر المحذوف، على حد قوله : " أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله " [الزمر:22] . وذهب ابن عطية إلى أن هذا محتمل، غير أن الأبرع في نظم الآية أن يكون قوله " الله لا إلا إله إلا هو ..." كلاماً مبتدأ جزماً راداً على وفد نصارى نجران الذين حاجوا النبي- صلى الله عليه وسلم - في عيسى عليه السلام وقالوا إنه الله(2).

(1) - انظر : تفسير ابن عطية «المحرر الوجيز 1/100.
(2) - انظر : السابق 2/147 ، 148.

- قوله تعالى: " المص. كتابٌ أُنزلَ إليك فلا يكنْ في صدرك حرجٌ منه لتنذرَ به وذكرى للمؤمنين " [الأعراف:2،1]. "قال الفراء وغيره: "كتاب" رفع على الخبر للحروف، كأنه قال: هذه الحروف كتاب أنزل إليك، ورد الزّجّاج على هذا القول بما لا طائل فيه. وقال غيره "كتاب" رفع على خبر ابتداء مضمر تقديره: هذا كتاب، و"أنزل إليك" في موضع الصفة لـ"كتاب""(1).

- قوله تعالى: " الر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد" [إبراهيم:1]. قيل فيه أيضاً مثل ما سبق: "كتاب" مرفوع على أنه خبر المبتدأ "الر"، (على قول من قال إن هذه الحروف إشارة إلى المعجم)أي هذه الحروف كتاب أنزلناه إليك، أو مرفوع على أنه خبر لمبتدأ مضمر، والتقدير: هذا كتاب أنزلناه إليك، على أكثر الأقوال في توجيه الحروف المقطعة(2).

3 - ومن الآيات التي لها دلالة خاصة في مجال تأكيد العلاقة بين العربية والعرب والقرآن قوله تعالى: "وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللّهَ وَلا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ. وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ وَاقٍ" [الرعد:36، 37]. معنى "وكذلك أنزلناه قرآناً عربياً" هنا مرتبط بمعنى "والذين آتيناهم الكتاب". والمشهور في بيان المقصود بـ"الذين أوتوا الكتاب" قولان أقواهما أنهم هم مؤمنو أهل الكتابين التوراة والإنجيل، والثاني أنهم هم أهل القرآن والإسلام.

(1) - السابق : 3/509.

(2) - انظر : السابق 5/218.

قال الرازي: "اعلم أن في المراد بالكتاب قولين: الأول: أنه القرآن والمراد أن أهل القرآن يفرحون بما أنزل على محمد من أنواع التوحيد والعدل والنبوة والبعث والأحكام والقصص، ومن الأحزاب، الجماعات من اليهود والنصارى وسائر الكفار من ينكر بعضه وهو قول الحسن وقتادة ... والقول الثاني: أن المراد بالكتاب التوراة والإنجيل"(1).

ثم بيّن الرازي فيما بعد أن في قوله تعالى: "وكذلك أنزلناه حكماً عربياً" عدة مسائل منها:

"**المسألة الأولى:** اعلم أنه تعالى شبه إنزاله حكماً عربياً بما أنزل إلى ما تقدم من الأنبياء ، أي كما أنزلنا الكتب على الأنبياء بلسانهم، كذلك أنزلنا عليك القرآن. والكناية في قوله : {أنزلناه} تعود إلى «ما» في قوله :{يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ} يعني القرآن.

(و) المسألة الثانية : قوله: {أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيّا} فيه وجوه: الأول: حكمة عربية مترجمة بلسان العرب. الثاني: القرآن مشتمل على جميع أقسام التكاليف، فالحكم لا يمكن إلا بالقرآن، فلما كان القرآن سبباً للحكم جُعَل نفس الحكم على سبيل المبالغة. الثالث: أنه تعالى حَكَم على جميع المكلفين بقبول القرآن والعمل به فلما حكم على الخلق بوجوب قبوله جعله حكماً.

واعلم أن قوله: {حُكْمًا عَرَبِيّا} نصب على الحال، والمعنى: أنزلناه حال كونه حكماً عربياً"(2).

---

(1) - التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي 10/60 .

(2) – السابق 10/61 .

وقال ابن عطية: ((اختلف المتأوّلون فيمن عُنيَ بهذه الآية، فقال ابن زيد: عنى به من آمن من أهل الكتاب... وقوله [وكذلك] المعنى: كما يسرنا هؤلاء للفرح وهؤلاء لإنكار البعض، كذلك "أنزلناه حكماً عربياً"، ويحتمل المعنى: والمؤمنون الذين آتيناهم الكتاب يفرحون به لفهمهم له وسرعة تلقيهم، ثم عدد النعمة بقوله: وكذلك جعلناه، أي: سهلناه عليهم في ذلك وتفضلنا. والحُكْم: ما تضمنه القرآن من المعاني، وجعله عربياً لما كانت العبارة عنه بالعربية))(1).

ومن أهم ما نخرج به من هذه النصوص:

أ - أن وجه الشبه في "كذلك" - بناءً على القولين في تفسير "الكتاب" - هو أن القرآن أنزل بلسان النبي صلوات الله وسلامه عليه، كما أن الكتب أنزلت على الأنبياء من قبل بألسنتهم، أو أن يكون هذا من باب تعديد النعمة؛ فكما أن المؤمنين يفرحون بالقرآن لسرعة تلقيهم وفهمهم له، سهّلناه عليهم وتفضلنا عليهم بجعله عربياً.

ب - "الحُكم" معناه عند الرازي: الحكمة، أو أقسام تكاليف القرآن، وقد وصفت بأنها عربية على سبيل المبالغة لأن سببها هو القرآن، أو أنه وجوب قبول القرآن والعمل بما فيه. والمعنى الذي ذكره ابن عطية للحُكم هو: معاني القرآن. وهذا معنى شامل جامع لكنه غير واضح وغير مفصل.

ج - يتفق الرازي وابن عطية ومن لفّ لفهما على أن "حكماً" حال و"عربياً" صفة، غير أن صاحب "التحرير والتنوير" يرى أن "حكماً عربياً" حالان، لا حال واحدة وصفة؛ لأن "الحُكم" هنا بمعنى الحكمة، وهي

---

(1) - تفسير ابن عطية «المحرر الوجيز: 5/210، 211، وانظر: تفسير البحر المحيط لأبي حيان 5/386، 387.

لا توصف بالنسبة إلى الأمم، وإنما المعنى أنه حكمة معبر عنها بالعربية التي هي أفصح اللغات، وفي هذا امتنان على العرب المخاطبين به ابتداءً لأنه بلغتهم وفيه حسن سمعتهم، وفيه تعريض في الوقت نفسه بأفن رأي الكافرين منهم؛ إذ لم يشكروا هذه النعمة، على حد قوله تعالى: "لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم أفلا تعقلون" [الأنبياء:10](1).

4 - من القضايا المهمة المتعلقة بالعلاقة بين القرآن واللغة العربية قضية ترجمة القرآن، ومن الآراء المهمة في ذلك رأي الأستاذ محمود شاكر وخلاصته أن الإعجاز الحقيقي للقرآن هو الإعجاز اللغوي البياني، والعرب هم أقدر الناس على الكشف عن الوجه الصحيح لهذا الإعجاز (2)، ودراسة إعجاز القرآن حق دراسته وكما ينبغي، من آثارها أنها ستكون فتحاً في تاريخ بلاغة الجنس البشري كله، وتيسير الدعوة إلى كتاب الله، وإبطال "فتنة الترجمة" - كما يقول - لأنها لا يمكن أن تكون بديلاً عن القرآن بنصه ونظمه الذي هو أساس الإعجاز(3).

ثالثاً- آراء بعض العلماء والباحثين في العلاقة بين العربية والإسلام:

تقدم ذكر بعض آراء اللغويين والعلماء فيما سبق عن العلاقة بين اللغة العربية والدين والقرآن وغيرهما بشكل عام، ومن أهم هذه الآراء رأي الدكتور إبراهيم أنيس، كما لمّحنا أيضاً - فيما نقلناه في موضعين - إلى رأي الدكتور عبد السلام المسدّي. وسنضيف هنا إلى ما تقدم تفصيل بعض الآراء الأخرى المهمة عن العلاقة بين اللغة العربية والإسلام، وهي آراء الرافعي والشيخ محمد الغزالي ورأي الدكتور نهاد الموسى، ونحن

(1) - انظر : التحرير والتنوير 13/160.

(2) - انظر : مقدمة الأستاذ شاكر لكتاب «الظاهرة القرآنية» لمالك بن نبي، 31، 36 .

(3) - انظر : السابق 48.

بهذا نعتمد على مبدأ الانتقاء والتمثيل لا الحصر والاستيعاب لكل آراء القدماء والمحدثين الذين تحدثوا في هذه القضية.

رأي الرافعي:

يرى الرافعي أن أثر القرآن في الجنسية العربية يعد معجزة لغوية سياسية كبرى؛ لأنه دخل إليهم من باب ملكتهم اللغوية التي كانت مجمع فطرتهم، ولم تكن اللغة هي المقصودة، وإنما كان المقصود تكوين وحدة سياسية تكون قلب العالم، قال في فصل بعنوان (الجنسية العربية في القرآن): "ونحن فقد نعلم أن هذه المعجزة ليست إلى اللغة في مردها من الفائدة، فإنما هي ترمي إلى وحدة سياسية تكون كالنبض لقلب هذا العالم، كما سيأتيك، بيد أن سبيل ذلك من اللغة"(1). إذن ليس الشأن في تأثير القرآن في جنس العرب من طريق اللغة بألفاظها ومعانيها، وإنما الشأن في الفهم والتأثير، وبتباين الأفهام يتفاوت التأثير، وهذا التأثير وجه من وجوه الإعجاز اللغوي في القرآن، فهو قد سفه أحلامهم واشتد عليهم وقرع أنوفهم، ثم لم يمنعهم كل ذلك من أن ينقادوا ثم ينقادوا(2).

وطريقة صياغة الجنسية العربية بالقرآن وتأثيرها في الأمم الأخرى تحققت بأنه جمع العرب على صفة من الجنسية لا عصبية فيها إلا عصبية الروح، فألف بين مذاهب الفطرة اللغوية، ثم ألف القلوب، ولما فرغ من أمر العرب جعلهم سبيلاً إلى التأليف بين ألسنة الأمم الأخرى ومذاهب قلوبها. وجَمْع الأمة على لسان واحد من أرقى معاني السياسة "فإن الأمم إن لم تكن لها جامعة لسانية، لا يجمعها الدين ولا غير الدين

---

(1) – تاريخ آداب العرب : 2/82، 83.

(2) – انظر : السابق 2/ 84 – 85.

إلا جمع تفريق، وجمع التفريق هذا هو الذي يشبه الاجتماع في الأسواق على البياعات وعروض التجارة ونحوها"(1).

وفي رأي الرافعي أن حفظ القرآن للعربية معناه الحفظ بالعقل والشعور النفسي، وإذا ذهب عقل أصحابها بقي الشعور النفسي: "فالعربية قد وصلها القرآن بالعقل والشعور النفسي، حتى صارت جنسية، فلو جُنّ كل أهلها وسخَوْا بعقولهم على ما زينت لهم أنفسهم من الإلحاد والسياسة كجنون بعض فتياننا ... لحفظها الشعور النفسي وحده، وهو مادة العقل بل مادة الحياة؛ وقد يكون العقل في يد صاحبه يضن به ويسخو، ولكن ذلك النوع من الشعور في يد الله، وهذا من تأويل قوله سبحانه: "إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون"(2).

وقراءة القرآن بتدبر وتذوق لحروفه وكلماته وجمله استدراج للنبوة بين جنبي الإنسان، وهذا تفسير ما ورد في الأثر مِن أن: "من قرأ القرآن فقد استدرج النبوة بين جنبيه غير أنه لا يوحى إليه"(3). وبناء على هذا كان وجه إعجاز القرآن في تأسيس أخلاقه وفضائله وآدابه مبنياً على فهم لغته وكلماته ومعانيه وتأملها، ومتصلاً بها أوثق اتصال، وما فرط المسلمون في أخلاق القرآن وآدابه إلا منذ فرطوا في لغته وأصبحوا لا يفهمون كلمه ولا يدركون أسراره، وصاروا إلى عربية العجمة أفضل منها.

والفكرة المهمة التي يجليها الرافعي هنا هي أن غربة الدين تتبع غربة اللغة، وأن من الثابت أن من لم يحكم فهم القرآن فهماً صحيحاً، لا تتم له فضائل هذا الدين، سواء أكان هذا بين العرب أم غيرهم من الشعوب،

(1) – السابق: 2/ 87.
(2) – السابق: 2/91.
(3) – انظر : السابق 2/ 99.

حيث يكون الإسلام تهذيباً للأديان والعادات القديمة، وتتحول قراءة القرآن إلى ضرب من العبادة اللفظية ليس فيها ذوق ولا بصر، ولا يعود له من الأثرفي أنفس أهله ما كان له من قبل، ويصدق عليهم قوله تعالى:"بل قلوبهم في غمرة من هذا ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون"(1).

ومما قاله الرافعي في ذلك: " ومن يقرأ صدر التاريخ في الإسلام ويعتبر حوادثه ويتدبر آثار القرآن في قبائل العرب، ير أن شدة الإيمان كانت عند شدة الفصاحة، وأن خلوص الضمائر كان يتبع خلوص اللغة، وأن القائمين بهذا الدين والذين أفاضوه وصرفوا إليه جمهور العرب وقاتلوهم عليه وجمعوا ألفتهم وقوّموا أودهم، إنما كانوا أهل الفصاحة الخالصة من قريش إلى سرة البادية، وأن الفتن إنما استطارت في الجزيرة استطارة الحريق فيمن وراء هؤلاء إلى أطراف اليمن، فكانوا قوماً مدخولين منقوصين، وما كان ضعف اعتقادهم إلا في وزن الضعف من لغتهم. وقد أسلفنا في غير هذا الموضع أن غربة الدين ما تزال تتبع غربة العربية"(2).

رأي الشيخ الغزالي:

سبق ذكر رأي الشيخ الغزالي في العلاقة بين القومية واللغة العربية، ومما رآه في قضية علاقة اللغة العربية بالإسلام بشكل عام، أن العروبة وعاء الإسلام، والعربية لغة القرآن، وأن القرآن المترجم إلى لسان آخر إنما هو قرآن على المجاز، وتفسير أجنبي للوحي العربي ولما تيسر من معاني القرآن نفسه إلى اللغات الأخرى، " ومقتضى هذا أن العرب أدنى الناس إلى فقه الرسالة وإدراك مراميها، ولعل ذلك معنى الآية: "وكذلك أنزلناه

---

(1) – سورة المؤمنون:63، وانظر : تاريخ آداب العرب 2/ 104 – 106.

(2) – انظر : السابق 2/ 165.

حكماً عربياً"، سواء أكان الحكم بمعنى الحكمة أم بمعنى السلطة" (1). وقد استشهد الشيخ بكلام للأستاذ أحمد حسن الزيات بين فيه أن ثقافة الإسلام قامت على ركنين أساسيين: الدين بعلومه المختلفة، واللغة بفنونها المعروفة "وهذان الركنان يشد أحدهما الآخرويمسكه. فالإسلام بغير العربية يستعجم ويضمحل، والعربية من غير الإسلام تنكمش وتزول. ولا أعني بالعرب دماً مخصوصاً، بل أعني كل متحدث بالعربية منتسب لأمتها، معتنق لرسالتها أو مسالم لهذه الرسالة، غير مشاق لأهلها، ولا متولٍّ لأعدائها. فمن أعوزته هذه المواهب، ولو ولد في بطحاء مكة، فليس بأهل للعروبة. ومن استجمعها من الزنوج فهو عربي أصيل لا يعيبه لون ولا يؤخره جنس"(2). ومن آراء الشيخ المهمة أيضاً رأيه في أن قيادة المسلمين لا يصلح لها إلا العرب، وسنفصل هذه المسألة الشديدة الأهمية في موطن الحديث عن خصائص اللغة العربية من هذه الزاوية.

رأي الدكتور نهاد الموسى:

يرى الدكتور نهاد أن أصل موقف الإسلام من العربية تجسده سنة النبي - صلى الله عليه وسلم - إذ كان يراوح بين السعة والتشدد، فحين يكون الأمر متعلقاً بالدعوة والرغبة في تأليف القلوب ، يتوسع ويخاطب الوفود والقبائل المختلفة بلغاتهم ولهجاتهم وأوضاعهم الخاصة، وقد أثر عنه هذا، بل أثر عنه استعمال بعض المعرّب توسعاً وظرفاً كما في قوله لأصحابه: قوموا فقد صنع جابر سوراً (أي: طعاماً، وهي فارسية)، أما حين يتعلق الأمر باللحن ويراه نذيراً خطيراً يدل على تحول الألسنة، فإنه يعده ضلالاً ويدعو المسلمين إلى تداركه ، كما في قوله - وقد لحن

---

(1) – حقيقة القومية العربية: 20، 21 .

(2) – السابق: 21، 22.

رجل بحضرته -: "أرشدوا أخاكم فإنه قد ضل". ثم صار هذا هو الأصل في موقف الإسلام من اللغة العربية والتنوع اللغوي بصفة عامة: يسوغ التنوع والاختلاف ما دام فيهما تيسير على الناس ولا يضر تلقيهم للدعوة، أما إذا اشتد الخروج والانحراف عن العربية وأدى ذلك إلى التدابر والفتنة، أو تعلق الأمر بضرورة أداء البلاغ القرآني بنصه العربي، فإن التشبث بموقف لغوي حازم جامع هو الواجب، وقد كان هذا هو الشأن في التوسعة بقراءة القرآن على سبعة أحرف، لكن لما استفحل الخلاف في قراءته، رُدّ الناس إلى المصحف الأمام، وبناءً على هذا، كان ((اقتران الإسلام بالعربية يحمل في ذاته دليلاً على علاقة طليقة؛ إذ كانت العربية هي أيضاً لسان الجاهلية. وكأنه يرى اللغة في جانبها المطلق، ظاهرة محايدة. أما حين تحمل (بلاغاً) معيناً ببلاغة متميزة فإنها تقترن اقتراناً خاصاً وتكتسي قيمة خصوصية من تلك الجهة. ولعل التجربة الإسلامية قديماً أن تكون موازية لتجارب عقائد مغايرة أخرى في الأزمنة الحديثة. وهو توافق يؤيد الطبيعة النهائية المجردة في علاقة اللغة بالعقائد الكلية. ففي الفترة الأولى من عهد الماركسية في روسيا وسّعت على اللغات القومية تعليمها وأباحت ذلك، شأن التوسعة على الناس في القراءة بلهجاتهم، في الإسلام في عهد النبي (صلى الله عليه وسلم). ثم مالت إلى التضييق والمركزية واتجهت إلى تأسيس الرابطة اللغوية الجامعة بالسعي لنشر اللغة الروسية وتحديد مجالات اللغة القومية، شأن العودة بالناس إلى المصحف الإمام وجعْلِ لغة قريش فيه فيصلاً عند الاختلاف، عهدَ عثمان))(1).

ويختم الدكتور نهاد رأيه بأن هذا المسلك الجامع بين التشدد والمرونة، يبدو أنه هو الذي تبنته دعوة الإخوان المسلين في العصر الحديث ؛

(1) – قضية التحول إلى الفصحى في العالم العربي الحديث، للدكتور نهاد الموسى: 158.

فالوصية الثالثة من وصايا حسن البنا العشر هي "اجتهد أن تتكلم العربية الفصحى فإن ذلك من شعائر الإسلام"، وقد جعلت الدعوة من شروط العضو الكامل الالتزام بالتحدث بها، إذا كان قادراً على ذلك. وقد ظل أمر التحدث بالعربية الفصحى وفقاً لهذا الشرط مفتوحاً يجري على الإسماح والمياسرة ووقائع الدعوة وتطبيقاتها تشهدان بهذا ؛ فقد أخذ حسن البنا نفسه في هذا الوجه مأخذاً مرناً واسعاً، فكان يمزج في خطبه وأحاديثه بين الفصحى والعامية مراعاة لحال المستمعين وجذباً لهم(1).

رابعاً- خصائص اللغة العربية في الإسلام (الخصائص الإسلامية للغة العربية):

اللغة العربية عندما ارتبطت بالإسلام ثم انتشرت بالفتوح الإسلامية صارت لغة عالمية، وأصبحت لها مجموعة من الخصائص تميزها عن غيرها، فهي تتسم بما يأتي:

1 - **أنها من شعائر الإسلام** التي يجب الحفاظ عليها، وهذا مبني على كونها لغة القرآن، ولغة السنة، ولغة العبادة. فهذا هو الأساس والخصيصة التي هي أم الخصائص كلها، وما سواها يتفرع منها، إذ ترتب على ذلك أمور كثيرة أهمها أنها صارت اللغة الأصلية لهذا الدين ولغة علومه وصارت لغة معظّمة. وكل ذلك أدى إلى جعلها من شعائر الدين الإسلامي التي يجب الحفاظ عليها. ودليل ذلك من الناحية الدينية ما ذكره ابن تيمية من أن تعليم العربية وتعلمها فرض على الكفاية، وأننا مأمورون أمر إيجاب أو استحباب بحفظ القانون العربي في استعمال الكلام لحفظ طريقة فهم الكتاب والسنة(2)، قال: ((وما زال السلف

(1) – انظر: السابق 156 .

(2) – انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية (كتاب النكاح – باب العِشرة): 32/252 .

يكرهون تغيير شعائر العرب حتى في المعاملات، وهو التكلم بغير العربية إلا لحاجة، كما نص على ذلك مالك والشافعي وأحمد، بل قال مالك: من تكلم في مسجدنا بغير العربية أُخرِجَ منه، مع أن سائر الألسن يجوز النطق بها لأصحابها، ولكن سوغوها للحاجة وكرهوها لغير الحاجة، ولحفظ شعائر الإسلام؛ فإن الله أنزل كتابه باللسان العربي وبعث به نبيه العربي، وجعل الأمة العربية خير الأمم، فصار حفظ شعارهم من تمام حفظ الإسلام... والذين يبدلون اللسان العربي ويفسدونه لهم من هذا الذم والعقاب بقدر ما يفتحونه؛ فإن صلاح العقل واللسان مما يؤمر به الإنسان، ويعين ذلك على تمام الإيمان، وضد ذلك يوجب الشقاق والضلال والخسران))(1).

ويرى الشيخ الغزالي أن الغض من قيمة العربية والتهاون فيها معصية لله وإيهان لعرى الإسلام وغش للأمة(2).

2 -**أنها من أعرق اللغات الحية الباقية**، فعمرها يزيد عن ألف وخمسمائة عام، وستبقى وتظل.

3 - **أنها لغة قيادة:**

يرى الشيخ الغزالي أن قيادة المسلمين لا يصلح لها إلا العرب؛ لأن فقه الوحي والسنة والأمانة على الدعوة لا يتمان إلا بالعربية، يقول الشيخ: "وقيادة المسلمين لا يصلح لها إلا العرب وما ينبغي أن ينازعهم عليها أحد. فإن الإسلام يقوم على دعامتين جليلتين؛ هما الكتاب والسنة المطهرة. والكتاب الكريم - كما رأينا – نزل بلغة العرب، والرسول عربي الحياة

(1) – السابق: 32/255 . من اللافت للانتباه هنا أن نشير إلى أن ابن تيمية ذكر هذا في سياق الحديث عن حكم المقامرة والرهان باللسان في كتابة الزجل للتغزل بالمردان، فكانت الفتوى عامة، بأن إفساد اللغة - بأي صورة – إفساد للعقل والدين!

(2) – انظر: حقيقة القومية العربية: 128 .

والتراث. وما يفقه حقيقة الوحي ومنهج الرسالة إلا خبير بأدب العروبة راسخ في بيانها، ذواقة لطبيعة البلاغة العربية، بصير بدلالات الكلام القريبة والبعيدة، وبمعانيه الأصلية والثانوية. يستطيع كل امرئ أن يكون مسلماً عادياً، ولكن لا يستطيع أن يكون فقيهاً في الإسلام أو أميناً على دعوته أو موجهاً لسياسته إلا امرؤ عربي".

والعروبة هنا ليس المقصود بها الجنس، بل يقصد بها عروبة اللسان كما تؤكد الأحاديث النبوية "لا نعني النسب القريب أو البعيد ولا الدم النقي أو المختلط؛ بل نعني العرب جميعاً سواء فيهم الصريح الأصل أم المستعرب الذي كان ينتمي إلى أي جنس آخرفي أي قارة من قارات الدنيا. فما دام قد انسلخ من جلدته الأولى، ودخل في هذه الأمة الجديدة مذيباً نفسه في كيانها، مندمجاً بأفكاره ومشاعره فيها، فقد أصبح منها دون نكير"(1).

وعروبة اللغة من أسباب المطالبة بهذه القيادة: "إن مطالبتنا بحق العروبة في قيادة العالم الإسلامي كله، وبحقها في إرشاد الجنس البشري أجمع يعود إلى تلك المواريث المقدسة التي آلت إلينا، فخلدْنا بها، وسمت بسموها مكانتنا. والإخوة الإسلامية التي تجمع بين مختلف الأجناس الداخلة في الإسلام لا تخدش هذا المبدأ؛ فإن للقيادة في أي ميدان خواص لا بد أن تتوفرلذويها. وقيادة المسلمين من خواصها الأولى، عروبة الشعور والتفكيروالغة والآراء"(2).

والشواهد تؤكد فشل قيادة غير العرب للإسلام والمسلمين، ومنها حكم الأتراك الذين كانت قيادتهم – مع الأسف كما يقول الشيخ – وبالاً

(1) – السابق: 25، 26 .
(2) – السابق: 27 .

على الإسلام والمسلمين، وسبب بلبلة علمية وسياسية لا تزال الأمة تتعثر إلى اليوم في عقابيلها، هذا مع أن للترك مواقف أحسنوا بها إلى أنفسهم ودينهم، ولا يرجع عجز هؤلاء الأعاجم عن القيادة الصحيحة إلى دَخَل في إيمانهم وحبهم للإسلام، فإن ولاءهم له مكين وظاهر، وإنما يرجع إلى افتقاد الفهم الحصيف والبصر النفاذ اللذين لا تغني عنهما العاطفة الحارة(1).

وليس معنى الدعوة إلى نشر الإسلام واللغة العربية قديماً وحديثاً أن يستعرب الخلق جميعاً وتذوب الأجناس كلها، فهذا ضد الفطرة، وضد بقاء اختلاف الأجناس واللغات آية كونية كما بين القرآن - وكما نقلنا عن الشيخ من قبل عند الحديث عن "القومية" - وإنما معنى هذا فقط فرض اللغة العربية لغة عالمية للتفاهم الإنساني بشكل عام، ويستطيع كل واحد بعد هذا في أي مكان أن يتكلم بلغته(2).

4 - لغة تواصل وانتشار وحضارة وتراث:

التوزيع الجغرافي للغة العربية والحرف العربي في لغات البلاد الإسلامية التي تكتب به، يثبت قوة انتشار اللغة العربية وحضورها في أقطار شاسعة عربية وإسلامية في ماضي الأمة الإسلامية العربية وحاضرها، وإن لم يبق الحال على ما كان عليه. وقد كان التحدث بغير العربية في العصر الأموي سمة انتماء إلى الطبقات الدنيا والوسطى التي كانت ما تزال ترتبط إن قليلاً أو كثيراً باللغات الأصلية التي سادت في الأقاليم قبل الفتح(3). وحين انتشرت اللغة العربية إبّان الفتح الإسلامي، أصبحت خلال قرنين

---

(1) – انظر: السابق 31، 32 .

(2) – انظر: السابق 108، 109 .

(3) – انظر: اللغة العربية عبر القرون، للدكتور محمود فهمي حجازي 48 .

من الزمان لغة عالمية، تنتظم جهات من بلاد فارس والعراق، ومعظم آسيا الصغرى، كما تشمل مصروشمال أفريقيا، وسادت في بلاد الأندلس عدة قرون. وقد اصطدمت بعد الفتح باللغات التي كانت سائدة في البلاد المفتوحة، ونتج عن ذلك أن قضت عليها؛ فقد قضت بعد صراع طويل على الإغريقية العالمية في كل بلاد الشام والعراق، كما قضت على لغة عالمية أخرى كانت سائدة على ألسن الناس في العراق والشام أيضاً، وفي جهات من مصر، وهي اللغة الآرامية. وكذلك تقهقرت اللغة الرومانية أو اللاتينية التي لم يكن لها قدم ثابتة في الشام ومصر، وقضت العربية أيضاً على القبطية في مصر، والبربرية في شمال أفريقيا وجعلتها منعزلة في بعض مناطق الصحراء، أما الفارسية فقد بقيت ولم تقض العربية عليها، وإن كانت (أي العربية) أثرت فيها كثيراً(1). وبناءً على ذلك وجدنا أعلاماً في الأدب واللغة وفروع العلوم المختلفة كان كثير منهم من المستعربين، أمثال: سيبويه والزنجاني والشيرازي والزمخشري والبخاري والأفغاني، والأذربيجاني والفيروزآبادي والبغدادي والصفدي والقلقشندي والجبرتي، والصقلي والقيرواني والمراكشي والصنهاجي والقرطبي، وغيرهم كثيرون لو عينتَ مواقع بلادهم على الخريطة لاستغرقت جانباً كبيراً. فكل هؤلاء وغيرهم انصهروا مع العرب الخُلّص في وحدة ثقافية وفكرية عالمية واحدة فريدة، عمادها اللغة والدين، ولم يؤثّر فيها تنازع السلطات واختلاف وجوه الإمرة والسياسة(2).

---

(1) – انظر: اللغة بين القومية والعالمية 276 – 278. وقد كان أبناء اللغات الإيرانية في القرنين الثاني والثالث الهجريين يتعاملون بها بوصفها لغات محلية ويؤلفون باللغة العربية كل مؤلفاتهم، وبدأت اللغة الفارسية تنافس العربية في منتصف القرن الرابع حتى انتهى الأمر فيما بعد إلى أصبحت الفارسية هي اللغة الرسمية على جميع المستويات، وانحصرت العربية في المجال الديني فقط. انظر: اللغة العربية عبر القرون، للدكتور محمود فهمي حجازي 57.

(2) – انظر: حقيقة القومية العربية 124، 125.

وسعة انتشار اللغة العربية له ثلاثة مظاهر: الأول: اتخاذها لغة للدين والحياة والتعامل، كما هو الحال في البلاد العربية من المحيط إلى الخليج، والثاني: اتخاذها لغة للثقافة الدينية، كما هو الشأن في الدول الإسلامية في جنوب شرقي آسيا وفي وسط أفريقيا وشرقيها وغربيها وتركيا وغيرها، والثالث: استخدام الحرف العربي في لغات بعض الدول الإسلامية كاللغة الفارسية ولغة الملايو.

5 – أنها وهي في أوج نهضتها قد رحبت بكثير من الألفاظ التي اقترضتها من اللغات الأخرى1.

خاتمة وخلاصة

من أهم ما نستنتجه من التفصيل السابق ما يأتي:

1.من أسباب اعتبار اللغة العربية لغة جامعة كون نظامها يعتمد على الإعراب، ويجمع بين التصرّف والإلصاق والعزل وإن غلب عليه التصرف، وقد جعل كلُّ أولئك نظامَ العربية متنوعاً وسطاً يجمع بين النوعين الأساسين من اللغات، وهما: اللغات التأليفية أو التركيبية، واللغات العازلة أو التحليلية. وفي هذا يجب التمييز بين أمرين منهجيين: الخطاب الذي يتناول اللغة من الخارج ويراعي اعتبارات التداول قوة وضعفاً، والخطاب الذي يتناولها من الداخل وتستوي فيه اللغات في قيمها التعبيرية.

---

(1) – انظر: اللغة بين القومية والعالمية 279، 280.

2.اللغة العربية تتداخل مع الدين وتلتحم به، من أي وجه من الوجوه نظرنا وأيّ طريق سلكنا: من وجه "الدين" الصرف، ووجه "الثقافة"، وأخيراً وجه "القومية".

3.العربية لغة العرب والعالم العربي، ولغة الدين الإسلامي أينما وجد، ولغة رسمية دولية معترف بها في الأمم المتحدة، وهي تحتل المرتبة الرابعة أو الخامسة عالمياً بالنسبة لعدد من يتكلمون بها. ومواطن اللغة العربية تتنوع عبر مساحات مختلفة من العالم بأشكال متعددة، أدناها أداء الشعائر بها وكونها لغة الثقافة الدينية لدى المسلمين في غير العالم العربي (كما في إيران وباكستان وماليزيا وإندونيسيا)، ويضاف إلى ذلك كتابة بعض لغات الدول الإسلامية بحرفها.

4.من أهم آراء المحدثين في علاقة العربية بالإسلام: رأي الرافعي ورأي الشيخ محمد الغزالي، ورأي الدكتور إبراهيم أنيس والدكتور عبد السلام المسدّي ورأي الدكتور نهاد الموسى. وهذه الآراء لا تتعارض غالباً وإنما هي تتكامل، ويضيء كل واحد منها جوانب معينة. وأهم ما في رأي الرافعي قوله إن أثر القرآن في الجنسية العربية يعد معجزة لغوية سياسية كبرى، ولم تكن اللغة هي المقصودة، وإنما كان المقصود تكوين وحدة سياسية تكون قلب العالم، وكذلك إشارته إلى أن غُربة الدين تتبع غربة اللغة. ومن أهم ما ورد في رأي الشيخ الغزالي أن اعتبار اللغة العربية لغة الإسلام، لا يعني أكثر من فرضها لغة عالمية للتفاهم الإنساني كله، وليس معناه محو اللغات الأخرى، وفتْح باب الاستعراب للأجناس كلها لا يعني أكثر من تجديد دماء الأمة العربية على مر الزمان، وليس معناه إزالة الأجناس الأخرى؛ لأن هذا ضد الفطرة التي جاء الإسلام لتأكيدها وإثباتها.

5.اللغة العربية عندما نزل بها القرآن وصارت لغة الإسلام، أصبحت لغة عالمية، وصار لها مجموعة من الخصائص أهمها: أنها من شعائر الإسلام التي يجب الحفاظ عليها، وأنها من أعرق اللغات، وأنها لغة قيادة، ولغة تواصل وانتشاروحضارة وتراث.

المراجع

أولاً – الكتب:

- أبحاث مختارة في القومية العربية ، أبو خلدون ساطع الحصري : دار القدس - بيروت- 1974 .

- اجتهادات لغوية، للدكتور تمام حسان : عالم الكتب - القاهرة - ط-1 2007م.

- أساسيات اللغة، تأليف ر. ل. تراسك، ترجمة رانيا يوسف : المجلس الأعلى للثقافة _ المشروع القومي للترجمة – الكتاب 381 – القاهرة – ط1 – 2002م.

- أسس علم اللغة، لماريو باي، ترجمة د. أحمد مختار عمر : عالم الكتب – القاهرة – ط8 – 1998م.

- أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ، للدكتور نايف خرما : سلسة عالم المعرفة بالكويت – ط2 - 1979 م.

- الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده، تحقيق الدكتور محمد عمارة : المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت - ط2 - 1979م.

- إنقاذ اللغة إنقاذ الهوية، للدكتور أحمد درويش: نهضة مصر للطباعة-ط1–2006.

- تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي: دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان - 1974م .

- التعدد اللغوي، انعكاساته على النسيج الاجتماعي، لمحمد الأوراغي: المملكة المغربية - جامعة محمد الخامس - منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط – سلسلة بحوث ودراسات رقم 36 – ط1 - 2002.

- التعريب وتنسيقه في الوطن العربي، للدكتور محمد المنجي الصيادي: مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت - ط 3 - 1984.

- التعريب ودوره في تدعيم الوجود العربي والوحدة العربية، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية : بيروت – 1982م.

- تفسير البحر المحيط، لأبي حيان، شارك في تحقيقه د. زكريا النوتي وآخرون: دار الكتب العلمية – بيروت – ط1 – 1993.

- تفسير التحرير والتنوير، للشيخ محمد الطاهر بن عاشور: الدار التونسية للنشر – تونس – 1984.

- التفسير الكبير، للإمام الفخر الرازي: دار إحياء التراث العربي – بيروت – ط3.

- الظاهرة القرآنية ، لمالك بن نبي، ترجمة عبد الصبور شاهين : إصدار ندوة مالك بن نبي - دار الفكر - دمشق - 1985 .

- العربية والإعراب، للدكتور عبد السلام المسدّي: مركز النشر الجامعي–تونس–2003.

- العروبة أولاً، ساطع الحصري: سلسلة التراث القومي - الأعمال القومية لساطع الحصري - مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت -

لبنان - ط2 - 1985 .

- عن العروبة والإسلام، للدكتور عصمت سيف الدولة: مركزدراسات الوحدة العربية - سلسلة الثقافة القومية(2) - بيروت - ط1 - 1986 م .

- قضايا معاصرة في الدراسات اللغوية والأدبية، للدكتور محمد عيد: عالم الكتب – القاهرة ت ط1 – 1989.

- قضية التحول إلى الفصحى في العالم العربي الحديث، للدكتور نهاد الموسى : دارالفكر - عمان - ط 1 - 1987 م.

- لتحيا اللغة العربية يسقط سيبويه، لشريف الشوباشي: مكتبة مدبولي الصغير - القاهرة - 2004.

- اللغة بين القومية والعالمية، للدكتور إبراهيم أنيس : دار المعارف بمصر . د . ت.

- اللغة العربية ، إضاءات عصرية ، للدكتور حسام الخطيب: الهيئة المصرية العامة للكتاب – 1995.

- اللغة العربية، تاريخها ومستوياتها وتأثيرها، لكيس فريستيغ، ترجمة محمد الشرقاوي : المجلس الأعلى للثقافة - القاهرة – 2003م.

- اللغة العربية عبر القرون ، للدكتور محمود فهمي حجازي: دار الثقافة للطباعة والنشر- القاهرة - 1978م .

- المتنبي، (منشور مع رسالة في الطريق إلى ثقافتنا) ، لمحمود محمد شاكر : مطبعة المدني ومكتبة الخانجي – القاهرة - 1987م.

- مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي وابنه: تصوير الطبعة الأولى – 1398 هـ.

- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي تحقيق الرحالة الفاروق وآخرين: مطبوعات وزارة الأوقاف - قطر - ط2 – 2007.

- مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، لمالك بن نبي: دار الفكر- دمشق-ط7– 2006.

- معجم بلدان العالم، لمحمد عتريس: الدار الثقافية للنشر- القاهرة – ط1 – 2002.

- معجم المصطلحات اللغوية (إنجليزي – عربي)، تأليف الدكتور رمزي البعلبكي : دار العلم للملايين – ط1 – 1990.

- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لمحمد فؤاد عبد الباقي.

- من قضايا اللغة العربية المعاصرة ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم : جامعة الدول العربية - تونس – 1990م .

ثانياً – الدوريات:

مدخل إلى دراسة التطور النحوي في العربية المعاصرة، للدكتور عبد السلام حامد: مجلة كلية دار العلوم، جامعة القاهرة – يوليو 2011.

اللغة الفصحى وقريباتها : تعايش سلمي واحترام متبادل

أ/ يمينة مصطفاي
- جامعة البويرة.

اللغـــة:

إن اللغة تكتسب ولا يولد الإنسان بها، يدفعه إلى هذا الاكتساب عادة شعوره بالانتماء إلى مجموعته البشرية، نفسيا واجتماعيا وحضاريا، ورغبته في التعايش وتبادل المنافع والمصالح بينه وبين أفراد هذه المجموعة1، حتى إن هيجل قد قال: "إن اللغة هي منزل الكائن البشري"، فهي مستودع أفكاره وعواطفه وأحلامه وطموحاته، ووجوده فى هذه الحياة.

الفصحى واللغات الأخرى:

إن لكل أمة لغة خاصة بها، يقول تعالى في سورة إبراهيم: "وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم". (الآية 4)

يقول ابن كثير: "هذا من لطفه تعالى بخلقه أن يرسل إليهم رسلا منهم بلغاتهم، ليفهموا عنه ما يريدون، وما أرسلوا به إليهم، كما روى الإمام أحمد: حدثنا وكيع عن عمران بن ذرقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ""لم يبعث الله عزوجل نبيا إلا بلغة قومه".2

1

2الحافظ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار الأندلس، لبنان، 1984، ط6 (طبعة جديدة مصححة)، ج4، ص108.

فاللغة هي لغة الحياة، هي مناط هويتنا وقوام ذاتيتنا.

وبذلك فإن اختلاف اللغات (الألسن) أمر طبيعي في الحياة ، وسنة من سنن الله في الكون، يقول تعالى في سورة الروم: "ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين" (الآية 22)،

يقول ابن كثير في تفسيره: "واختلاف ألسنتكم" يعني اللغات، فهؤلاء بلغة العرب، وهؤلاء تتر لهم لغة أخرى، وهؤلاء كرج، وهؤلاء روم، وهؤلاء فرنج، وهؤلاء بربر، وهؤلاء تكرور، وهؤلاء حبشة، وهؤلاء هنود، وهؤلاء عجم، وهؤلاء خزر، وهؤلاء صقالبة، وهؤلاء أرمن، وهؤلاء أكراد ،إلى غير ذلك مما لا يعلمه إلا الله تعالى من اختلاف لغات بني آدم واختلاف ألوانهم..."[1]

الفصحى والعاميات:

إن اللهجات (العامية) ظاهرة طبيعية في اللغة العربية وفي كل اللغات العالمية، حيث إن المجتمع العربي عاش دائما بنظامين لغويين "نظام الثقافة والعلم والأدب قوامه العربية الفصيحة، ونظام التخاطب اليومي قوامه تلك اللهجات الدارجة التي تجرد من الخاصة الرئيسية للفصحى وهي الإعراب، وعدت عليها عوادي الاختصار في الأشكال والتحريف في كثير من صيغها، وتسربت إليها من مختلف الجهات عناصر دخيلة وعامية، وظلت الحال على هذا المنوال طول العصور، جماهير تنشأ على العامية في حياتها، وتمتلك ناصيتها بطريقة طبيعية لا تحتاج بعد الطفولة إلى تدريب أو تعليم، ومثقفون يشاركون الجماهير عاميتهم

1 الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار الكتاب الحديث، ج3، ص1595.

في لسان التخاطب، ولكنتهم في المجال الثقافي يحصلون الفصحى تحصيلا ويحفظون قواعدها حفظا، ويمرون بمراحل طويلة من التدريب(...) وتختلف حظوظهم في القدرة على استعمالها تبعا لعوامل النشأة والاستعداد الشخصي، والمجال الثقافي الذي يتحركون فيه1.

يقول الدكتور عمار ساسي: "والحقيقة أن الثنائية اللغوية ليست في الأصل مشكلة إنما هي ظاهرة لغوية تتطلب إعمال الرأي والعقل في علاجها بما يناسب ويلائم، لأن المشكلة كمصطلح لا تطلق إلا على أمر لما يتوصل إلى حله"، لذا أنطلق من كونها ظاهرة عامة في كل اللغات تتطلب تقنيات إجرائية مضبوطة وأسلوب عمل محكم بميزان معتدل ورأي حصيف.2.

ويجب الوعي بأن اللغة العربية في تنوعاتها ومستوياتها الفصيحة والوسيطة والدارجة، هي كل يمثل الهوية اللغوية للمواطن (العربي)، فالعامية واقع معيش وحال مفروض لا يمكن التخلص منه أبدا.

والمطلوب: كيف معالجته إذا تجاوز حدود التعامل به وزاحم الفصحى؟

في إطار هذا الوضع لدينا : لغات أجنبية قد تزاحم اللغة الفصحى. ولدينا لهجات وعاميات محلية قد تزاحم الفصحى كذلك.

بل إنها قد زاحمتها ويعمل أعداء اللغة على العمل على إزاحتها، ويعينهم على هذا ثلة من أبناء اللغة عن قصد وسوء نية أو عن جهل وقلة وعي وإدراك، والنتيجة للأسف سيان...

---

1 المجلة العربية للدراسات اللغوية، ع1، المجلد 5- 1986، معهد الخرطوم الدولي للغة العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، محمد حلمي هليل، ملاحظات حول الازدواج اللغوي في العربية كتاب الأستاذ الراحل محمد خلف عبد الله أحمد ص98.

2عمار ساسي، اللسان العربي وقضايا العصر، رؤية علمية في: الفهم، المنهج، الخصائص، التعليم، التحليل، دار المعارف، البليدة، 2001، ص80.

وفي دراسة هذا الوضع اختلف الباحثون في زوايا النظر وفي الغايات والأهداف.

ولما كان الباحثون على اختلاف في التسمية والاصطلاح لهذا الوضع ، إذ منهم من يعبر عنها بالازدواجية اللغوية ويقصد بها العلاقة عن الطبيعية بين اللغة العربية الفصحى ولهجاتها العامية المختلفة في المجتمع العربي المعاصر1.

ومنهم من يعبر عنها بالثنائية اللغوية العربية، ولعله يقصد الدلالة السابق نفسها التي في الازدواجية، ومنهم من قلب الأمر عكسا فجعل الثنائية بين لغة ولغة والازدواجية بين لغة ولهجة2.

اللغة العربية والتعدد اللغوي قبيل الإسلام وبعده:

أدرك العربي قبل الإسلام أنه لا يملك مقوّمات بناء حضارة مادّية مزدهرة كما هو الحال عند الأمم الأخرى، تخلّد وتشهد ببقائهم. لكنه في نفس الوقت اكتشف بفطرته أنّ "اللغة" هي الوسيلة الوحيدة (المتاحة له في ذلك الوقت) لإبقاء ذكره وتخليد مآثره. فكانت اللّغة بالنسبة له محور حياته سلما وحربا.ولولاها لما كان له ذكر أو أثر إلى يومنا هذا.

وقد كانت أسواق النقد العربي القديم تبرز لنا الكثير من جهودهم لوضع قواعد وقوانين في ضبط وحفظ اللّغة والذود عنها.بل إن اللغة العربية في أواخر العصر الجاهلي ارتقت رقيًا كبيرًا وتطوّرت جميع لهجاتها التي تتكلم بها القبائل المختلفة ونشأت لهجة أدبية راقية تأخذ من هذه

1جعفر دك الباب، نحو نظرة جديدة إلى فقه اللغة، دار الأهالي ، دمشق، 1989، ط1، ص20.

2عمار ساسي، اللسان العربي وقضايا العصر، رؤية علمية في: الفهم، المنهج، الخصائص، التعليم، التحليل، ص95.

اللهجات جميعًا.>>1 وكأنّها توحّدت في لغة واحدة هي لغة القرآن الكريم، اللّسان العربي المبين.

وبمجيء الإسلام، زاد اللّه من تكريم هذه اللّغة بأن اختارها لتكون لغة كتاب الرسالة الخاتمة، نظرا لما تملك هذه اللّغة من خصوصيات لغوية تجعلها أقدر على حمل هذه الرسالة وحفظها للناس كافّة، << وقد كان نزول القرآن بالعربية حدثًا هزّ أركان الأرض وأعطى للعرب من السيادة والسبق ما لم يعطه شعبًا من الشعوب، ولا أمّة من الأمم، حتى صارت الأمم الداخلة في دين الإسلام تتسابق إلى تعلّم العربية، فهي لسان القرآن، ولغة حضارة وتاريخ، ووسيلة فصاحة وبيان ورقي اجتماعي"2، يقول الدكتور حسين نصار: "فاستمرّت عناية العرب بلغتهم بعد ظهور الإسلام، وقيام دولتهم المترامية الأطراف، بل زادت هذه العناية عندما شعروا بتفوّقهم على الأمم الأجنبية نتيجة غلبة الجيوش الإسلامية فعنوا بجميع مظاهر هذا التفوّق كل عناية، وميّزوا كل ما يتصل بهم عما يتصل بهذه الأمم."3

فاللّغة في عصر صدر الإسلام تكاد تكون امتدادًا طبيعيا من حيث حبها والتآلف معها والسعي والحرص على صونها وصيانتها وحفظها من الشوائب، كما كان الحال في العصر الجاهلي.

وقد كان القرآن الكريم نفسه الدليل على هذا التفوّق اللّغوي، فهو معجزة الرسول صلى الله عليه وسلّم، التي تحدّى بها العرب ميدان فخرهم واعتزازهم وتفاخرهم.

1حسين نصار، المعجم العربي نشأته وتطوّره، مكتبة مصر، 1988. ط 4،ج1 ، صفحة 13.

2 عزّة حسين غراب، المعاجم العربية، رحلة في الجذور، التطوّر الهوية، مكتبة نانسي دمياط ،مصر، 2005، د ط ، ص 07.

3حسين نصار، المعجم العربي،ج1 ، ص 14.

وفي العصر الأموي مع ما تميّز به هذا العصر من حب وتفاخر وتعصّب للجنس واللّغة والوجود والكيان العربي، لا نفرّق بين اللّغة في هذا العصر وبينها في العصر الجاهلي سوى أن أحب الجاهليون لغتهم فحرصوا عليها، أما بني أميّة فأجبروا المجتمع على حبّ اللّغة والتعصّب البدوي منها على حساب الحضري كما هو حالهم في التعصّب لكل ما هو عربي خالص.1

أما في العصر العباسي فقد" أصبحت اللّغة العربية نظرًا للتطوّر الذي أصاب المجتمع بحاجة إلى تطوير وتهذيب وتوسيع، وضبط ،خصوصا بعد أن استقرّ العرب في الأقطار التي افتتحوها ،وخالطوا الأعاجم واحتكوا بهم(...) وكانت اللّغة في هذا الوقت شائعة في البلاد الفارسية وظلّت تنتشر وتمتد، فكان من أثر ذلك أن تأثرت بالمفردات والتراكيب الأعجمية"2

فكانت بذلك اللّغة العربية هي الضحية الأولى لذلك الانفتاح العقلي الاجتماعي اللانهائي، فالعجم امتلأت بهم الدواوين، والبيوت والشوارع(...) وهم أصحاب بناء لغوي تحتي – أي لسان عربي- مخالف للعربية فوجدنا ما أطلق عليه د/ حسين نصار بـ<<لغة الواسطة>> فقد شاعت وانتشرت، وهي محاولة التبسيط في اللّغة صوتا ونحوًا وصرفا حتى يتم التفاهم بين العنصر العربي والعنصر العجمي، ولكن هيهات أن تغفل عين المخلصين للدين واللّغة عن هذا.3

"فكان نشاط علماء المسلمين في ذلك يسترعي الأنظار، وليس هناك من نشاط يشبهه إلاّ نشاط العرب في فتح البلدان، فقد نظم العلماء أنفسهم كفرق الجيش، كل فرقة تغزو الجهل والفوضى في ناحيتها حتى تخضعها

1 عزّة حسين غراب، المعاجم العربية ، ص 42.
2مصطفى صادق الرافعي، حضارة العرب، دار الكتاب اللبناني، لبنان 1981، ط 3، ص، 285.
3 عزّة حسين غراب، المعاجم العربية ، ص 43.

لنظامها، ففرقة للغة، وأخرى للحديث، وفرقة للنحووأخرى للكلام، وهم يتسابقون في الغزو والانتصار وتدوين العلوم وتنظيمها تسابق قبائل العرب في الفتوح والغزوات".1

وقد كان رجال الدولة من خلفائها وأمرائها وقاداتها وأشراف الناس وعامتهم يحرصون على تنشئة أبنائهم على سلامة اللغة وفصاحة الألسن، لاسيما أبناء الخلفاء منهم، وقد اعتادوا هذا الأمر منذ العصر الجاهلي إلى عهد النبي صلى الله عليه وسلم إلى العصر العباسي.

"ولم يكن كل الناس قادرين على إيفاد أبنائهم إلى البادية، فظهرت فئة من المربين الفصحاء يتولون تنشئتهم"2

هذا عرض موجز عن اللغة العربية في العصر الجاهلي، والإسلامي والأموي والعباسي حيث انهارت الدول ولم تنهرهذه اللغة الكريمة، بفضل القرآن الذي هووعاؤها وحافظها بأمر من الله في كتابه الكريم، حيث قال: << إنّا نحن نزّلنا الذكروإنّا له لحافظون>> (الحجر، الآية 09). ففي حفظ القرآن حفظ بالضرورة للغة العربيّة. حيث بقيت وظلت اللغة العربية كما كانت دائما منذ العصر الجاهلي هاجسا وحلما وحقيقة تلوح بفكر وعقل ووجدان العربي أينما حل وارتحل، مهما بلغ من مناصب السلطة والجاه والمال، وكأن اللغة بالنسبة له هي التاج الذي يتربع على العرش كل ما سبق.

التعددية اللغوية في القرآن الكريم: يقول الدكتور عمارساسي في هذا: هي "سمة من سمات العدل والعقل والشرع ،ومعنى هذا أن عالمية القرآن

---

1 أحمد أمين، ضحى الإسلام، ط القاهرة، 1988 ،ج2، ص 13.

2 عزّة حسين غراب، المعاجم العربية ، ص 41.

[الكريم] توجب أن يطوف لسان القرآن الكريم بكل الألسن البشرية، فما نقص من اللسان العربي يكمل باللسان الأعجمي، لأن المجتمعات ليست صورا طبق الأصل لبعضها البعض، فما هو موجود من المعاني عند العرب غير موجود عند الفرس وغير موجود عند الروم وهكذا... فيضطر إلى تكميل اللسان بالأخذ من الفرس والروم لعالمية الرسالة ولإعجازيته وواقعيته فضلا عن أشياء أخرى1.

التعددية اللغوية قديما : اللغة العربية واللغات الأخرى:

عرف العرب تعددا لغويا كبيرا [العربية، السريانية، اليونانية، الفارسية، العبرية] تحتضنها ديانات مختلفة (الإسلام، المسيحية، اليهودية) على مستوى عال من الحياة، هو المستوى العلمي المعقد والصعب، ومع ذلك لم تجرؤ أي من تلك اللغات أن تتجاوز حدودها على لسان أهلها أو العرب أنفسهم، وعرف الكل قيمة هذه اللغة وقدرها، وقدرتها على حمل العلوم والمعارف بأنواعها: طب، فلك، جبر، هندسة، كيمياء، فلسفة ومنطق، وغيرها من العلوم التي عرفت في الكون ذلك العهد.

لم يبرر العلم العربي تاريخيا بشكل متميزومبدع ابتداء من القرن الثاني الهجري، إلا عندما شرع العلماء العرب والمسلمون، بدعم من السلطة، في نقل مختلف المعارف والعلوم المكتوبة باليونانية واللاتينية والفارسية والهندية والسريانية على الخصوص، إضافة إلى تملك الموروث الثقافي الضخم لهذه الحضارات، وكذلك الثقافات القديمة من فينيقية وبابلية ومصرية قديمة...إلخ، وتدرج العلم العربي من الترجمة والتقليد في الطب والفلك والزراعة والحساب... الخ، إلى الإنتاج المبدع، وقد مثلت اللغة

1عمارساسي، اللسان العربي وقضايا العصر، ص114،115.

العربية وعاء تلاقح هذه المصادر المتعددة، وتعدد العلماء عرقا ودينا في إقامة العلم العربي (أي المكتوب بالعربية) ويمثل هذا التاريخ نموذجا يبرهن على أن العلم يقوم من اللغة، أي أن اللغة العلمية تؤهل العلم لا العكس، إن تملك العلم باللغة العلم يؤهل العلم واللغة1.

لقد أصبحت اللغة العربية اللغة التي تكتب بها مختلف العلوم وتلقن، ويترجم إليها كل ما يحتاج إليه من الغير، وتنتج بها المعارف المتطورة أو الجديدة ويترجم منها إلى لغة الغير.

فظهر لنا جليا المكابدة التي خبرتها اللغة العربية في القرون الخمسة (من القرن التاسع إلى القرن الثالث عشر ميلادي) وهي المكابدة المتمثلة في محاولة العلماء من أبنائها الرقي بها إلى مستوى متطور قادر على التعبير عن أفكار علمية وفلسفية جديدة في تلك الأوقات2.

لقد حظيت اللغة العربية بفرصة تاريخية نقلتها من لغة تواصل وأدب لأفراد قلائل بقبائل الجزيرة العربية إلى لغة علم وتواصل شاملة لمئات الملايين من العرب والمسلمين، وكونت حولها قومية اختلفت أجناسها وأديانها وتجاربها الاقتصادية، لم يوحدها شمولا إلا اللسان الذي انبعثت منه عناصر أخرى للوحدة، وليس في المنظور القريب أي فرصة للغة أخرى يمكن أن توحد هذا العدد من البشر، ولقد أتيحت للغة العربية أن تصبح لغة تعلم وثقافة (ممثلة لهوية علمية وثقافية) بمعجزة القرآن والإسلام، ولن تتاح للغة أخرى هذه الفرصة كذلك3.

---

1 عبد القادر الفاسي الفهري، أزمة اللغة العربية في المغرب بين اتصالات التعددية وثغرات الترجمة. دار الكتاب الجديد المتحدة، 2010، ط5، ص51.

2 محمد سواعي، أزمة المصطلح العربي في القرن التاسع عشر، مقدمة تاريخية عامة، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، 1999، دط، ص57.

3 عبد القادر الفاسي الفهري، أزمة اللغة العربية في المغرب، ص67.

وهذه بعض من شهادات علماء الغرب على اللغة العربية في ذلك الوقت:

_لقد كانت اللغة [اللغة العربية] تمد العالم أجمع بالكتب في مختلف العلوم، حتى إن الغرب كما تحدثنا المستشرقة الألمانية: زيفرد هونكة في كتابها "شمس العرب تسطع على الغرب "قائلة: "دب في الطب الغربي فجأة في القرن السادس عشر، شعور غريب بالخجل من تقليده للطب العربي وقد بقي قرونا طويلة من الزمن نسخة ممسوخة عنه، وكانت معظم المخطوطات الأوربية الطبية في أول عصر الترجمة وحتى القرن السابع عشر تقليدا للعرب ونقلا عنهم".

_وتقول أيضا: " قبل 600 عام كان لكلية الطب الباريسية أصغر مكتبة في العالم، لا تحتوي إلا على مؤلف واحد، وهذا المؤلف كان لعربي هو أبو بكر محمد بن زكريا الرازي"1، وذلك مؤلفه الكبير "الحاوي في الطب".

_يقول الأستاذ جربرت فون أورياك: الذي ارتقى كرسي البابوية في روما عام 999م، باسم البابا سلفتروس الثاني، معلقا بعد أن عرف أن مكتبة القاهرة تضم أكثر من مليونين ونصف من المجلدات، يقول : "إنه لمن المعلوم تماما أنه ليس ثمة أحد في روما له من المعرفة ما يؤهله لأن يعمل بوابا لتلك المكتبة، وأنى لنا أن نعلم الناس ونحن في حاجة لمن يعلمنا، إن فاقد الشيء لا يعطيه"2.

بعد كل هذا لنا أن نطرح سؤالا بسيطا الآن:

لماذا تدرس إسرائيل الطب باللغة العبرية، وتدرسه مصر باللغة الإنجليزية، والجزائر بالفرنسية؟

1اللسان العربي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مكتب تنسيق التعريب، الرباط، المغرب، 1984-1985، ع24، محمود فوزي حمد، اتخاذ العربية لغة لتدريس العلوم في التعليم العالي، ص78.
2محمود فوزي حمد، اتخاذ العربية لغة لتدريس العلوم في التعليم العالي، ص82.

يجيب أحد العلماء قائلا: "لأننا مصابون بعقدة "الخواجا"، ونعتقد أن العربية ليست صالحة إلا للآداب والعلوم القرآنية وكلية الشريعة".

لا ريب في العصر الحالي من نقص كبير في المراجع في التخصصات العلمية المختلفة كالطب الفيزياء، الكيمياء مثلا باللغة العربية، وتواجدها بكثرة هائلة باللغة الأجنبية (فرنسية أو انجليزية أوغيرهما)، ونطرح سؤالا آخر هنا، لماذا لا نحذو حذو أجدادنا أيام عبد الملك بن مروان والرشيد والمأمون، لماذا لا نترجم وننقح ونضيف؟؟ عوض أن نتخلى كليا عن هويتنا...

وهنا نسلط الضوء على عنوان جديد لمعركة حقيقية يجب أن نخوضها،شئنا أم أبينا، إنها معركة الترجمة، إما أن ننجح وتنجح لغتنا، وإما أن نفشل وتأسف علينا لغتنا.

_ الشيء العجيب والغريب في مجال تنمية اللغة العربية واستعمالاتها بغزارة في ترجمة النصوص من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية هو أن هذه الوظيفة تقوم بها على أحسن وجه الشركات والمؤسسات الرسمية لأسباب أمنية واستخبارية، بالإضافة إلى استعمالها لأسباب تجارية.

إنه لمن الواضح أن محركات البحث الأمريكية مثل مايكروسوفت وغوغل، قد استثمرت أموالا كبيرة ،واستعانت بالموارد البشرية لإنتاج نظم وبرامج تشغيل ومحركات بحث باللغة العربية، والغرض تجاري بحت، أي تسويق منتجاتها إلى اللغة العربية، كما أن محطات التلفزيون والإذاعات الأجنبية التي تبث برامجها عبر الأقمار الصناعية تساهم في تنمية اللغة العربية الفصحى في حين إن إذاعات الدول العربية وفضائياتها تبث برامجها باللهجات العامية. للأسف.

التعددية اللغوية في الجزائر:

يتميز الواقع اللغوي الجزائري بالتنوع الناتج عن الأحداث التاريخية التي تتالت على هذا البلد الآهل بالسكان الأمازيغ منذ القرن 13 ق.م، وصولا إلى القرن السابع أين بدأت الفتوحات الإسلامية.

وقبل ذلك بقليل كان السكان الأصليون الأمازيغ يواجهون بضراوة كل الهجومات الأجنبية، فاستطاعوا طرد كل مستعمر غاشم، كالفينيقيين والقرطاجيين والرومان، ورغم المواجهة الأولى للعرب [مع الفتوحات] من طرف البربر _التي لم تصمد إلا قليلا_ ،فقد اعتنق السكان الأصليون للمغرب الإسلام جماعيا عن إيمان واقتناع(...) واندمج العرب بسهولة في المجموعة البربرية لتكون أمة جديدة مهابة الجانب، قوية الهمة، متراصة الصفوف، دينها الإسلام ولغتها العربية الفصحى لغة القرآن الكريم، كتاب الله(...)، وفي الوقت الذي اعتنق فيه سكان المغرب الإسلام، قرروا اتخاذ اللغة العربية لغتهم الرسمية، لغة دينهم ودنياهم الأبدية1.

وبعدها جاءت الحملة الاستعمارية الفرنسية والتي امتدت ما بين 1830-1962، وكانت أولى سهام المستعمر مسددة إلى اللغة العربية إضعافا وعزلا عن العلم وإبعادا عن الحياة، ولقد كانت أولى توصيات الحاكم الفرنسي لجيشه الزاحف إلى الجزائر:"علموا لغتنا وانشروها حتى نحكم الجزائر، فإذا حكمت لغتنا الجزائر فقد حكمناها حقيقة"2.

1المصطفى بن عبد الله بوشوك، تعليم وتعلم اللغة العربية وثقافتها، الرباط، 1994، ط2 مزيدة ومنقحة، ص19.

2المجلس الأعلى للغة العربية، مجلة اللغة العربية، الجزائر، 2001، ع4، صالح بلعيد، اللغة العربية والعولمة، ص128.

وليست توصية هذا الحاكم الفرنسي إلا ترجمة لتوصية سلفه المستعمر الفرنسي نابليون الذي قال لبعثته الوافدة إلى مصر "علموا الفرنسية، ففي ذلك خدمة حقيقية للوطن"1.

جذور الصراع اللغوي في الجزائر:

استغل الوجود الاستعماري بالجزائر البربر كوسيلة لإدارة صراع سياسي قوي ضد اللغة العربية، ولقد حاول إيهام الرأي العام بأنه في المغرب العربي والجزائر بصورة خاصة، شعبان متمايزان الشعب الأمازيغي والشعب العربي، وحاول تبرير هذا التقسيم الوهمي فاستغله كوسيلة لبث سموم النفرة ونشر العداء بين العرب والبربر، وبعد ذلك بدأت تعشعش في الذهنيات الموالية لفرنسا فكرة أمازيغية الجزائر، وبدأت مع تصدير هذه الفكرة ظهور جبهة العداوة للعرب وللعربية لأول مرة منذ استقرار العربية بالمغرب العربي2.

ولم يكن هذا فقط بل محاولة إزاحة اللغة الفصحى واستبدالها بلغة المستعمر أو إحلال العاميات محلها.

فخرجت اللغة الوطنية من الاحتلال وهي في مثل حالتها الصحية تدهورا وضعفا، فتبرأ منها من تبرأ لأنه عاجز عن حملها وهي مشلولة، وفضل أن تحمله اللغة الفرنسية على أجنحتها لأنه أمامها هو المشلول.

وقد صنف العلماء الازدواجية اللغوية (الفصحى ولغة أجنبية أو الفصحى والعامية) في الجزائر إلى أصناف كثيرة باعتبارات مختلفة،

---

1 مازن المبارك، اللغة العربية في التعليم العالي والبحث العلمي، دار النفائس، مؤسسة الرسالة، دمشق، 1981، ط2، ص11.

2 عمر ديدوح، عالم المعرفة.على النت.

ويمكن عرض بعض هذه الأنواع كالآتي: (كما عرضها الدكتور عمر ديدوح في مقال له على النت).

أ - الازدواجية العامة والازدواجية الخاصة:

الازدواجية العامة: تشمل كلّ المجالات في البلاد كالتعليم، والإعلام، وكذا الإدارة، بحجّة مساعدة اللغة الوطنية -العربية - على النهوض أو بسبب الاعتقاد أن هذه اللغة لا تقدر في الوقت الحاضر أن تكون لغة كلّ شيء في البلاد، وبالتالي يرى أصحابها استبقاء الضرّة إلى أجل غير معلوم.

الازدواجية الخاصة: هي استعمال اللغة الأجنبية في قطاع، أو قطاعات من الحياة الاجتماعية دون القطاعات الأخرى، كأن تستعمل في التعليم العالي دون التعليم الثانوي.

ب - الازدواجية الدائمة والازدواجية المرحلية:

الازدواجية الدّائمة: هي أن ينطلق هذا البلد العربي، أو ذاك من مبدأ الأصالة، والتفتّح فيعتمد لغتين للاستعمال في البلاد، واحدة تمثل الأصالة، والماضي بما يمثله من عواطف وقيم، وتراث وثقافة دينية، يفرض استبقاءها الواقع التاريخي، والثقافي للفئات العريضة من أفراد المجتمع، وواحدة توصف بأنها مفتاح التقدم وغزو الكواكب، فيرى الحارسون على مستقبل البلاد استبقاءها ونشرها لتصل بالبلاد إلى مصاف الدول المتحضرة، على اعتبار أن اعتماد اللغة العربية وحدها على ما هي عليه - في نظرهم- من جمود وضعف ستجمد حركة التنمية في البلد حتمًا.

الازدواجية المرحلية: هي التي تعتمد فيها اللغة الأجنبية -لظروف تفرضها الضرورة- لتهيئة الإطارات الوطنية المتكونة باللغة الوطنية، لتقوم بمهمة التعريب الكامل والشامل.

جـ - الازدواجية الفئوية والازدواجية الفردية

الازدواجية الفئوية: هي التي تؤدي فيها السياسة التربوية، والتعليمية في البلد، إلى خلق فئات لغوية كل حسب اللغة التي يتكلم بها، وطبعًا ترتيب اللغة الوطنية معروف بينها (المرتبة الأخيرة).

الازدواجية الفردية: هي أن يكون الفرد المتعلم في المجتمع عارفًا بلغتين اثنتين (لغة وطنية ولغة أجنبية) معرفة جيدة بحيث يستطيع استعمال كلتيهما بنفس الدرجة والكفاءة، وهذا النوع من الازدواجية لا يضر بل يفيد الكفاءات اللغوية للأفراد إذا روعيت فيه الشروط.

د- الازدواجية الإيجابية والازدواجية السلبية:

الازدواجية الإيجابية: هي ازدواجية تعتمد منذ البداية كمرحلة النهوض بمستوى اللغة الوطنية، لكن بالقدر الذي يفيد لغتنا ولا يضر بها.

الازدواجية السلبية: هي الازدواجية التي تتجاوز حدها لتنقلب إلى ضدها، فتسيء أكثر مما تبني ومن نتائجها خلق فئات، وطبقات اجتماعية متعارضة المصالح، والاهتمامات، والاتجاهات الفكرية، والثقافية.

والجزائر اليوم تعيش تجربة صعبة في المجال اللغوي فهي تحاول تحقيق جميع أنواع الازدواجية.

فكان الناتج باختصار أن أنتج الازدواج اللغوي الحاصل في وقتنا ،وفي بلدنا جيلا مهزوزا في شخصيته وعقليته، ضعيفا ومهزوزا على مستوى اللغتين فالطالب اليوم في الثانوية أو الجامعة لا يمكنه الحديث بالعربية لوحدها لأنه لا يتقنها، ولا بالفرنسية لوحدها كأنه قد أصابه عسر لغوي، بل نجد عنده هجينا لغويا مشينا امتزجت فيه الفصحى بالعامية بالأمازيغية بالفرنسية، على جميع المستويات، لا يحمله لا مصطلح" التعدد اللغوي" ولا "الازدواج اللغوي"، لأنه مزيج من الأنظمة والمستويات اللغوية المختلفة، وكل هذا _ ربما _ يعكس تفككا وتعقدا اجتماعيا ونفسيا.

حقائق لابد من قولها:

_ اللغة هي البوابة الأولى والحقيقية للدخول إلى أي حضارة أو ثقافة أجنبية.

_ أن تتحدث بلغة ما، وأن تفضلها (وخاصة عندما تكون قادرا على الاختيار) على لغة أخرى، فإن لاختيارك دلالة خاصة.

_ اللغة هي منطق الأمة والحافظ لثقافتها وهوتيها، وهي التي تدخر في كلماتها أخلاق أهلها، وعاداتهم ونشاطهم الفكري والأدبي.

_ لا توجد لغة بدائية أو ضعيفة أو قاصرة، إنما يوجد قوم بدائيون أو ضعفاء أو قاصرون لأن أي لغة قادرة على التطور والنمو واستنباط المفردات والتراكيب الملائمة لكل جديد. ولعل عوامل قوة اللغة العربية أكبر بكثير من أن تتهم بالضعف والقصور، وقد كان لأهلها الفخر بها قديما ، وهي في أيامنا هذه لها من مواطن القوة ما يرتقي بها إلى مصاف

اللغات العالمية والعلمية لو أراد أهلها، وقد ذكر الدكتور عبد القادر الفاسي الفهري في كتابه " أزمة اللغة العربية في المغرب، بين اتصالات التعددية وثغرات "الترجمة"، بعضا من مواطن قوة اللغة العربية نورد بعضا منها1:

1_ **القوة الرمزية:** تمثل اللغة العربية لغة ذات رمزية وقدسية بالنسبة لما يقرب من مليارو ربع مسلم، فالقرآن قد نزل بها(...).

2_ **القوة العددية:**

يوجد ما يقارب من 300 مليون ناطق باللغة العربية في الوطن العربي، علاوة على من ينطق بها في المناطق الأخرى من العالم الإسلامي أو غيره، أو الجالية العربية والإسلامية في البلدان غير العربية(...) وهكذا تأتي العربية في المرتبة السادسة دوليا من حيث عدد المتكلمين بها داخل المنطقة العربية، بل في رتبة أعلى إذا أخذنا بعين الاعتبار انتشارها خارج المنطقة ورمزيتها.

3_ **رسمية اللغة:**

اللغة العربية هي اللغة الرسمية أو الوحيدة لاثنين وعشرين دولة عربية، وهي بذلك تأتي في المرتبة الثانية بعد الانكليزية،(48 دولة)، وتوجد دول مثل إيران وإسرائيل اتخذتها لغة رسمية كذلك إلى جانب لغتها، وتعد الدول التي اتخذت اللغة الفرنسية لغة رسمية 27 دولة، والإسبانية 20 دولة. إلا أن بعض هذه الدول لا تتخذها لغة رسمية أولى، لأنها ليست لغة وطنية فيها، فالرسمية المرتبطة بلغة الأقوى لا تقوى قوة الرسمية الوطنية لكونها مهددة بالزوال بمجرد تغير ميزان القوة، كما حدث للألمانية في بعض البلدان، أو ما حدث للفرنسية.

1عبد القادر الفاسي الفهري، أزمة اللغة العربية في المغرب.ص 48 وما بعدها .

4_ لغة المؤسسات الدولية الإقليمية:

تمتد رسمية اللغة العربية إلى المؤسسات الدولية والإقليمية بما فيها "منظمة الأمم المتحدة" والمنظمات المتفرعة عنها أو الإقليمية التابعة لها، و"اليونسكو". حيث توجد ضمن إحدى ست لغات رسمية .والعربية هي اللغة الرسمية لـ"جامعة الدول العربية" والمنظمات منبثقة عنها مثل "الألكسو" ولـ"منظمة المؤتمر الإسلامي"... وغيرها، ولا توجد في وضع رسمي مماثل لها إلا الإنجليزية والفرنسية.

5_ لغة بينية وحيدة:

تتمثل اللغة العربية اللغة البينية الوحيدة التي تمكن من التواصل الشامل في كافة الأقطار العربية، فالأمة العربية ليست وحدة دينية لوجود ديانات مسيحية ويهودية وغيرها (وإن غلب الإسلام فيها)، وليست وحدة عرقية، وليست وحدة اقتصادية أو سياسية أو أمنية إلى الآن (لأن الوضع لم ينضج بعد للتكامل والوحدة)، بل هي وحدة لغوية قبل كل شيء، قد تتولد عنها عناصروحدة مرجوة من طبيعة أخرى،

6_ لغة التعليم والتعلم في العالم العربي وعبر العالم:

تمثل العربية لغة التعلم أو التعليم بامتياز في العالم العربي، وبعض بلدان العالم الإسلامي، وتنتشر في تعليم الجاليات العربية والإسلامية عبر العالم، كما تنتشر في المعاهد العربية والإسلامية المقامة في الجامعات الغربية.

7_ لغة الإعلام النافذة:

تمثل العربية لغة الفضائيات العربية الناجحة(...) بالإضافة إلى

الصحافة المكتوبة(...) وإذاعات كثيرة تبث بالعربية سواء أكانت من بلدان عربية أم غير عربية وأقدمها شهرة: إذاعة "الهيئة البريطانية العربية BBC".

_ إن التعدد اللغوي ليس وضعا خاصا ببلاد دون أخرى، أو هو ميزة لبلدان العالم الثالث دون غيرها، إنه قدرونصيب مشترك في كل البلدان، وإن ظهر بأشكال متفاوتة من جهة، وحسب تسليط الأضواء عليه، وتوجيه أصابع الاتهام إلى البلد أو أهلها أو غيره.

_ فالتعدد اللغوي ظاهرة طبيعية في دول العالم قاطبة، ولا ضير أن يتخذ المتعدد اللغوي مسلكًا لتطعيم وانفتاح الثقافة الوطنية على الثقافات الأجنبية لتوسيع دائرة التفكير اللغوي بما يخدم اللغة الوطنية. وقد رأينا كيف مورس هذا النموذج في المجتمع الإسلامي في أزهى عصور الحضارة الإسلامية، ولم تشك العربية ضيقا ولا تشويشا ولا عجزا ولا عزلة، بل ظلت تلك اللغات خادمة لها ، معلنة انقيادها لها عن طواعية، وبذلك نقول: إن التعددية اللغوية إن برزت بصورة طبيعية نابعة من متطلبات المجتمع المتطلع إلى المعرفة الإنسانية، فهي ظاهرة صحية، وأما إن سلك التعدد اللغوي مسلكا إيديولوجيا سياسيا تحت أقنعة مختلفة ظاهرها الرحمة وباطنها من قبلها العذاب، فذلك هو المسخ الثقافي والحضاري والاستعمارفي شكله الجديد1.

وبذلك نقول إن التعدد اللغوي لا يكاد أي بلد في العالم يسلم منه، إما لأسباب تاريخية (الاستعمارومخلفاته الثقافية)، وإما لأسباب حضارية، دعت إليها ضرورات التقدم، والتطور العلمي، وعلى هذا الأساس، هناك

1عمر ديدوح، علم المعرفة، net.

من تقبل الازدواجية اللغوية (أو التعدد اللغوي)، وكانت نعمة عليه، رفعت من شأنه وصيرته في عداد الدول المتقدمة، وهناك من لم يحسن فهمها والعمل بها فكانت نقمة عليه زادته تدنيا وتدهورا، كما هو الحال في أغلب الدول العربية.

وعليه: إننا ندعو لإعطاء كل ذي حق حقه من دون غلو ولا تقصير.

فنحن نلح على ضرورة الفهم الصحيح لهذا المصطلح ، فإذا كان المقصود منه تعجيز وتحقير اللغة العربية، فهذا ما لا يقبله عاقل، أما إن كان المقصود به مجرد إتقان لغة أخرى أجنبية بغرض الانفتاح والتطوير، مع إتقان أو على الأقل معرفة اللغة الوطنية، فهذا مما نشجع عليه وزيادة، وبدل أن نقبل بالازدواج اللغوي نطلب "التعدد اللغوي"، وإتقان أكثر من لغة، ومن تعلم لغة قوم أمن شرهم، وفي اختلاف الألسن آية من آيات الله تعالى في الكون والوجود.

وإنه مما لا شك فيه أن الفرق الشاسع بين موقف العرب اليوم من لغتهم وموقف أجدادهم منها يعزى إلى الوزن الحضاري الذي كان للأمة العربية وافتقدناه اليوم، وقد كان من فضل الغلبة التاريخية أن العرب قد تعاملوا في الماضي مع التعدد اللغوي من موقع القوة والإيمان الراسخ بقوة هذه اللغة، فسلم موقفهم من كل العقد النفسية والفكرية والثقافية والحضارية التي نعاني منها اليوم.

إن حاجتنا اليوم ليست إلى لغة عصرية وحسب، بل إلى تدبير عصري للتخطيط اللغوي، فاللغة قد تكون عصرية، علمية، عالمية، حية فيقتلها التدبير الضعيف لشؤونها، وقد تكون ميتة جامدة فيحييها من

يحسن التخطيط للإحياء اللغوي1. فليس من سنن العمران أن تتعلم اللغة القومية تعلما من كتب القواعد والمطالعة إنما طريقها الصحيح أن تدرج مع الوليد في مهده وأن تنمو بنموه، وأن تختلط بحاجاته ورغباته وتمتزج بذوقه ومزاجه وأن يسمعها في مناغاة أمه وترقيصها إياه2.

ولعل من أهم الصعوبات التي تواجهها في العصر الحاضر، قلة الإلمام بمنهجية البناء اللغوي، ونقصد بذلك أنه لا يوجد منهج علمي مدروس لتدريب التلاميذ والطلبة على تفعيل اللغة الصحيحة منذ الصغر.وإن قطاع التربية والتعليم لابد أن يستقطب أحسن وأذكى وأكفأ المتخرجين من كل جامعة.

إن ما ينقصنا نحن في بلدنا هو خلق برامج تأهيلية وتدريب الموارد البشرية وتحسين مستوى التدريس وإعطاء فرص للمعلمين لكي يجددوا معلوماتهم، فإذا كانت الدول المقدمة تفتح جامعاتها بانتظام خلال الصيف لتدريب المعلمين وتحسين مستواهم وتجديد معلوماتهم، فإن الجامعات في بلدنا تغلق أبوابها وكل الناس يلهثون وراء العطل بمن فيهم العاطلون عن العمل.

وفيما يأتي عرض لنماذج حقيقية لإدراك الأمم لأهمية اللغة في وجودها:

1_ قررت فرنسا سلوك نهج جيرانها باشتراط اللغة معيارا للانتماء الوطني (التجنيس) كما هو الحال في ألمانيا وانجلترا (بريطانيا) وإسبانيا وكندا.

1عبد القادر الفاسي الفهري، أزمة اللغة العربية في المغرب، ص68.
2محمد حلمي هليل، ملاحظات حول الازدواج اللغوي في العربية، ص100.

وإنك وأنت تطالع قوانين التجنيس في الدول الأوربية لن تجد اختلافا كبيرا حول "الشرط اللغوي" باعتباره محددا للانتماء الوطني، باستثناءات قليلة (إيطاليا)، فدأبت الأنظمة الأوربية بمختلف توجهاتها الإيديولوجية على ربط التجنيس باللغة أو اللغات الرسمية للدولة، مما يعني حرمة الوطن من حرمة لغته.

وقد تولد هذا القران الضروري بين السلطة والوطن عبر مسار تاريخي وقناعات إديولوجية تكون اللغة هي أحد أهم عناصر اللحمة الاجتماعية بين أبناء الوطن. حيث إن الحفاظ على وجود الدولة وتلاحم أجزائها وقوتها الجيوستراتيجية لا يتحقق دون مكون لغوي يضمن الانسجام بين الأفراد ويؤمن مستقبلهم المعرفي.

2_ الصين والفيتنام واليابان وغيرها..كلها تدرس كل علومها باللغة الوطنية.

3_ بعد استعمار الجيش البريطاني الكوبيك عام 1759، وبعد أربع سنوات، أصبحت كندا بريطانية، ومع ذلك احتفظ الكنديون الناطقون بالفرنسية بهويتهم الثقافية في معظم الأحوال، تحت كنيسة روما وهو ماسمحت به بريطانيا في مرسوم العام 1774(...) ومنذ البداية نظر للغة باعتبارها أهم وسيلة للحفاظ على الهوية الثقافية، وباعتبارها المكون الأساسي لها، وقد أعلنت الكنيسة بالفعل أن الولاء اللغوي هو شأن من شؤون الإيمان، محاولة أن تواصل سيطرتها على رعاياها بواسطة الشعار المشهـور "Qui perd sa langue perd sa foi". "من يفقد لغته يفقد إيمانه".1

---

1 اللغة والاقتصاد ، عالم المعرفة ،2000 ،دط، ص 122.

4 - التجربة اليهودية وإحياء اللغة العبرية اللغة الرسمية اليوم لإسرائيل ،بعدما كانت لغة ميتة فأنجز معجمها التاريخي سنة 1999م (والمعجم التاريخي للعربية لم ينجز بعد)، وأصبحت لغة العلوم والثقافة يدرس بها الطب والهندسة والكيمياء والفلك وكل العلوم والاختصاصات الإنسانية والدينية والروحية واللاهوتية ، رغم أن الشعب الإسرائيلي هو من أخلاط شعوب أوربية تجيد لغات حية أكثر تطورا وتقدما من اللغة العبرية.

5_ الشعب الإيطالي المعتز بلغته إلى أقصى الحدود حتى إنه لا يستعمل كلمة Allo الفوق عالمية بل يستعمل كلمة "ترنطو" مكانها.

وغيرها كثير جدا..

وقد صرنا نستحي من ذكر هذه الأمور وعربيتنا تقول على لسان الشاعر العربي حافظ إبراهيم:

رموني بعقم في الشباب وليتني عقمت فلم أجزع لقول عدائي.

وسعت كتاب الله حفظا وغاية وما ضقت عن آي به وعظات.

فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة وتنسيق أسماء لمخترعات.

أنا البحر في أحشائه الدر كامن فهل سألوا الغواص عن صدفاتي.

ويكفيها شرفا أنها لغة خاتم الكتب السماوية المقدسة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

قائمة المصادر والمراجع:

1_ أحمد أمين، ضحى الإسلام، ط القاهرة، 1988 ،ج2.

2_ جعفر دك الباب، نظرة جديدة إلى فقه اللغة، دار الأهالي، دمشق، 1989، ط1.

3_ حسين نصار، المعجم العربي نشأته وتطوّره، مكتبة مصر، 1988. ط 4،ج1

4_ عبد القادر الفاسي الفهري،أزمة اللغة العربية في المغرب، بين اتصالات التعددية وتعثرات "الترجمة"، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2010، ط5.

5_ عمار ساسي، اللسان العربي وقضايا العصر، رؤية عالمية في الفهم، المنهج، الخصائص، التعليم، التحليل، دار المعارف البليدة، 2001، دط.

6 _عزّة حسين غراب، المعاجم العربية، رحلة في الجذور، التطوّر الهوية، مكتبة نانسي دمياط ،مصر، 2005، د ط.

7_ المصطفى بن عبد الله بوشوك، تعليم وتعلم اللغة العربية وثقافتها، الرباط، 1994، ط2 (مزيدة ومنقحة).

8_ محمد سواعي، أزمة المصطلح العربي في القرن التاسع عشر، مقدمة تاريخية عامة، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، 1999، دط.

9_ مازن المبارك، اللغة العربية في التعليم العالي والبحث العلمي، دار النفائس، مؤسسة الرسالة، دمشق، 1981، ط2.

10_ مصطفى صادق الرافعي، حضارة العرب، دار الكتاب اللبناني1981، ط3.

المجلات والدوريات:

11_ المجلة العربية للدراسات اللغوية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد الخرطوم الدولي للغة العربية، 1986، العدد1، المجلد5.

12_ اللسان العربي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مكتب تنسيق التعريب، الرباط، المغرب، 1985-1984، ع24.

13_ المجلس الأعلى للغة العربية، مجلة اللغة العربية، الجزائر، 2001، ع4.

تفاسير القرآن الكريم :

14_ الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار الكتاب الحديث، ج3،

15_ الحافظ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار الأندلس، لبنان، 1984، ط6 (طبعة جديدة مصححة)، ج4

إسهام التعددية اللسانية في تعليم اللغة العربية

د. رشيدة آيت عبد السلام

المدرسة العليا للأساتذة - الجزائر

تمهيد

ككل بلاد العالم، ترغب الجزائرفي إنماء اللغة العربية وتطويرها، لأن رقي اللغة من رقي الوطن؛ وترغب في إتقان اللغات الأجنبية حتى تتواصل مع العالم وتحتل مكانا بارزا في المحافل الدولية وتربط علاقات مع كل بلد يمكنها أن تتبادل معه المصالح والخدمات في شتى مجالات الحياة.

غير أن هذه النيات النبيلة لم ترافقها كثير من الأفعال الملموسة التي من شأنها تحقيق الرغبات وتجسيدها على أرض الواقع، نظرا لجسامة المشروع وتعقيده وتشعبه.

فتطوير اللغات لا يقتصر على إصدار القوانين الرامية إلى الحفاظ على اللغة العربية وإجراء دراسات في تخصصات كثيرة (علوم اللغة، علم الاجتماع، علم النفس، التاريخ...)، وإن كان هذا الأمر أساسيا، والمؤسسات الجزائرية مثل المجمع اللغوي والمجلس الأعلى للغة العربية ومركز البحث من أجل ترقية وتطوير اللغة العربية والمخابر الجامعية، لم تقصِّر في هذا المجال، ولكن الأمر الأصعب هو إنزال هذه النتائج إلى

ميدان الواقع لأنه هو المحك الحقيقي لنجاعة هذه الأعمال مهما كانت قيمتها العلمية، وتطبيقها في مجال التعليم بشكل خاص، وكذلك في مجال وسائل الإعلام والإشهار والترجمة. وهكذا تحقق الدولة ترقية اللغة العربية الفصحى وقد تستغل اللهجات المحلية من أجل التقريب اللساني والتفاعل اللغوي وخلق ديناميكية بين أفراد المجتمع وإشعارهم بأن اللغة العربية (مهما كان مستواها) ذات بعد جامع وليس العكس.

ومسألة إتقان اللغات الأجنبية، وإن حظيت بتحديد غايات ومرامي بعيدة المنال، شريفة في طبيعتها، لكنها غير كافية نظرا للواقع المعيش بأشكاله المختلفة. ولأن التحكم في اللغات الأجنبية صار مطلبا مصيريا اليوم، في عالم تجسِّد فيه الهيمنةُ اللغوية الهيمنةَ السياسية والاقتصادية، فضلا عن الهيمنة اللغوية والثقافية، و" الصم البكم " الذين لا يتفاعلون مع أصحاب هذه اللغات (المسيطرة) يصابون بالتوحّد ويعيشون على الهامش. فلا مكان لهم في مستقبل العالم الذي يشيّد ويبني ويرتقي ويصنع مصيره ويحدد للآخرين مصيرهم ويعيّن لهم مكانهم في هذا الكون الذي أصبح ملكا له.

وبناء التعدد اللغوي (من أجل التحكم في اللغات الأجنبية)، ينطلق هو كذلك من قرارات سياسية توجهه وتضبط حدوده وغاياته، ثم تجسده في التعليم وفي وسائل الإعلام والإشهار والترجمة.

وسواء تعلق الأمر باللغة العربية وروافدها (أي اللهجات المحلية)، أم باللغات الأجنبية، فسيرورة الإنماء ومسالكه مشتركة في كثير من الجوانب.

أولا - وصف المشهد اللغوي الجزائري

تتعايش في الجزائر عدة لغات ذات نظم متباينة أو متقاربة، نشأ عن

احتكاكها تلاحمٌ تجسده لغة الفرد الجزائري التي تتقاطع فيها المفردات والتراكيب وتختلط. وعليه، يتميز المشهد اللغوي الجزائري بوجود ثنائية بين اللغة العربية واللغة الفرنسية، وازدواجية، بل وتعددية بين اللهجات العربية واللهجات الأمازيغية (القبائلية، الشاوية، الشنوية، المزابية...). وقد نجم عن هذا الثراء اللغوي ظواهر لغوية محلية تعدّ نتيجة امتزاج هذه اللغات، إذ تتلوّن اللغة العربية بسبب مجاورتها للهجات المحلية و/ أو اللغة الفرنسية، فتختلط وتتداخل معها حينا، وتتباين وتنفصل عنها أحيانا، تبعا للسياق ومجال الاستعمال وللمستعمل وما يهدف إليه.

يقترن استعمال اللغة العربية الفصيحة بالمدرسة والتعليم وببعض الوظائف، لذا يرى دارسون أن " مأساة اللغة العربية ناتجة عن كونها لم تستعمل للتعبير عن الحاجات اليومية"1.

فالجزائري، شأنه شأن كل مستعمل للغة، يستعمل التوليد والاقتراض والنحت... لإنشاء عبارات وكلمات وإبداع صور وتراكيب، تعبيرا عن حاجات خاصة أو نمط معيشي مميّز. ما يجعل البعض يتحدث عن لغة فرنسية جزائرية أو مجزأرة ولغة عربية فصيحة ذات تلوينات مغاربية (مقابل لغة عربية ذات تلوينات مشرقية). تعكس هذه الظاهرة تفاعل وحركية اللغات التي تتعايش في وسط واحد، إذ تصطبغ بالمكان الذي تمارس فيه وبأهل هذا المكان، مثلما تتأثر بما يدور في العالم.

وهذا أكبر شاهد على حياة اللغة وحيويتها وقابليتها للتفاعل والحركة، فهي شديدة الحساسية والطواعية والمرونة، تستجيب لحاجات المستعمل. فلا يقع فيها أي تغيير دون سبب ومسبّب.

---

1 LAROUSSI Fouad : Plurilinguisme et identité au Maghreb. France, Publications de l'Université de Rouen, 1997. P18

ولأن اللغة تعكس نمط حياة الأمة وتفكيرها، فهي تجسد كذلك تاريخها، لأن " العمل على الربط الوثيق بين الإنسان ولغته هو الإنجاز الأكبر المنتظر من مؤسساتنا التعليمية والثقافية والعلمية والإعلامية، ومراكزنا البحثية، وقياداتنا السياسية لكون هذا الربط يمثل المصير العربي"1.

وعلم المرء بلغته وقدرته على التعبيروالإبداع فيها من أوليات الحفاظ على الذات الحضارية؛ فلا تحيا اللغة ولا تحظى بالذيوع والانتشار إلا عندما يحقق أهلها إنجازات يُعتدّ بها في التطور الحضاري. فالأسلاف مثل ابن سينا وابن الهيثم والخوارزمي طوعوا اللغة العربية لمصطلحات شتى العلوم والفنون والآداب فكوّنوا ذخيرة علمية وأنتجوا حضارة وبيّنوا مدى اتصال نمو اللغة بنمو العلوم.

اللغة العربية بنية جامعة مانعة أي " أنها غنيّة بنفسها عما عداها، فلها من أصولها وقواعدها ومعجمها ما يتيح لها أن تكون أداة للتواصل بين الناس، دون أن تفتقر إلى أصل أو قاعدة من لغة أخرى، ومعنى كونها مانعة أنها ترفض قبول هذه العناصر التي استغنت عنها بكمال ذاتها. فهي ترفض أن تضيف إلى قواعدها شيئا جديدا (كتقدم الصفة على الموصوف) ولو حدث شيء من ذلك لانهدّت البنية وتحطمت، ولم تعد النتيجة صالحة لأن توصف ب " العربية"2. وهي تشارك في الصراع بين اللغات في سبيل البقاء والسيطرة، فيفضي تفاعلها إلى التأثير والتأثر ويسهم في التطور اللغوي. وتختلف آثار هذا الاحتكاك والتداخل بين اللغات، وقد أشار الجاحظ إلى هذه الظاهرة، فقال: "واللغتان إذا التقتا في اللسان الواحد أدخلت كل واحدة منهما الضّيم على صاحبتها"3.

1د. هادي نهر: اللغة العربية وتحديات العولمة.الأردن، علم الكتب الحديث، 2009. ص 1

2د. كارم السيد غنيم. ص 46

3الجاحظ: البيان والتبيين، ج1. ص 368

يستعمل الجزائري اللغة العربية واللغة الفرنسية، ولهجة عامية عربية و/أو أمازيغية، وينتقل بين أنظمة لغوية مختلفة، منها المتباينة ومنها المتشابهة، فيكيف بعض جوانبها ويجعل منها نظاما جديدا، وكثيرا ما لا يكون واعيا بهذه العمليات. فتأتي لغته زخرفا يشكّله بطريقة طبيعية ونفعية ووظيفية، تحقيقا لغايته وهي التعبير عما يريد. وتجتمع هذه الاستعمالات الفردية لتكوّن اللغة الجارية المميّزة لرقعة جغرافية معينة.

يقع التواصل الشفهي بين أفراد المجتمع باللهجات، وهي لغات شفوية تخضع ضوابطها غالبا للتداول والاستعمال. على خلاف اللغة العربية الفصيحة واللغة الفرنسية اللتين يتقيّد مستعملهما حتما بقواعدهما المعيارية؛ وإن كان المتحدث بهما، يراعي – عندما يتكلم- ضوابط اللغة الشفوية التي تختلف في بعض الجوانب عن ضوابط اللغة المكتوبة.

تطبع الثنائيةُ البيئةَ اللغوية في الجزائرو "تدل على الوضع اللغوي في المجتمع الواحد الذي يستعمل لغتين مختلفتين، كالفرنسية والإنجليزية في كندا مثلا bilinguisme"1، وهي قدرة الفرد على استعمال لغتين، يمكن اعتبار كل واحدة منهما، بوجه أو أكثر، لغة أصلية بالنسبة إليه؛ "أما الازدواجية فتعني تزامل مستويين في اللغة الواحدة على مستوى الكتابة، والأخرى على مستوى الخطاب الشفوي في الشؤون اليومية"2.

غير أن الثنائية أو التعددية اللغوية لا تعني أن الفرد متحكّم في لغتين أو أكثر بدرجة واحدة، فالتفاوت موجود بين لغة وأخرى وبين الجانب الكتابي والشفوي. ومع ذلك، كثيرا ما تطلق صفة ثنائي اللغة أو متعدد

1د. وليد العناتي ؛ د. عيسى برهومة : اللغة العربية وأسئلة العصر. عمان، دار الشروق للنشر والتوزيع، 2007. ص 100

2المرجع نفسه. ص 100- 101

اللغة على شخص بمجرد معرفته لبعض المفردات والصيغ من لغة ما. فاستعمال الفرد أو الجماعة للغتين بدرجات متفاوتة يظهر في إتقان أية مهارة من مهارات اللغة؛ وقد أُطلق على هذه الظاهرة التناوب اللغوي، الذي أصبح سمة مميزة لمن يتحدث بلغتين.

تباينت وجهات النظر في آثار الثنائية، فبعضهم يرى أنها تشكل مشكلة للفرد المتكلم بلغتين، الذي يعاني من " بطء القراءة والطلاقة وتَمَثُّل المعرفة عند ثنائيي اللغة مقارنة بها عند أحادي اللغة، ويعزى ذلك إلى أن القدرة اللغوية مبدّدة عند ثنائي اللغة بين لغتين، مما يفضي إلى تدني الكفاية اللغوية في كل لغة منها عن المستوى الذي يمكن أن تكون عليه لدى أحادي اللغة"1.

في حين يرى آخرون" أنها ظاهرة عالمية تدل على الارتقاء الحضاري باعتبارها وسيلة لتبادل الآراء والأفكار ومسايرة التطور العلمي، والثنائية يمكن أن تقود إلى لغة مهجنة من اللغتين المتحدث بهما، لكنها لا تصل في سلبيتها إلى أن تصبح مشكلة كالازدواجية، بما فيها من تنوع لهجي له آثاره السلبية التي تشمل الفكر والتربية والشخصية والأخلاق"2.

وحتى المتعلم الذي يدرس اللغة العربية الفصحى لذاتها كمادة ويدرس بها المواد الأخرى مدة اثنتي عشرة سنة، فإن درجة تحكّمه فيها لا تسمح له غالبا بالاعتماد كلية عليها في شتى المواقف المدرسية والاجتماعية؛ ما يجعله يستعين باللهجة العامية أو باللغة الفرنسية، فيستعير ألفاظا من الأولى وعبارات من الثانية وربما تركيبا من لغة ثالثة، ويشكل خطابا ذا طابع خاص.

---

1 المرجع نفسه. ص 23

2 المرجع نفسه. ص 103

نشاهد هذا الوضع في الجامعات العربية "إذ إن كثيرا من التخصصات العلمية خاصة، تدرّس بلغات أجنبية مما يجبر الطلبة على التناوب في استعمال المصطلحات بلفظها الأجنبي والمصطلحات التي لا مقابل لها"1.

كثيرا ما تتعالى أصوات للتنديد بقلة تحكم الجزائري في اللغات (العربية الفصيحة والفرنسية)، شفويا وكتابيا، والأدلة على هذا الضعف بادية في الحديث والكتابات الصادرة عن شرائح اجتماعية مختلفة المستويات الثقافية وفي مواقف شتى، إذ تشمل هذه الظاهرة المثقف والرجل السياسي والموظف السامي كما تشمل الأستاذ والتلميذ والطالب في جميع المستويات. فاختراق الضوابط النحوية والصرفية والإملائية- أو جهلها- أمر مشاع مشافهة وكتابة. وإذا كانت نسبة من يتقن لغة واحدة (العربية أو الفرنسية) إتقانا كبيرا هي نسبة قليلة، فإن عدد مَن يتقن لغتين بنسب متقاربة أقل بكثير، بل يكاد يكون هذا الصنف نادرا. ومع ذلك، وحتى في هذه الحالة، لا يستطيع المتحدث أن يمتنع عن الخلط بين اللغة الفصيحة واللغة الفرنسية (وعادة ما يكون تأثيرلغة من هاتين اللغتين على الأخرى أقوى) وكذلك العامية، فيركب جملة بلغة ويدرج فيها كلمات من لغات أخرى. ونادرا ما يتحدث الجزائري بلغة واحدة، حتى وإن كان في مجلس تواصلي "مخطط" (مقابلة صحافية، حصة إذاعية أو تلفزيونية، معاملات رسمية، محاضرات...).

هذا التداخل وهذا الخلط بين لغتين أو أكثروبين لهجتين أو أكثريمثل ميزة لغة الفرد الجزائري، أما الظاهرة الأقل شيوعا فتتمثل في استخدام لغتين جنبا إلى جنب مع التفريق بينهما بحسب مقتضى الحال، أي أن

1المرجع نفسه. ص 116-114

المتحدث إذا كان يجلس مع أجانب سيتحدث معهم باللغة التي يفهمونها وإذا كان مع أناس يتكلمون اللغة العربية فسيستخدم اللغة العربية.

تختلف اللهجات عن اللغة الفصحى بكونها تقوم في كثير من الأحيان على تبسيط قواعد اللغة الفصحى واستخدام مفردات شبيهة تتسم بالاختلاف في النطق. لذلك نجد عائلتين من اللهجات: تلك الواقعة في المشرق والتي تقع في دول المغرب العربي، وإن كان لكل بلد عربي لهجاته الخاصة به. وبالرغم من اختلاف اللهجات، إلا أننا نعثر على استمرارية من لهجة إلى أخرى، فاللهجة المغربية تشبه اللهجة التونسية إلى حد بعيد، وتختلف عن اللهجة المصرية اختلافا كبيرا.

يمكن اعتبار اللهجات اللغةَ الأم للناطقين باللغة العربية، واللغة المشتركة هي لغة محورية بالنسبة إلى اللهجات المختلفة، إذا استثنينا الكلمات والعبارات ذات الأصل الأجنبي التي تستخدمها هذه اللهجات. الأمر الذي جعل المتحدثين بها لا يتفاهمون دائما فيما بينهم، على الرغم من اشتراكها في كونها شكلا مبسطا للعربية الفصحى.

وكون اللغة العربية الفصحى لغةً رسمية، لا يعني رفضَ اللهجات المحلية، لأن دور اللغة الفصحى يختلف عن دور اللهجات من الناحية الاجتماعية. فعندما يتعلق الأمر بتوجيه خطاب إلى الشعوب العربية (في مناسبات سياسية، أو ثقافية أو غيرها)، يفضّل استعمال لغة عربية مبسطة لمخاطبة الجماهير العريضة، ضمانا لفهم أحسن. فلا يوجد جدار بين اللغة العربية الفصحى والعامية العربية، بل هما متصلتان حين يَجمع المتكلمون، في تبادلات اللغة الحقيقية، بين اللغة الفصحى واللغة العامية تبعا للسياق. وهكذا يميّز الواقع اللغوي العربي بين مستويين

من العربية: فصيح وعامي، وهما مستويان متمايزان متكاملان، لا يحتل أحدهما موقع الآخر. فالفصحى هي لغة القرآن "واتصال الطبقة الأمية بها يكاد ينحصر في الجانب الديني المقدس"1، بها دوِّن تاريخ العرب والمسلمين وحضارتهم، أما العامية فيتمثل دورها في التعبير الشفوي عن حاجات الحياة اليومية.

ثانيا - مجالات بروز التعدد اللغوي

يظهر التعدد اللغوي في لغة الفرد الجزائري في مختلف المواقف والمناسبات، مثلما يظهر في قطاعات لصيقة بحياته اليومية، حيث تعكس استعمال المجتمع للغات وتطويعه لها بحسب الحاجة.

يسهم التعريب في منح اللغة العربية منزلتها الطبيعية كلغة وطنية تضطلع بمهمة التعبير، بصفة أساسية، على كافة المضامين والمفاهيم المتداولة في المجتمع، كما تعتمد لغة أساسية في البحث والتعليم بجميع مراحله وتخصصاته، وتتخذ لغة عمل الإدارة والاقتصاد والإعلام وكافة مرافق المجتمع ومؤسساتها. وبهذا المعنى، يهدف التعريب إلى تحقيق وضع لغوي طبيعي في الأقطار العربية، تعتمد فيه اللغة الأم لغة أساسية، كما تعتمد اللغة الأم في مختلف البلدان التي لا تخضع لتبعية لغوية ثقافية.

وقد أدركت الجزائر هذه الأبعاد وأصدرت " قانون تعميم استعمال اللغة العربية " في 16 / 01 / 1991، الذي " يوجب على كل المؤسسات أن تعمل لترقية اللغة العربية وحمايتها وحسن استعمالها ويلزم جميع الإدارات العمومية والهيئات والمؤسسات والجمعيات على اختلاف أنواعها باستعمال اللغة العربية وحدها في أعمالها، وفي التعليم والتربية

---

1 LAROUSSI Fouad : Plurilinguisme et identité au Maghreb.p18

والتكوين في كل القطاعات وفي جميع المستويات والتخصصات (مع مراعاة كيفيات تدريس اللغات الأجنبية)1.

أما الترجمة فتعدّ ضرورة من ضرورات حياة الأمة، تحقق التواصل الفكري الدائم مع العالم الخارجي، وتمثل مفتاحا أساسيا من مفاتيح ملاحقة ركب التقدم العلمي والترقي التقني، بفضل ما تؤديه من انفتاح على المخترعات العالمية والمكتشفات العلمية وإطلاعنا على ما حققه العالم المتقدم من رقيّ. إضافة إلى هذا، فإن انتشار حركة الترجمة والعناية بها يفيد اللغة العربية ذاتها بما تقدمه لها الترجمات من إضافات جديدة في الألفاظ والمصطلحات والمعطيات العلمية والفنية.

إن أية أمة تترجم عند الضرورة، أي عند شعورها بحاجة دينية، أو حاجة للعلاج، أوللتقدم الصناعي، أولكشف المجهول. كما تترجم للمتعة الروحية أولاستكمال المعارف، أولتقوية وشائج التفاهم بين الأمم.

وتبرُز ضرورة الترجمة بوجه خاص في مجال البحث العلمي في عالمنا العربي، لعدم وجود الكتب العلمية الدراسية والمرجعية باللغة العربية أولندرة هذه الكتب. واقتصارتداول المعرفة بالإنجليزية يحرم المجتمعات العربية الاستفادة من هذه المعارف، ويظهر هذا أكثر ما يظهر في البحوث العلمية المتخصصة والرسائل الجامعية، إذ إن كثيرا من الطلبة الذين لا يتقنون اللغات الأجنبية، يحجمون عن دراسات مهمة بالنسبة إلى مجتمعهم، لأن معظم ما نشر في هذا الميدان إنما نشر بلغة أجنبية، نذكر على سبيل المثال مجال علوم اللسان الحديثة ومجال التعليميات

---

1 الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية . العدد 03، 30 جمادي الثانية عام 1411 هـ الموافق لينار سنة 1991.ص44

والمجال التربوي الذي يتناول التقييم والمناهج التعليمية والكتب المدرسية وشبه المدرسية... فيؤثر هؤلاء الطلبة السلامة ويعيدون طرح موضوعات تقليدية قد تكون عديمة الجدوى، بل إن بعضهم يدرس موضوعات جادة ولكن افتقاره للإنجليزية أو الفرنسية وانعدام ترجمات عربية يجعله يقصّر في عمله الذي كثيرا ما ينتهي إلى أحكام عامة ونتائج متضاربة.

فلا يمكن لأي باحث جامعي أن يستغني عن إتقان لغة أولغات أجنبية، إضافة إلى إتقانه اللغة العربية الفصيحة، مهما كان المستوى والمجال اللذان يشتغل فيهما، حتى يسهل عليه مراجعة المصادر بتلك اللغة الأجنبية والإفادة من المجلات المتخصصة التي لا تتوافر باللغة العربية.

وإتقان اللغة يعني القدرة على ترجمة مصطلحات مجال التخصص،" إن اقتباس اللغة العربية، عند الضرورة، ألفاظا أجنبية، لا يضيرها بل يغنيها ويحل المشكلات التي تعترض سبيل تعريب العلم والتعليم، شريطة أن يتم هذا الاقتباس بروية وأناة ويعتمد فيه على الذوق السليم ويراعى فيه بناء اللفظة العربية على وزن مألوف من أوزان العربية"1.

فلا يكفي أن نقر أن ترقية الترجمة تعني رفع المستوى العلمي في الجامعات العربية، وأنها ترقية للغة العربية التي ينعكس عليها كل نشاط يعمل على النقل منها وإليها، ودراسة خصائصها ومقارنتها بنظام اللغة الأجنبية التي تشاركها في هذا النقل.

تستعين الترجمة بالمجامع اللغوية للتحقق من عملها ومنحه مصداقية علمية. وهذه المجامع، وإن كانت تحظى بالرعاية الرسمية، إلا أنها تفتقر إلى الصلاحيات التنفيذية التي تخوّل لها الاتصال مباشرة بالمجالات

1المرجع نفسه. ص 67

التي تحتاج إلى نتائج نشاطها لتؤسس عليها تطويرَ نفسها، ولا يمكنها التنسيق بين قطاعات تشتغل على موضوع واحد (اللغة العربية)، ومن أجل أهداف مشتركة (ترقية اللغة العربية)، ما يجعل جهودها مبعثرة، وثمراتها حبيسة الأدراج أو الرفوف، لا تستغل ولا يستفيد منها مَن هو في أمس الحاجة إليها.

وإذا كان التحكم في اللغات ضروريا لنمو الترجمة وتطويرها، فهو ضروري أيضا في مجال النشر، وخاصة النّشر باللغة العربية في الجزائر، نظرا لما نلاحظه في الكتب والجرائد والمجلات من إهمال للسلامة اللغوية (نحوا وصرفا وإملاء)، رغم أن اللغة المستعملة هي اللغة العربية الفصيحة، وكأن الحرص على الصحة اللغوية، ومراعاة ضوابط اللغة أمر اختياري أو كمالي أو ثانوي. في حين وضعت البلاد الغربية المتقدمة آليات دقيقة وصارمة تتكفل بالتدقيق اللغوي أو المراجعة اللغوية (التي لا تقل أهمية عن المراجعة العلمية) لجميع المنشورات التي تصدر في كل مجالات المعرفة. والآليات نفسها موجودة في كل وسائل الإعلام. وهكذا يعبر البلد عن سعيه الملموس (وليس مجرد قرار مكتوب يبقى حبرا على ورق) من أجل حفاظه على لغته بحرصه على سلامتها من الأخطاء وتحكمه في رصيدها الإفرادي وفي تأثرها بغيرها وتأثيرها فيها.

يعتبر الإشهار كذلك من أحسن المؤشرات التي تحدد درجة حيوية الترجمة ونشاطها أو خمولها وتأخرها عن الركب. ومثال على ذلك عزلة اللغة العربية عما يجري على ألسنة الناس، فجلّ ما يُشرب ويؤكل ويلبس ... مستورد ومسمّى بلفظة أجنبية. ما يجعل اللافتات التجارية ترسّخ توجهات معيّنة في أبناء الوطن العربي، "فالمسمى الأجنبي يعمل على بناء

تصور عن العالم ونمط من الوجود تقوم مرجعيته الأساسية وأحكام قيمته على التماهي مع حضارة الآخر، دون النظر إلى ما يستبطنه هذا النهج من وبال على اللغة والثقافة العربيتين"1.

وحالة الإشهار في الجزائر، لا تختلف عن الوضع العربي، إذ يعتمد الإشهار على اللغة الفرنسية الجارية واللغة العربية الجارية القريبة من اللهجة العاصمية، كثيرا ما تتخللها كلمات فرنسية أو إنجليزية الأصل (Kit mains libres، Flexy ...).

تستعمل مفردات من اللغة العربية الفصيحة بأخطاء إملائية (حفاضات)، ودون مراعاة قواعدها الصرفية أو تركيب جملها، وكثيرا ما يُستعان باللغة الفرنسية لاستعمال أدوات العطف والتعليل والاستنتاج (donc، parce que، justement...). رغم أن قانون التعريب أوجب، في المادة16،

" أن يكون الإعلام الموجه للمواطن باللغة العربية... ويمكن أن يكون الإعلام المتخصص أو الموجه إلى الخارج باللغات الأجنبية"2.

مع انتشار استعمال الشبكة العنكبوتية، " شهدت اللسانيات الحاسوبية العربية تطورات ملحوظة، وصارت خدمة اللغة العربية هدفا أساسيا ومهما من أهداف معالجة العربية آليا، ظهر في استخدام العربية في تصميم الحاسوب، بتعريب البرامج ولوحة المفاتيح، والطباعة العربية، والنشر الإلكتروني باللغة العربية. فكان أن انتشرت مواقع كثيرة تنشر صفحات هائلة بالعربية (الصحف، دور النشر، الجامعات،

1د. وليد العناتي ؛ د. عيسى برهومة : اللغة العربية وأسئلة العصر. ص 34

2الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية. العدد 03، سنة 1991. ص 45

الدوريات، المؤسسات الحكومية). كما تمت معالجة اللغة العربية نحويا وصرفيا ودلاليا ومعجميا، قصد إثبات أن تحديات الحوسبة خيار استراتيجي لدعم العربية ونشرها... مما يؤمن للعربية ديمومة على المدى البعيد بوصفها لغة تكتب وتقرأ وتتداول يوميا في الحاسوب وشبكة المعلومات ووسائل الإعلام"1.

إضافة إلى ما سبق، تلعب وسائل الإعلام دورا كبيرا في التنمية اللغوية والنهوض بالمستوى اللغوي العام على نحو يحقق الوحدة اللغوية في إطار المعاصرة، بحكم تأثيرها في تكوين السلوك اللغوي تأثيرا قويا. فاللغة هي حجر الأساس في العملية الإعلامية بتعدد قنواتها وتنوّع وسائلها واختلاف اللغات التي تستخدم فيها. تنص المواد 11 و17 و19 من قانون التعريب (1991) على "عرض الأفلام السينمائية والتلفزيونية والبرامج باللغة العربية (أو تكون معربة أو ثنائية اللغة)"2. غير أن هذا القرار السياسي طُبق جزئيا ولمدة معيّنة ثم تنوسي. لذلك يخلص الباحث عز الدين المناصرة إلى أن "غياب الحكومات الجزائرية المتعاقبة عن متابعة موضوع التعريب والاكتفاء بالشعارات وغياب آليات حديثة، حيث اقتصر الكلام على الوسائل السمعية والبصرية واستخدامها وكأنها هي الحل السحري لمشكلة اللغة، والأهم من ذلك لم تنجز الحكومات المتعاقبة مشروع دراسة علمية للمسألة الألسنية في الجزائر... فالتخبط في التجريب كان من سمات التعريب... غياب التخطيط والمتابعة وغياب الأبحاث العلمية الألسنية... ترك المجال للسطحيين من أنصار التعريب لتحويلها إلى مشكلة شعاراتية"3. ثم يضيف قائلا: "تأخرت الدولة الجزائرية

1المرجع نفسه. ض 51-47

2الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية. العدد 03، سنة 1991. ص 47

3عزا لدين المناصرة: المسألة الأمازيغية في الجزائر والمغرب. الأردن، دار الشروق للنشر والتوزيع، 1999. ص 31

في مسألة التعريب، وكانت غير جدية في تطبيقه. كما لم تأخذ بالوسائل المعرفية الحديثة لتطبيقه تدريجيا، بعد قراءة الواقع الألسني للإنسان الجزائري"1.

يبرز التعدد اللغوي في الإشهار ووسائل الإعلام، حيث تعايش اللغة العربية الفصيحة الفرنسيةَ تارة واللهجاتِ المحلية، العربية منها والأمازيغية، تارة أخرى. ويستعمل الإعلاميون اللغة الفصيحة ويمزجونها بالعامية بنسب تتفاوت من منشِّط إلى آخر، ومن مُذيع إلى آخر، ومن صحافي إلى آخر، مجسّدين مستوى أدائهم اللغوي في خطاباتهم.

وانتشار قنوات البث الفضائي العربي يلعب دورا في الترويج للعامية في كل بلد، كما أن مقدمي البرامج كثيرا ما يستخدمون المفردات العامية يدرجونها في تركيب اللغة العربية الفصيحة. فلغة وسائل الإعلام تتأرجح (ضمانا لفهم المتفرج العربي) بين اللغة العربية الجارية والعامية القريبة منها (ضمانا لفهم المتفرج المحلي)، فهي " في معظمها، تستخدم اللغة العربية في التواصل مع الجماهير، مع تباين مستويات العربية بين فصحى وعامية"2. والشاهد على ذلك الحصص التفاعلية التي تقدمها القنوات الفضائية في مختلف المجالات، والتي تسمح باتصال المتفرجين العرب من مناطق شتى في العالم، حيث يجري الحوار بينهم وبين منشط البرنامج بالفصحى المختلطة بالعامية، فحذف منها الكلمات الخاصة بلهجة المتفرج إن لم يكن من بلد مقدم البرنامج، وتستعمل إن كانت من لهجة مقدم الحصة أو مكان بث الحصة.

1المرجع نفسه. ص 40

2المرجع نفسه. ص 156

ثالثا- تحديث تعليم اللغة العربية

تحظى اللغة العربية بمكانة مميّزة في الجزائر إذ تُعدّ مركّبا أساسيا من مركّبات الشخصية الوطنية، وفضلا عن كونها لغة وطنية إلى جانب اللغة الأمازيغية (أصبحت اللغة الأمازيغية لغة وطنية منذ 2002، تدرس في بعض المناطق من الوطن وفي بعض الجامعات)، فهي اللغة الرسمية ولغة التعليم.

في قطاع التربية، تُدرَس اللغة العربية في مراحل التعليم الثلاث كمادة وتدرّس بها كل المواد الأخرى: الاجتماعية منها والعلمية.

وضعت وزارة التربية الوطنية في الجزائر حيّز التنفيذ مناهج تعليمية جديدة منذ 2003/2004. ومما جاء فيها، سعيا لتحديث تعليم اللغة العربية، التركيز على الممارسة اللغوية الوظيفية، وإنماء القدرات التواصلية، إذ يعمل هذا التوجّه على التخفيف من الحفظ والتلقين والاعتماد على نشاط المتعلم بتمكينه من موارد لغوية ومهارية يدعى إلى استعمالها لإنتاج خطابات مكتوبة وشفوية.

ويرجع فضل هذه النقلة النوعية في تعليم اللغة العربية إلى استفادة تربويينا ولغوييننا من الدراسات الحديثة التي أجريت حول تعليم اللغة الأم - بوجه خاص- في البلاد الغربية.

غير أن واقع الميدان يبيّن أن أثر هذا التحوّل ما زال محدودا ونسبيا، بسبب ضعف تكوين أساتذة اللغة العربية وقلة اطلاعهم على إنجازات علوم اللسان الحديثة وتعليمية اللغات في الغرب، خاصة وأن جلّهم لا يتقن اللغة الفرنسية. لذلك ما زال كثير من المعلمين يتشبثون بأساليب

تدريس تقليدية بالية لا تكاد تتجاوز التلقين والتحفيظ، لا يستهدفون المهارات اللغوية، ولا يستفيدون من نتائج الدراسات اللغوية الغربية، ناهيك عن استعمال الوسائل التكنولوجية التي قد تدفع بتعليم اللغة العربية إلى الأمام وتجعله ممتعا ومنتجا في الوقت ذاته.

وقد قيّم كثيرمن الدارسين وضع تعليم اللغة العربية في الوطن العربي وخلصوا إلى أن " أهم مظاهر أزمة العربية تتمثل في قضيتين محوريتين: قضية ضعف الطلبة في اللغة العربية وكثرة أخطائهم في أدائها، كتابة وقراءة وتعبيرا واستماعا، وقضية أساليب تدريس العربية وطرائقها. ولا شك أن أبناء العربية يعانون ضعفا واضحا وقصورا فاضحا يقصِّر عن بلوغ مستوى الكفاية المؤمّل لتأسيس معرفة لغوية نفعية (وظيفية) تمكن مالكها من ممارسة عمله بلغة عربية سليمة تخلو من العاهات النحوية والإملائية والأسلوبية"1.

والتلميذ لا يستطيع أن يربط بين ما يتعلمه في اللغة العربية وما يتعلمه في اللغات الأجنبية حتى يستفيد مما يشترك فيه تدريس اللغات كلها؛ بل إنه يرى أن اللغة العربية صعبة المنال، يختلف تعليمها تمام الاختلاف عن تعليم أي لغة أجنبية، وأنها لغة لا تنسجم مع العصر ولا تعبر عن حاجاته وانشغالاته لأنه لم يتمكّن من اكتشاف أسرارها وتطويعها لاستعماله، في حين يحمل تصوره للغات الأخرى انطباعا آخر حيث إنه يرى أنها تمثل العصرنة والحداثة وأن تعليمها أكثر بساطة ومتعة.

اتخذت وزارة التربية الوطنية وكذا الجامعة النظام نفسه في توجيه التلاميذ إلى الشعب والتخصصات المختلفة، حيث المقياس هو المعدل

---

1 المرجع نفسه. ص 113

العام، ومن يحصل على أدنى المعدلات يوجه إلى الشعب الأدبية. يبطل هذا الإجراء القرارات الرامية إلى ترقية اللغة العربية وتشجيع تعلم اللغات الأجنبية، إذ يهمّش تعليم اللغات ويجعله في مرتبة ثانوية بالنسبة إلى المواد العلمية التي تحظى بمكانة مميَّزة. انعكس هذا "التصنيف" على نظرة المجتمع للشعب المختلفة، فالتقدير الذي يحظى به الملتحق بالشعب العلمية لا يحظى به الملتحق بالشعب الأدبية. كما انعكس على نفسية المتعلم الذي يشعربالفخروالثقة في النفس عندما يقبل في شعبة علمية ويشعر بالنقص عندما يوجَّه إلى شعبة لغوية أو إنسانية وكأن مؤهلاته (لأنها لغوية أو أدبية) أقل شانا ولا يعتدّ بها.

ومن المسائل الحساسة في واقع تعليم اللغة العربية، عدم تركيز المعلمين على الفرق بين اللغة الشفوية واللغة المكتوبة. صحيح أن الدراسات من أجل وضع قواعد وضوابط اللغة العربية الشفوية قليلة، ولكن هذا لا يمنع من تطبيق ما هو موجود، مثل: عدم الابتداء بساكن وعدم الوقف على متحرك، لأن الوقف من قبيل المشافهة وهو حذف للإعراب والتنوين. كما يجب على المعلمين مراعاة شروط القراءة الجيدة من حيث الوتيرة ورفع الصوت والتلفظ بالحروف والتعبيرعن المعاني...

وما يدعو إلى هذه الملاحظة، ما ينقله التلفازوالإذاعة من قراءات كثير من كبار المسؤولين في الدولة الذين تدل قراءتهم للنصوص المكتوبة على بذل الجهد لفك الرموز وتأديتها بشكل مسترسل ومعبِّر للدلالات، الأمر نفسه يطبع قراءات التلاميذ في مختلف المستويات، فهؤلاء "يصرحون" أثناء القراءة ويرفعون أصواتهم، ويسرعون في وتيرة القراءة اعتقادا منهم أن هذين المقياسين من مقاييس الجودة والأداء. وهكذا كثيرا ما تتصف

القراءة، عند الكباروالصغار، بالرتابة ورفع الصوت وقلة احترام علامات الوقف، وعدم القدرة على الاسترسال والأداء المعبرعن المعاني.

يوصي كثير من اللغويين بالاستفادة من رصيد الطفل من لغته الأم وينصحون المعلم بمراعاة الانتقال من النسق الشفوي إلى النسق المكتوب بشكل تدريجي، حتى يستغل التلميذ مكتسباته التي كوّنها خارج المدرسة. وهكذا لا يشعر بالقطيعة بين اللغة المدرسية واللغة العامية التي تصبح عامل تبسيط وتيسير لتعلمه للغة العربية الفصيحة. فلا يخطَّأ المتعلم عندما يستعمل اللهجة العامية بل يقبل جوابُه مع التوجيه إلى المفردة الفصيحة. كما أن دروس البلاغة قد تستعين بأشكال التعبير والخيال التي يستعملها المتعلم يوميا، وجعله واعيا بأنه يستعمل لغة مشفّرة تحقيقا لأغراض معينة. وهذا من شأنه أن يمنحه ثقة في نفسه ويعزز دافعيته وترغّبه في تعلم المادة.

ومما يعاني منه تعليم اللغة العربية، تمحور النحو حول الإعراب الغراماطيقي، "في الوقت الذي تلزم فيه الطرق الحديثة في تدريس النحو تحقيقا لأهداف تواصلية وظيفية. التأكيد على كون ملكة التواصل بلغة ما ليست ملكة لغوية فحسب، بل هي ملكة لغوية تواصلية سوسيو ثقافية، وبخلاف الوعي بهذا تفقد القواعد النحوية قيمتها إذا نظر إليها بوصفها هدفا قائما بذاته، وهي في الحقيقة وسيلة لبلوغ هدف أسمى هو الهدف التواصلي الذي يرتكزبدوره على كفايات لغوية محددة.

إن التمكن من القواعد النحوية وضبطها يجب أن يتم في علاقتها الوظيفية داخل الجملة، أو النص، أو الغرض التداولي مما من شأنه مساعدة الطلبة على الاستعمال السليم للغة، وتبليغ أفكارهم على

الوجه الأكمل... فالتمحور في تدريس النحو حول الإعراب أدّى إلى ضمور المفاهيم النحوية وتراجعها، والنظر إلى الإعراب بوصفه مظهرا شكليا، وليس بوصفه قرينة مركزية من قرائن الدلالة، وتوارد المعاني على الأسماء أو الأفعال المعربة"1. ما زال تدريس قواعد النحو والصرف يركز على شواذ القواعد، فبدل أن يدرس المتعلم اللغة أصبح يدرس قواعد اللغة ويجهل وظيفة الفاعل والمفعول به وأولويات النحو.

يكاد يجمع المهتمون بتدريس اللغة العربية " أن النظام التربوي في العالم العربي عامة لا يزال يعاني من قصور في طرائق تدريس اللغة العربية. فعلى الرغم من تدريسها في جميع المراحل التعليمية، فإن الطلاب لا يحسنون التحدث أو الكتابة بها بصورة سليمة، وذلك بسبب التركيزعلى حفظ القواعد وليس على تمكين الطالب من التعبير الشفوي والكتابي"2.

بالرغم من إقرار كثير من البلدان المتقدمة أن السندات الورقية (الكتاب المدرسي وشبه المدرسي) تبقى أنجع وسيلة في تعليم اللغة؛ غير أنها ترى أن استعمال الوسائل التكنولوجية الحديثة (أنترنيت، الوسائل السمعية البصرية) يكمّل ويعزّز التعليم ويزيد من دافعية المتعلم ورغبته في التعلم وينمّي استقلاليته كذلك، خاصة وأن هذه الوسائل تعتمد على طرائق نشطة تفاعلية، يستغل بعضها الألعاب اللغوية، من شأنها تقوية التركيزوسهولة الاستعمال.

ولكن المتعلم العربي يفتقر إلى مثل هذه الوسائل، وحتى وإن وجدت بعض الأشرطة فهي مصمّمة وفق طريقة تقليدية تلقينية لا تسمح

1د. هادي نهر: اللغة العربية وتحديات العولمة. ص 190

2د. كارم السيد غنيم: اللغة العربية والصحوة العلمية الحديثة. القاهرة، مكتبة ابن يبنا، 1989.ص 130

بالتفاعل. فندرة الوسائل التعليمية الحديثة لا تسمح بتعليم اللغة العربية بشكل ناجع مثلما تعلم لغات أخرى.

أما الوسائل التكنولوجية الحديثة المعدّة باللغة الفرنسية والموجهة للطفل فيميّزها تنوّع المضامين وجودة الشكل والإخراج، وبالتالي تحقق البعد التربوي المتوخّى منها (لكونها ناقلة للقيم والتمثلات) والبعد اللغوي، حيث تثري معجم الطفل بمفردات متصلة بحقول دلالية كثيرة.

أما نصيب اللغة العربية من هذه الوسائل فإنه أقل كما وأدنى مستوى، حتى إنها تكاد لا تلعب أي دور في تعليم الطفل للغة العربية. وحتى برمجيات تعليم اللغة العربية على شبكة الأنترنيت ما زالت قاصرة كما وكيفا، ويميل معظمها إلى اتباع أنماط التعليم التقليدية، كالأسئلة متعددة الخيارات وملء الفراغات، وما شابه ذلك.

فلا غرابة إذن في حسن استقبال الطفل للغة الفرنسية وإقباله عليها، وعدم إقباله على وسائل تعلم اللغة العربية التي لا تبلغ ما بلغته في تعلم اللغات الأجنبية.

تزخر المكتبات بقصص الأطفال، المكتوبة باللغتين؛ وإذا كانت لغة القصص باللغة الفرنسية سليمة وإخراجها جيدا، فالأمر ليس كذلك بالنسبة للقصص المكتوبة باللغة العربية التي تكثر فيها الأخطاء النحوية والإملائية، وإخراجها ذو نوعية محدودة من حيث الرسوم والألوان والورق.

وقد ظهرت قصص تتناول التراث، وهي مكتوبة بالدارجة. الأمر الذي يثير بعض التساؤلات، منها:

- علما أن الدارجة هي لهجة محلية، محدودة الانتشار؛ فإلى أي طفل توجّه هذه القصص؟

- من وظائف القصص تغذية الخيال ونقل القيم وإثراء اللغة؛ فإذا افترضنا أن القصص المكتوبة بالدارجة تتوافر على الوظيفتين الأوليين، فما محل اللغة منها؟

أجمل بعض الدارسين "مشكلات العملية التعليمية في ما يأتي:

- إعداد معلمي اللغة العربية إعدادا ناقصا

- ضعف مستواهم التربوي واللغوي

- استعمالهم اللغة العامية إلى جانب الفصحى في القسم

- عدم توفر مواد القراءة الحرة للتلميذ في مختلف المراحل

- قلة العناية بالمكتبات المدرسية

- قلة اهتمام مدرسي اللغة العربية وغيرهم من مدرسي المواد الأخرى باستعمال اللغة العربية الصحيحة في العملية التدريسية"1.

ويقترح المهتمون بتعليم اللغة العربية، كل واحد وفق منطلقه، حلولا كثيرة لهذه المشكلات التعليمية، نذكر منها:

- نقل التلميذ نقلا رفيقا وتدريجيا في مراحل تعليمه الأولى من لهجته المحلية، باعتبارها لغته الأم، إلى اللغة الفصيحة، مع الإفادة من القدر المشترك بينهما،

- توعية المتعلم شيئا فشيئا بضرورة استعمال سجل لغوي معيّن في المدرسة، دون أن نخطّئه، بل نقدم له البديل أو نوجّهه إليه ليعثر عليه بنفسه من خلال خبراته السابقة،

1 المرجع نفسه. ص 127

- استعمال الرصيد اللغوي الموحد في تأليف الكتب المدرسية وشبه المدرسية، حتى ينسجم المتعلم مع لغة وسائل الإعلام العربية المنتشرة في أنحاء الوطن العربي،

- الاعتناء بأدب الطفولة كمّا ونوعا وإخراجا حتى يواكب ما يصدر بلغة غير عربية وفي البلاد غير العربية،

- وضع المصطلح العربي وتوحيده وترويجه في الوطن العربي،

- عدم تغييب وسائل الإعلام عن المحيط المدرسي، بل الاهتمام بها واستغلالها لجعل التعليم على صلة بما يحيط به في المحيط القريب وفي العالم، من حيث الأحداث وكذلك من حيث أنواع اللغات المستعملة فيه (أي تلوّن اللغة الفصيحة بكلمات وعبارات محلّية).

أما في **التعليم الجامعي**، فتدرس العلوم الإنسانية باللغة العربية وتدرس العلوم الطبّية والعلوم الدقيقة غالبا باللغة الفرنسية. وعدم تعميم اللغة العربية في تدريس العلوم يرجع أساسا إلى قصور الترجمة والبحث والاتصال بأرجاء الوطن العربي من أجل التبادل والتكييف وضبط المصطلحات.

ولكن، ومع انتشار استعمال اللغة العربية في تدريس معظم التخصصات، إلا أن الأداء اللغوي يبقى دون المستوى المطلوب، سواء باللغة العربية أم باللغة الفرنسية. وهذا الضعف اللغوي ليس خاصا بالجزائر بل تعرفه مختلف البلاد العربية، ما جعل البعض يقول:

" لقد أدى التدريس بلغات غير عربية إلى تخلّف عام بين العرب، كما أدى إلى تخلفهم في مجال استيعاب اللغة العربية ذاتها وإلى حرمان تلك

اللغة من النمو المطرد المتمثل في نحت الألفاظ للتعبير عن المفاهيم الجديدة، ونظرة إلى تاريخ أمتنا العربية تكفي لإقناعنا بأن تعريب العلوم واكب أيام نهضتها وسيادتها، وأن أيام التخلف والضعف والتمزق هي التي توقعنا في شرك التبعية الثقافية والعلمية"1.

وضعف المستوى اللغوي يقف عائقا في وجه خرّيج الجامعة عندما يتقدم للتوظيف، خاصة إذا كان حاملا شهادة باللغة العربية وأحادي اللغة، فحظه في الحصول على منصب شغل ضئيل. وحتى عندما يوظّف، يتعثّر في حياته المهنية جراء عدم تحكّمه في اللغات، وقد تفوته فرص الترقية والتقدم للسبب نفسه.

ولعلاج هذه الأوضاع، ينبغي أن تتخذ إجراءات في شأن ضبط المصطلحات، بدفع الحركة العلمية واللغوية والعمل على ترقية اللغة العربية وإصباغها بالحداثة والعلمية؛ كما ينبغي إنشاء مخابرلغوية

(على شاكلة المخابر اللغوية المخصصة لتعليم اللغات الأجنبية) تنظم دورات تحسين الأداء باللغة العربية وتعليم اللغات الأجنبية، توجّه للأساتذة والطلبة على حدّ سواء.

ومن الضروري الحفاظ على سلامة اللغة العربية وفصاحتها، وعدم مجاراة ما تذهب إليه بعض التيارات في الغرب، وما تدعو إليه " مدارس نحوية حديثة في اللغات الأوروبية أصبحت لها السيطرة اليوم، حيث تقول إنه ليس هناك ضرورة في أن يخطئ النحوُ كلام الناس، فمتى ما أصبح الكلام شائعا تجري به الألسنة فهو كلام صحيح، سواء خالف كلاما قديما أم لم يخالف. أما في اللغة العربية فالأمر ليس كذلك، فما

1المرجع نفسه.ص 69

خالف نحو القرآن وقواعده سواء من الناحية اللغوية أم البلاغية فهو كلام رديء، حيث جعل لها مقياس ثابت يُرجع إليه عبر السنين... وصل القرآن بين الأمة الإسلامية، ونحن اليوم نفهم كلام العرب قبل الإسلام، بينما الفرنسيون والإنجليزوغيرهم لا يستطيعون أن يفهموا ما كتب قبل 400 سنة إلا بجهد جهيد وبالاستعانة بالقواميس لحل غموض اللغة التي يسمونها " الكلاسيكية " أو " القديمة "، بعد أن تغيرت أساليبها وقواعدها، والأمرليس كذلك بالنسبة للغة العربية"1.

ومما يسهم في إتقان اللغة العربية، التكوين اللغوي الذي يكون في معاهد أومخابر، على طرازما هوموجود لتدريس اللغات الأجنبية، والذي من شأنه تحسين مستوى أداء المتعلم. فتنظم دورات تكوينية لفائدة الراغبين في إتقان اللغة العربية والتحكم في استعمالها لممارسة نشاطهم المهني. وضمانا لنتائج جيدة وسريعة، وحتى يبسط هذا التعليم، لا بد من استعمال وسائل تكنولوجية حديثة، وإعداد برنامج خاص بكل شريحة من المتعلمين وانتقاء محتويات مطابقة لقدراتهم وميولهم وحاجاتهم.

---

1 المرجع نفسه.ص 42

الخاتمـة

يتقدم البحث في المجال التعليمي والتربوي في الغرب بوتيرة منتظمة ومستمرة، متخذا منهجية علمية ووسائل فعالة، ويثمر نتائج من شأنها تحسين تعليم اللغات وإكساب المتعلمين المهارات اللغوية المرغوب فيها بطرائق ووسائل تبسّط التعليم وتقتصد الوقت والجهد وتجعل التعلّم ناجعا. وتنعم اللغات الأجنبية بالدراسات التي تفحص كل جوانبها، فمنها ما يتصل بالجانب المعرفي الخاص بلغة دون غيرها (نحوها وصرفها وإملاؤها)، ومنها ما يتصل بالجانب المنهجي والذي يدخل في مجال تعليميات اللغات، والذي يمكننا أن نستفيد منه في تعليمنا للغة العربية، إذ ستسمح لنا بتيسير التدريس وتبسيطه والعمل على نجاعته وتحيينه، وهذه مطالب دائمة ترافق التعليم مهما كانت فعاليته.

إن اكتشاف ممارسات تعليمية جُرّبت وأعطت أكلها عند غيرنا، من شأنه أن يرفع من مستوى كفاءتنا التعليمية وأن ينعكس كذلك على الكفاءة التعلمية. فعلينا أن نغتنم فرصة مواكبة المستجدات التربوية لننتقي منها ما يتماشى مع حاجات تعليمنا للغة العربية (المناهج، الطرائق، الوسائل...).

والاطلاع على نتائج هذه البحوث مفيد على مستويات كثيرة منها:

-مقارنة طبيعة نظام اللغة العربية بنظام لغة أخرى من أجل استخلاص خصوصية كل لغة

-تحديد ما يمكن نقله إلى اللغة العربية لأنه مشترك بين اللغتين

-تكييف العناصر الخاصة بلغة دون أخرى تبعا لطبيعة كل لغة (مثلا طبيعة النحو العربي أو الصرف...)

-الاستفادة مما هو مشترك أي ما يخص عمليتي التعليم (مراحله، طرائقه، وسائله) والتعلّم (العمليات الذهنية، البعد النفسي، سيرورة التعلم)

فالدارس العربي الذي يتحكم في اللغة الأجنبية يمكنه نقل هذه التجارب إلى اللغة العربية، أما إفادة معلم اللغة العربية الذي لا يتحكم في هذه اللغة الأجنبية، وإن طبق هذه النتائج، فسيبقى تطبيقه ناقصا لأنه ليس متشبعا بتلك اللغة الأجنبية ولم يطلع من خلالها مباشرة على نصوصها الأصلية... فالذي يطالع الأدب الفرنسي ثم يتعرف على طريقة دراسته وكيفيات تحليله واستخراج خصائصه، يمكنه الاستفادة وإسقاط أو انتقاء ما يتماشى مع طبيعة الأدب العربي ونقله إلى اللغة العربية.

إن تدريس اللغة العربية الفصيحة في حاجة إلى دعم وتكوين مستمرين، داخل المؤسسات التعليمية وخارجها، ورعاية النشاطات التي تعزز كيانها وتؤكد حضورها في الحياة الثقافية والحياة اليومية (وهي قليلة تكاد تتلخص في المحاضرات ونشر الكتب)، كأن تعمل على إنشاء وسائط تكنولوجية حديثة من أجل التعليم والتثقيف والتسلية، وترسيخ استعمال اللغة العربية في الحياة اليومية. هكذا تتصرف الأمم التي تريد أن تجعل توظيف اللغة المستهدفة ضروريا لا غنى عنه للتعبير عن حاجات الفرد المختلفة. فتنشئ مفردات جديدة وتحيّن مفردات قديمة، وتمكّن المستعمل العربي من الآليات اللغوية الوظيفية التي تكفل له الممارسة « الطبيعية» للغته وهو يشعر بالراحة لأنه قادر على القيام بالنشاطات اللغوية التي تقتضيها الوضعيات الحياتية- المهنية منها والاجتماعية- دون شعوره بالضيق والعجز.

وهكذا يعد استغلال التعدد اللغوي فرصة لتحسين تعليم اللغة العربية الفصيحة، باستثمار اللهجات المحلية لإنماء كفاءة التواصل لدى التلميذ، وذلك بدعوته إلى التعبير الشفوي مستعملا المفردات والتراكيب التي يمتلكها، حتى وإن كانت من العامية، ثم توجيهه تدريجيا نحو التعبير الفصيح، كما يمكن استثمار الأساليب البلاغية التي يزخر بها كل تعبير لغوي (مهما كانت اللغة)، لأن إدراك المتعلم أن كل فرد « يمارس البلاغة» سيشجعه على التعبير ويسهّل عليه فهم هذه المادة، التي يكاد كل التلاميذ يعتقدون أنها متصلة حصريا بالقرآن والأدب القديم!

المراجع

عزالدين المناصرة

المسألة الأمازيغية في الجزائر والمغرب الأردن، دار الشروق للنشر والتوزيع، 1999

د. كارم السيد غنيم اللغة العربية والصحوة العلمية الحديثة القاهرة، مكتبة ابن سينا، 1990

د. هادي نهر اللغة العربية وتحديات العولمة الأردن، علم الكتب الحديث، 2009.

د. وليد العناتي ؛ د. عيسى برهومة اللغة العربية وأسئلة العصر عمان، دار الشروق للنشر والتوزيع، 2007

LAROUSSI Fouad Plurilinguisme et identité au Maghreb France، Publications de l'Université de Rouen، 1997

الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية . العدد 03، 30 جمادي الثانية عام 1411 هـ الموافق لينايرسنة 1991

LAROUSSI Fouad : Plurilinguisme et identité au Maghreb. - France، Publications de l'Université de Rouen، 1997. P18

- د. هادي نهر: اللغة العربية وتحديات العولمة.الأردن، علم الكتب الحديث، 2009. ص 1

- د. كارم السيد غنيم. ص 46

- الجاحظ: البيان والتبيين، ج1. ص 368

- د. وليد العناتي ؛ د. عيسى برهومة : اللغة العربية وأسئلة العصر. عمان، دار الشروق للنشر والتوزيع، 2007. ص 100

- المرجع نفسه. ص 100-101

- المرجع نفسه. ص 23

- المرجع نفسه. ص 103

- المرجع نفسه. ص 114-116

معوقات اللغة الجامعة في الجزائر

أ/ برو محمد ،أ/ناصر باي أعمر

- جامعة المسيلة

لا يخفى على أية أمة ما للغة من أهمية ومكانة إستراتيجية في حياتها الحاضرة والمستقبلة علاوة على تحديد علاقتها ببقية الأمم إذ تعبر عن إنيّتها وتميزها ولهذا سعت وحرصت عليها حديثا وتعليما، غير أن الأمة العربية لم تستطع الخروج من المأزق الذي وضعتها فيه الدول المستعمرة إلى يومنا هذا مما يوحي بوجود عوائق حالت دون أن تتمكن من إنزال لغتها القومية المنزلة اللائقة بها وعلى رأسها أن تكون لسانها الجامع بين أفرادها وسبيل تلاحمهم، على غراربقية الأمم، وهذا ما تعاني منه الجزائر أيضا بعد مضي حوالي ستة عقود على استقلالها. وستعمل هذه الورقة على التركيزعلى هذا الجانب مبرزة أهم العوائق التي حالت دون ذلك مع تقديم تصورات واقتراحات لتجاوزها.

1ـ الإشكالية :

إن إشكالية اللغة الجامعة لا تطرح إلا على مستوى الاستخدام في مختلف المجالات الاجتماعية إن على مستوى النطق أو على مستوى الكتابة. فهي تكون محل نقاش وجدال قد يؤدي إلى تجاوز مستوى

الاختلاف في الرأي إلى خلاف بين مستعمليها إذا انتقلت إلى مستوى الخطاب أو المحادثة وجها لوجه أو عن طريق الهاتف أو الوسائل الجديدة في الاتصال، وعندما تكون أداة للمناقشة العامة والحديث الفردي العفوي والمقصود. كما أن الخلاف يمكن أن ينتقل إلى المستوى الثاني من استعمال اللغة وهو الصورة المكتوبة التي تبرز في صورة أخبار تقرأ أو قصص تروى أو خطب أو أفلام أو مسلسلات أو غيرها من الأشكال الأخرى المبتدعة في أيامنا هذه عبر مختلف وسائل الاتصال والإعلام، علاوة على ما هو معد للطباعة و النشر كالكتب والجرائد والمجلات والخطابات الاجتماعية وخاصة المراسلات الرسمية وموضوعات الامتحانات وجلسات الاجتماعات. ويشتد الخلاف بين أصحاب اللغات إذا انتقل إلى اللغة المستعملة في التربية والتعليم لما لهذا القطاع من استراتيجية وخطورة في حياة الأمم وإعداد الأجيال القادمة التي تخلف السلف، هذا الأخير الذي غالبا ما يسعى لان يحمل الأجيال الجديدة ما يعتبرها أمانة ورسالة لها مكانتها إن لم نقل قدسيتها عنده، ويعتقد أن مستقبل البلاد متوقف على مدى المحافظة على تلك الأمانة. وإذا كانت بعض البلدان التي تعيش هذه القضية أو المشكلة بحدة، أو استطاعت تجاوزها ولو جزئيا أو بصورة مؤقتة لأسباب ليس هذا مجال ذكرها فان بعض الدول تحولت قضية اللغة الجامعة إلى إشكالية تطرح نفسها بحدة مما أدى إلى تطورها من قضية هي محل اختلاف إلى قضية هي محل اختلاف يعيق سبل النهوض بالأمة من تخلفها وقد يقذف بها إلى مصير مجهول يتهدد كيانها ووجودها كدولة أو أمة ذات مقومات توحد أبناءها، ولا شك أن الجزائر من بين هذه الدول التي ما زالت تواجه هذه المشكلة وقد عملت على تبني لغة كلسان يجمع بين أبنائها سواء على مستوى

الخطاب الشفهي أم على مستوى الخطاب المكتوب، فما هي الحاجة إلى اللغة الجامعة؟ وما هي مميزاتها أو الشروط التي يجب أن تتوفر فيها؟ وكيف يمكن للغة العربية أو الأمازيغية لغة جامعة للجزائريين؟ وما هي الصعوبات التي تعترض الأمة الجزائرية في سبيل تجاوز هذه الإشكالية؟ وما هي سبل تجاوزها؟

2ـ **أسباب اختيار موضوع المداخلة:** ما من شك أن كل جزائري غيور على وطنه مهتم بمصيره ومكانته إلا ووجد نفسه شيئا من هذا الاختلاف في اللسان أو اللغة بعد خمسين سنة من الاستقلال، ذلك أن اللغة هي صورة الأمة وشرفها ومن فرط فيها فرط في وحدتها وجعلها عرضة للكثير من المخاطر أذ اللغة تعتبر من مداخل العدو بما تحمله من ثقافات قد تتعارض مع قيم ومصالح الوطن. ومن اجل ذلك لابد أن يحمل الجزائري هم هذه الإشكالية حيث رحل واستقر.

3ـ **أهمية المداخلة:** إن موضوع اللسان الواحد الذي يجمع شمل أبناء الوطن الواحد والبحث عنه في دولة كالجزائر ليس موضوعا جديدا خاصة وانه هم الأمة العربية والإسلامية كلها التي تشهد تراجعا كبيرا للغة العربية أمام اللغات الأجنبية التي اقل ما يقال أنها ارتبطت بتاريخ الاستعمار البغيض الذي ما انفك يتبع سبلا لإحكام سيطرته على البلاد والعباد، وكان من بين المداخل التي حاول استغلالها التشتت الذي يعرفه العالم العربي والإسلامي نتيجة لهذا الغزو اللغو الذي لم يكن مجرد اختلاف في صورة اللسان بل تعداه إلى الاختلاف في الأهداف التي تحدد مستقبل الأمة ومصيرها. ومن اجل ذلك فان هذه المداخلة تستمد أهميتها من محاولة معرفة العوائق التي حالت دوت تحقيق الإجماع وسبل علاجه.

4. **أهداف المداخلة:** إن إشكالية اللسان الجامع ليست خاصة بالجزائر فقط فهي إشكالية تكاد أن تكون مشكلة جميع الشعوب خاصة تلك الشعوب التي عانت من السياسات الاستعمارية التي حاربت لغات مستعمريها، ولذلك فان هذه الورقة تسعى لتحقيق الأهداف التالية:

.بيان خصوصيات الأمة الجزائرية وحاجتها إلى اللسان الجامع.

. بيان ميزات اللغتين الوطنيتين الأمازيغية و العربية كلغتين تتوافر فيهما خصائص وشروط اللغة الجامعة.

.حصر أهم معوقات جعل اللغتين الأمازيغية والعربية لغتين جامعتين.

.وضع تصور لحل إشكالية اختيار اللغة الجامعة في الجزائر.

5 -الحاجة إلى اللغة الجامعة:

إن اللغة ليست وسيلة للتخاطب فقط ، بل هي أيضا ذاكرة الناس. ومن دون اللغة، يتوه الإنسان عن موقعه في الماضي والحاضر، كما يتوه المريض فاقد الذاكرة...(الصادق النيهوم، 2009)

وهي تمثل هُوُية الأمة، وأعظم مقومات وجودها، ووطنها الروحي. ولذلك فان الأمم الحية تحافظ على لُغاتها حفاظها على أوطانها. والعلاقة بين مكانة الأمة ومكانة لغتها وثيقة جداً، فاللغة هي الأمة، فإذا تعددت لغات الأمة تعددت مشاربها واتجاهاتها ومن ثم أهدافها ولم تجتمع ريحها. (مكّي الحسَني، 2210).

أن اللغة هي سلسلة مفردات ذات ذاكرة تحفظ تاريخ عناصر الأمة ومنه وعيها الجمعي الذي ينقل أو يحفظ حراك الأجيال المتعاقبة لرسم

المعالم التاريخية للأمة. ويقول ((الياس مرقص))» إن اللغة أكثر بكثير من ذاكرة الأمة، إنها مادة بناء الفكر، واقعه المباشر، وسيلة اجتماع البشر، وسيلة لتعين وجودهم».

وبالرغم من أهمية الرمز الصوتي للغة في عملية التواصل بين أبناء الأمة في سياقها الزمني، فإنها ليست إلا ذاكرة آنية غير قادرة على حفظ الفعل للمستقبل لا بسبب قيمة الفعل المتدنية وإنما لتدني حجم ذاكرة المفردة الصوتية. أما الذاكرة الفعلية للغة فإنها تكمن في الرمز المكتوب الحامل لمعنى الفعل وتوريثه عبر الأجيال، فذاكرة تاريخ الحضارات الغابرة وصلت عبر حامل اللغة المكتوبة التي أرخت لأفعال الأمم السابقة وشخصت دورها الحضاري على بقعة جغرافية محددة. إن اختراع السومريين للكتابة أنقذ تاريخ الأمم السابقة من الاندثاروفتح أول سجل لتدوين أفعال ونتاج الأمم في المعمورة فالتطور اللغوي الراهن مدين بتطوره للسومريين الأوائل.

إن النطق اللغوي للإنسان الذي سبق الكتابة ليس سبيلاً نوعياً للتواصل بين البشر وحسب، بل رسم حداً فاصلاً بين الكائنات الحية الناطقة وغير الناطقة، أي ميز الإنسان عن الحيوان وجعل من ذاكرته اللغوية حافظة لتدوين تاريخه وتاريخ الكائنات الأخرى غير الناطقة. اللغة وماهية مفرداتها المتجددة الحاملة لذاكرة التاريخ والحاضر، ليست محمولاً لحراك الإنسان وحسب، بل لكل ما يرتبط به أو يتعايش معه أو يشغله من رؤى وأفكار عن الطبيعة والكون. فالإغريق بحكم طبيعة لسانهم (لغتهم) أتموا الاختراع حيث فصلوا الوحدة الصوتية إلى أثنين، صائت وساكن ليس لأي منهما وجود منطوق أو مسموع بمفرده، فدفعوا التجريد إلى هذه النهاية».

إن الأمم الهامشية عبر التاريخ والحاضر، هي الأمم التي تعاني من ضعف محمول ذاكرة مفرداتها اللغوية، لغتها ليست حية وإنما مهجنة من لغات الأمم الحية التي لعبت (وتلعب) أدواراً في التاريخ والحاضرلرسم معالم المستقبل. لذلك لم يؤشر محمول اللغة دوراً للأمم الهامشية عبر التاريخ وإنما أشر تبعيتها لحضارات الأمم الحية إما نتيجة لهامشية فعلها وحراكها وعدم تركه لأثر ما في سياق حركة التاريخ وأما لعجزها عن خلق لغة خاصة بها لتكون محمولاً وذاكرة تسجل حراكها عناصرها عبر التاريخ.

أنّ التقدُّم العلمي والحضاري لا يتمّان إلاّ بلغة تجمع عليها الأُمة، فما سمعنا في التاريخ أنَّ أُمةً تحضَّرت وازدهرت ونمت بغيرلغة جامعة، وخير مثال الولايات المتحدة الأمريكية، والأُمة الإسلامية أجمعت على اللسان العربي، فكانت حضارتها باللغة العربية التي نقل بها إليها تراث اليونان والفرس وغيرهما من حضارات العالم التي كانت آنذاك. وإذا نظرنا إلى الدول الصناعية المتقدمة في العالم نجدها جميعاً قد تقدَّمت في علوم الحياة كلها تطبيقية أو نظرية بلغة جعلت منها لغة قومية، وهذا لا يمنع أن تتعلَّم اللغات الأخرى لتستفيد منها وتثري تجاربها وتزيد من معارفها، ولكن الأساس دائماً لغة الأُمة التي تُمثِّل شخصيتها وكيانها ووجودها.

لقد أدركت القيادات السياسية الواعية في كثير من الدول أهمية اللغة في بناء هوية الأمة والمحافظة عليها فعزّزت لغاتها الجامعة واتخذت لغة وطنية وجعلت التعليم بها في جميع مراحله (ومن هذه الدول كوريا، وفيتنام، وفنلندا، ورومانيا..» وأحيا الكيان الصهيوني اللغة العبرية الميتة، وجعل التدريس بها في مراحل التعليم كافة.

6 - مميزات اللغة الجامعة:

ينضح مما سبق أن اللغة الجامعة هي وسيلة للتخاطب بين أفراد

الأمة، كما تعبر عن ذاكرتهم الجماعية، وعلاوة على ذلك فهي البوصلة التي تقودهم نحو الماضي ليستلهموا ما يحتاجون إليه في رحلتهم في الحاضر والمستقبل. ومن اجل ذلك يشترط فيها ما يلي:

- أن تكون هذه اللغة نتاج تفاعل عناصر الأمة على امتداد التاريخ، و تحفظ تاريخ عناصر الأمة و تعبر عن وعيها الجمعي وتستطيع رموزها المكتوبة أن تحمل معنى الفعل وتوريثه عبر الأجيال، فذاكرة تاريخ الحضارات الغابرة وصلت عبر حامل اللغة المكتوبة التي أرخت لأفعال الأمم السابقة وشخصت دورها الحضاري على بقعة جغرافية محددة. إن اختراع السومريين للكتابة أنقذ تاريخ الأمم السابقة من الاندثاروفتح أول سجل لتدوين أفعال ونتاج الأمم في المعمورة فالتطور اللغوي الراهن مدين بتطوره للسومريين الأوائل.

- أن تستطيع التعبيرعن كل ما يرتبط بالأمة أويتعايش معها أويشغلها من رؤى وأفكارعن الطبيعة والكون.

- ألا تعاني من ضعف محمول ذاكرة مفرداتها اللغوية، كان تكون لغة مهجنة من لغات الأمم الحية التي لعبت (وتلعب) أدواراً في التاريخ والحاضر لرسم معالم المستقبل. فمثل هذه اللغات تجل دور الأمم التي تستعملها دورا هامشيا عبر التاريخ وترسم تبعيتها لحضارات الأمم الحية.

- أن تستطيع اللغة المختارة أن تعبرعن هُوُية الأمة، وأعظم مقومات وجودها، ووطنها الروحي.

- أن تواكب مستويات التقدُّم الحضاري والعلمي والتكنولوجي. وان كان هذا الأمر مرتبط بالدرجة الأولى بأهل تلك اللغة. فالحضارة الكورية

والتقدُّم الصناعي فيها راجع إلى اهتمام الكوريين بلغتهم، فما من أُمةٍ في التاريخ كانت لها صناعة وحضارة وتقدُّم إلا كانت لغتها والتمسُّك بها والدراسة بها هي سرُّ تقدمها وحضارتها، فعندما حصلت كوريا على استقلالها عام 1946م وجدت الحياة فيها تسير بلغة غير لغتها والناس يتعلّمون باللغة اليابانية التي تهيمن على الحياة الفكرية والثقافية، وأنّ اللغة الكورية لغة بدائية هجرها الناس وأصبحت منسية لا تعرفها كثير من الأجيال. وكان على الكوريين أن يتخذوا قراراً حاسماً تاريخياً بترك اللغة اليابانية والعودة إلى الكورية لتكون لغة التعلُّم والتعليم، ولكنهم واجهوا مشكلة عدم معرفة الناس للغتهم إلا قلّةً من العجائز الذين يعيشون في القُرى مما جعلهم يحضرونهم إلى المدن ليُعلِّموا المتعلِّمين والمثقفين مبادئ اللغة الكورية وكان عليهم أن يبدءوا من الصفر، فاتجه الناس جميعاً إلى تعلُّم لغتهم وإحلالها في شؤون الإدارة والتعليم والحياة عامة، وفي خلال عقدين من الزمان أصبحت اللغة الكورية المنسية هي لغة العلم والصناعة والمعرفة، واستفاد الكوريون من التجربتين اليابانية والصينية في الانفتاح على التكنولوجيا الغربية وعلوم الغرب وتعلُّمها ولكن بلغة بلادهم، و بعقلية التلميذ الذي يريد أن يتعلم وليس بعقلية الزبون الذي يريد أن يشتري. كما نفعل نحن. وقد ذكر الأستاذ «عثمان السعدي» في مقالةٍ له بمجلة «العرب» عام 1984م: أنّ اليابانيين لم يتخلُّوا عن لغتهم بل عمدوا إلى لغات الغرب يتعلَّمونها ثم يُترجمون منها الكتب والبحوث العلمية والدوريات لوضعها بين أيدي العلماء اليابانيين بلغتهم ثم تجاوزوا مرحلة النقل والاقتباس إلى مرحلتي الهضم والتمثيل حتى تفوقوا على أساتذتهم وكل ذلك كما يقول الأستاذ السعدي تمَّ بفضل أمرٍ واحد وهو سيادة اللغة اليابانية على مرافق الحياة كلها.

لقد استفاد الكوريون من هذه التجارب فنقلوا وترجموا العلوم بلغتهم التي أحيوها بعد اندثار، وأصبحوا من الدول التي تسيطر بمنتجاتها وصناعتها على السوق العالمية وأصبحوا منافسين بل متفوقين على الدول الصناعية الكبرى حيث يقدمون الصناعة الجيِّدة بأسعار مناسبة لا تتنافس، وبعد أن كانت كوريا عام 1962م من الدول المنخفضة الدخل بحيث لم يتجاوز دخل الفرد المائة دولارفي العام صارت من الدول الغنية التي يرتفع فيها مستوى دخل الفرد إلى مبالغ خيالية.

7ـ العربية كلغة جامعة:

يتبين مما سبق أن اختيار اللسان الجامع ضرورة وجودية وما هوية، أي فهي تضمن بقاء الأمة وتموقعها بين الأمم كما تحدد ماهيتها أو هويتها وتحافظ عليها مما يجعلها متميزة عن بقية الأمم وذلك له انعكاس إيجابي على تقدير الذات عند أفراد الأمة وجماعاتها العاملة كل حسب واجبه. وإشكالية اختيار اللغة الجامعة في الجزائر تقترح توجهين أساسيين: أولهما اختيارلغة أجنبية كلسان جامع وهذا مرفوض نظرا للانقطاع والهوة القائمة بين اللغة الأجنبية وهوية الأمة الجزائرية التي لها ذاكرة وتاريخ مخالفان لأصحاب اللغة الأجنبية. أما الخيار الثاني فهو أن يتم تبني لغة لها ارتباط تاريخي وبذاكرة الأمة وهنا يمكن الحديث عن اللغتين الأمازيغية واللغة العربية. وسنبدأ الحديث عن اللغة العربية كلغة جامعة للجزائريين ثم نتحدث عن علاقتها باللغة الأمازيغية.

- تحتل اللغة العربية مكانة أساسية من حيث عدد الناطقين بها إذ تحتل الرتبة الرابعة بعد اللغة الصينية(1.2 مليار) و إسبانية(329 مليون) والانجليزية(328 مليون) وتسبق العديد من اللغات منها الفرنسية (220 مليون).

أما من حيث هي لغة الأنترنت فهي تحتل المرتبة 12 بعد كل من الانجليزية والصينية والإسبانية واليابانية والألمانية والفرنسية والكورية والإيطالية والبرتغالية والماليزية والهولندية، وهذا الترتيب الذي تحتله العربية يعود إلى عوامل عديدة على رأسها العامل المادي وعدم انتشار شبكة الأنترنت في الكثير من الأقطار العربية بالشكل الكافي و ضعف خدماتها.

وإذا جئنا إلى استعمالها فهي تحتل المرتبة السابعة (60.2 مليون) بعد كل من اللغة الانجليزية (499.2 مليون) والصينية (407مليون) والإسبانية (139.8 مليون) واليابانية (95.9 مليون) والبرتغالية (77.5 مليون) والألمانية (72.3 مليون).

- ارتبطت بقيم اشتهربها أصحابها، ومنها الرجولة. فقد قال طه حسين: "إن المثقفين العرب الذين لم يتقنوا معرفة لغتهم، ليسوا ناقصي الثقافة فحسب، بل في رجولتهم نقص كبير ومُهين أيضاً." وقال أبو الريحان البيروني (362-440 للهجرة) العالِمُ الشهير، الفارسي الأصل: «والله لأَنْ أُهْجى بالعربية، أحبُّ إليَّ من أن أُمدح بالفارسية!»

- عبقرية اللغة العربية: كُتب عن ذلك عشرات الكتب والدراسات والمقالات، وانحنى لعظَمتها العرب والمستشرقون ، حتى لقد قال أحدهم: «ليس على وجه الأرض لغةٌ لها من الروعة والعظمة ما للّغة العربية، ولكن ليس على وجه الأرض أُمة، تسعى بوعي أو بلا وعي، لتدمير لغتها كالأمة العربية!».

- كانت اللغة العربية في الماضي لغة عالمية - وبأنها اليوم - باعتراف العالم كله - اللغة الرسمية الدولية السادسة : في هيئة الأمم المتحدة

ووكالاتها المختلفة، وفي منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونيسكو).

وما أعمق ما قاله الدكتور عثمان أمين في كتابه (فلسفة اللغة العربية): «مَن لم ينشأ على أن يُحب لغة قومه، استخف بتراث أمته، واستهان بخصائص قوميته. ومن لم يبذل الجهد في بلوغ درجة الإتقان في أمر من الأمور الجوهرية، اتسمت حياته بتبلّد الشعور وانحلال الشخصية، والقعود عن العمل، وأصبح دَيْدنه التهاون والسطحية في سائر الأمور» (مكّي الحسَني22، 2010).

- إن أهم فضيلة تذكرللغة العربية هي ارتباطها بنص القرآن، فأصبح القرآن هو ذاكرة العرب نفسها، مما جعل استبعاد لغته، من شؤون الحكم والإدارة، بالنسبة للعرب، لطمة مميتة أضاعت صوابهم إلى حد فقدان الوعي. (الصادق النيهوم، 2009.)

لقد اختارها الله تعالى لغة لكتابه العزيز، واختار العرب ليحملوا هذه الرسالة للناس كافة، ولتحملها معهم أمة الإسلام من شعوب الأرض. وشاء الله تعالى أن ينزل هذه الرسالة على سيد ولد آدم، وخير العرب بيتاً، وأفصحهم لساناً، وأبلغهم بياناً، وأكرم الناس خلقاً وهدياً؛ فأنشأ بهذه الرسالة أمة، وبنى حضارة، وانصهرت الشعوب المسلمة وتوحدت في ظلال القرآن الكريم، وأعطى العلماء المسلمون -على اختلاف أجناسهم وتباعد ديارهم- ثمرات عقولهم في خدمة لغة القرآن الكريم وحديث النبي -عليه أفضل الصلاة والتسليم. فكانت الأمة العربية والإسلامية قائمة بعقيدتها، ولغتها، وثقافتها، وتاريخها، وما سجلته أقلام علمائها في علوم التفسير والحديث والفقه والتاريخ والآداب وغيرها من العلوم، باللغة العربية، شاهدة على وجود الأمة وعمق انتمائها الحضاري والتاريخي.

كما استطاعت اللغة العربية أن تتحول من لغة شعر إلى لغة علم في العصور الوسطى، وعن اللغة العربية أخذ علماء الغرب في الأندلس الذين أقاموا على أساسه العلوم المعاصرة ومنجزات حضارة اليونان. كما تحولت من لهجة لقبيلة قريش من دون سائر القبائل إلى لغة لا تصل بين العرب فقط بل أصبحت لغة تواصل مع غيرهم من الأمم ووحدتهم في أقطارهم المختلفة، رغم تعدد لهجاتهم، بل وحدت المسلمين على اختلاف مشاربهم، وأصبحت لسانهم الجامع. بل لم تجمع المسلمين فقط بل جمعت أصحاب الديانات الأخرى من يهود ونصارى الذين جعلوا منها لغة خطابهم وتعليمهم وبحوثهم، وهكذا قامت عروة وثقى بين اللغة العربية والدين الإسلامي.

إن إعلان الاستعمار بمختلف أشكاله الحرب على العربية ما هي إلا محاولة لفك التمفصل القائم بين اللغة العربية والدين الإسلامي الذي أحلها مكانة عالية بين الأمم واجتمعت عليها رغم اختلاف الأجناس والديانات. وان عمل الاستعمار قديمه وحديثه على إحلال اللغة الأجنبية محل العربية في مدارسها وجامعاتها، وشجع اللهجات العامية وحرض أهلها على اللغة العربية لا يمكن أن يفسر بغير ذلك. إذ الاستعمار يلجِأ أيضا إلى محاربة الجزء الثاني المكون لهذا التمفصل وذلك بوضع خطط تنقية المناهج من الآيات والأحاديث. فالقرآن يؤكد على هذه العلاقة في عدة آيات، منها: قال الله تعالى: {وإنه لتنزيل رب العالمين. نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين. بلسان عربي مبين] [الشعراء: 192-195].

وقال تعالى: {تنزيل من الرحمن الرحيم. كتاب فصلت آياته قرآناً عربيّاً لقوم يعلمون} [فصلت: 3-2].

وقال تعالى: {وكذلك أنزلناه قرآناً عربيّاً وصرّفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكراً} [طه:113].

ونعرف كيف تنبّه علماء الأمة لمكانة اللغة العربية ووجوب تعلمها وإتقانها. فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب؛ لأن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا بفهم اللغة، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب. وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه: فعلى كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده، حتى يشهد به أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، ويتلو به كتاب الله وينطق بالذكر فيما افترض عليه. وقال الإمام الزمخشري: اللهَ أحمد أن جعلني من علماء العربية وجبلني على الغضب للعرب والعصبية، وأبى لي أن أنفرد من صميم أنصارهم وأمتاز، وأنضوي إلى لفيف الشعوبية وأنحاز.

وقال الدكتور طه حسين: إن المثقفين العرب الذين لم يتقنوا معرفة لغتهم ليسوا ناقصي الثقافة فحسب، بل في رجولتهم نقص كبير ومهين أيضاً.(إبراهيم زيد الكيلاني، 2011)

لقد ارتبطت العربية بكل من هو مسلم، بغض النظر عن جنسه وأرضه وقومه وأصل لسانه. وذلك لكونها اللسان الناطق بالإسلام، المعبر عن مدلوله، المترجم لمراده. ومن ثم فمن غير إدراك دلالة اللفظ العربي وفق المعنى الذي وضع له في أصل لغته القرآنية، فإنه يستعصي إدراك معنى الإسلام على حقيقته. وبالتالي فأي تزييف يحصل في مدلول ألفاظ اللغة العربية، فهو تلقائيا تزييف في مفهوم الإسلام، وانحراف في تربية المسلمين.

فمثلا: كلمة الجامع تعيش في ذاكرة المواطن العربي بمعنى بيت الله. وهوبيت له، حرمة وقوانين، منها المجادلة بالحسنى، والتأدب في الخطاب، وخفض الصوت، وتجنب سوء الظن، والغيبة، والنميمة والتنابز بالألقاب. وان استبدال مصطلحات القرآن، بمصطلحات مترجمة عن شرائع أخرى، خطأ سياسي مميت جدا، لأنه يجعل المسلمين ومن معهم يفقدون ذاكرتهم سرا، دون أن يفقدوا لغتهم العربية.

إن قوة اللغة العربية لا تكمن في مجرد كونها لغة - حروف وكلمات وجمل فحسب - فهي بهذا الوصف كانت قائمة قبل الإسلام، لكنها لم تصنع ما صنعته في فكر الإنسان وتوجهه العقدي، إلا لأنها أصبحت متمفصلة مع الدين الإسلامي وكتابه وسنته، ولذلك فان المستشرق «كامفاير» يقول في شماتة، عندما ألغي الحرف العربي في تركيا: (إن قراءة القرآن العربي وكتب الشريعة الإسلامية قد أصبحت مستحيلة بعد استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية). هذا يعني أن تراجع اللغة العربية كلغة جامعة يترتب عنه تراجع دور الإسلام كدين جامع أيضا، ولذلك فان فوكوياما قد قال: «أنا أرى أن التوفيق ممكن بين الإسلام كدين وبين الحداثة، فالإسلام يمثل ديناً ونظاماً ثقافياً معقداً للغاية، وقد أثبت قدرته على التوافق مع الحداثة في عدد كبير من المجتمعات والأفراد، ولا أرى هناك سبباً يمنع من وجود شكل حديث للإسلام، غيرأن «نوع الإسلام» الصحيح لا يمكن أن يتفق مع الحداثة، والقضية الأساسية هي إمكانية وجود دولة علمانية تجعل الإسلام بين أربعة حيطان»(أحمد يوسف، 2012).

7 - عوائق اختيار لغة جامعة في الجزائر:

ويستشف مما سبق أن اختيار اللغة الجامعة يتوقف على عوامل ذاتية متعلقة بهوية الأمة من جهة، وعوامل أخرى مرتبة بالظروف الراهنة أو العوامل الموضوعية من جهة أخرى. والجزائر التي تعرف اختلافا حول الاتفاق على لغة جامعة ارتقى أحيانا إلى مستوى الخلاف هي في أمسّ الحاجة إلى تداركه ومعالجته قبل أن يستفحل.

إن الجزائر بأبعاد هويتها الثرية و المتعددة تجد نفسها أمام اختيار ليس باليسير للبت فيه والدليل على ذلك هو تعدد التوجهات إن لم نقل النزعات التي ترتقي إلى المستوى الإيديولوجي أو العقائدي والذي جعل الجزائريين، اقصد هنا خاصتهم، يعيشون في عزلة ويحاولون الانفراد في اختيار اللغة الجامعة لكل الجزائريين دو استشارتهم. فالجزائريون أمازيغ اسلموا فتعربوا بسبب إسلامهم، ثم احتلهم الاستعمار الفرنسي الذي عمل كغيره من الدول الاستعمارية فرض حضارته و مازال يفعل ذلك متبعا كل السبل التي تحقق أهدافه التي تخفي أهدافا مادية نفعية أيضا. وهنا انقسم الجزائريون، اقصد الخاصة، بين متبن للغة الفرنسية بزعمهم أنها لغة علم وحضارة، واستغل مكونات الهوية الجزائرية الأمازيغية لتحقيق ذلك، وفي المقابل تبنت طائفة أخرى اللغة العربية بدعوى أنها لغة الإسلام والدين لتدافع عن مصالح أخرى متعارضة مع مصالح الفئة الأولى. وأمام هذا الاختلاف في الرأي الذي يبطن خلافا حول المصالح، ضاقت فرصة الاختيار الواعي والحر للغة الجامعة التي على أساسها تتحقق وحدة الأمة الجزائرية وقوتها العلمية والتكنولوجية، وهنا يأتي الحديث عن معوقات اختيار اللغة الجامعة: الأمازيغية والعربية.

تتعدد الصعوبات التي تعترض الجزائر في سبيل تحقيق اتفاق حول اللغة التي تجمع شمل أبنائها والتي يرتبط بعضها بعوامل تاريخية والأخرى ترتبط بعوامل معاصرة، وهذا ما نحاول تبيانه في هذا القسم من المداخلة.

أ- العوامل التاريخية:

لقد ارتبطت العربية كلسان جمع الجزائريين على اختلاف مشاربهم بالديانة الإسلامية وامتزجت بها إلى أن كونت لحمة واحدة، وأصبحوا ينتمون إلى كل واحد هو الأمة الإسلامية، إلى أن ابتليت الجزائر كغيرها من دول العالم العربي والإسلامي بالاستعمار الغربي نتيجة لعوامل ذاتية وأخرى موضوعية خارجية.

لا شك في أن الاستعمار كانت وطأته اشد على الجانب الثقافي المرتبط بعناصر مكونات الأمة، والتي منها اللسان الجامع لذاكرة الأمة التي ارتقت من مستوى الكيانات المفتتة إلى مستوى الإجماع والتكتل المتين بفضل اللغة الجديدة. ولم تطرح مشكلة اللغة في الجزائر إلا بعد الاستقلال، وان كانت قد عرفت قبل ذلك بعدة سنوات، عندما بدأ تفكك المفصلية القائمة بين اللغة والدين، فحينها لم تبرز الثنائية اللسانية أو تعددها في ظل دين شامل التحم فيه الوافد مع أهل الديار، وان كانت للوافد زلاته وأخطاؤه فان المستقبل كان متسامحا أو متجاوزا لها بفعل اللحمة بينهما.

ب ـ العوامل الذاتية:

إن مجيء الاستعمار الصليبي واتباعه لخطة من شانها أن تقوض أركان اللسان الجامع(عمار طالبي، 2009)، ولم يكن في حاجة لان يباشر تنفيذ الخطة بنفسه بعد خروجه الشكلي من العالم العربي والإسلامي، إذ تولى تنفيذ الخطة قوم من جلدتنا ويحملون أسماءنا، فعمل هؤلاء على فك المفصلية بين اللغة العربية والدين الإسلامي بطرق وأشكال شتى في مختلف الأقطار العربية الإسلامية التي تكونت بعد حل الحبل المتين الذي كان يربط ويعزز المفصلية العربية الإسلامية دون تمييز بين الناس على أساس دين أو عرق أو جنس....فانبرى لعملية التفكيك رجال منا متبعين عدة وسائل وطرق على رأسها تنفيذ خطة المستعمر على مستوى الأنظمة التربوية وبرامجها.

إن هذه العملية المقوضة للسان الجامع برزت أحيانا في صورة دعوات مدافعة عن اللغة العربية، لكن في الظاهر فقط، أو بالدعوة إلى ترقيتها بصورة منفصلة عن ملازمها أو مكونها الأساسي والذي رافقها في دخولها ألي الدياروفاتح القلوب لها قبل الأبواب. وعندما برزت مثل هذه الدعوات نظر إلى العربية كدخيل لا يختلف عن أية لغة أخرى، ووجد خصومها مبررا لمحاربتها بدعوى أنها ليست لغة علم وان أهلها متخلفون ....وأحيانا أخرى برزت في صورة دعوات محاربة للغة العربية جهرة مثل الحركة التي تدعو إلى استبدال اللهجات المحلية باللغة العربية، أوتدريس اللغات الأجنبية والعناية بها كل العناية بينما اللغة العربية لم تجد إلا الإهمال. (إبراهيم زيد الكيلاني، 2007).

إن هؤلاء تغافلوا عن تجارب الأمم المختلفة في إحيائها للغات كانت في عداد اللغات الميتة كالعبرية، علاوة تجارب الأمم المتطورة علميا وتكنولوجيا مثل اللغة السويدية، والمحافظة عليها، وهي لغة قومية وليست في مقام اللغة العربية التي لم تجد اهتماما مماثلا لذلك الذي خصص لتدريس اللغات الأجنبية ومنها الفرنسية في الجزائر رغم تدني مكانة الفرنسية في العالم أمام العديد من اللغات الأخرى وعلى رأسها الانجليزية. (نورة خالد السعد، 2011).

أما دعاة حماية اللغة العربية كثيرا ما تبنوا منهجا أرسطيا ثنائي القيم، ينظر إلى القضايا إما باعتبارها صادقة أو باعتبارها كاذبة، وعندئذ فان القضية الأخرى يقف منها صاحب هذا المنطق موقف الرافض المحارب. فقد تبنى هؤلاء منهجا يضع اللغة العربية موضع الضرة للغات واللهجات القومية بدل أن يتبع منهجا يستوعبها ويؤاخيها. فأصبح أصحاب هذا المنهج يقفون موقفا معاديا لكل لغة قومية محلية أولهجة، كما يحلولهم تسميتها، ويربطون إتباعها بالاستعمار، واستغل الاستعمار الغربي هذه الثغرة من اجل تحقيق أهدافه في التفرقة بين شعوب الأمة الإسلامية الواحدة. والسؤال الذي يطرح هنا هل في التجربة الإسلامية الأولى التي أقامها النبي (ص) ما يدل على سلوكه هذا النهج الذي يبرز فهما غيرسليم للدين الحنيف؟

في تصورنا ليس من المبالغة القول أن هذا المنهج الأرسطي الكلاسيكي مناف للمنهج الإسلامي المتعدد القيم الذي يتسع لإيجاد الحلول لمختلف

القضايا، والسيرة النبوية الشريفة تزخر بالمواقف العملية للرسول (ص) في التعامل مع مثل هذه القضايا التي تحتاج إلى مرونة ونظرة شاملة حتى لا يسيء احدنا لامته ويساهم في محاربة اللسان الجامع وهو اللغة العربية بالنسبة للمسلمين، لكن لا ينبغي تحويل العربية إلى لهجة لقبيلة أو لغة اثنيه لقبيلة من قبائل أدغال إفريقيا.(أحمد يوسف، 2012).

وحتّى نفهم المنهج الذي يسيء للغة العربية يجب أن نعود إلى ظروف نشأته. فالمعروف عند المؤرخين الموضوعيين هو أن حركة تراجع حدثت بعد الخلافة الراشدة في التاريخ الإسلامي إن لم تكن قد بدأت تلك الحركة قبل ذلك بانبعاث العصبيات القبلية التي عالجها الرسول (ص) ومن بعده خلفاؤه الراشدون(رض) المقتدون بهديه، ثم طغت في عهد الحكم الأموي ومن جاء بعدهم، ولعل حادثة مقتل عقبة ابن نافع على يد كسيلة تعد نتيجة لهذا المنهج. ولقد استمر هذا التيار في الوجود إلى أن جاء الاستعمار الغربي الذي أذكاه ووظفه في إطار سياسة فرق تسد، ولم ينج بعض اتباع المذاهب الإسلامية من الوقوع في مطب هذا التصور الضيق لمفهوم اللغة وإهمال تمفصلها مع الدين الإسلامي.

وفي التاريخ الحديث والمعاصر ابتلي العالم الإسلامي بمن انتسب إلى الإسلام لكن الإسلام المنفك عن العروة الوثقى بين الدين واللغة، ويصدق ذلك بالنسبة لبعض الدول الإسلامية خاصة الدولتين العثمانية و الصفوية. ولقد عانى العالم العربي من سياسة التتريك، ولذلك عندما سنحت الفرصة حملت الثورة العربية الكبرى لواء مخالفا لما تبنته

الدولة العثمانية فتبنت الدفاع عن العروبة المنقوصة من روحها وهو الدين والذي فتح للناس قلوبها ليتقبلوا اللسان الوافد. ولقد كان ساطع الحصري (1879-1968) نموذجا لهذه الثنائية التي لا تتحمل إلا صدق قضية واحدة فقط بغض النظرعن العلاقة التي تربطها ببقية القضايا، علما بأن العلاقات بين القضايا متعددة وليست محصورة كما اعتقد أرسطو. ولم ينج بعض أتباع التوجه الديني من تأثير المنطق الأرسطي فتم تبني نهجا إقصائيا يرفض الآخر مهما كانت العلاقة بينهما وهذا تطبيقا للمنطق الأرسطي الذي لا يتجاوز حدود الشكل، فالجميع يفكر داخل منطق حدوده وقضاياه وعلاقاته المنطقية ضيقة، انه منطق ما قبل المنطق الإسلامي الذي تمفصل مع اللغة العربية التي كانت لسانا جامعا لأجناس متباينة وأصقاع متباعدة. (أحمد يوسف، 2012).

لا شك أن إخفاقنا في الاتفاق حول لغة جامعة هو تعبير عن أزمة تعيشها الأمة الجزائرية التي يعمل أبناؤها على تعميق تجزئتها وتفتيتها، وإذكاء التناقض بين واقعها وجوهرها، وهي صورة لبقية الأقطار العربية والإسلامية، في غياب الفلسفة الشاملة التي تعزز النظرة المفصلية للعلاقة بين اللغة و الدين. (نورة خالد السعد، 2011).

9 - تصور لحل المشكلة:

أن حل إشكالية اختيار اللغة الجامعة في الجزائر ليس بالأمر الهين واليسير نظرا لتعقد المشكل في ظل ظروف المسئول عنها ليس الجزائريون فقط بل تتداخل العوامل الخارجية وهي عوامل متعددة ومتشابكة

علاوة على دور العوامل الداخلية، يحتاج علاجها إلى أن يكون الانطلاق من الداخل لان الخارج يفلت من بين أيدي الجزائريين في معظمه. فأول علاج جاد لتجاوز مختلف تلك العوائق يمكن أن يتمحور حول ما يلي:

أولا: دراسة الواقع القومي في الجزائر:

أن تعد دراسات موضوعية علمية غير منحازة لواقع المجتمع الجزائري من حيث بنيته السكانية القومية، ومحاولة التركيز على أسباب القوة والضعف في العلاقة بين القوميتين الأساسيتين الأمازيغية والعربية من حيث أسسها. وبناء على النتائج المتوصل إليها يمكن تعزيز الإيجابي من العوامل وتصحيح ما فسد منها، خاصة في ظل التطورات العالمية المعاصرة التي أرست قواعد جديدة للتعامل بين الأفراد والجماعات على اختلاف أجناسها وديانتها، في إطار فلسفة تجديدية تعمل عملها على المستوى النظري وعلى المستوى الواقعي العملي. وأي دراسة لا يمكنها أن تتجاهل التطورات المختلفة التي عرفها المجتمع الجزائري عبر العصور العابرة وخاصة القرنين الأخيرين، علاوة على التطور السريع الذي يعرفه القرن الواحد و العشرين.

إن هذه الدراسات لا يمكن أن تتجاهل مجموعة من الحقائق التاريخية التي تحتل حيزا لا باس به في ذاكرة الأمة، منها:

- لقد عرفت الجزائر بنية سكانية قبل الفتح الإسلامي.

- ان هناك أخطاء ارتكبها الفاتحون كبشر، لا يمكن إنكارها، بل يجب

النظر إليها كما هي باعتبارها أخطاء بشرية تتكرر عبر العصور وفي كل المجتمعات، يجب التعلم منها و الاتعاظ بها.

- إن دخول العربية كان مرتبطا بدخول الإسلام إن لم نقل كان دخوله قبل دخولها وأية محاولة تتجاهل ذلك لا يكون مصيرها إلا المعارضة.

- إن تميز الأمازيغ بعادات وتقاليد في الجزائر كاستمرار وجودهم كمجموعة بشرية تقطن بعض المناطق، والمحافظة على اللغة الأمازيغية كتابة وقراءة، والعناية بتطويرها في إطار الثقافة الأمازيغية، يجب أن ينظر إليه في أطار فلسفة إسلامية خالصة لا تشوبها نظرة دخيلة عليها مهما كان مصدرها.

- إن الجزائريين كلهم لديهم الاستعداد الكامل للتعايش والتفاعل والتبادل الثقافي مع ثقافات الشعوب الأخرى، ومنها ثقافة الشعوب الإسلامية العربية، في إطار فلسفة إسلامية أصيلة.

-إن المسئول عن إشكالية اختيار اللغة الجامعة في الجزائر المسئول عنها تفريط أهلها في لغاتهم قبل محاربة الاستعمار لها، بغض النظر عن الانتماء الجهوي في الجزائر.

-إن عرقلة اختيار اللغة الجامعة يعود بالدرجة الأولى إلى تباين في مصالح الجهات الفاعلة سواء على المستوى المحلي أم على المستوى الخارجي.

ثانيا: التحرر من المنطق الأرسطي في التعامل مع الواقع اللغوي في الجزائر، ويقصد عنه التحرر من الإثنية التي تجعل من اللغتين الوطنيتين الأمازيغية و العربية قضيتين متناقضتين.

ثالثا: العناية باللغتين الوطنيتين معا باعتبارهما آيتين من آيات الله، وتسخير كل الوسائل العلمية و التكنولوجية للحفاظ عليهما وتطويرهما.

رابعا: أن يترك للجزائريين حرية اختيار اللغة الإدارية التي يستعملونها، وهنا يمكن استعمال اللغتين معا الأمازيغية و العربية، والأولى تكون بديلا للغة الفرنسية. وفي هذا الصدد كتب السيد أحمد عصيد يقول: «إن انتشار العربية عبر وسائل الحياة العصرية وقنواتها المستحدثة، لا يمكن أن يكون في حد ذاته مصدرا لأي ضرر أو موجبا لأي احتجاج أو استنكار، إذ رضي بها المغاربة لغة لهم منذ قرون، ولكن أن يتم ذلك اليوم على حساب الأمازيغية التي خلافا للفرنسية لا تتمتع بأية حماية قانونية أو مؤسسية، فذلك بالضبط هو ما ينبغي أن يقرأ فيه الإسلاميون وغيرهم أسباب انبثاق المطالب الأمازيغية، وليس «الظهير البربري».(أحمد يوسف، 2012)

خامسا: أن تستبدل الانجليزية بالفرنسية كلغة علم وتكنولوجيا في انتظار ترقية اللغتين الوطنيتين الأمازيغية و العربية.

سادسا: أن يتم اختيار اللغة الجامعة في إطار تفعيل كل العوامل التي من شانها أن توحد الجزائريين كأمة بمختلف أبعادها الحضارية الماضية

و الحضارية و المستقبلية في إطار تصور وطني شامل بعيدا عن الإقصاء مهما كان نوعه ومصدره. فاللغة الجامعة يتم الاتفاق عليها عندما يجتمع الذين يريدونها وليس يصلح اختيارها لمن يعيشون في حالة تشتت وتمزق. ولذلك يجب وضع تشريعات من شانها أن تحمي الوحدة الوطنية قبل التفكير في وضع تشريعات تحمي لغة معينة باعتبارها لغة جامعة.

سابعا: أن تستغل التربية بكل أشكالها لخدمة هذا الغرض علاوة على تسخير وسائل الإعلام لخدمة هذا الغرض.

ثامنا: أن تبنى دولة مدنية ديمقراطية تستند إلى الشرعية الدستورية الديمقراطية واحترام وممارسة حقوق الإنسان والاعتراف بالحقوق القومية العادلة والمشروعة والابتعاد عن التمييز بين السكان، مهما كان شكله وبذل الجهد من أجل ضمان العدالة الاجتماعية التي تفتقدها الغالبية العظمى من شعوبها وتحقيق التنمية الوطنية، الاقتصادية والبشرية، أي العودة الصارمة إلى إرادة ومصالح الشعب.

خلاصة:

إن إشكالية اختيار اللسان الجامع للجزائريين إشكالية معقدة سبب تعقيدها تداخل العوامل الذاتية الداخلية التي عرفتها الجزائر في بعدها التاريخي والحضاري وما صاحب ذلك من انحرافات استغلها العدو الخارجي ليصنع منها عوامل خارجية أذكت ذلك الانحراف الذي عمل خاصة الجزائريين على تكريسه بفعل إيثار المصالح الخاصة التي لم تعد مجرد مصالح فردية معزولة بل اكتست طابعا فئويا ممتدا ليستفيد منها الأجانب، وهؤلاء يتعاونون مع الداخل لإبقاء الإشكالية بدون حلول تعاني منها عامة الأمة الجزائرية. وتجاوز هذه الإشكالية أو معالجتها ينبغي أن يبدأ من حيث بدأت التجربة التاريخية الحضارية لأجدادنا فيقدم ما يجب أن يقدم وهو الدين الإسلامي الذي يحقق الحفاظ عليه وتطويره ويوفر الشروط الضرورية لحل إشكالية اللسان الجامع في الجزائر.

قائمة المراجع:

1. إبراهيم زيد الكيلاني: اللغة العربية وهوية الأمة ، خزانة اللغة والأدب، الاصدار: 68، 09/ 2007 ، http://www.hoffaz.org/alforqan/details.php?id=307

2. أحمد يوسف: الخطابُ القوميّ العربيّ. .. محاولة نقدية لمرجعيّات الفكر القومي العربي- الحوار المتمدن- العدد: 3628 - 2012 / 2 / 4 - 15:14، http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=293980

3. رابح تركي: التعليم القومي والشخصية الجزائرية، الشركة الوطنية للنشروالتوزيع، ط2، الجزائر، 1981.

4. صاحب الربيعي: دور اللغة في تاريخ الأمة، الحوارالمتمدن - العدد: 2393 -2008/9/3-08:52.

http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=145925

5. الصادق النيهوم: اللغة ذاكرة الأمة –07 /12 /2009.

http://ensana.wordpress.com/2009/12/07/%D8%A7%D9%84%D9%84%D8%BA%D8%A9%D8%B0%D8%A7%D9%83%D8%B1%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%85%D8%A9-%D8%A8%D9%82%D9%84%D9%85-%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%8A%D9%84%D8%B3%D9%88%D9%81-%D8%A7%D9%84%D9%84%D9%8A%D8%A8/

6. صالح بن حميد: اللغة ..عنوان سيادة الأمة،

http://audio.islamweb.net/audio/index.php?page=FullConte nt&audioid=27757

7. عمارطالبي: وضع اللسان العربي في الجزائر، الحياة الفكرية، العدد 02، 2009، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق.

8. غالب الفريجات: أزمة اللغة تعبيرعن أزمة الأمة،

http://www.al-moharer.net/moh279/fraijat279k.htm

9. محود فهمي حجازي: السياسة اللغوية في التعليم، الحياة الفكرية، العدد 02، 2009، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق.

10. مكّي الحسَني: أهمية اللغة للأمة وضرورة الاعتزازبها والدفاع عنها، 22-09-10PM ، 04:48

http://ensana.wordpress.com/2009/12/07/%D8% A7%D9%84%D9%84%D8%BA%D8%A9-%D8 %B0%D8%A7%D9%83%D8%B1%D8%A9-% D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%85%D8%A9- %D8%A8%D9%82%D9% 84%D9%85-%D8%A7%D9%84 %D9%81%D9%8A%D9%84%D8%B3% D9%88%D9%81- %D8%A7%D9%84%D9%84%D9%8A%D8%A8

11. نورة خالد السعد : اللغة العربية وهوية الأمة، 08 /07/ 2011.

http://www.al-madina.com/node/314171/risala

الازدواجية اللغوية وواقع اللغة العربية الفصحى في الجزائر

أ.د/ نصر الدين بن زروق
المدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة ـ الجزائر

إن اللغة العربية هي أداة تواصل بين أفراد المجتمع، ووسيلة للتطور العلمي والثقافي في أي مجتمع من المجتمعات، وعنصر من عناصر التماسك الاجتماعي والثقافي والديني.

وقد ظلت اللغة العربية منذ نزول القرآن إلى زمننا هذا وعاء للإسلام ورمزا للوحدة، وأداة للتطور العلمي والمعرفي إلا أن خضوع الكثير من الدول العربية للاستعمار الأوروبي أدى إلى تهميش اللغة العربية في كثير من الدول العربية، وإقصائها من المجالات العلمية والتكنولوجية وإحلال اللغات الأجنبية مكانها، والجزائر واحدة من هذه الدول التي تعرضت فيها اللغة العربية لأكثر أنواع التهميش؛ وذلك لطول فترة احتلالها من جهة، ونتيجة لطبيعة المحتل من جهة ثانية، الذي كان من أهم أهدافه القضاء على الهويّة الوطنية والإسلامية، التي كانت اللغة العربية أحد أقطابها.

لقد أدى هذا الوضع إلى ظهور صراع لغوي وفكري بين فئتين من المجتمع: فئة تدعو إلى إعادة الاعتبار للغة العربية في جميع ميادين الحياة، وفئة أخرى ممن تأثر أفرادها بالثقافة الفرنسية تدعو في المقابل

إلى تعميم الفرنسية، وجعلها أداة للتواصل وخاصة في المجالين العلمي والإداري بحجة أن اللغة العربية غير قادرة على مواكبة التطور الحضاري والعلمي.

وسنحاول من خلال هذا الموضوع التطرق إلى ظاهرة الازدواجية اللغوية في الجزائر وانعكاساتها على العملية التعليمية بصفة عامة، وعلى واقع اللغة العربية بصفة خاصة، وبناء على ذلك تم طرح الإشكالية التالية:

ما هو واقع اللغة العربية في ظل الازدواجية اللغوية في الجزائر؟

وقد تفرعت الإشكالية الرئيسية إلى إشكاليات فرعية تمثلت فيما يلي:

- ما مفهوم الازدواجية وما أنواعها، وما الفرق بينها وبين الثنائية؟.

- هل الازدواجية هي اختيار تلجأ إليه الدولة أم هي واقع مفروض عليها وضرورة حتمية لا مفر منها؟.

- ما هي الشروط التي يجب توافرها لجعل الازدواجية عامل إثراء للغة الوطنية، وليس عامل إقصاء وتهميش لها؟.

التعريف اللغوي للازدواجية (Le bilinguisme)

الازدواجية كلمة مشتقة من مادة (زوج) وقد جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس أن : « أن الزاي والواو والجيم أصل يدل على مقارنة شيء لشيء من ذلك [الزوج زوج المرأة] قال تعالى« أسكن أنت وزوجك الجنة» البقرة: 25 ويقال لفلان زوجان من الحمام يعني ذكر وأنثى»1.

1 ابن فارس، معجم المقاييس في اللغة، تحقيق، شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر، بيروت، لبنان (د.ت) ص 188

المفهوم الاصطلاحي للازدواجية:

نظرا لتعدد أنواع الازدواجية اللغوية واختلاف مدلولها من باحث إلى آخرلم يتفق علماء اللغة على تعريف جامع مانع لها.

إن الازدواجية بمفهومها العام هي اعتماد الدولة لغتين في التعليم سواء أكان ذلك في مرحلة معينة أم أكثر.

والازدواجية بهذا المفهوم هي ظاهرة مضطردة في جميع الدول العربية إلا أنّ حدّتها تختلف من مجتمع عربي إلى آخروسببها المباشرهو الاستعمار، ففي دول المشرق العربي التي تعرضت إلى الاستعمار الإنجليزي نجد أنّ اللغة الثانية هي الإنجليزية، أمّا في دول المغرب العربي فلغتها الثانية هي الفرنسية.

وقبل الحديث عن الازدواجية اللغوية في الجزائر يجدر بنا في البداية أن نبين الفرق بينها، وبين الثنائية اللغوية، لأننا لاحظنا وجود خلط كبير في استعمال المصطلحين، فهناك من الدارسين من يستعمل أحد المصطلحين للدلالة على المعنى الذي يرتبط بالمصطلح الآخر، وقد أدى ذلك إلى اللبس، وعدم وضوح الرؤية.

أولا : مفهوم الازدواجية

بالإضافة إلى المفهوم العام للازدواجية الذي سبقت الإشارة إليه هناك مفاهيم أخرى تختلف باختلاف استعمالاتها، وباختلاف النشاطات اللغوية المرتبطة بها في الواقع، ويمكن حصرأنواعها فيما يلي:

1 ـ الازدواجية الرسمية

وهي لجوء الدولة في إطارمخططاتها التنموية والثقافية إلى استعمال لغتين في عملية التدريس، وفي تسييرهياكلها ومؤسساتها.

2 ـ الازدواجية الفردية:

وتتعلق بالأفراد الذين يتقنون لغتين مختلفتين بالكفاءة نفسها وبما أن اللغة هي وسيلة للتفكير، ووعاء للثقافة فإن الفرد المزدوج اللغة يمتلك وسيلتين للتفكيرونظامين ثقافيين مختلفين.

3 ـ الازدواجية الفئوية

ويظهر هذا النوع من الازدواجية في الدول التي يتحدث أبناؤها بلغتين مختلفتين تمام الاختلاف كاستعمال بعض المناطق الجزائرية لنظامين لغويين أحدهما يتمثل في اللغة الأمازيغية، أما الثاني فيتمثل في اللغة العربية الفصحى أو الدارجة المنبثقة عنها.

4 ـ الازدواجية الطبقية

وهي عبارة عن مشروع سياسي وثقافي تتبناه فئة من أبناء الوطن، وتتخذ من التعليم أداة لتنفيذه على أرض الواقع وذلك بهدف إنشاء طبقة لغوية تكون فيه الغلبة للغة الأجنبية، وغالبا ما يكون هذا المشروع معارضا للمشروع اللغوي الوطني، ومناوئا له، لأن أبناءه والمدافعين عنه ممن تلقوا تعليمهم باللغة الأجنبية، وتشبعوا بالثقافة الغربية.

5 ـ الازدواجية المؤقتة

وهي لجوء الدولة في بداية نشأتها إلى تكوين الإطارات والباحثين في الميادين العلمية والتكنولوجية باللغة الأجنبية وذلك إما داخل الوطن، أو بإرسال بعثات علمية إلى الخارج والهدف من هذه العملية هو نقل التكنولوجيا، وكل ما استجد من علوم ومعارف إلى اللغة العربية من أجل إثرائها وتطويرها، وجعلها أداة للدراسة والبحث العلمي.

6 ـ الازدواجية القطاعية

هي لجوء الدولة إلى استعمال لغتين في قطاعين مختلفين ويسمى هذا النوع من الازدواجية (بالتعايش اللغوي) ويتم من خلاله تقسيم مواد المنهاج بين اللغة الأجنبية والعربية1، وغالبا ما تعطى الأهمية في ذلك إلى اللغة الأجنبية حيث تعتمد كأداة للتكوين في المجالين العلمي والتكنولوجي، وتسيير المؤسسات الرئيسية في البلاد في حين يعمد إلى تهميش اللغة الوطنية، وحصرها في مجالات ضيقة، وقطاعات ثانوية.

الثنائية اللغوية La diglossie:

التعريف اللغوي:

الثنائية كلمة مشتقة من مادة ثني، وقد ورد في معجم للمقاييس لابن فارس أن: «الثاء والنون والياء أصل واحد وهو تكرير الشيء مرتين، أو جعله شيئين متواليين، أو متباينين، وذلك كقولك ثنيت الشيء ثنيا والاثنان في العدد معروفان ... والثني في الأمر يعاد مرتين قال الرسول صلى الله عيه وسلم « لا ثني في الصدقة» يعني لا تؤخذ في السنة مرتين»2.

التعريف الاصطلاحي للثنائية:

للثنائية اللغوية تعريفات كثيرة، ومختلفة إلا أنها تشترك في معنى عام وهو وجود نمطين من الكلام ينتميان إلى أصل لغوي واحد كأن يتحدث الناس مثلا في بلد ما من البلدان العربية بلغتين الأولى وتتمثل اللغة التي تستخدم في المجالات الرسمية كالتعليم والإعلام والبرلمان؛ وإصدار القوانين ، والثانية وهي التي تستخدمها مجموعة من المواطنين

---

1 ينظر شحاذة الخوري، دراسات في الترجمة والمصطلح والتعريب، دار الطليعة الحديثة، سوريا، ج1، 2001، ص 98.
2 ابن فارس ، معجم المقاييس في اللغة ، ص : 188 .

للتواصل فيما بينهم1، ويعرفها (فيرغسون) (Charles Ferguson) بأنها تمثل نمطين أو أسلوبين مختلفين من اللغة نفسها يستخدمان في مجتمع واحد، وفي مجالات ووظائف مختلفة واحد من هذين الأسلوبين يحظى عموما بوضعية اجتماعية أعلى من الآخر ويطلق على الشكل الأول بالشكل الراقي (Variété haute) أما الشكل الثاني وهو الأقل منه فيسمى بالشكل الأدنى2 (Variété basse).

والثنائية هي ظاهرة عامة ومضطردة لا يخلو منها أي مجتمع يقول (Marcel Cohen) مرسال كوهن: «وحدة اللغة بمفهومها المطلق لا وجود لها فحتى أفراد المجتمع الذين لا يملكون إلا لغة واحدة يستعملونها بالطريقة نفسها في كل المقامات»3.

ولا يوجد اختلاف في هذه المسألة بين المجتمعات إلا فيما يتعلق بدرجة القرب، أو البعد بين العامية والفصحى ويرجع قرب أو بعد النمطين من بعضهما إلى عدة عوامل كقدم اللغة الرسمية، أوتداخلها مع لغات أخرى بسبب الهجرات أو الاستعمار، أو تقليص استعمالها في مجالات الحياة الأساسية وغيرها من عوامل.

وإذا كانت الثنائية اللغوية تقتضي وجود نمطين من أنماط الاستعمال اللغوي فإنّه يتعين علينا أن نعرّف كل نمط على حدة حتى تتضح الصورة في ذهن القارئ.

1ينظر محمد الخولي، الحياة مع لغتين ، جامعة الملك سعود الرياض ، 1988 ، ص 17. 18 .

2ينظر موقع http/www alfusha net .

3نقلاعن الدكتورةسهام مادن الفصحى والعامية وعلاقتها في استعمالات الناطقين الجزائريين، كنور الحكمة 2001، ص:64

أولا : تعريف اللغة العامية (Dialect)

هي أداة التواصل التي يستخدمها الناس في تعاملهم اليومي فهي «عبارة عن مجموعة من الصفات اللغوية التي تنتمي إلى بيئة خاصة، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة»1.

أو هي عبارة عن « نمط من الاستخدام اللغوي داخل اللغة الواحدة، يتميز عن غيره من الأنماط داخل نفس اللغة بجملة من الخصائص اللغوية الخاصة، ويشترك معها في جملة العامية»2.

يتجلى لنا من التعريف الثاني أن العلاقة بين العامية واللغة الرسمية هي علاقة عموم وخصوص، حيث أن اللغة الرسمية تشتمل على عدة لهجات، وتتميزببعض الخصائص عن هذه اللهجات المتفرعة عنها إلا أنها تشترك معها في صفات أخرى هي الصفات الكلية3.

وعلى الرغم من تعدد المصطلحات التي تطلق على العامية إلا أن هناك من الباحثين من يفضل استعمال مصطلح الدارجة على هذا المفهوم وذلك «لما تتضمنه كلمة (العامية) من دلالة طبقية، وصفات تحقيرية استهجانية لا تليق بالبحث العلمي المجرد»4.

ثانيا: تعريف الفصحى (La langue arabe classique)

«هي اللغة التي نزل بها القرآن الكريم، ودوّن بها التراث العربي جملة،

1الدكتور إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة 2003 ، ص 15.

2الدكتور محمد محمد داود ، العربية وعلم اللغة الحديث، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 2001 ، ص 64.

3ينظر المرجع السابق ، ص 64.

4الدكتور الطيب البكوش ، من قضايا اللغة المعاصرة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1990 ، ص 174.

والتي تستخدم اليوم في المعاملات الرسمية، وفي تدوين الشعر والنثر والإنتاج الفكري»1.

وسميت بالفصحى نسبة إلى الفصاحة وهي كما يقول حسين عبد القادر: « قوة العبارة ونصاعة البيان وحسن التعبير»2.

الازدواجية اللغوية والتغريب:

لقد أصبح تعلم اللغات أو على الأقل لغة ثانية إلى جانب اللغة الرسمية أو الوطنية ضرورة حتمية، وميزة من مميزات هذا العصر المتسم بالانفتاح العالمي، والتراكم العلمي والمعرفي والتطور السريع في جميع مناحي الحياة: اجتماعية، اقتصادية، ثقافية، تربوية... إلخ

وإنّ دراسة لغة ثانية وإتقانها هي ظاهرة إيجابية وصحية إذا ما تمت بطريقة عقلانية، وروعيت فيها المقاييس العلمية والتربوية.

وإنّما يجب أن تدرس هذه اللغة باعتبارها لغة ثانوية، ووظيفية في الآن نفسه وأن لا تدرس وكأنها لغة وطنية حتى لا تؤثر في شخصية التلميذ وتؤدي إلى تغريبه دون أن تقدم له ما ينفعه في حياته العلمية3 وإن الملاحظ أن اللغة الأجنبية تدرس في كثير من الدول العربية وكأنها لغة وطنية يقول الباحث اللبناني نزار الزين: لا تدرس اللغة الأجنبية كلغة ثانية في لبنان بل تعتمد بشكل موازللغة الأم، أو بشكل يفوق اللغة الأم فتخصص لها ساعات مماثلة في البرامج الموضوعة ويعهد لها بتدريس

1الدكتور إميل بديع يعقوب، فقه اللغة العربية وخصائصها ، دار العلم للملايين، بيروت، ط1 1985 ، ص 144 .

2الدكتور حسين عبد القادر، فن البلاغة ، عالم الكتب ، بيروت، ط2 (د.ت) ص: 65

3ينظر الدكتور نزار الزين تعريب التعليم وتعلم اللغات الأجنبية شركة المطبوعات التوزيع والنشر بيروت 1998، ص:114

العلوم والرياضيات، ومسائل الفكر والفلسفة، وحتى التاريخ والجغرافيا ويترك للعربية مسألة الأدبيات، والتاريخ والجغرافيا، وقلما تدرس العلوم والرياضيات باللغة العربية1.

ولا يقتصر الأمر في هذه المسألة على لبنان وحده بل إن كثيرًا من الدول العربية تسير في الاتجاه نفسه مما أدى إلى وقوع الكثير من أبناء الأمة العربية في مستنقع التغريب وهو «عملية مخطط لها من قبل الحكومات الغربية وأتباعها في بلادنا وتهدف إلى صبغ المجتمعات الإسلامية في شتى المجالات بصبغة غربية تفقدها تميزها وتجرها إلى حالة من الرضا بالتبعية للغرب وهذا أخطر ما تصاب به أمة في صميم كيانها»2.

الازدواجية وواقع اللغة العربية في الجزائر

حظيت اللغة الفرنسية في الجزائر بعد الاستقلال بأهمية كبيرة، وظلت إلى فترة طويلة تدرس للتلاميذ في مختلف مراحل التعليم وكأنها لغة وطنية حيث كانت تخصص لها ساعات مماثلة تقريبا للساعات المخصصة للغة العربية، ويعهد لها تدريس المواد العلمية وقد كان لذلك سببان أحدهما موضوعي وهو قلة المعلمين والأساتذة المكوّنين باللغة العربية والمؤهلين للتدريس بصفة عامة وتدريس المواد العلمية بصفة خاصة وذلك بسبب سياسة التجهيل التي مارسها الاستعمار على الشعب الجزائري طيلة فترة الاحتلال.

أما السبب الثاني فهو وجود مشروع ثقافي يهدف إلى فرنسة التعليم في الجزائر، وقد تبنت هذا المشروع فئة من الأشخاص الذين تلقوا تعليمهم

1المرجع السابق ص: 113

2عبد التواب مبروك سعيد، اللسان العربي الهوية اللازمة المخرج، دار الوفاء للطباعة والنشر، ص122

أيام الاستعمار باللغة الفرنسية، وكان لهم نفوذ واسع وكبير في السلطة بعد الاستقلال، وكانوا يعتبرون بأن اللغة الفرنسية هي مكسب لابد من المحافظة عليه والدفاع عنه بكل الوسائل وبشتى السبل وكان لهم موقف سلبي من اللغة العربية.

وكان من نتائج هذا البرنامج التعليمي تكريس اللغة الفرنسية في الجزائر على حساب اللغة العربية التي أصبحت غريبة في وطنها تشكو الإهمال والتهميش.

وقد أصبح إتقان اللغة الفرنسية هو مقياس النجاح في المسابقات، والحصول على المناصب المهمة والأساسية في البلاد الأمر الذي أدى إلى بروز فئتين في المجتمع فئة تحظى بكل الامتيازات والمصالح، وفئة أخرى تعاني التهميش والإهمال وهذا يتعارض مع الديمقراطية التي من أهم مبادئها الدعوة إلى المساواة بين أبناء الوطن الواحد.

يقول أندري قوتيه: «... كان كونت الفلاندر أميرًا فرنسيا ففي حاشيته كان الكلام بالفرنسة أساسًا ومن البديهي فإن من كان يريد أن يصل إلى أعلى المراتب كان عليه أن يتقن تلك اللغة (اللغة الفرنسية) في حين أنّه كان من اليسير جهل اللغة (الفلامنكية) ولمّا كان اندفاع البورجوازيين في كل الأزمان والأمكنة نحو تقليد النبلاء، فإن بورجوازي منطقة الفلامنك، وتابعيهم من الذين يأملون في الوصول إلى تلك الطبقة الاجتماعية أخذوا يتكلمون هم أيضا الفرنسية1.

ولما أحست الدولة الجزائرية بخطورة الوضع سارعت إلى الإصلاح التربوي والتعليمي وذلك بتعريب كل المواد العلمية (علوم، رياضيات،

1 أندريه قوتيه، المسألة السياسية في بلجيكا نقلا عن نزار الزين تعريب التعليم وتعلم اللغات الأجنبية ص: 117.

فيزياء، وكيمياء، وغيرها) في مراحل التعليم ما قبل الجامعي وتعريب العلوم الإنسانية (حقوق، علم الاجتماع، علم النفس، الفلسفة...) وغيرها من التخصصات المرتبطة بها في المرحلة الجامعية، وقد أدى ذلك إلى تحقيق نتائج جيدة إلا أنّ هذا المشروع لم يعمر طويلا إذ سرعان ما تم إجهاضه لتعود الفرنسية إلى مركز الصدارة، وذلك من خلال المدارس الحرّة التي انتشرت في مناطق كثيرة من الوطن وخاصة في المدن الكبرى وهي مدارس تعطي فيها الأولوية للتعليم باللغة الفرنسية، ولا يلتحق بها إلاّ أبناء النخبة والأثرياء، وقد أدى هذا الوضع إلى بروز نمطين من التعليم: تعليم عام تحظى فيه العربية بالنصيب الأوفر من الاهتمام، وتعليم خاص يجعل من اللغة الفرنسية محور العملية التعليمية ويهمش اللغة العربية ويقلل من استعمالها.

بل إنّ هذا النوع من التعليم يسعى إلى تكريس اللغة الفرنسية في أذهان التلاميذ فهو لا ينظر إليها على أساس أنها أداة لإكساب المعرفة ووسيلة لتدعيم اللغة العربية وخدمتها وإنما ينظر إليها على أنها مشروع ثقافي وحضاري يسعى أصحابه من خلاله إلى القضاء على الثقافة الوطنية، وإحلال الثقافة الأجنبية أو بالأحرى الثقافة الفرنسية محلها.

يقول كوسا (Caussat) في مقال له نشر سنة 1973 في مجلة نفسانية الشعوب « إن الشعوب التي تعتريها هذه النزعة يصاب أفرادها بفقدان الهوية أو تأرجحها مما يجعلهم يعيدون النظر في انتمائهم الرسمي، ويعرضهم إلى اضطرابات نفسية تتمثل في تصرفات نكوصية Regressives وهوامية Fantasmetique، أو بتعبير آخر يولّد عندهم الشعور بضياع الهوية، والبحث عنها في الوقت نفسه»1.

1 مجلة نفسانية الشعوب 08 حيزران 1973 عنوان المقال: لغة وطنية وإبداعية شعرية نقلا عن نزار الزين، تعريب التعليم وتعلم اللغات الأجنبية ص: 115.

إضافة إلى ذلك أن هذا النوع من التعليم الذي لا يراعي المقاييس العلمية والتربوية في تعليم اللغة الأجنبية بحيث يبدأ تعليمها للتلاميذ في سن مبكرة يولد عندهم اضطرابات نطقية، ومشكلات تعبيرية في المستقبل وقد أثبت الاستقصاء الذي نظمته (الأونيسكو) عام 1951 والذي شارك فيه خبراء من عدة دول « أن الطفل الذي يوضع في هذه الوضعية وفي سن لم تكتمل فيها بعد قدرته على التعبير حتى في لغته الأم يتعرض لأن لا يصل إطلاقا إلى التعبير بشكل مقبول»1.

كما توصل هؤلاء الخبراء أيضا إلى أن تعلم اللغة الأجنبية إذا كان ضروريا فمن المناسب على الأقل أن يتم تأجيله إلى أطول مدة ممكنة2.

ولا يقتصر الأمر على الاضطرابات التعبيرية في هذا النوع من التعليم الذي تكون فيه اللغة الأجنبية هي محور العملية التعليمية، وإنما يؤدي إلى مشكلات أخرى لا تقل خطورة عن المشكلة الأولى إذ يلجأ الكثير من التلاميذ إلى توظيف معظم طاقاتهم في استيعاب اللغة ويسلب منهم جهدا كبيرا في استيعاب سائر المواد خصوصا إذا كانت هذه المواد تدرس باللغة الأجنبية3.

ومن هنا كان لابد للسلطات أن تراقب البرامج التعليمية في المدارس الحرة وأن تعمل على توحيد التعليم في القطاعين الخاص والعام بحيث تصبح الازدواجية اللغوية فيهما عامل إثراء يخدم الثقافة المحلية، ويسعى إلى ترسيخ الهوية الوطنية، وليس عامل تغريب.

1مجلة دراسات ووثائق عدد5، مؤسسة بليسنيه 1963 ، مقال جوزيف هانز ص 35 مقال بعنوان ماذا ترى نقلا عن الدكتور نزار الزين، تعريب التعليم، ص :116.

2ينظر المرجع نفسه ، ص 116.

3المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

الآثار السلبية للازدواجية اللغوية

إذا كانت الازدواجية ضرورة حتمية في زماننا اقتضتها الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ودعا إليها التقارب بين الأمم والشعوب في ظل ما يسمى بالعولمة فإنه لابد من اتخاذ التدابير اللازمة والالتزام بالمقاييس العلمية والتربوية لكي يمكن أن نحقق من خلالها ما يخدم ثقافة أمتنا وتماسكها الاجتماعي ونتجنب كل ما يمكن أن ينجم عنها من آثار سلبية.

وقد توصلنا من خلال دراستنا لهذا الموضوع إلى أن للازدواجية اللغوية آثار سلبية كثيرة يمكن حصرها في النقاط التالية:

1. إن وجود لغتين إحداهما وطنية والأخرى أجنبية بنفس الدرجة من الاهتمام في أمة ما من الأمم يؤدي إلى انفصام في الشخصية لدى أبنائها ويعرضهم إلى المسخ والانسلاخ.

2. إن الازدواجية التي تقوم على منح مكان الصدارة إلى اللغة الأجنبية، وتفضيلها على اللغة الوطنية سيلحق أضرارا بالغة بالهوية الوطنية، ويؤدي إلى ازدواجية ثقافية كما يؤدي إلى ظهور طبقتين لغويتين واجتماعيتين متعارضتين من حيث المصالح والاهتمامات، والتوجهات الفكرية والثقافية1.

إن تعليم اللغة الأجنبية للتلاميذ في سن متقدمة، أو في الفترة نفسها التي يبدأ فيها تعليم اللغة الوطنية، وقبل أن تكتمل فيها قدراتهم على التعبير بهذه اللغة سوف يعرضهم في المستقبل إلى اضطرابات في اللغة أو إلى العجز التام عن التعبير باللغتين، كما أثبتت ذلك التجارب، ذلك لأن

---

1 مقال في الأنترنيت بعنوان الازدواجية اللغوية والازدواجية الثقافية: http:/taouinet.Maktoobblog.com

لكل لغة خصائص صوتية وصرفية وتركيبية تختلف عن خصائص اللغة الثانية، وإن هذا التباين بين النظامين يؤثر سلبا على اللغة الوطنية .

4 . إن إصرار الدولة على تعليم المواد العلمية باللغة الأجنبية يجعل المتعلمين والباحثين يخدمون المجتمع المتحدث بتلك اللغة أكثر مما يخدمون بلدهم ولغتهم، كما أنهم لا يفيدون كثيرا التنمية الشاملة في مجتمعهم ذلك لأن هذه التنمية تستدعى سريان الذهنية العلمية في جميع أبناء الأمة، وفي مختلف طبقاتها1.

إيجابيات الازدواجية:

كما أن للازدواجية سلبيات فإن لها أيضا إيجابيات كثيرة لا يمكن إنكارها ويمكن حصر هذه الإيجابيات فيما يلي:

1 . أنها تسهم في تنمية الرصيد العلمي والمعرفي للأفراد وذلك من خلال اطلاعهم على ثقافة الآخر وتجاربه، ومنجزاته العلمية والحضارية.

2 . تساعد على نقل العلوم والفنون والمعارف من اللغة الأجنبية إلى اللغة الوطنية، وذلك عن طريق الترجمة مما يؤدي إلى إثراء اللغة الوطنية، ويمكّنها من أن تصبح أداة لتدريس العلوم التكنولوجية.

3 . تمكن الدولة المستعمرة بفتح الميم من التعرف على مخططات الاستعمار امتثالا للقول المأثور « من تعلم لغة قومْ أَمِن شرهم».

4 . تخدم المصالح السياسية والاقتصادية والتعليمية المشتركة بين الأمتين، وتؤدي إلى تبادل التجارب في شتى المجالات بينهما وذلك من خلال التواصل اللغوي والعلمي.

---

1 ينظر، الدكتور . نزار الزين ، تعريب التعليم وتعلم اللغات الأجنبية ، : 125

الاقتراحات:

1. ضرورة تعليم لغة أجنبية على الأقل، ولكن بشرط أن يتم ذلك بعد أن تستقر اللغة الأم في ذهن التلاميذ وبعد تمكنهم من اكتساب أساسياتها بحيث يصبحون قادرين على تطويرها في المراحل الآتية، ونقترح أن تدرس اللغة الأجنبية للتلميذ في سن العاشرة من عمر التلميذ، وهي السن التي يبدأ فيها الطفل بالاهتمام باللغات الأخرى وبالعالم الخارجي، كما أثبتت ذلك الكثير من الدراسات1.

2 . يجب أن تدرس اللغة الأجنبية باعتبارها لغة وظيفية تستجيب لحاجات التلميذ وتتجاوب مع ضرورات الحياة وليس كلغة أم ثانية2.

3. يجب أن تدرس كل المواد باللغة العربية في جميع مراحل التعليم، وتدرس اللغة الأجنبية كلغة فحسب، ويستحسن أن يبدأ التلاميذ في المرحلتين المتوسطة والثانوية بدراسة المصطلحات العلمية والتكنولوجية باللغتين العربية، والأجنبية ليتمكنوا في المستقبل من الرجوع إلى المصادر الأجنبية، وفهم ما تتضمنه من علوم ومعارف.

4 . التزام الأساتذة باستعمال اللغة العربية الفصحى في تدريس كل المواد، وتجنب استعمال الدارجة واللغة الأجنبية أثناء الشرح والمناقشات.

5. على وزارة التربية والتعليم أن تقوم بمراقبة المدارس الحرة بشأن تعليم اللغات الأجنبية سواء أكان ذلك من حيث الخطة المبرمجة، أم عدد الحصص أو الكتب المدرسية ، وإلزام المدارس بإعطاء الأهمية الكبرى للغة العربية حتى لا تتحول اللغة العربية إلى لغة ثانوية3.

1شحاتة أحمد السمان يوسف، الثنائية اللغوية مقال بالأنترنيت

2ينظر، الدكتور. نزار الزين ، تعريب التعليم وتعلم اللغات الأجنبية، ص 200

3ينظر، شحاته أحمد السمان، اثر الثنائية اللغوية على اكتساب أطفال مرحلة ما قبل المدرسة لبعض المهارات اللغوية، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة أسيوط .

6. ضرورة الربط بين التعليم العربي والمؤسسات الاقتصادية، وذلك بالسماح للطلبة المتخرجين من الجامعات والمندمجين بهذه المؤسسات بممارسة أعمالهم باللغة العربية حتى لا يشعروا بالاغتراب والدونية.

7 . وضع خطة إستراتيجية لاستئناف عملية التعريب في مختلف القطاعات الاقتصادية والإدارية.

ونخلص مما تقدم إلى أن الازدواجية اللغوية في الجزائر هي من أهم القضايا التي تشغل السياسيين والمثقفين، ذلك لارتباطها بمسألة الهوية والمقومات الشخصية، وهي مسألة معقدة لا يمكن للباحث اللساني أن يعالجها بمفرده بل لابد من أن يشترك معه في هذه المعالجة كل من العلماء والتربويين والسياسيين، ولا ينبغي أن يفهم من هذا الكلام أنني ضد تعلم اللغات لأن تعلم اللغات أصبح في زماننا ضرورة حتمية ولا ينكره إلا جاهل أو متعنّت، وإنما يجب مراعاة المقاييس العلمية والتربوية في تعليم اللغة الثانية أو الثالثة، وأن لا يكون ذلك على حساب اللغة الوطنية بل لابد أن تكون اللغة الثانية أو اللغات الأجنبية عاملا إيجابيا ومساعدا على إثراء اللغة الوطنية وتطويرها وجعلها لغة العلم والمعرفة وليس أداة هدم وتغريب ومسخ.

فهرس المصادر والمراجع:

- إبراهيم أنيس في اللهجات العربية ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2003.
- ابن فارس معجم المقاييس في اللغة، تحقيق شهاب الدين أبو عمران، دار الفكر، بيروت، لبنان، (د.ت).
- من قضايا اللغة المعاصرة، المنظمة العربية للتربية والثقافية والعلوم تونس 1990.
- إميل بديع يعقوب فقه اللغة العربية وخصائصها، دار العلم للملايين، بيروت،ط1، 1985.
- حسين عبد القادرفن البلاغة، عالم الكتب، بيروت، ط2، (د .ت) .
- سهام مادن الفصحى والعامية وعلاقتهما في استعمالات الناطقين الجزائريين، كنوز الحكمة، 2011.
- أثر الثنائية اللغوية على اكتساب أطفال مرحلة ما قبل المدرسة لبعض المهارات اللغوية،
- رسالة ماجستيركلية التربية، جامعة أسيوط .
- دراسات في الترجمة والمصطلح والتعريب، دار الطليعة الجديدة، ط1،2001.
- عبد التواب مبروك سعيد اللسان العربي الهوية، الأزمة المخرج، دار الوفاء للطباعة والنشر،(د.ت)
- محمد الخولي الحياة مع لغتين، جامعة الملك سعود، الرياض، 1988 .
- تعريب التعليم وتعلم اللغات الأجنبية، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر،

العلاقة بين اللسان الرسمي والهوية في المجتمعات المتعددة الألسن

أ.د / ميمون مجاهد

- جامعة سعيدة

توطئـة:

إن الوعي بظاهرة التعدد اللساني1 دفع المختصين إلى الاهتمام البالغ بها و البحث فيها والبحث في كيفية تسييرها،نظرا لما تكتسيه من أهمية بالغة الخطورة انطلاقا من التحولات الاجتماعية والسياسية والثقافية والفكرية التي بدأ العالم يعيشها بداية من القرن الماضي وحتى الآن؛فكان لعلماء السوسيولسانيات الدور الأكبر في تحديد مجال واضح، دوره الأساسي البحث عن آليات لتسيير هذه الظاهرة داخل المجتمعات، سيتجسد فيما سيعرف لاحقا بالتخطيط اللساني. وهذا المجال سيصبح الحقل الخصب الذي تطبق فيه التصورات والآليات العملية للسوسيولسانيات،انطلاقا من دراسة الألسنة والبحث في علاقاتها بعضها ببعض، داخل المجتمعات المتعددة الألسنة؛ نظرا لحساسية العلاقة بين الألسنة في المجتمع الواحد، كونها تستند في أغلب الأحيان إلى

.1 « le monde est plurilingue , c'est un fait et l'histoire linguistique, qui est l'un des aspects de l'histoire du monde, est en grande partie constituée par la gestion du plurilinguisme »

القول لأحد أكبر المختصين في التخطيط اللغوي و السياسات اللغوية، الفرنسي لويس جان كالفي .
Voir :Louis Jean Calvet- la guerre des langues –Hachette littératures-199.p43

حمولات ثقافية ترتبط بالدين أو العرق، باختصار تجسد الهوية ووجود الجماعة اللغوية في حد ذاتها.

إن مسحا شاملا لعالمنا اليوم يبرز مدى حساسية هذه الظاهرة، خاصة وأن أغلب المجتمعات متعددة الألسنة1، الأمر الذي يستوجب وضع سياسات لسانية وتخطيط لساني يأخذ بعين الاعتبار خصوصية كل مجتمع، لأن حساسية اللسان وعلاقته بالهوية والدين والعرق والانتماء والوجود لكل مجموعة بشرية، يستوجب التخطيط السليم ووضع استراتجيات2 مدروسة، تساعد على تعايش المجموعات اللسانية داخل المجتمع الواحد.

1 ـ التعدد اللساني: المفهوم والأسباب

التعدد اللغوي، والتفرع اللغوي، التنوع اللغوي كلها مصطلحات استعملت من قبل الباحثين للدلالة على التعدد اللساني. والتعدد اللساني معناه استعمال الفرد الواحد لأكثر من لسان، أو تداول أكثر من لسان واحد في المجتمع الواحد. بصورة أخرى هي حالة تتمظهر على مستوى الفرد كما تتمظهر على مستوى المجتمع. "وهو يصدق على الوضعية اللسانية المتميزة بتعايش لغات وطنية متباينة في بلد واحد، إما

1Voir dans la même page : « Contrairement a ce que certain peuvent penser, cette multiplicité des langues ne définit pas des situations ou des continents particuliers, elle n'est pas spécialement l'apanage du tiers monde, des pays en voie de développement.. »

2على غرار ما هو معمول به في بعض الدول المتقدمة مثل كندا، سويسرا، بلجيكا. اللوكسمبورغ. هذه دول رائدة في السياسات اللغوية والتخطيط اللساني. استطاعت أن تقي نفسها - بفضل وضعها سياسات لسانية محكمة- من الانشطار ، بالعكس تعايش ألسنتها ساهم في ترسيخ تعايش بين مجموعاتها ، فانعكس ذلك إيجابا على حياتها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

ينظر: -Louis Jean Calvet- la guerre des langues-pp 153- 159-184

- Henri Boyer-introduction a la sociolinguistique-pp83-84

على سبيل التساوي إذا كانت جميعها لغات عالمة كالألمانية والفرنسية والألمانية في الجمهورية الفدرالية السويسرية، وإما على سبيل التفاضل إذا تواجدت لغات عالمة كالعربية بجانب لغات عامية."1

إن أغلب دول العالم تعيش حالة تعدد لساني، والواقع أنه حتى في حال استعمال لسانين أي في حالة ثنائية لسانية، فإن المجتمع يعيش تعددية لسانية، لذلك نجد أن أغلب الباحثين إنما يعالجون حتى ظاهرة الازدواجية والثنائية في سياق حديثهم عن التعددية.

والملفت للانتباه أن ظاهرة التعدد اللساني داخل مختلف المجتمعات ترتبط بأسباب عامة وأخرى خاصة بكل مجتمع على حدة، انطلاقا من أن لكل مجتمع ظروفه التاريخية والسياسية التي مربها،والتي كانت سببا في تبلور هذه التعددية عنده، هذا إذا سلمنا أن كل مجتمع بداية كان يعيش حالة أحادية وعلى كافة المستويات، ثم نتيجة لظاهرتي التأثر والتأثيريتجسد التعدد.

من المعروف أن التحولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، والفكرية، والدينية والتكنولوجية، والصراعات المسلحة والحروب،هي الأسباب الأساسية في حدوث هذا التعدد اللساني.

المتصفح لتاريخ البشرية يجد أنها مرت بمراحل متعددة أسهمت في تشكل أمم واندحار أخرى، تآلف مجوعات أخرى ،وتلك عوامل تشجع جميعها في ظهور تعدد لساني. فكل حضارة كانت تظهر كانت تحاول صهر

1 محمد الأوراغي. التعدد اللغوي. انعكاساته على النسيج الاجتماعي .ص11.

الأقوام الأخرى وإذابتهم فيها، سواء أتعلق الأمر بالمصريين أم اليونايين أم الفرس أم الرومانيين أم غيرهم. وفي ذلك نواة أولى لظهور تعددية لسانية لأن الحقائق التاريخية تفيد بما لا يدع مجالا للشك أن اللسان كان هو الحامل والقاعدة الأساسية لهذه الحضارات، وكان لزاما على الأمم المستعبدة استعمال لسان هذه الحضارات، ولو ظاهريا.

إن الحملات العسكرية والاستعمارية1 أيضا كانت عاملا أساسيا في ظهور هذه التعددية ،حملات قديمة كانت أم حديثة ،والدليل الواضح ما تعيشه دول إفريقيا و أمريكا اللاتنية، وآسيا نتيجة لذلك. فألسنة المستعمر مازالت متغلغلة حتى الآن في الدول التي عانت منه، وشكلت رواسب فكرية وثقافية عميقة وشديدة الصلة بها صار من الصعب محوها2 أو تجاوزها.

يلعب العامل الديني دورا رياديا أيضا في عملية التعدد اللساني والدليل على ذلك ما عاشته البشرية إبان العصور المسيحية الأولى، و ما عاشته بعدها بفضل النفوذ الذي أخذه اللسان العربي بفضل القرآن الكريم ، وامتزاج الأجناس والأمم المختلفة في هذا الدين الجديد بألسنتهم المختلفة وتأثرهم ببعضهم البعض.

إضافة إلى ذلك كله ونتيجة للتحولات الاقتصادية والتكنولوجية التي يشهدها العالم المعاصر فرضت تعددية لسانية ،انطلاقا من أنه صار

1لقد بلور الاستعمار الحديث خريطة جغرافية، وأخرى لسانية مختلفة تماما عما كانت عليه. ونفوذ فرنسا الاستعمارية والبرتغال في إفريقيا ،والاستعمار البريطاني في إفريقيا وآسيا وأمريكا الشمالية ،والاستعمار الاسباني والبرتغالي في أمريكا الجنوبية، دليل حي على ذلك.

2مثال ذلك مكانة اللسان الفرنسي في دول المغرب العربي، الذي صاربعض الأحيان يزاحم اللغة العربية.

لزاما على كل المجتمعات أن تتكيف ولو نسبيا مع أوضاع جديدة وتتأقلم مع واقع فرض عليها التفتح على ألسنة صارت ضرورية في التواصل الاستراتيجي في الوقت الحالي، على غرار الإسبانية والإنجليزية والبرتغالية وغيرها من الألسنة النافذة.

كذلك ساهمت موجات الهجرة المتواصلة على مدى العصر الحديث والمعاصرفي تبلور تعددية لسانية، داخل المجتمعات المهاجرإليها، فما من بلد أوروبي أو أمريكي إلا ووجد فيه عدد لا يستهان به من المهاجرين الذين يشكلون تجمعات لسانية، يصبح من الضروري أن تتأقلم مع واقع لساني جديد، ومن أمثلة ذلك العائلات المغاربية في أوروبا وخصوصا فرنسا، والأسيويون في أمريكا، وكذلك هنود أمريكا الجنوبية، الأتراك في ألمانيا وغيرها من الحالات الكثيرة.

وإذا كانت هذه هجرات طوعية فإن هناك هجرات قصرية مفروضة، على غرار آلاف اللاجئين الموجودين في كافة بقاع العالم ،والذين نتيجة احتكاكهم بالمجتمعات التي يلجأون إليها ستتأسس تعددية لسانية ، والأمثلة التي يمكن سوقها في هذا المجال كثيرة.

إننا ونحن نتحدث عن التعدد يجب أن نضع نصب أعيننا أن الألسنة هذه ليست على درجة واحدة، وذلك تبعا لبنيتها ونظامها، واتساعها الاجتماعي، وقدرة تأثيرها وهكذا. ومن هذا المنطلق سيصنف بعض المختصين الألسنة إلى ثلاثة أصناف: ألسنة كبرى وألسنة ناشئة وأخرى هجينة1.

1يعتمد هذا التقسيم محمد الأوراغي في مؤلفه التعدد اللغوي وانعكاساته على النسيج الاجتماعي. عد

من الصنف الأول ما يصطلح عليه البعض بالألسنة العالمة ،وهي ألسنة كانت حاملة لحضارات، وحاملة لقيم روحية دينية، أو كانت حاملة للمعارف الإنسانية عرفت امتدادا عبر التاريخ، ورقعة الحديث بها متسعة بصورة تجعل مجتمعات كثيرة تتحدث بها ف" تكون من جهة وظيفتها ،واصفة لبيئتها الحضارية وناقلة لأشكال المعارف الدينية والفكرية المتشعبة إلى الفنية والعلمية بقسميها النظري والعلمي وناشرة لإحدى الثقافات المؤسسة عقديا والرائجة بين مجتمع أو أكثر محدد جغرافيا."1

إضافة إلى ذلك هي ألسنة تعرف تجانسا في نظامها البنيوي، على كافة المستويات، تتحدث بها مجموعة كبيرة من الأفراد، ويحترمون معاييرها الصرفية والنحوية "وهي تختص بخصائص بنيوية مطابقة لمميزات اجتماعية. فهي من حيث البنية تمتاز، فضلا عن إمكان إدراجها في نمط لغوي معين باكتمال نسقها والاستعمال الواسع لإمكاناته التوليدية"2. ومن أمثلة هذا الصنف اللسان العربي واللاتيني والإغريقي، وغيره من الألسنة الكبرى الحالية.

أما الصنف الثاني فهي ألسنة ناشئة، تنشأ في معظمها عن الاحتكاك بألسنة أخرى ،تطبعها الشفوية، لا تجسد كتابة، بنيتها مهلهلة، لا معايير تضبط مستوياتها، تغلب عليها العفوية والارتجال، والملاحظ أن أغلب العاميات شديدة الصلة بهذا الصنف."فهي تتميز نسقيا بصعوبة إدراجها

إلى ص ص23ن24

1محمد الأوراغي . التعدد اللغوي . انعكاساته على النسيج الاجتماعي . ص23

2المرجع نفسه ص23

في نسق لغوي، وبوجود خانات فارغة في مكونيها الصرفي والتركيبي.. وبفقر معجمها المرتبط مداخله بالحرف اليدوية والمبادلات الضرورية للحياة الاجتماعية البسيطة..."1. ومن أنواع هذا الصنف لهجات بعض القبائل التي اندحر بعضها، وما يزال بعضها قائما لكن في نطاق ضيق جدا.

الصنف الثالث ونشأ نتيجة موجات الاستعماروحملات الرق، والتجارة ،يجسد هيمنة من نوع خاص واحتكاك نتيجته هذه الألسنة، على غرار ألسنة الكريول Creole والبيدجين Pidjin والسابير Sabir وغيرها. التي جاءت نتيجة التأثر بألسنة كبرى مثل الفرنسية والعربية والإنجليزية والإسبانية وغيرها.

إن ما يعيشه العالم،وما عاشه سابقا،يؤكد ما نقول، بالنظر إلى أن الألسنة صارت تحظى بأهمية استراتجية؛ وذلك تبعا لبعض المواصفات التي تتحقق فيها، وتبعا لوظائفها ،والدليل الواضح على ذلك مكانة ألسنة مثل الإنجليزية والإسبانية والفرنسية في العالم ولذلك"لا يمكن على الإطلاق تصور وجود خمسة آلاف لغة تحظى بالقيمة نفسها والأهمية التجارية والاستخدامات ،بل تنتظر المصير ذاته ،فإننا نعتقد في وجود ما يسمى ببورصة اللغات2 التي تشهد تطور قيمة اللغات وتغيرها وما إلى ذلك من أمور تشبه ما تتعرض له الأسهم التجارية في بورصة الأوراق المالية."3

1المرجع نفسه ص24

2تقترب هذه الفكرة إلى حد ما من مفهوم العالم بيير بورديو بشأن السوق اللغوي.

3جون لويس كالفيه. إيكولوجيا لغات العالم. ترجمة باتسي جمال الدين. ص 18

ثم إن الحقيقة التي لا مناص منها هو أن ترسيم الألسنة ،واختيارها للتعليم وتفعيلها في سياسات لسانية لمجتمع ما إنما يرتبط بقيمتها هذه التي نتحدث عنها. فاختيار الإنجليزية لسانا أجنبية أو ثانيا لتعليمه وتعلمه، شديد الصلة بما نقول، والتركيز على العربية أيضا، والاختيار النفعي البراغماتي قد يتجاوز في كثير من الحالات حتى الاختيار المبني على الهوية أو ذلك المبني على جوانب إيديولوجية محضة.

إن ظاهرة الانفتاح اللساني الذي تشهده المرحلة الحالية شديد الصلة بهذا المجال أيضا، خاصة في ضوء التطور الرهيب لوسائل الاتصال، مقولة العالم قرية صغيرة أصبحت تتأكد يوما بعد يوما، وأصبحت الألسنة سلاحا ضروريا للتأقلم مع هذا الوضع الجديد، ومسايرته، لأنها الطريقة الوحيدة التي صارت تمكن الفرد من الاندماج والتكيف مع هذه التحولات السريعة.

يحتضن العالم حالات تعددية مختلفة ،تستوجب كل منها معالجة معينة، لذلك نجد أنه مع السنوات الأخيرة، أصبح اللسان يكتسي أهمية أكثر من أي وقت مضى، ذلك لأن القضايا السياسية المتعلقة بالأقليات ،تحولت إلى قضايا استراتجية. وأصبح العالم يعيش انقسامات ،يكون اللسان أحد أسبابها الرئيسة باعتبار تجسيده لهوية الشعوب والمجموعات ووجودها، وتموقعها في هذا العالم. لذلك كله يصبح اختيار لسان رسمي في مجتمع متعدد الألسنة أمرا يجب الاحتياط له كثيرا.

2 ـ بين الهوية و اللسان:

المعروف أن الهوية هي المظاهر الفكرية و الثقافية والروحية التي من خلالها يتميز مجتمع ما عن غيره من المجتمعات، والملامح التي تعكس طريقة حياته وعاداته ومعتقداته، والقيم والمثل والمفاهيم الحضارية التي عبرها تتبلور شخصيته ويتجسد انتماؤه،وتتأسس ذاته التي تستمد خصوصيتها من مقابلتها الآخر واختلافها عنه. ولعل أهم مظهر لتجسيد هذه الهوية هو اللسان،كونه يشكل العامل الأساسي في تكوين الأمة،وربط نفوس الأفراد فهو "مرآة الشعب ومستودع تراثه وديوان أدبه و سجل مطامحه وأحلامه وأفكاره وعواطفه، وهي فوق هذا وذاك رمز كيانه الروحي وعنوان وحدته وتقدمه وخزانة عاداته وتقاليده"1. لذلك يتشبث كل مجتمع بلسانه، ويبقى عالقا في وعيه الجمعي، ويصبح هو لسان وجوده وعامل بقائه، وسبيل دوامه، ومظهر تميزه، واختلافه عن الآخر، ومن خلال توظيف المجتمع للسانه نتبين شخصيته وحضارته، بعبارة أخرى ،به تتجلى وتتضح ذاته التي تنعكس على طبيعة تفكير الفرد ."وهذا ما يجعلنا نقول واثقين إن الفرد يندمج في المجتمع باللغة التي تلعب دور القلب النابض، محركا وموحدا ،فيها وحدها يتلقى تراث أمته الفكري والوجداني والأخلاقي والديني والاجتماعي والسياسي"2. ونتيجة لكل ذلك يصبح للسان الدور الأبرز في الدفاع عن الذات، وعن الوجود، من خلال

1جميل صليبا .تعريب التعليم بين القائلين به والمعارضين له .في مجلة العربي عدد182 يناير 1974 ص120

2عبد المجيد زراقط . اللغة العربية الفصحى والدعوة إلى اصطناع العامية لغة بديلة . مجلة المنطلق العدد78 لبنان يونيو 1991 ص64

محاولة تجسيد الهوية ،وإبراز ملامحها أمام الآخر، ولذلك كانت هذه "وبلا منازع أبرز السمات الثقافية، وما من حضارة إنسانية إلا وصاحبتها نهضة لغوية، وما من صراع بشري إلا ويبطن في جوفه صراعا لغويا ،حتى قيل إنه يمكن صياغة تاريخ البشرية على أساس صراعاتها اللغوية."[1]

لقد اعتبرت حالة أحادية اللسان[2] في بعض المجتمعات إلى وقت قريب الحالة الطبيعية التي يجب أن تسود داخلها. أما التعدد اللساني فنظر إليه دوما على أنه حالة اختلال. الأمر الذي خلق حالات احتقان في هذه المجتمعات، بالنظر إلى أن بعض المجموعات اللغوية رأت في اعتماد الدول أو المجتمعات . التي كانت تعيش فيها لسانا واحدا، ضربا من تهميشها ومساسا بهويتها والأكثر من ذلك عدم الاعتراف بوجودها أصلا. والمجتمعات الكثيرة التي لم تعالج هذه الظاهرة بطرق تضمن التعايش بين المجموعات داخل المجتمع الواحد، رأت وحدتها وتماسكها الاجتماعي مهددا بالانهيار إن لم ينهر بعضها في المجتمعات البسيطة الأحادية اللسان ،يبدو تقاطع اللسان مع الهوية أمرا محسوما ،انطلاقا من أن اللسان يتمظهر في صورة واحدة، ينطلق فيها من الهوية ويعود

1علي نبيل. الثقافة العربية وعصر المعلومات ،عالم المعرفة ،العدد276 الكويت 2001 ص228 .

2تستعمل الأحادية اللسانية ، التفرد اللغو ي ، ويقابلها، monolinguisme ، أما الثنائية اللسانية والتعدد اللساني فغالبا ما يعالجان في السياق نفسه ، فيقابلها في أغلب الحالات plurilinguisme أو multilinguisme ، ومنه يستعملان للدلالة على حالات الثنائية والازدواجية bilinguisme

« par bilinguisme ou plurilinguisme ,il faut entendre le fait générale toutes les situations qui entrainent un usage , généralement parlé et dans et dans certain cas écris, de deux ou plusieurs langues par un même individu et un même groupe».

Voir :- A.Tabouret-Keller -plurilinguisme et interférences-dans la linguistique: guide alphabetique ,Denoel1969 .p309. « les termes les plus répandus Pour designer aussi bien une situation de contact de langue que l'individu ou le groupe, qui utilisent deux ou plusieurs langues sont ceux de bilingue et de bilinguisme, termes qui tendent a être supplantés par les termes les plus généraux de plurilingue et plurilinguisme.»

Voir :- Christian Baylon- sociolinguistique-p146

إليها، اللسان الثابت ،الشخصية، الوطني ثم الرسمي. وهذه الحالة نادرة الوجود في عالمنا ،باعتبار أنه حتى في بعض المجتمعات التي ينظر إليها على أنها أحادية، يتمظهر اللسان على مستويين: الفصيح والدارج أو الكلاسيكي والعامي،ويلاحظ نوع من التباعد بينهما نتيجة تأثيرات عدة ترتبط بطبيعة اللسان في حد ذاته ،مدى تماسكه وقوته، وأثره وتأثره بالألسنة الأخرى ،خاصة في المجتمعات الحديثة الاستقلال، التي تعاني من رواسب الاستعمار، فرغم اعتمادها لسانا رسميا واحدا، إلا أنه بسبب عدم التخطيط اللساني الجيد ،واعتماد سياسات لغوية غير سليمة،تغلب عليها الارتجالية،وعدم وجود ظروف سياسية واجتماعية وفكرية وثقافية مناسبة ،ونتيجة التخلف الاقتصادي ،يزداد التباعد بين الرسمي وما يوجد في الواقع. هذا التباعد يحدث خللا في انسجام الأنا مع الذات ،نتيجة الانبهاربالآخر، بلغة الآخر، وفكرالآخر، الآخرالحضارة، التقدم والآخر الحرية.

3 ـ مظاهر العلاقة بين اللسان الرسمي و الهوية في ظل التعددية:

كل شيء في المجتمعات المركبة متعدد ،الثقافة ،الأعراف والتقاليد، وحتى المعتقدات . في كثير من الحالات . ،بعبارة أخرى عوض الهوية الواحدة تصبح الهويات وعوض اللسان الواحد تصبح الألسنة. وفي هذا المجتمع المتعدد الألسنة تشكل تمظهرات اللغة تجسيدا واضحا للأنا والآخر ،علاقات تخضع للتجاذب حينا ،والتصادم حينا آخر،يؤسِسها تموقع لسان مقابل الألسنة الأخرى، إما انطلاقا من مكانته السيادية

المتحكمة في الأمور الرسمية للمجتمع ،أو اعتماده كرافد أساسي لها، أو خضوعه لها وعدم اعتماده فيه أساسا.

وتبعا لهذه العلاقات تطفو إلى السطح قضية الانتماء والهوية، وتتفاعل إما سلبا أو إيجابا،وتؤخذ مطية وشعارا أو سلاحا لإثبات الذات أمام الآخر . وتبعا لذلك كله يصبح اختيار لسان رسمي لمجتمع من هذا النوع أمرا غير محسوم مسبقا،بل بالعكس تتجاذبه مجموعة من الحسابات والخلفيات،ويصير إذا لم يخضع إلى تخطيط لساني مبني على أسس سليمة محفوفا بالمخاطر ،بالنظر إلى التركيبة الإثنية المعقدة لبعض المجتمعات. وتبعا لحساسية علاقات هذه التركيبات يأخذ الأمر بعدا آخر ،كثيرا ما يقترن بالهوية والوجود و الانتماء. وقليلة هي المجتمعات من هذا الصنف التي تعتمد لسانا رسميا واحدا، دون أن يؤثر ذلك سلبا على الحياة السياسية فيها.

إن بحثا واستقصاء متواضعين جعلانا نقف أمام حالات تمظهرات كثيرة للسان الرسمي في علاقته بالألسن الأخرى في هذه المجتمعات. ولأنه من الصعب التطرق إليها جميعها في هذه المقام، ارتأينا أن نحصرها فى ثلاث حالات متباينة: حالتين عامتين وحالة استثنائية. والحالتان العامتان هما:

1 ـ **حالة توافق** : Situation de consensus

1 . تكون الألسنة الوطنية جميعها ألسنة رسمية ،حفاظا على تعدد هويات المجتمع، وفي هذه الحالة تحتفظ كل مجموعة إثنية بلسانها.

عنوان هويتها ،ولكنها تتوافق مع الآخر، تقبله، وتتكامل معه، حفاظا على الهوية الوطنية للوطن الواحد. ورغم أن هذه الحالة لم تجسد في بعض الدول إلا بعد كفاح طويل وطول نفس نتيجة سيطرة وتسلط لسان واحد على الألسنة الأخرى ،إلا أنها جنبت هذه الدول التفكك والتصدع، كونها خضعت لتخطيط لساني صارم، سخرت له كل الإمكانيات حتى ينجح. والأمثلة على هذا النوع كثيرة ،لعل أهمها ما يحدث في سويسرا، أين تتكامل الألسنة الفرنسية والإيطالية والألمانية باعتبارها ألسنة وطنية اعتمدت جميعها كألسنة رسمية لهذا البلد. والأقرب منها بلجيكا أين رسم اللسان الفلاماني بعد أن كان اللسان الفرنسي هي المسيطرة. فرأى الفلامندر1 أن في ذلك انتقاصا من شأنهم وتهميشا لهويتهم ،وكان لهم ما أرادوه بعد طول مطالبة لإثبات الذات، والوجود ،وعدم القبول بالذوبان في لغة وثقافة وهوية الغير.

ب . يوجد في بعض الدول عدد لا يحصى من الألسنة واللهجات، وهي حالة يصعب معها اعتماد لسان من هذه الألسنة الوطنية لسانا رسميا، أو التفريط في لسان آخر وتهميشه، نظرا لتشبث كل مجموعة بلسانها وعدم توفر الشروط العملية والعلمية لجعل هذه الألسنة ألسنة رسمية، وعدم توافر الإمكانيات الكافية لذلك. في هذه الحالة لجأت بعض الدول إلى اعتماد لسان دخيل كلسان رسمي ،فاختارت لسان الاستعمار، فأحدث ذلك توافقا بين الألسنة المحلية الأخرى. وبعض الدول الإفريقية مثال حي لذلك،ومنها السينغال التي يوجد بها حوالي ستة

1 وعلى الرغم مما تحصل عليه هؤلاء إلا إن السنوات الأخيرة تنبئ بتصدع بلجيكا بالنظر إلى الأبعاد التي أخذها الصراع بين الوالون والفلامندر، إذ ينذر هؤلاء الأخيرين بتشكيل وحدة إقليمية خاصة بهم.

ألسنة وطنية: "الولوف Wolof والبال Peul والسيرير Sereer والمانديغ Manding والديولا DiolaوالبلانتBalante "1 إلا أنها اعتمدت اللسان الفرنسي كلسان رسمي لتحافظ بذلك على انسجامها الإثني، وإن كان في ذلك جنوح للآخر على حساب الذات، وما يحمل ذلك من تبعية فكرية.

ج. وهي حالة تشبه إلى حد بعيد الحالة السابقة ،إلا أنها تختلف عنها في اعتماد لسان رسمي لا يحمل خصوصيات وطنية فحسب،بل حتى إقليمية وجهوية . والواقع أن هذه الحالة تشكل حالة نادرة بالنظر إلى أن التعامل مع اللسان يكون له أكثر من دلالة. دلالة الانتماء إلى العرق ،إلى المكان وإلى الهوية في مفهومها الجمعي الواسع،وفي هذه الحالة نجد اللسان المستعمل عنوانه التحدي وإثبات الذات، لأنها لا تمتلك جميع مواصفات الألسنة الرسمية الأخرى ولا تتوافر على جميع الإمكانيات المتوفرة لغيرها. ورغم ذلك تحاول أن تجد لها مكانا سياديا عوض أن تبقى تابعة ويبقى معها المجتمع كله متجزئ الهوية. ولعل أحسن مثال لذلك اعتماد اللسان السواحلية في تنزانيا. يرى بعض المختصين "أن أفضل الأمثلة الحديثة ما يقدمه اتخاذ اللغة السواحلية اللغة الوطنية في تنزانيا في شرق إفريقيا ولايزال ثمة عدد كبير من اللغات القبلية بالإضافة إلى الآثار الاستعمارية الانجليزية ،ولكن أنظمة التعليم والتشريع والحكومة أدخلت بالتدريج اللغة السواحلية لتصبح لغة رسمية"2.

1Jean Louis Calvet-sociolinguistique-p98

2جورج يول. معرفة اللغة. ص236

2 ـ حالة صراع وتصادم: Situation conflictuelle

قد يصبح اللسان الرسمي رديف الإقصاء والتهميش ورفض الغير عندما يأخذ طابع السلطة ،دون احترام خصوصيات الآخر،أو الاعتراف بهويته فيصبح الدفاع عن اللسان والثقافة شعار الدفاع عن الوجود وإثبات الذات فيبدأ الصراع في أخذ منحى يتسبب في حالات المواجهة والتصادم. "وهناك صراع لساني عندما تتواجه لسانان واضحا الاختلاف، لسان هو المهيمن سياسيا في الاستعمال الرسمي والاستعمال الشعبي. ولسان آخر مهيمن عليه."1 وتبقى معه بؤر التوتر على غرار ما يحدث في بعض الدول من أمريكا الجنوبية والهند وحتى الولايات المتحدة الأمريكية التي يبدو فيها انسجام لساني ظاهريا."يفترض أن بلدا كالولايات المتحدة الأمريكية مجتمع منسجم اللسان حيث يتحدث كل فرد فيها بالإنجليزية.وهذه نظرة خاطئة لأنها هي تتجاهل وجود مجموعات كبيرة ليست الإنجليزية لسانهم، ومن الأمثلة على ذلك سكان سان أنطونيو وتكساس الذين يفضلون سماع برامج الإذاعة الإسبانية بدلا من الإنجليزية."2 ذلك أن أصول عدد كبير من الأمريكيين من أمريكا اللاتنية ،خصوصا المكسيك والبرازيل والأرجنتين وكوبا وغيرها.

أما الحالة الاستثنائية فهي حالة نادرة في وقتنا الحالي لأنها تتعارض ومنطق التعددية اللسانية وتتمثل في:

---

1 C.Baylon –sociolinguistique- Nathan.vuef 2002-p15

2جورج يول. معرفة اللغة. ص236

3 ـ حالة انسجام :Situation de cohésion

وفيها يكون اللسان هو المعتقد ،الهوية نفسها ،الغاية ،الذات المنشودة، أكثر من ذلك، هو المصير الذي معه لا معنى للأنا الفردي الذي يذوب في الأنا الجمعي . ويتفرد بهذه الحالة ما يحدث في فلسطين المحتلة في الجزء المسمى إسرائيل"الدولة الصهيونية الغاصبة" أو الدولة العبرية. ولربما هي الحالة الأولى التي يختزل فيها المتعدد في الأنا الواحد . فعليا وعمليا . فرغم تعدد التركيبات الاجتماعية الوافدة إليها، وتعدد الألسنة باعتبار البلدان التي هاجرت منها، إلا أنها تصبو جميعها لتوظيف اللسان العبري بل والأكثر من ذلك تحرص هي نفسها على ذلك . عدا عرب فلسطين المسلمين والمسيحيين الموجودين داخل إسرائيل . "فبالرغم من عدم انتشار العبرية على نطاق واسع بين السكان في إسرائيل فقد اختاروها لتكون لغة الحكومة الرسمية"1. فاللسان الرسمي هنا هو المعتقد ،هو الهوية، والجامع كونها الخصوصية والمميزعن الآخر، وهوعنوان الوجود.

تبقى هذه الحالات عالقة ،طالما لم يعتمد لحلها سياسة وتخطيط لساني يأخذ بالحسبان الآخر، الذي يرى في دفاعه عن لسانه، دفاعه عن هويته، عن مكوناته الشخصية وخوفه من فقدها والذوبان في الآخر.

---

1 جورج يول . معرفة اللغة . ترجمة محمود فراج عبد الحافظ ،دار الوفاء، الاسكندرية، ص236

الخاتمـة:

ما ينبغي أن نشير إليه في الأخير هو أن الطرح السليم لقضية التعدد اللساني في المجتمعات المركبة يجب أن لا يجنح دوما إلى الذاتية والارتجالية، بل يجب أن ينظر إليه دوما نظرة موضوعية يعالج فيها من منطلق علمي منهجي، وتخطيط لساني يأخذ في الحسبان مكونات أمة ما ،بجميع أطيافها قصد خلق انسجام وتوافق يسمح للفرد أن يجد ذاته الخاصة في الذات الجمعية ،وخلق آليات تسمح بالتفتح على ألسنة الغير والاستفادة منها دون مركب نقص.

- ملاحق -

نتائج ومقترحات

في إطار سلسلة اللقاءات التي دأب المجلس الأعلى للغة العربية على تنظيمها بهدف ترقية استعمال اللغة العربية وتطويرها، نظم المجلس ندوة دولية موضوعها: "**التعدد اللساني واللغة الجامعة**" بإقامة الميثاق بالجزائر أيام 10، 11، 12 أفريل 2012، شارك فيها نخبة من الشخصيات الوطنية والثقافية، وساهم فيها علماء وباحثون مشهود لهم بالكفاءة في مجالات علوم اللسان وفقه اللغة، من 20 جامعة من داخل الجزائر ومن مخابرها العلمية من: الطارف، أم البواقي، قسنطينة، باتنة، سطيف، تيزي وزو، البويرة، الجزائر، البليدة، المدية، الشلف، المسيلة، ورقلة، أدرار، بشار، سعيدة، تلمسان، وهران، مستغانم، غرداية، ومن المدرسة العليا للأساتذة بالجزائر، ومركز الدراسات الاجتماعية والثقافية بوهران ومن خارج الوطن من: المغرب وتونس والنيجر والسودان والإمارات وقطر والسعودية والهند وألمانيا، حيث قدّم الباحثون والمختصون 42 مداخلة توزّعت على سبع جلسات وورشة علميّة تداولت حول موضوع "**العربية في ظل العولمة**"

وبعد النقاش الواسع الذي أعقب مختلف الجلسات العلمية خلصت الندوة إلى المقترحات التالية:

1 - مواصلة مسعى المجلس المبني على منهجية علمية في نشر اللغة العربية وترقية استعمالها في الإدارة والمحيط بتقديم وسائل الدعم للقطاعات التقنية المتخصصة في استعمال اللغة العربية.

2 - تنسيق الجهود الرامية إلى تطوير اللغة العربية الجامعة لاستيعاب المعارف وتوظيفها محليا، مما يجعلها تواكب حركة التقدم العلمي والتكنولوجي.

3 - ترقية التعامل باللغة العربية الجامعة في قطاعات التربية والتكوين والإدارة والخدمات والمحيط بوجه عام.

4 - التنبيه إلى التهجين والتلوث اللغويين والحد من استفحالهما في التخاطب ، وفي وسائل الإعلام والاتصال من خلال استثمار النشاط الجمعوي الجواري للتحسيس بخطورتهما على اللغة الجامعة وعلى انسجام المجتمع.

5 - اعتماد أكثر من لغة أجنبية في التعليم ، وتحديد وظائفها في باقي المجالات دون تفضيل أية لغة أجنبية عن الأخرى لتبقى القطبية للغة الجامعة، وإعادة النظر في تأجيل تدريس اللغة الأجنبية في مرحلة التعليم الإبتدائي.

6 - إنجاز البرامج الإلكترونية بالعربية وإدراجها في الشابكة ليتسنى لمستعملي العربية على الشابكة من استعمال عربية وسطى سليمة للقضاء على اللغة الوهمية التي بدأت تنتشر في وسائط الإعلام والاتصال.

7 - الاهتمام بالمصطلح العلمي من خلال إنجاز أدلة وظيفية في مختلف المجالات لتسهيل عملية استعمال العربية في القطاعات التقنية والخدماتية.

8 - دعوة المجلس الأعلى للغة العربية إلى مواصلة عقد مثل هذه الندوات العلمية التي تساعد الباحثين على عرض مقارباتهم العلمية وبحوثهم الهادفة إلى تطوير اللغة العربية باعتبارها لغة جامعة وطنيا ومغاربيا وعربيا وإسلاميا.

لائحة بأسماء المشاركين

- أصحاب المعالي والسعادة والفضيلة؛

- الأساتذة رواد العلم والمعرفة اللغوية؛

- الحضور الموقر.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

نحن المشاركين في الندوة الدولية حول: «**التعدّد اللساني واللغة الجامعة**»

المنظّمة من قبل المجلس الأعلى للغة العربية أيام: 11-10 و 12 أبريل 2012 ، بإقامة الميثاق – الجزائر، والتي تندرج ضمن مسعى ترقية وظيفة اللغة الجامعة وعلاقتها بباقي اللغات.

وبعد الاستماع إلى المداخلة الافتتاحية للسيد رئيس المجلس الدكتور محمد العربي ولد خليفة التي أشار فيها إلى ضرورة العناية باللغة العربية باعتبارها لغةً جامعةً، وضبط وظائف اللغات الأجنبية لكونها روافد للعلم والمعرفة، في مسعى تحديث مضامين اللغة العربية، وترقية استعمالها وصولا إلى نشر المعرفة بها.

فإنه لمن بالغ سروري أن أخاطبكم نيابة عن زملائي المشاركين في هذه الندوة الدولية:

« **التعدّد اللساني واللغة الجامعة**»، التي حظيت بالرعاية السامية لفخامة رئيس الجمهورية، السيد عبد العزيز بوتفليقة، وتمت جلساتها بمستوى علمي من أعلى طراز، وبمساهمة الأستاذ الدكتور محمد العربي ولد خليفة ومشاركة نخبة من الشخصيات الوطنية المثقفة والعالمة.

ولقد جمعت هذه الندوة كوكبةً من الأكاديميين، ومخابر البحث من أكثر 20 جامعة جزائرية ونخبة من المفكرين وعلماء اللسان من الدول المغاربية والعربية الشقيقة ومن الهند والنيجر وألمانيا، وتميزت الجلسات خلال الأيام الثلاثة بحوار جدي ونقاش ديمقراطي حول أهمية اللغة العربية في التجانس الثقافي والمجتمعي، وما يمثله التعدد اللساني من ثروة تساعد مجتمعاتنا على نقل المعارف والتكنولوجيات وتوطينها بالعربية الجامعة، وتداولها في وسائط الاتصال والتواصل في عالم اليوم.

وفي هذا الصدّد يثمن المشاركون في الندوة الموقف الرّائد للجزائر وحكمة رئيسها السيد عبد العزيز بونتفليقة في معالجة قضايا الأمة العربية الكبرى، وفي رعايتها المتميّزة للعلم والعلماء.

ويرفع المشاركون في الندوة إلى فخامته أسمى عبارات الشكر والتقدير والامتنان على الجهود المتواصلة للتنمية الشاملة التي يحرص عليها، ويدعمون مساعيه الرامية إلى تحديث الدولة الجزائرية، وإرساء قواعد الديمقراطية المؤسّسة على العدالة وحرية التعبير واحترام حقوق الإنسان، لتحقيق الاستقرار والأمن والرفاه للمجتمع.

وفي الأخير نشكر لكم تهيئة الظروف الخاصة بإنجاز النّدوة على هذا المستوى الرّفيع.

و نشكر لكم حسن الاستقبال، وكرم الضّيافة، ونلتقي بكم في آفاق النّهضة والتقدّم لأمتنا.

وأجدّد الشكّر والإشادة، وأحمد حسن إصغائكم، والسلام عليكم.

المشاركون في الندوة الدولية.

نيابة عنهم الأستاذ الدكتور حسن بشير عضو المجمع السوداني للغة العربية وأستاذ بجامعة الخرطوم - السودان

موضوع الندوة الدولية حول:

التعدّد اللساني واللغة الجامعة

ينظم المجلس الأعلى للغة العربية ندوة دولية حول (التعدّد اللساني واللغة الجامعة) بهدف استكناه مزايا التعدّد اللساني كونه قائماً على تراتب لغوي أقرّه المجتمع بصيغة طبيعية من خلال اللغة الجامعة والتعدّد اللساني المتكامل، آخذاً بعين الاعتبار الأبعاد الوطنية للحفاظ على التجانس الاجتماعي والثقافي، وهذا ما تجسّد في المجتمعات المتقدّمة التي تولي اللغة الرسمية كلّ الأهمية باعتبارها اللغة المركز. وإنّ هذه المجتمعات المتقدّمة لم تنل الريادة إلاّ بفضل الاهتمام باللغة الجامعة، وتشهد التجارب الناجحة أنّه ما تقدّم بلد بلغة غيره. وبغية معالجة هذا الموضوع، فإنّ المجلس يطرح هذه الإشكالية للحوار والمناقشة من خلال الندوة التي ينوي إنجازها، التي تنظر في معالجة كيفية التدبير العلمي الناجح لبلد من البلدان في ظلّ التعدّد اللساني وأهمية اللغة الجامعة، في ظل وجود لغات أصلية وأخرى موروثة من عهود الاحتلال والحماية من منظور الوظائف التي تؤدّيها في مختلف مرافق الدولة ومؤسساتها.

يسعى المجلس من خلال هذه الندوة إلى معالجة ظاهرة التعدّد اللساني من خلال دراسة معمقة للتعدّد اللساني باعتباره ثراء لغويا وحضاريا، وفي ذات الوقت يستهدف توضيح أهمية اللغة الجامعة وتخطيط وظائف

اللغات الأخرى غير الوطنية ومنزلتها في جوانبها الاجتماعية والحضارية والثقافية وفق حاجات مجتمعاتنا التي تعاني من الآثار السلبية الناجمة عن سيطرة اللغات الأجنبية وضعف أداء اللغة العربية وخاصة في مجالات البحث العلمي والترجمة والتكنولوجيات.

إنّ الجزائر من ضمن الدول التي تشهد هذا الإشكال اللغوي، فلا تزال بعض الانعكاسات السلبية تتمثّل في عدم التوافق اللغوي من خلال سوء توزيع مقام اللغات، ومن عدم وضع الضوابط الموضوعية للتعدّد اللساني في مفهومه، من حيث وجود لغة مركزية جامعة، ولغة وطنية أصلية بما تمثله من آداءات متنوّعة ولغات أجنبية. وبهذا يروم المجلس معالجة هذه الإشكالية معالجة حوارية بطرحها على المختصّين، وصولاً إلى تقديم اقتراحات يُراعى فيها البعد العلمي البحت. فإلى أيّ حدّ يمكن للتعدّد اللساني أن يكون عامل ثراء؟ ومتى يكون لذلك آثار سلبية على التجانس المجتمعي والأمن الثقافي للأمة قاطبة؟ وكيف يمكن تدبير استراتيجية وطنية تتلاقى فيها أفكار النّخبة لخدمة المسألة اللغوية؟ وهل يمكن تدبير خطط إنمائية لكلّ اللغات حسب وظائفها؟ وكيف يمكن التأسيس للتراتب اللغوي التكاملي...؟. تلك هي أهم القضايا التي نأمل أن يعالجها المختصون وأهل الرأي بمقاربات علمية تجيب على التساؤلات السابقة.

- محاور الندوة:

1.تحديد المصطلحات: التعدّد اللساني. اللغة الجامعة. اللغة الوطنية . اللغات الأجنبية . التسامح اللغوي . الهيمنة اللغوية . التعايش اللغوي

. الانجراف اللغوي . الاحتكاك اللغوي . اللغات الأقطاب . الازدواجية اللسانية.

2ـ مواصفات اللغة الجامعة؛

3. التعدّدية اللسانية: معضلة لسانية أو ضرورة اجتماعية؟

4. تجارب ناجحة للبلاد ذات التعدّد اللغوي

5. النخب الوطنية: اللغة الجامعة والأحادية اللغوية

6. العولمة اللغوية

7. الجزائر وتدبير ثقافة التعدّد اللساني

8. اللغة والأمن الثقافي في المجتمعات العربية

9. قنوات التواصل اللغوي والترجمة

ـ شروط المشاركة:

1. أن يكتب البحث بلغة عربية؛

2. ألاّ يتعدّى حجم البحث ثلاثين (30) صفحة 21/31، بما لا يتجاوز 12000 كلمة

3. أن لا يتجاوز ملخص البحث 200 كلمة

4. أن يكتب البحث بخط simplified arabic رقم 14

5. أن تكون الهوامش آلية وفي آخر البحث

6. أن يتقيّد الباحث بالمنهجية العلمية المتعارف عليها في كتابة المقالات

7. أن يلتزم الباحث بالآجال المحددة أدناه؛

8. تكون كلّ المراسلات عن طريق النيت NET.

. التزامات المجلس

. يتحمّل المجلس تكاليف الإقامة خلال أيام الملتقى وتذكرة الطائرة

. يطبع المجلس أعمال الملتقى، ويرسل للمحاضرين ثلاث (03) نسخ

. تاريخ الملتقى: 10. 11 نيسان (أفريل) 2012.

. المكان: الجزائر

. استقبال الملخصات 31. 12. 2011.

. استقبال المداخلات كاملة: قبل نهاية شباط (فيفري) 2012.

اللجنة التحضيرية

-أ . د/ محمد العربي ولد خليفة رئيس المجلس

-أ . جيلالي علي طالب الأمين العام للمجلس

-أ . د/ صالح بلعيد

-أ . د/ عبد الجليل مرتاض

-أ. د/ عبد القادر فضيل

-أ.د/ بوزيد بومدين

-أ. د/ يوسف مقران

-أ . فتيحة خلوت

أمانة الندوة:

-أ. لحسن بهلول

-أ . زوليخة خراز

-أ. سهام عبد الحفيظ.

برنامج عمل الندوة

اليوم الأول: الثلاثاء 10 أفريل 2012.

الجلسة الافتتاحية:

10 -09:30	كلمة الدكتور محمد العربي ولد خليفة رئيس المجلس الأعلى للغة العربية.
10:30 -10	استراحة.

رئيس الجلسة العلمية الأولى: أ.د / عبد الجليل مرتاض.

11 -10:30	اللسان العربي الجامع: بين التماسك والتنوع والتعدد. أ. د .عبد القادر الفاسي الفهري- جامعة محمد الخامس أكدال- المغرب.
11:30 -11	مؤثّرات التّعدّد اللّساني على وحدة التّفكير الإنسانيّ. د/ سعاد بسناسي- جامعة وهران.
12 -11:30	السّياسة اللّغويّة العربيّة منهجٌ للتّأصيل والتّطوير ومواكبة العصر. أ.د. حسن بشير – السّودان.
12:30 -12	الاحتكاك اللغوي وأثره في العربية الحديثة: عربية تونس أنموذجا. أ.د/ الحبيب النصراوي – جامعة قرطاج، تونس.
13 -12:30	مناقشة عامة.

الفترة المسائية

رئيس الجلسة العلمية الثانية: أ.د/ ميلود حبيبي مدير مكتب تنسيق التعريب بالرباط.

15:15 -15	اللغة العربية والتعدد اللساني بالمغرب العربي. أ.د/ عثمان سعدي: رئيس الجمعية الجزائرية للدفاع عن اللغة العربية.
15:15 15:30-	الهيمنة اللغوية. أ.د/ أحمد عزوز - جامعة وهران.
15:30-15:45	حقوق اللغة الرسمية. أ د/ صالح بلعيد - جامعة تيزي وزو.
15:45 -16	التعدّد اللساني وحرب اللغات. أ/ مسيكة السنوسي - جامعة ورقلة.
16:15 -16	دور اللغة الجامعة في تحقيق الأمن الثقافي للبلاد العربية. أ.د/ أحمد العلوي العبدلاوي، كلية الآداب سايس فاس المغرب.
16:15-16:30	التعدد اللساني والهوية الثقافية في الجزائر والعالم العربي. أ.د/ عبد الكريم بكري - جامعة وهران.
16:30 -17	مناقشة عامة.

اليوم الثاني : الأربعاء 11 أفريل 2012

الفترة الصباحية

رئيسة الجلسة العلمية الثالثة: أ.د/ سعاد بسناسي.

09- 09:15	معضلة التعددية اللسانية في غرب إفريقيا: المشاكل والحلول. أ.د/ علي يعقوب - الجامعة الإسلامية بالنيجر.
09:15 -09:30	التعدد اللساني في الجزائر: المداخل والمخارج والآفاق. أ.د/ محمد تحريشي - جامعة بشار.
09:30 -09:45	مسألة عولمة اللغة الإنجليزية في العالم. أ.د/ يوسف حميطوش - جامعة الجزائر 3.
09:45 -10	نحو منظومة محوسبة لاستكناه التعدد اللساني : تنظير وتجريب في تقطيع الصوت العربي الأكوستيكي ودوره فى تفهم أسرارلغات الإنسان. أ. د/ محمد ثناء الله الندوي جامعة عليكره - الهند.
10 -10:15	التعدد اللساني في إسبانيا بين الصراع الأيديولوجي وحتمية التعايش. أ/ أمينة بوكيل جامعة قسنطينة.
10:15 - 10:30	دور التّعدّد اللّسانيّ في بناء الحضارة العربيّة: أبو الرّيحان البيرونيّ أنموذجًا. أ.د/ لعبيدي عبد الله - جامعة البليدة.
10:30 - 11	مناقشة عامة.
11 - 11:15	استراحة.

رئيس الجلسة العلمية الرابعة: أ.د/ عبد المجيد عيساني

11:15 - 11:30	تجارب ناجحة لبلدان ذات تعدّد لغوي. أ.د/ عبد الجليل مرتاض- جامعة تلمسان.
11:30 -11:45	التعدّدية اللسانية وأثرها على المجتمع الجزائري. أ/ سهام حساين - المركز الوطني للبحث في انتروبولوجيا الاجتماعية والثقافية وهران.
11:45 -12:00	العربية والعولمة اللغوية بين الأحادية والتعددية. أ.د/. عبد العلي الودغيري - جامعة محمد الخامس . الرباط.
12 - 12:15	التعدد اللغوي وأثره في تعليم العربية . أ.د.عبد الرحمن بن حسن العارف. جامعة أم القرى – معهد اللغة العربية- مكة المكرمة.
12:15 -12:30	التعددية اللسانية ضرورة اجتماعية لا لسانية. أ/ حاكم عمارية - جامعة سعيدة.
12:30 -12:45	واقع التعدد اللغوي في المدرسة الجزائرية: نحو بديل أفضل: اللغة الجامعة. أ. د/ يوسف مقران المدرسة العليا للأساتِذة بوزريعة . الجزائر.
12:45 - 13	مناقشة عامة.

الفترة المسائية

رئيسة الجلسة العلمية الخامسة: أ.د/ زكية السائح دحماني.

15- 15:15	التعدد اللغوي في الجزائر : مظاهره وانعكاساته. أ.د/ جيلالي بن يشو – جامعة مستغانم.
15:15-15:30	العولمة اللغوية. أ.د/ صائل رشدي شديد – كليات التقنية العليا - الإمارات
15:30-15:45	ظاهرة التعدد اللغوي وتاريخها في الجزائر: دراسة في منظومة المصطلح ومدونة المفهوم. أ.د/ محمد الأمين خلادي - جامعة أدرار
16 -15:45	التّعدد اللّساني والتّطلع نحو مجتمع المعرفة اللّغوية، أ.د/ عبد المجيد عيساني رئيس قسم اللغة والأدب العربي- جامعة ورقلة.
16:15 -16	تأملات ابستميولوجية في اللغة الجامعة واللغة الوطنية. أ/ مليكة النوي - جامعة باتنة.
16:15-16:30	من اللاوعي إلى الوعي اللغوي دراسة في سبل التخلص من الآثار السلبية للازدواجية اللغوية في اللسان العامي الجزائري. أ.د/ نوارعبيدي- جامعة الطارف.
16:30-17:00	مناقشة عامة.

اليوم الثالث: الخميس 12 أفريل 2012.

رئيس الجلسة العلمية السادسة: أ.د. صالح بلعيد.

09-09:15	المقترض في القواميس العامّة بين الغربة والاندماج. أ.د/ زكيّة السائح دحماني- جامعة منوبة – تونس.
09:15-09:30	واقع الرأسمال اللغوي الجزائري: من التعددية إلى المزج اللغوي. أ.عمر داود - جامعة غرداية.
09:30-09:45	إسهام التعددية اللسانية في تعليم اللغة العربية اللغة العربية لغةً جامعة. أ. د/ عبد السلام السيد حامد. جامعة قطر
09:45 - 10	اللغة الفصحى وقريباتها: تعايش سلمي واحترام متبادل. أ/ يمينة مصطفاي - جامعة البويرة.
10 -10:15	التحكم في اللغة العربية والتحكم في اللغات الأجنبية أمران متلازمان. أ. د. رشيدة آيت عبد السلام - المدرسة العليا للأساتذة - الجزائر.
10:15-10:30	معوقات اللغة الجامعة في الجزائر. أ/ برو محمدوأ/ ناصرباي أعمر - جامعة المسيلة.
10:30-11:00	مناقشة عامة.

رئيسة الجلسة العلمية السابعة: أ.د/ رشيدة آيت عبد السلام.

11- 11:15	التعدد اللغوي في الجزائرودور السياسة اللغوية في دفعه نحو الإيجابية أ.د/ عبد القادربوشيبة - جامعة تلمسان.
11:15-11:30	الازدواجية اللغوية وواقع اللغة العربية الفصحى في الجزائر. أ .د. نصر الدين بن زروق المدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة . الجزائر.
11:30-11:45	العلاقة بين اللسان الرسمي والهوية في المجتمعات المتعددة الألسن. أ.د/ ميمون مجاهد - جامعة سعيدة.
12 -11:45	مناقشة عامة.

اللغة العربية لغةً جامعة.....231

د . عبد السلام السيد حامد. جامعة قطر

اللغةالفصحىوقريباتها : "تعايشسلميواحتراممتبادل".....297

أ/ يمينة مصطفاي - جامعة البويرة

إسهام التعددية اللسانية في تعليم اللغة العربية 323

د. رشيدة آيت عبد السلام المدرسة العليا للأساتذة - بوزريعة.

معوقات اللغة الجامعة في الجزائر.....353

أ/ برو محمد، أ/ناصرباي أعمر- جامعة المسيلة

الازدواجية اللغوية وواقع اللغة العربية الفصحى في الجزائر.....381

أ.د/ نصر الدين بن زروق - المدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة . الجزائر

العلاقة بين اللسان الرسمي والهوية في المجتمعات المتعددة الألسن...399

أ.د/ ميمون مجاهد - جامعة سعيدة

الملاحق

-نتائجومقترحات.....419

-لائحةبأسماءالمشاركين.....421

-موضوع الندوة الدولية حول: التعدّد اللساني واللغة الجامعة ..425

-برنامجعملالندوة.....430

-الورشةالعلمية.....438

طبع بالمؤسسة الوطنية للفنون المطبعية
وحدة الرغاية - الجزائر-
2014
Achevé d'imprimer sur les presses
ENAG, Réghaïa
-Algérie-
Bp 75 Z.I. Réghaïa Tél: (023) 96 56 10 /11

التعدد اللساني واللغة الجامعة

التعددية اللغوية ثروة ينبغي استثمارها في ترقية الجوانب المعرفية والثقافية لتحديث المضامين بمستجدات العلوم والتقانات الحديثة والمتطورة، على أن يدور ذلك كله حول اللغة العربية، بوصفها اللغة الواحدة الموحّدة، اللغة القطب، التي لا تؤخذ مكانتها، ولا يُمكن مزاحمتها، أو تُنزع عنها وظيفتها السيادية، بالرّغم مما يُكاد لها من مؤامرات.

.. ومثلما يقول المفكّر الدكتور محمد العربي ولد خليفة "فقد تحالفت ضد العربية في عصرها الوسيط والراهن ثلاثة عوامل عطّلت تقدمَها، وأضعفت إشعاعَها، وأفقرت رصيدَها الإبداعي في جميع المجالات؛ أولها: ما حاق بأهلها من فتن وتخلف وجمود، وثانيها: ما تعلق منه بالاحتلال الكولونيالي والغزو الثقافي المبرمج لأوطانها، الذي غرس عقدة النقص بالذات، والانبهار بالآخر، والتقبل الطوعي للتبعية، وثالثها: تخاذل البعض من نخبها، وغفلة الكثير من أولي الأمر في أوطانها على تحريك الإرادات، وإطلاق نهضة حقيقية تحرّر العقل، وتطور مجتمعاتنا بقيادة نخب عالمة تبني مجتمعَ المعرفة الذي تنعكس آثارُه الإيجابية في تنمية حقيقة ومستدامة".

وهذا ما يتضمنه مؤلَف "التعدّد اللساني واللغة الجامعة" من أفكار ومقاربات تسعى إلى تفكيك أسئلة تعدّد اللغات، وتحديد معايير اللغة الجامعة.